

الحديث النبوي و العلم المعاصر

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

في الاسلاميات

اعداد

عبد الله سلامه نصر

اشراف

دكتور سعيد الله قاضي

١٤٠٠هـ

١٩٨٠م




بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة بشاور
باكستان

الحديث النبوي والعلم المعاصر

*

رسالة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

في

الدراسات الاسلامية

*

اعداد

عبد الله سلامه نصر

*

اشراف

الدكتور / سعيد الله قاضي

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

بســـم اللـــه الرحمن الرحـــيم

الاهـــــداء

الى الذين يبحثون عن الحقيقة فى لمحة فكر ، فى ذرة رمل ،

الى المتأملين فى الكون الرحب .

الى الذين يبتغون الحق لوجه الحق وحـده .

الى كل من فتح أمام عقلى نافذة حتى عرفت أن معنى عبادة الله ، هو تقديس كرامة الانسان ، وأن جوهر الايمان بالله تحرير طاقة الانسان ، وأن دين الله هو نواميسه فى الوجود كله : وأن التدين الصحيح هو التماس للحقيقة فى الكون والنفس ، وأمانة وابداع فى الفكر والعمل ..

" ولو كان من عند غير اللـه لوجـدوا فيـه اختلافا كثيرا "

عبد اللـه سلامة نصر .

فهرست الكتاب

رقم	الموضوع	الصفحة
١	تمهيد	١
٢	منهج الخطة	٣
٣	المراجع والتعليقات	١٠
٤	هذا البحث	١١
٥	الهدف وتقرير المشكلة	٢٠
٦	من أجل هذا	٢٢
٧	المراجع والتعليقات	٢٥
٨	لماذا اخترت الحديث .. .. ..؟	٢٦
٩	المراجع والتعليقات	٣٣
١٠	شكر وتقدير	٣٤

الباب الأول

تدوين الحديث

رقم	الموضوع	الصفحة
١١	نشأة التدوين	٣٨
١٢	أقوال المستشرقين	٤١
١٣	صحة الأسانيد	٤٢
١٤	المراجع والتعليقات	٤٦
١٥	التدوين فى عصر الرسول	٤٩
١٦	أحاديث النهى عن الكتابة	٥٠
١٧	" " السماح بالكتابة	٥١
١٨	المراجع والتعليقات	٥٣
١٩	التدوين فى عصر الصحابة	٥٤

رقم	الموضوع	الصفحة
٢٠	الحديث فى عصر التابعين	٥٧
٢١	عمر بن عبد العزيز والحديث	٥٨
٢٢	المراجع والتعليقات	٦٠

الباب الثانى

الحديث محتاج للمراجعة

رقم	الموضوع	الصفحة
٢٣	المشككين فى الحديث	٦٣
٢٤	شبهات المعارضين	٦٤
٢٥	المراجع والتعليقات	٧٠
٢٦	حكم الأحاديث الضعيفة والموضوعة ..	٧٥
٢٧	من قال بالجواز	٧٥
٢٨	الأئمة يردون على المشككون	٧٨
٢٩	المراجع والتعليقات	٨٣
٣٠	تحريف الأحاديث	٨٦
٣١	المراجع والتعليقات	٨٩

الباب الثالث

الحديث وأثره على العلوم الاسلامية

رقم	الموضوع	الصفحة
٣٢	الحديث وأثره على التفسير	٩٣
٣٣	السنة المصدر الثانى للتشريع	٩٥
٣٤	جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ..	٩٨
٣٥	السنة مفسرة للقرآن ولادخل للرأى فى تفسيره	٩٩
٣٦	السنة والمتشابه من القرآن	١٠٠

رقم	الموضوع	الصفحة
٣٢	الصحابة تركوا السؤال عن المتشابه في القرآن ـ فهل يلاموا ؟	١٠٢
٣٨	المراجع والتعليقات	١٠٤
٣٩	الحديث وأثره على الفكر الاسلامى	١٠٨
٤٠	" " والسلوك العصبى	١١٠
٤١	الرسول لا يرضى لأمته هذا الفكر	١١٣
٤٢	الله .. وارادة الانسان ...	١١٥
٤٣	عباقرة على مر الزمن	١١٨
٤٤	القرآن والسنة .. ومناهجهم	١١٩
٤٥	اختلاف أمتى رحمة	١٢٠
٤٦	أبو حنيفة .. ومالك .. والشافعى	١٢١
٤٧	أحمد بن حنبل	١٢٢
٤٨	سبب اختلاف الفقهاء .	١٢٢
٤٩	شخصيات خلدها التاريخ ..	١٢٣
٥٠	الاسلام أول مكتشف لعالم الروح .	١٢٩
٥١	المراجع والتعليقات	١٣٢
٥٢	الحديث وأثره على الترجمة .	١٣٩
٥٣	نهضة الترجمة	١٤٠
٥٤	الترجمة فى العصر الحديث	١٤٣
٥٥	رجل بعث أمة	١٤٤
٥٦	الأسوة الحسنة ...	١٤٧
٥٧	نظرة حول ما كتب عن سيرة الرسول .	١٤٨
٥٨	المستشرقين .. والسيرة	١٥١
٥٩	المراجع والتعليقات	١٥٤

رقم	الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

من أجل الحياة .. الحديث يقود معركة الحياة

٦٠	حياة واقتصاد	١٥٨
٦١	ماتملك .. حيا وميتا	١٦١
٦٢	المجتمع الاقتصادى فى الاسلام	١٦٣
٦٣	العمل .. والعمال ...	١٦٥
٦٤	لماذا نحرص على القاتل .. ولم نراع حرمة القتيل ؟	١٦٧
٦٥	لاترق ماء وجهك	١٦٩
٦٦	علاقة المسلم بأخيه	١٧١
٦٧	دين .. ودنيا	١٧٣
٦٨	للانسان حقوق .. للحيوان أيضا حقوق ..	١٧٥
٦٩	المراجع والتعليقات	١٧٨
٧٠	بناء الرجال أولا ... -	١٨٤
٧١	جيل أعز دين الله	١٨٧
٧٢	الصحابة أخذوا بالأسباب ...	١٨٩
٧٣	القضاء والقدر فى نظر الاسلام ..	١٩١
٧٤	المراجع والتعليقات	١٩٣

الباب الخامس

الكون ليس صدفة

٧٥	هل لهذا الكون اله ؟ ..	٢٠٠
٧٦	نشأة العالم	٢٠٣

رقم	الموضوع	الصفحة

رقم	الموضوع	الصفحة
٧٧	نظرة للحقيقة ـــ	٣٠٥
٧٨	الايمان بالله من خلال نظرة فى الكون	٣٠٧
٧٩	الكفر لا يولد حضارة	٣٠٩
٨٠	المراجع والتعليقات	٣١٤

الباب السادس

الحديث .. والاعجاز العلمى

رقم	الموضوع	الصفحة
٨١	نشأة الكون	٣١٩
٨٢	وان يوما ... كألف سنة ..	٣٢١
٨٣	الطاقة الذرية	٣٢٤
٨٤	أرقام تكشفها حقائق	٣٢٧
٨٥	قدرة الله تترا ءى فى بديع صنعه ..	٣٢٨
٨٦	رحلة داخل العقل	٣٣١
٨٧	الرسول والكون	٣٣٣
٨٨	المراجع والتعليقات	٣٣٨

الباب السابع

الانسان والكائنات الأخرى

رقم	الموضوع	الصفحة
٨٩	انه عالم مذهل	٣٤٧
٩٠	هل نحن وحدنا فى هذا الكون ؟	٣٤٩
٩١	آراء العلماء	٣٥٠
٩٢	رأى علماء الاسلام ..	٣٥٢

رقم	الموضوع	الصفحة
٩٣	من أين تأتى هذه المخلوقات؟ ..	٢٥٤
٩٤	الانسان ورحلة عبر الزمن	٢٥٥
٩٥	المراجع والتعليقات	٢٥٨

الباب الثامن

الأسلوب العلمى . والقانون الوضعى

رقم	الموضوع	الصفحة
٩٦	العقل قاصر ..	٢٦٣
٩٧	أمور استحسنها العقل وقبحها الشرع	٢٦٥
٩٨	وثنية حديثة باسم العلم	٢٦٨
٩٩	ضعف الطالب والمطلوب	٢٧١
١٠٠	الدين والعقل	٢٧٤
١٠١	العقيدة تدفع المؤمن لمعرفة الكون ..	٢٧٦
١٠٢	المراجع والتعليقات	٢٧٨

الباب التاسع

الحديث .. والاكتشافات الطبية

رقم	الموضوع	الصفحة
١٠٣	علم متجدد	٢٨٤
١٠٤	القلب	٢٨٥
١٠٥	النوم على الجانب الأيمن	٢٨٧
١٠٦	الطعام ورحلة داخل الجسم	٢٨٩
١٠٧	الصلاة .. وهضم الطعام	٢٩١
١٠٨	كلوا واشربوا ولا تسرفوا	٢٩٢

رقم	الموضوع	الصفحة

رقم	الموضوع	الصفحة
١٠٩	طعاما طيبا	٢٩٣
١١٠	النظافة	٢٩٦
١١١	أطعمة محرمة	٣٠٠
١١٢	كنب بطن أخيك .. اسقه عسلا .	٣٠٣
١١٣	التصبر	٣٠٥
١١٤	المراجع والتعليقات	٣٠٧

الباب العاشر

الحديث .. والاكتشافات العلمية

رقم	الموضوع	الصفحة
١١٥	كيف خلق آدم ؟	٣١٣
١١٦	الماء المهين	٣١٨
١١٧	الظلمات الثلاث والجنين ..	٣٢٢
١١٨	طفل الأنابيب	٣٢٦
١١٩	الخلايا .. والصفات الوراثية	٣٢٨
١٢٠	الخلية فى الانسان .	٣٣١
١٢١	الدم ورحلة داخل الجسم	٣٣٣
١٢٢	الانسان والموت ..	٣٣٧
١٢٣	وهم اسمه الخلود	٣٣٩
١٢٤	المراجع والتعليقات ..	٣٤٢

الباب الحادى عشر

الحديث .. والاكتشافات الكونية

رقم	الموضوع	الصفحة
١٢٥ ١٢٥	الكون	٣٥١

رقم	الموضوع	الصفحة
١٢٦	النجوم	٣٥٢
١٢٧	السماء	٣٥٤
١٢٨	الشمس آية من آيات الله	٣٥٥
١٢٩	الأسلوب القرآنى فى التعبير عن الحقائق الكونية	٣٥٧
١٣٠	الشمس تثبت كروية الأرض	٣٥٩
١٣١	" الأرض " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ..	٣٦٢
١٣٢	الأرض .. وعلاقتها بالانسان	٣٦٥
١٣٣	ما تحت الثرى .. —	٣٦٦
١٣٤	الجبال . وعلاقتها بالأرض ..	٣٦٨
١٣٥	القمر . وعلاقته بالأرض ..	٣٦٩
١٣٦	الماء	٣٧١
١٣٧	الماء . وعلاقته بالرياح .. .	٣٧٢
١٣٨	المراجع والتعليقات	٣٧٥

الباب الثانى عشر

الحديث .. يدعو للفكر والبحث العلمى

رقم	الموضوع	الصفحة
١٣٩	الاسلام والتحدى العلمى	٣٨٣
١٤٠	الاسلام لاينكر العقل	٣٨٨
١٤١	اهتمام الاسلام بالفكر الانسانى .. .	٣٩٢
١٤٢	استخدام العقل لاعبادته	٣٩٤
١٤٣	الاسلام ربط بين العلم والفكر	٣٩٦
١٤٤	المراجع والتعليقات	٣٩٩

رقم	الموضوع		الصفحة
١٤٥	**الباب الثالث عشر**		
	لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون		
١٤٥	السلف والخلف	•	٤٠٤
١٤٦	العقول المهاجرة ..	•	٤٠٥
١٤٧	الشباب والجندية المعاصرة •	•	٤٠٧
١٤٨	الحقيقة المرة	•	٤٠٩
١٤٩	عصر الاحالة	•	٤١٢
١٥٠	المراجع والتعليقات ..	•	٤١٥
	الباب الرابع عشر		
	الاسلام أسبق حضارة		
١٥١	استغلال الغرب للعلوم الاسلامية ..	•	٤٢٠
	الباب الخامس عشر		
	مقارنة بين حضارة الاسلام وغيرها من الحضارات		
١٥٢	موازنة	•	٤٣٠
١٥٣	الحضارة الغربية تدمر نفسها ..	•	٤٣٣
١٥٤	المراجع والتعليقات ..	•	٤٣٦

رقم	الموضوع	الصفحة

الخاتمة

النتائج التى توصلت اليها

رقم	الموضوع	الصفحة
١٥٥	الاسلام لا يتعارض مع العلم والعقل .. •	٤٣٩
١٥٦	الاسلام صالح لكل زمان ومكان .. •	٤٤٥
١٥٧	بين أمور العقيدة الثابتة • وأمور الدنيا المتجددة	٤٤٧
١٥٨	لا يجوز مقاطعة الفكر النافع .. •	٥٤٣
١٥٩	وظيفة حكام المسلمين وشعوبهم .. •	٤٥٨
١٦٠	ما قبل النهاية .. .. •	٤٦٥
١٦١	نهاية المطاف .. .. •	٤٦٧
١٦٢	المراجع والتعليقات .. •	٤٦٩
١٦٣	المراجع العامة والمصادر .... لهذا الكتاب .... •	٤٧٤

المقدمة

- : تمهيد
- : منهج الخطة
- : الداعي لكتابة البحث
- : الهدف وتقرير المشكلة
- : لماذا اخترت الحديث
- : الشكر والتقدير

"تمهيـــــــــد"

المحمود في الكون ، هو الله .... الخالق المدبر ، والمعز المذل ، بيده ملكوت السموات والأرض وهو على كل شئ قدير .

أودع سره في خلقه ، في حرفين (كن) - كان الله ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شئ (١)

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ، معلم البشرية ، الهادى الأمين " محمد " المبعوث رحمة للعالمين ، باسمه تنطق ملايين الشفاه ، وله تهتز ملايين القلوب كل يوم مرات ومرات ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

فيما روى عن على بن أبى طالب : أنه سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن سنته فقال : " المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة ::"

* منهج الخطة *

أنا أقرأ منذ تعلمت كيف أحسن القراءة ، وهى شغفى وحبى لمعرفة الوجود الذى أعيش فيه .

انى لا أحب الفلسفة ، ولكنى أقرؤها ، وأحب العلم لأنه حياة ، وحقائق عارية .

كثيرا ما كنت أقرأ أبحاثا علمية ، لعلماء غربيين ومستشرقيين وغيرهم ويفتخرون بما اكتشفوا من آبحاث جديدة ، فى الكون والمخلوقات ، والطب والطبيعة ويملأون الدنيا صراخا ويعتقدون بأنهم أول المكتشفين لهذه الأسرار ...

والحقيقة خلاف ذلك : فالاسلام سبقهم منذ وجد صاحب الرسالة - محمد - صلى الله عليه وسلم .

وكنت أقرأ هذه الأبحاث ، ودماغى يغلى غيظا وغيرة وحسرة ، على ما أصاب المسلمين ، وجمود تفكيرهم .

وقد أتاحت لى ظروفى وحياتى العملية - مبعوثا للأزهر فى باكستان - أن أرى ذلك كله فى مختلف بلاد الشرق الاسلامى ، بل والبلاد الاسلامية كلها ، وأن أتبين مايقصد إليه من القضاء على الروح المعنوية وعلى حرية الفكر والبحث فى هذه البلاد .

وقد شعرت بأن على واجبا أقوم به فى هذا البحث : وأى أذى يصيب الانسانية أكبر من العقم والجمود ، يصيبها فى فكرها وهو الأكبر والأعرق فى الحضارة على مر التاريخ :

ولذلك فكرت ، وأطلت التفكير ، وقمت بدراسة الآيات القرآنية الكونية وأحاديث النبى - صلى الله عليه وسلم - صاحب الرسالة ، على أن تكون دراسة

علمية مقارنة ، وأن تكون خالصة لوجه الله سبحانه ، وللحق وحده .
وقمت بمراجعة الكتب العلمية الحديثة ، والأحاديث النبوية الدالة على ذلك .

وقرأت ما قام به المستشرقون من أبحاث في هذا الموضوع ، وكان أصدق مرجع لي : هو القرآن الكريم ، وكتب التفسير الى جانب سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - والبحوث والرسائل ، والمقالات العلمية الحديثة التي تناولت كل ما كشفه العلم عن الكون والانسان ، وما جاءت به التكنولوجيا الحديثة في شتى المجالات حيث الباحث يتخذ كل هذا دليلا يهتدي به في بحثه ، ويمحص على ضيائه ما ورد في كتب السنة .

وكما أن بحثي هذا لم يتضمن أي حكم موضوعي ، وما ذكرت الأمثلة لما يتطلب البحث تاركا اختيار ذلك كله لولي الأمر ومن يراه جديرا من بعدي ليكمل ما بدأت به ، ويتعمق فيه ، والفكرة هامة وخطيرة تستحق جهدا مضاعفا في البحث والكتابة ، وبقدر الاستطاعة أعددت العدة لتأدية هذا الواجب الذي شعرت به — غير أني أشعر وخاصة أن البلد الذي قمت ببحثي فيه - وهو بيشاور - غير متوفر فيه ما كينات الطباعة باللغة العربية ، والظروف المادية ، بالاضافة الى مشاكل أخرى ، كل ذلك قد حال دون القيام بكل ما أردت : فاضطررت لاختصار الموضوع مقتصرا على ما أتاحته الظروف لتبرير الفكرة واخراجها الى حيز الوجود وافساح المجال لمن يأتي بعدي ليتم ما بدأته ، مع اقتراح الوسائل لتنفيذه .

والبحث يحتوي على معلومات ، وأبحاث نتيجة اطلاع طويل ، وبحث مستمر مما جعلني أحيانا لا أسجل المرجع الذي اخذت منه المعلومات وفي شهرتها ما يغني في الدلالة على صدقها . . .

لم أعتمد على المراجع والكتب القديمة في البحث إلا أنني استمددت في أغلب

مادتى ومعلوماتى من الكتب والمجلات الحديثة وأفكار العلماء والباحثين ، وكل مايتصل بأبحاثهم الطبيعية والكيماوية فى مجال العلوم الحديثة وما يجول فى أذهان الغرب حول الاسلام ، مع قراءة الأفكار للعلماء والفلاسفة المعاصرين .

لأن هذا البحث يتطلب كل ما هو جديد من الفكر والمخترعات والتى لم يتيسر لعلمائنا الذين زودونا بالتراث ، من رؤيتها واكتشافها ، ولا ننكرهم حقهم ، ولا بد من الاعتراف بالجهود الطيبة التى بذلها بعض أفاضل علمائنا المعاصرين فى كشف مكنون معانى أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – والآيات الكونية التى أشار لها هؤلاء العلماء ، أمثال : الأستاذ الفاضل المرحوم / محمد أحمد الغمراوى (١) والمرحوم / الدكتور عبدالعزيز اسماعيل ، اذ بحث الأول فى كثير من الآيات الكونية التى تشير الى الظواهر الجوية بحثا مستفيضا وشائقا :كما فسر الثانى (٢) بعض الأحاديث والآيات الطبية تفسيرا علميا أظهر به وجه الاعجاز فيهما .. والأستاذ المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى : فى تفسيره الواسع للقرآن ، والذى أفاض وأسهب فيه مبينا كثيرا من العلوم المختلفة ، التى تشير اليها الآيات الكونية ... لولا أنه رحمه الله قد زاد فى هذا البيان ، ولم يحاول الجمع بين الآيات ، فخفى بذلك كثير من حقيقة العلم المنزل فيها وله العذر حيث لم يكن التقدم العلمى أخذ مجراه الحديث : وهو كان من المجتهدين ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

وكذا ، لا ننسى فضل العالم الرياضى المرحوم / أحمد مختار باشا الغازى (٣) فقد تناول موضوع " بحث الآيات الكونية فى القرآن " وبحثه جيد وقوى ، لكنه كان مقتصرا على النواحى " العلمية الحديثة " ...

فقد اجتهدوا وجزاهم الله على هذا ، وأعطونا ثقافة وعلما ما كانت الجبال

لتنوء به : وانما هو جهد المؤمن العابر ، الذى يبتغى مرضاة الله ، .

وكان همى فى بحثى هذا الاقتصار فقط على دراسة الكائنات : من جهة ذاتها واعجازها العلمى ، وتركيبها .

أما من ناحية موقعها الجغرافى ، والتاريخى ، وارتباطها بما يماثلها من كواكب أخرى - فهذا ما لم أتعرض له -

وتقوم طريقة البحث : على الطريقة المتبعة ، فى البحوث العلمية ، وهى حصر الأحاديث النبوية ، مع الاستعانة بالآيات القرآنيّة مقتبسا منها ما يتطلبه البحث ... فوقع ذلك كله فى خمسة عشر بابا ، مشتملة على فصول وأقسام ، وصدرت البحث بمقدمة وضعت فيها كل ما أهدف اليه من البحث ، والنتائج الهامة ، وبعد المقدمة باب كامل عن كيفية التدوين ، لما لذلك من أهمية بالغة فى الموضوع الذى أبحث فيه ، وتسلسلا لجرى الأحداث ، اذ ربما يسأل سائل :

- وما أكثر المشككين - عن كيفية وصول الأحاديث لنا :؟ . هل هى صحيحة ثابتة :؟ وما هى أحاديث الرسول ولماذا ، أتت والقرآن فيه الكفاية :؟

ويقع الباب فى ثلاثة فصول * = ١ نشأة التدوين ، / = ٢ - التدوين فى عصر الرسول ٣ / التدوين فى عصر الصحابة والتابعين .

وباقى الأبواب موجودة فى الفهرست فى نهاية البحث وموضحة داخل البحث ،

ويلاحظ عند تدوين المرجع وجدت من الكفاية أن أشير الى اسم المؤلف واسم الكتاب ، والصفحة فى الحاشية فقط ، أما الطبعة وتاريخها ومكانها فسجلته فى الفهرس تحت عنوان : المصادر والمراجع ، وذلك تلافيا لازدحام الحاشية وعدم التكرار .

واستعنت فى البحث بكتب التفسير ، مثل : (ابن كثير . القرطبى . الألوسى

• تفسير المراغى • تفسير الجواهر • التفسير العلمى للآيات الكونية • تفسير الطبرسى : ـ)

عدا الموضوعات المتفرقة ، وهذه كلها أمدتنى بمعلومات قيمة والتى ربطت بين الحديث وزيادة المعنى للتوضيح •

ثم انتقلت الى كتب الحديث ، وأهمها : " الكتب الستة " مع النقل الحرفى لبعض شروح المحدثين ، فتم بذلك اثبات المعانى مع ما يتطلبه العلم الحديث واعارة اللغة لتلك المعانى ـ من المتواتر والمنقول ، وهو من الشروط التى يجب أن يستوفاها كل من يتصدى للدارس والبحث فى حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ولم أتعرض لشرح الحديث ، وتحليله ومقارنته بما جاء به العلم الحديث بل كنت اذكر الحديث ثم أذكر الموضوع العلمى المتضمن له ، ولم أتعرض للمقارنة التفصيلية لأن هذا فوق الطاقة ويحتاج لوقت •

غير أنى ألقيت ضوء على المقاصد والغايات التى يتطلبها الحديث •

وعندما أجد اشكالا ، أو خلافا ، أحاول ابداء الرأى الشخصى ، مع الدليل فى نطاق العقل ، مع الأخذ أحيانا بظاهر المعنى ••• اذا مالم يمنع منه مانع من العقل أو النقل ، مع احتمال اللفظ للمعنى ، بالاضافة الى الكتب والمجلات الحديثة والجرائد ، والنشرات العلمية ، مثل : (مجلة البلاغ • العربى • المنهل الفيصل • الوعى الاسلامى • التضامن الاسلامى • الدعوة • ••• الخ)

بالاضافة الى الكتب المدونة فى الفهرس ، وكنت أقارن بين الحديث والقضايا المناظرة ، مما أثبتته أحدث البحوث العلمية من حقائق ونظريات ، وما تدل عليه من وجوه الاعجاز فى (الحديث الشريف)

ولست أدعى بحال أننى استوعبت كل نواحى البحث والدراسة فى هذا الموضوع الخطير ، أو وصلت فيه الى الغاية ، فمجهود الفرد مهما عظم قليل ، وعلمه مهما

فاض ضئيل ،

وحقيقة معانى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يحيط بها عقل بشر عادى ، وانما يعى منها كل انسان بقدر ما أوتى من علم ، وفهم ، وبقدر ما وهب له من حكمة وبصيرة ، ويجب القول بأن الحديث الشريف تناول كل جوانب الحياة ، التى اشتملت عليها آيات الكتاب العزيز فى الكون ، وتناول أيضا كل ما يهم الانسانية فى حياتها ، فوردت الأحاديث فى شتى العلوم .

وكلما ازددت توسعا فى البحث : أرى مسائل تنجم أمامى وتستدعى التفكير ومزيدا من البحث ، وكما عاونتنى كتب التفسير ، والحديث ، والكتب الأخرى فى الاهتداء الى غاية من تفكيرى كنت أطمئن اليها ـ عاونتنى كذلك كتب بعض المستشرقين ولو بحثت كل ما اتصل بالموضوع ، لاحتاج الأمر الى مجلدات ...

وشىء آخر كان يمنعنى ، هو جلال محمد عليه السلام وصحابته ، وباهر ضيائهم اذ أنهم حملوا الأمانة من بعده وبلغوها كاملة ..

فليس من اليسير على من يبحث فى حديث الرسول أن يحيط بكل الجوانب التى اشتمل عليها علمه الملهم والايمان بقوته .

فمنذ أن وجد الانسان على الأرض وهو مشوق الى معرفة الكون الذى يحيط به ومعرفة خصائصه ، وكلما أمعن النظر فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل ، وظهر ضعفه ، وتضاءل غروره ، " وحديث نبى الاسلام شبيه بالوجود ، " فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحى العظمة الانسانية فيه ويتلمسون مظاهر القدرة الالهية فى عقله وعلمه ، وخلقه ، ...

ومع أنهم استطاعوا الوصول الى شىء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل ، وطريق لا نهاية له :

والنبوة هبة الله لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه ، تمنحها للمستعد لها ، والقادر على حملها (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٤) ومحمد " عليه السلام " أعد لأن يحمل الرسالة ، للعالم أجمع ، أحمره وأسوده ، انسه وجنه " ، وهو خاتم الأنبياء ، الى أن تنفطر السماء وتبدل الأرض غير الأرض . (٥)

وعصمة الأنبياء قضية فرغ منها العلماء ، والتبليغ نتيجة حتمية للنبوة غير أن الوحي لا يلازم الأنبياء في كل مكان ، أو عمل يصدر عنه - لكنهم يمتازون عن سائر البشر ، أن الله لا يقرهم على الخطأ بعد صدوره ويعاتبهم عليه .

وجاء الوحي قاطعا فيما يخص الاله وكيفية عبادته ، وترك النظم الاجتماعية لتفكيره - عليه السلام - يطبقها حسب القانون الالهي ، وهنا ظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر ، وكمال الفطنة ، وأحنى العالم رأسه أمام هذه العظمة ..

كل هذه النواحي تستحق الدراسة والتمحيص ، وليس في مقدور أي شخص أن يفيها حقها : لكن هي محاولات ....

وبحثي هذا : (الحديث والعلم المعاصر) ما هو الا محاولة : لربط العلم الحديث بالدين - لأنه لو لم يكن الهادي البصير ، لما كانت هذه الحضارة ...

والرسول - صلى الله عليه وسلم - تكلم في كل شئون الحياة ، التي تعود على الأمة الاسلامية بما يكفل لها حياة هادئة ، ووضع يده على أسرار الكون ، فتكلم في الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، والطب والفلك والزراعة ، والهندسة وجميع أنواع المعارف الانسانية مما ستجد بعضا منه في ثنايا البحث .

وفي هذا الزمان الذي التبس فيه الحق بالباطل ، وضعت هذا البحث وموضوعه كما ذكرت يشير الى أهميته ويوضح ما اشتملت عليه رسالته (عليه السلام) من اعجاز دلالة على صدقه وسمو رسالته ..

ولقد تكلم القرآن عن الكائنات ولذلك لم يتعرض لها الرسول في أحاديثه كثيرا

اللهم الا بعض الأحاديث (٦) المشتملة على خلق السموات ، وما جاء حول رب العزة ، وكيفية خلق الكون ، كما جاء القرآن والحديث مناسبا لأفهام الناس على اختلاف درجاتهم يتنهلون من معينه ، ويصور لهم صنعة الخالق ، ود لائل القدرة ، ليتعرفوا فى غير عناء على خالق الكون ، .

كان هذا هو الهدف المقصود (فى موضوع البحث) ولكن المتأملين فى الحديث من أهل العلم والخبرة بالكائنات ، يرون فى ألفاظه وعباراته فوق معانيها الظاهرة معانى أخرى دقيقة تنطوى على أصول من العلم الواسع عن الكون ، لم يكن معروفا للناس من قبل ، وانتشر العلم الحديث فى القرن الأخير ، وانكشف معه للمتأملين من أصحاب الفكر معانى حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ودعوة القرآن والحديث دعوة علمية قائمة على تحرير العقول من الأوهام وحثها على النظر ونرى كثيرا من آيات القرآن تنتهى بمثل قوله تعالى :
(قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) وقوله (لقوم يفقهون ـ وقوم يتفكرون)

وان ما تشتمل عليه الآيات الكونية من معانى دقيقة ليدل على أنها موجهة الى أهل النظر والبحث بصفة خاصة ، وهم المقصودون بأمر كشفها ومعرفتها ، لأنهم يملكون الوسيلة دون سواهم ، وهذا مما حدى بكثير من مفكرى الاسلام بالقيام بتوجيه الناس وتبصيرهم ـ بما هم عليه من خطأ ـ أن الدين والعلم لا يتعارضان ، وأصبحت الحاجة ماسة الى تصحيح الأوضاع وكشف الحقيقة ......

منهـــج الخلـــة

المـــراجع :

(١) أستاذ الكيميا• بكلية الصيدلة / جامعة القاهرة / سابقا • فى كتابه (سنن الكون)
(٢) فى كتابه (الاسلام والطب الحديث
(٣) فى كتابه (رياض المختار
(٤) سورة الأنعام • آية ٨/
(٥) وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " سورة سبأ/٢٨)
(٦) كما فى رواية مسلم •• (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة • قال : وعرشه على الماء – " ٥١/٨" ••)وفى رواية البخارى :(كان الله ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شئ – البخارى ٩/ ١٥٢) وفى رواية أبى داود :(أول ماخلق الله القلم ، فقال أكتب ، فقال :رب ماذا أكتب ، قال : أكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة – ٥٣٢/٢ ٥٢٨ه) وكذا رواه الترمذى وأحمد – ٣١٧/٥)

" الظـــروف الـــتى جعلتنى أفكر فى كتابـــة هـــذا البحـــث "

وكما أودع الله سر الخلق فى قوله (كن) لينبثق من هذه الكلمة كون وحياة وكما أودع الله سر الحياة فى النواة والبويضة والبذرة ، لتتولد عنها كائنات لها أجهزتها وأعضاؤها ، وتنتقل من طور الى طور حتى تترك وراءها سر الحياة

" وكما ينبسط نطاق المخلوقات ، التى انطلقت من إرادة الخالق ، وكما ينفسح مجال الحياة ، الذى تمخضت عنه أصول الحياة ، كذلك يكون الدين : ايمان بالله يعمر دنيا الناس ، وعقيدة تخلق حضارة ، وعبادة تربى مجتمعا ، وكما يتسع ابتداء الخلق ، والحياة والزمان والمكان ، ويستمد قوته من الخالق سبحانه ، وخصائصه الكامنة فيه : كذلك الدين ....

-- انطلاق للحياة على الأرض يمتد الدين خلاله على النفس والعقل والسلوك .... دون أن ينحصر فى مجموعة من الكلمات والتعاليم ، والمظاهر الجامدة المتناهية التى تضمها الأوراق والكتب ، وتتناقلها الشفاه ..."(١)

ومن هنا لا تركد سمات المؤمنين ، فوق جباه المصلين فى المساجد ، دون غيرها .. بل تتلألأ فى بحوث العلماء ، وخبرات المنتجين ، وجهود العاملين ،

ان الدين يخلق حضارة فى كل أرجاء الحياة : حضارة تتجدد وتتطور كلما تتابعت الأجيال ، وتطورت البيئات : -

يخطىء من يظن أنه يفهم الخلق والحياة فى أجنتها ، وكيف تباشر وظائفها كذلك يخطىء من ينسى أن يستمد من الدين انطلاق للحياة : -

(اذا نزلت بلدا فلا تسأل عن زوار المعابد .. فما أسهل أن تؤدى الصلاة

الصلاة .. ولكن اذا نزلت بلدا فأسأل عن عدد المؤمنين الذين دفعتهم عقيدتهم وذكرتهم عبادتهم فانطلقوا يسيرون فى مناكب الأرض ، يبتغون من فضل الله ، فاذا منهم علماء عبدوا الله ببحث نواميسه : ومنهم من عبدوه التماسا لرزقه(٢)

ان المسلمين لم يذكروا فى التاريخ لأنهم رددوا كلمات ، أو صلوا ركعات فحسب : ـ لكنهم ذكروا فى التاريخ ، يوم ارتفعت أعلام الحضارة ، على المدينة ، ودمشق وبغداد ، ومصر وقرطبة ، وغرناطة ، وتحولت الى آسيا وأوروبا ـ وتعلن عن قيام حضارة انسانية تبنى وتمضى الأمة الجديدة : (التى أخرجت للناس ، تحمل رسالة الخير والايمان والمعروف ..)

هكذا يخلد الدين فى مصادر قوته ، دون أن تتوقف مصادر هذه القوة ، فالحديد الذى كان أمام انسان العصر الحجرى ، هو نفسه الحديد الذى يحتل اليوم الأفران الذرية .. حيث أرشد الله عباده اليه ـ وألنا له الحديد ـ .

والانسان الذى كان يتجذ كل أدواته من الحجر : هو بعينيه الانسان الذى يستعد الآن .. ليغزو العالم الخارجى .

فالانسان هو الانسان : لم يتغير فى ذاته ، وكذا المادة لم تتغير أيضا . انها الحياة .. نموا ، ورقيا ، وتطورا ، وامتداد .. (يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (٣)

وموعظة الله ليس هى الكلمات التى تحتويها دفتا المصحف ، وانما هى الحقيقة الهائلة ، التى تودعها هذه الكلمات فى الفكر الانسانى .

فالدين موعظة العقل ، لينطلق العقل المؤمن فيبدع ابداعه الخلاق ، والدين شفاء للنفس حتى لا تعوق أزماتها قوى الانسان ، والدين هدى ورحمة للفرد بكل طاقاته ، وللمجموع البشرى بكل أفراده .. هذا هو الدين الذى تتعاقب الأجيال على الارتواء من منابعه ، فاذا كلماته العميقة : تتحول الى فكر وعمل ..

واذا كانت كلمات الله وأحاديث نبيه ـ عليه السلام ـ تعين الباحث العالم بين المختبرات ، وحلمه الأكبر " أكسير الحياة " تعين أيضا على أن يفلق القوى من الذرة ، والنواة ، وأن يطلق الأقمار تجوب الفضاء .

وهكذا ساق الحديث الشريف للناس عقيدته فى الله فى ثنايا موكب نابض بالحياة والحركة والنور ((ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، ذلكم الله فأن تؤفكون ـ الى قوله ـ قد جاءكم بصائر من ربكم))(٤)

ان الدين شحنة حياة ، تختلط بالنفس والحس والفكر والوجدان ، وتنموا فى عقلية الفرد نفسه ، ثم تهيج فتطفر الى رحاب الأرض ، وشعاع الدين يرسل لكل فرد ولكل جيل لونا من النور ، يلائم كلا على قدر طاقته ... فأين طلاب الدين من حقيقة الدين ؟ خلطوا بين مصدر الدين ، وبين ثماره وآثاره ، فصارت لديهم صورة مكررة ، لكتاب يضم (١١٤) سورة ، وبجواره كتاب آخر يضم آلاف الأحاديث النبوية ولم تتغير الكتب ولكن كانت آثارها فى الحياة الفكرية والعملية ، فلاسفة وعلماء أمثال : ابن رشد ، ابن سيناء ، الفارابى ، ابن خلدون ، الغزالى ، وأخرون كثيرون ، أمثال أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وابن تيمية ، وابن الهيثم ، وابن حيان ، والرازى ..... الخ .

وفى الوقت الحاضر توجد فجوة خطيرة بين الذين يعارضون الدين ، وبين الذين يحافظون عليه ، هذه الفجوة الروحية والذهنية ، قد تفكك يوما المجتمع الاسلامى ولا يمكن أن تسد هذه الفجوة الا بالفهم العقلى للعقيدة وتوضيحها .

والواجب فحص وتدبر الدين حتى نعبر الماضى الى الحاضر لبناء المستقبل :

(١) وتهدف الأديان الى اسعاد الناس : ويؤدى العلم الى سعادة البشر ، عن طريق الثقافة ، وعن طريق التجربة والخبرة ... فالهدف واحد وان اختلفت الطريقة ولكن السؤال : أيهما حقق للبشرية عنصر السعادة ؟ والسؤال : لا يعنى التفرقة

بين العلم والدين : وانما أريد أن أبين تكاملهما فى الوصول للهدف ، مع أن الكثير من الناس استغلوا الدين والعلم استغلا لا سيئا ، فنشبت الحروب باسم الدين ، واستعبدت الناس باسم العلم ، وأطلقت القنابل الذرية باسم العدالة والحرية .. /

واذا كان الهدف من البحث العلمى رقى البشرية وسعادتها ، وهو طريق مضمون نصل منه الى الحياة والوجود ، ومن اللازم أن يغير كل انسان مثقف ، موقفه حيال التسليم بمصير محتوم ، ومن الضرورى أن لا تكون لتقلبات الحظ والهوى أى تأثير على حياتنا ، بل نعمل بصرف النظر عن النتائج التى تحددها الظروف أو نجهلها .

والعلم هو الدرع الواقى الذى يقف حائلا دون دخول الطوارئ غير المنتظرة ورفض كل ما هو غير صالح ، : وبناء على هذا يفرض العلم يقين اليوم ، على مجاهل المستقبل .(٥)

وعلى الرغم من أن العلم حقائق .. نرى بعض الناس يفسرون هذه الحقائق بعيدا عن الواقع ، فى غاية الضيق والجمود ، وهذا كله يبعدنا عن حقيقة الاسلام .

فلا بد من عقد جلسات يستبعد فيها الأسلوب القديم فى تقديم النتائج ، والاتجاه الى أسلوب فيه روح التأمل والتدبر ، مع عدم الخضوع للتعصب ، أو التكبر ، : من هنا نلمس معنا الايمان (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) (٦)

فمنذ أصيب العالم الاسلامى بجرثومة الركود الفكرى ، وهو يعانى من أمراض كثيرة ، ولا يجد من نفسه المناعة للتصدى لها ، ومكافحتها ، ولذلك فانها تنفذ اليه من الشرق والغرب على حد سواء ، وتنبت أيضا فى داخله ، وليس المقصود ما يتبادر الى الذهن من أن تلك الأمراض هى الأفكار الوافدة على الاسلام .

فتلك قضية أخرى للاسلام وأهله وموقفهم منها واضح ، وكذا المسلمين السابقون فى

عهود ازدهار حضارتهم الاسلامية واضح كذلك ..... لهذا ..

(يجب أن يستيقظ المسلمون)

الاسلام نظام حياة كامل . بمعنى أنه يمد المسلم بكل ما يعينه فى مجال الوجدان والتعامل مع الغير ، سواء كان ذلك الغير انسانا أم مظهرا من مظاهر الطبيعة ، بمعنى أنه يهدى المسلم الى العقيدة الصحيحة ، والمنهج السوى ، ويعطيه مايتمناه أى عقل بشرى .

فتكلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن صلة الرحم - والجار - والتعاون وحسن الخلق - ..... الخ (٧) فالاسلام يهدى المسلم الى خطة حياته تجاه عالم الغيب فى كل ما يحيط به ، لهذا فان المسلم مطالب بأن يكون انسانا ذا رؤية شاملة ، وفكرا واضح ينبع من اسلامه ، ويسع كل مناحى النشاط الانسانى وكل ما أمره الله به سبحانه ، والله أعطاه العقل وهو ملازم للشريعة التى نزلت على الأنبياء ، والمرسلين ، لأن العقل من صنع الله والشرع وحيه وهديه ، ..

ويستطيع المفكر السوى النزعة أن يهتدى الى الحق وأن يرى فى كل ما يحيط به آثار قدرة الله ، وبالتالى يهتدى الى الايمان به ، ومن هنا كان قول الفقهاء " العقل دليل التكليف " (٨) وقوله - صلى الله عليه وسلم - (رفع عن أمتى ، الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه) (٩) والله أرسل الرسل لهداية الانسانية واستخدموا معهم أسلوب الحجة والمنطق ، والأدلة العقلية ، وطالبوهم باعمال الفكر فى كل ماحولهم ويعالجون شئون حياتهم فى حدود وضع الاسلام .

ولكن فترة الجمود والركود ، التى أصابت العالم الاسلامى ، دفعت بعض المفكرين المسلمين ، الى اتجاهات شتى ، كان أبرزها :-

١ - عدم قدرة على معالجة قضايا العصر ، وحوادثه المتجددة ، مما دفع

بالمسلمين الى قبول حلول أخرى غير اسلامية ، لحل أزمة الاقتصاد والتصنيع ، وما الى ذلك : من الظواهر التى عمت العالم الحديث .

٢ ـ اندفاع الى نقل تجارب الآخرين ، فى مجالات الفكر ومحاولة وضع لافتة واعطائها اسما اسلاميا ، دون تمعن فى حقيقتها وظروف نشأتها ، ومقدار مافيها من خطأ وصواب ـ غير أنه التقليد الأعمى ، فمنهم من يقول : ـ اشتراكية الاسلام .. ديمقراطية الاسلام .. وشتان ما بين اللفظين[١٠] وذلك جريا وراء المذاهب الفكرية التى يعلو صوتها فى بعض المجتمعات الغير اسلامية ، ظنا من هؤلاء انهم بهذا يدللون على صلاحية الاسلام ، لكل زمان ومكان ، وليس هذا أو ذاك بالطريق السليم ، التى توصل للهدف بدليل فشل تلك المذاهب والأفكار ، ولم يهضمها الفكر الاسلامى كما هو واضح حتى الآن[١١].

واذا كان من الضرورى مناقشة كل قضايا الفكر فلا بد من دراسة محتوياتها أولا ويؤخذ ما يتلائم مع الاسلام والانسانية .

والمسلمون اليوم أمام تحد كبير ، عليهم أن ينفذوا بالعقل الى قضايا العصر ، وهم يحملون معهم أصالتهم الاسلامية ، ورؤياهم الواضحة ، ليخلصوا من المصائب التى وقعوا فيها ، وعلى المفكرين الاسلاميين القيام بدورهم ، وهو واجب شرعى لرسم معالم الحياة أمام الأمة الاسلامية بتطبيق ما يدعوا اليه القرآن والسنة ، لاتباع الوسائل العلمية الحديثة لكل الأسباب المؤدية الى الرقى والتقدم ، والعزة والقوة .

" مستقبل الثقافة الاسلامية "

ان حاضر الثقافة الاسلامية الآن لا يعطى صورة دقيقة ولا كاملة للاسلام كما جاء فى الكتاب والسنة ، ولقد سار السلف الصالح فى أرجاء الأرض فتحولت بهم الى ربيع مزهر وحياة نابضة :

والآن الثقافة تحمل في طياتها صورا معتلة ، وقضايا فكرية سقيمة ، أمام أحداث العصر .

وقد يسأل سائل : ان بين أيدينا كتاب الله .. ومعالم السنة ، وهي كذلك قد ظفرت بصيانة فريدة ، وما دام المسلمون يتوارثون هذه الكنوز ، فلن يخشى عليهم زيغ ثقافي .. ولا محل لهذا التشاؤم الذي يدور في الأذهان . لكن وجود هذه الكنوز لا يغير شيئا مما ذكر .. فان للبترول مصادر ومنابع ثروة في بعض البلاد الاسلامية ، ومع ذلك فهم لم يحسنوا استخدامه ، أو استخراجه ، ولا بناء ناقلاته ... وللقطن أيضا حقول فيحاء ، ومع ذلك لم يحسنوا نسجه ، ولا ايجاد مصانع ولا تذويق ألوانه(١٢). المهم ليس وجود الكنوز المادية والأدبية .. وانما المهم وجود البشر الذين يفيدون منها .

والآن توجد محطات كثيرة لاذاعة القرآن وشرح الأحاديث تملأ الجو بأصوات الوحي التي تنتشر في أرجاء الأفق .. بدون فائدة .. لأن الأمة الاسلامية التي تسمع القرآن في واد ، وآخر لاهية عنه ، والاسلام محتاج لفكر مستنير وقدم ثابت .

ومن ينظر للكتب الدينية المتداولة بين الناس يجد فيها القليل النافع الذي لا يبني الجيل المسلم ، بل فيه الداء العضال وأصبح القلق مؤكدا للثقافة الاسلامية ومستقبلها (١٣)

ومما يؤسف له (أن أحد الحجاج سافر للسعودية ، وطلب منه أصدقاؤه قبل السفر أن يحضر لهم سجاجيد .. صلاة وسبح .. حتى تكون دافعا على عدم التهاون في الصلاة وتشجيعا لتأديتها في أي مكان ، وذهب الحاج لشراء السجاجيد بعدد الذين طالبوا منه ، وقال للبائع : أريد خمس سجاجيد للصلاة ، تكون جميلة وفاتحة للشهية وتشجع الانسان على الصلاة ، وأحضر البائع السجاجيد ، جميلة مغرية ، وفوجيء الحاج

أن فى ظهر كل سجادة قطعة قماش مكتوب عليها اسم البلد الذى صنعت فيه السجادة وكان معظمها يابانى وبعضها صينى ، وبعضها شرقى ... الخ ، فقلت للبائع : أريد سجادة سعودية .. قال : مافيش ، قلت سجادة مصرية : غير موجود ، مغربية : غير موجود ، عراقية : غير موجود ..الخ وطاف على جميع المحلات ، فاكتشف أن سجادة الصلاة التى يسجد فوقها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، لم تصنع فى بلاد الاسلام .. انما صنعها الغرب .. هذا هو موقف الدول الاسلامية المدهش .

ان معظم منتجات المصانع والنقل ، تجىء من الغرب ، والمسلمون يستهلكون فقط .. لا ينتجون حتى ما يتصل بأمور دينهم .. يركبون السيارة والطيارة ولكن لا يصنعونها ، بل ولا يعرفون طريقة اصلاحها ، وفرضا لو حدث ، فسيكون بخبراء الغرب وآلاته ، وثمار عقله ، وحين لا يستخدم الانسان ثمار عقله : ينام العقل الانسانى ، وحين ينام العقل يتبعه الضمير فى النوم ، لأن الضمير ثمرة من ثمرات العقل المتيقظ ، واذا نام الضمير فلا فائدة ولا قيمة لحياة الانسان ....

هل صناعة سجاجيد الصلاة ، من الصناعات الثقيلة يامعشر المسلمين ..؟(١٤)

ان هذا لا يبشر بمستقبل طيب ، وعلى أولى الألباب من المؤمنين أن يتداركوا الحال ، حتى يمكن تكوين أجيال صالحة واعية لدينها ، وأقدر على خدمته ، ويبتعد عن المذاهب الهدامة التى زحمت الدنيا بباطل لا آخر له .

ولا ينكر أن الاستعمار مزق الأمة الاسلامية ، وأغرق ثقافتها فى بحره العميق وسياسته الخداعة ، وأفكاره التى جعلت العالم الاسلامى ينكر بعضه بعضا

فالمسلم فى القاهرة ، أو فى دمشق ، أو فى بغداد ، شخص تائه .. لا يعرف أين هو ، ولا من أين أتى ؟(٢٥) .

والاستعمار شىء طبيعى ، لأمة جهلت حقوق نفسها ، وحولت ثقافتها الى ثرثرة لفظية وتقاليد بالية ، ومن العجز القاء أخطائنا على خصومنا ، ومن

حق الاستعمار أن يقول ، كما قال الشيطان : (لا تلمونى ولوموا أنفسكم)(١٦)
هل للمسلمين جهاز فكرى ، أو روحى أو جسدى ، أو سياسى يحسب خسائرهم ، وأرباحهم على مر القرون ، ويحدد العلل ويرصد التجارب ويحصى النتائج ؟

الجواب : مؤلم (ان العالم الاسلامى أشبه ما يكون بشخص أصيب بفقدان الذاكرة ، فهو لا يدرى شيئا عن ماضيه الرائع .. ان هناك مئات الكتب : فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأدب ، والتاريخ ، مخلوطة بسموم ناقعة .. وخرافات ، تداولها ألوف الأيدى ، ويقرؤها من يفهم ومن لايفهم ، ولا يوجد رجل أو حكومة تمحو هذا ، أو يحذر منها .

لقد كثرت هذه الكتب ، حتى غلبت الثقافة الدينية الصحيحة ، فليس من الغريب أن يتعثر الشباب فى ثقافتهم الضعيفة ، فصاحب الايمان المريض ، عادة لا يبصر الحياة ، ولا يقوى على مغالبة الزمن .(١٧)

والقرآن والحديث ، أمرا المسلمين ، بالسير فى فجاج الأرض (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون)(١٨) وأين هم من قول صاحب الرسالة (اليد العليا خير من اليد السفلى)(١٩) والمسلم دائما يعطى ولا يأخذ ولايحنى هامته الا لخالقه .

ولقد مرت بالعالم الاسلامى مئات السنين ، حافلة بالشدة والرخاء والانتصارات والهزائم .. والآن يواجه أياما حاسمة ، والأمل فى الله أن يلهم المفكرين فى سد الثغرات ، والناس وخاصة الشباب يقرأون الكتب الدينية القديمة فى العقيدة والتصوف ، والفقه ، الا أنهم بعد فترة قليلة تعلق بأذهانهم أفكارا مهزوزة ، عن القدر والتوكل ، والجبر والاختيار ، وغير ذلك مما يضر ولا ينفع ويضيع الوقت والعلماء المتخرجون فى المعاهد الاسلامية الكبيرة مثل : الأزهر وغيره ، يملكون للأسف ثروة من هذا التراث المغشوش المختلط ، ويقدمون للاسلام ما يؤخر

أكثر مما يقدم ، ولا تزال عقول بعض المتدينين مشحونة بأوهام نتيجة للفراغ الطويل ...

" الهـــدف ... وتقـــرير المشكلة "

ان بحثى هذا وجهات نظر ، تستحق مزيدا من الدراسة وأملى فى كتابتها إتاحة الفرصة أمام أولى الرأى ليناقشوا موضوعا خطيرا ، هو أساس النهضة الاسلامية المرتجاة .. ورسول الله يقول : (من اجتهد فأخطأ فله أجر ، ومن أصاب فله أجران ، ومن كف عن الاجتهاد وهو يعرفه ، فهو ضال منحرف) (٢)

وان ديننا لا يعاقب المجتهد المخطئ : أما المقلد ، فهو كالمشلول الميت

وانى أتساءل : هل كان التراث الاسلامى فى كل مجالاته ترجمة كاملة لكل ما يمكن أن يتحمله الاسلام من تفسير ..؟ وما هى الأوهام والعقد النفسية التى اكتسبناها نتيجة عصور التخلف الطويلة ، ونتيجة استضعاف الغير لنا وتأثرنا بآراء الأمم القوية ومذاهبهم ، دون تحليل أو تمحيص والتى حجبت فكرنا عن الاسلام وفهمه كما ورد فى القرآن والحديث ؟.

ان بداية كل حياة ذات قيمة هى الايمان الشجاع بالحق والقول به صراحة ومجرد التفكير فى معنى الحياة ، لهو قيمة كبرى فى حد ذاته ، فلو قدر لهذا التفكير أن يبعث من جديد فانه سيصادف ما يقف حائلا .. لكن سيصيبه الذهول ، فيما بعد (ان الدين يرسى التوازن فى النفس والمجتمع ، بقدر ما فى طاقة البشر وطبيعة الدنيا ، وبقدر ما يترك دائما للأجيال من فسحة تجدد خلالها الطريق لمواصلة التقدم والتطور الى الأمام) (٣).

يجب أن يعلم المسلم أن دينه نور يكشف عن مجالات التطور ، ليكون فى رحلة الحياة على بصيرة من حقيقة الدين ، وطبيعة الوجود ، وعلى ذلك يجب على الفكر الاسلامى أن يعى حاضر المجتمع وتطوره ، يقول الخليفة المأمون : " ولو شاء الله

أن ينزل كتبه لتحتاج الى تفسير .. لفعل .. ولكن الملاحظ فى الدين والدنيا وقع لنا على قدر الكفاية ، ولوكان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة ، ونعبت المنافسة ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله عز وجل الدنيا "[٢٢]

فالدين لايمكن فصله عن العقل الانسانى ، ونزعه عن مجاله الحيوى ، الذى يضرب فيه جذوره .. ونحن كثيرا ما نذكر مرونة الاسلام ونفتخر بها ونذكر كذلك الثقافة الاسلامية وخدمتها للدين .

ودين الله عقيدته التفكير ، ويجب أن نتعبد الله بتطبيق سنته فى الكون ، نريد أن نكون ذو فكر أوسع وأنه لا يضير الاسلام فى شئ أن يخلو تطبيقه من تجارب الانسان المعاصر ، ولا يضرف الاسلام فى شئ أن يحوى كل شئ حتى لا يبقى مجالا لأى جديد ،[٢٣]

والاسلام يتفاعل مع الزمان والمكان ، لقد أفسح الدين المجال للتطور ، وتقرير الحقائق العلمية والكونية ، وهذا لا ينقص من قدر الاسلام والمسلمين من سابقين ولاحقين ، والتاريخ يؤيد أن الدولة الاسلامية المبكرة تأثرت بأفكار الأمم المجاورة وأخذ المسلمون بكل الوسائل الصالحة لهم ولم ينفصلوا عن الواقع ، الفكرى والعملى .[٢٤]

يجب أن نستعمل العقل ، لأنه عدتنا فى الحكم على الأعيان ، فماذا يبقى لو فقدناه ؟ ان ضباب الشك حول الطاقة العقلية مدمر للجهاز الذى يمكنه الفصل فى قضية الدين "انه العقل" ولن نعرف الأعيان الا بالعقل نفسه ..

" والدين يمثل الحكمة الالهية المحيطة بما فوق العقل ، لكن كيف أفهم الدين وأميز ما يقال عنه بدون عقل .. وأنا لو خيرت بين دينى وعقلى ، لآثرت عقلى لأننى قد أصبح به متدينا ، لكننى لو فقدته ، فسأفقد دينى معه ، لأن الدين قد أسقط الخطاب عن المجانين ..."[٢٥]

وتسليمنا بهذا يقودنا الى شيء آخر في واقع عصرنا لأن الشرق الاسلامي متخلف لا شك ـ لسبب أو لآخر ـ عن الفكر العالمي وتجارب الأنظمة ، وحديثو عهد بالتجارب التطبيقية .. متخلفون عما يحدث في أوروبا من أفكار وأنظمة ".

وفكرنا الاسلامي يجب أن يتفاعل مع الآخرين ، فالصراع الفكري والبشري من مصلحة الانسان ، فلولم يكن صراع لفسدت الأرض ، " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين "[٣٦]

قال قائل : يجب أن ينقح الدين كل مائة سنة .. "

والتعبير الصحيح هو : يجب ... أن نصحح فهمنا للدين كل سنة .. بل كل يوم بل كل لحظة ، لأن المعرفة لا نهاية لآفاقها ، والتقدم الانساني لا يتوقف أيضا " لأن الحكمة الالهية قمة عالية لا يمكن الزعم ببلوغها واستيعاب مقاصدها "[٢٧]

وليس من الصح أن نرفع أصواتنا لنتحدى أنظمة نضجت عند غيرنا ، قبل أن ننضج ما عندنا ، فلنترك الماضي والأماني البراقة السانحة ، في المستقبل لأنها ليست البديل الصالح .. ان البديل الصالح جهد ضخم يبذل في التحضير للاسلام ونحن لا نستطيع أن نتحدى العالم بما لدينا ونحن ما زلنا نفقد الكثير من تراثنا سواء عن طريق القراءة أو الترجمة ـ ان التطور العلمي في رأي الانسان محتاج الى اعادة نظر :[٢٨]

" من أجل هذا ... "

هداني تفكيري " لكتابة هذا البحث " لعله يعطي علامة حمراء " أمام الأجيال القادمة ، لانارة العقل والضمير بمعالم النبوة ، متمشيا مع الواقع الذي نعيش فيه .. طالبا (الحكمة أني وجدت) لتتقشع الغيوم التي تراكمت خلال ضعفنا ، وثقافتنا ما زالت قليلة ، وكثيرة الأعداء ..

والعصر الحديث تخلص من الطرق العقيمة ، واعتمد على أسلوب علمي رائع

وهذا يقرب الناس من الدين .

اننا غيورين على ديننا فنحب تخليص الثقافة الاسلامية من كل ما يعجزها عن أداء رسالتها ويضلل طريقها ..

ولست من الباحثين عن الأخطاء والعيوب ، ولكن رغبتي في أن ينجح الانسان المتدين في اكتساب الناس الى منهج الاسلام ، غير أن بعض الناس يسيء الى الدين عندما يهمل نفسه وخلقه ثم يحاول بعد ذلك أن يتمسك بالدين ، وهذا كما يمسك الملوث قطعة الصابون بيده ، دون أن يذهب ما عليه من أوساخ .

والأديان دائما تصاب وتهان ، لعدم الفهم لها وسوء العمل بها .. وربما يحصل له معرفة قليلة بالدين ، وسيرته طيبة على حسب الفطرة : تجعله أقرب الى الحق من عشرات المشايخ والأحبار والرهبان .

ومن الجدير بالذكر : أن بعض علماء الكون في الغرب ألفوا كتبا تؤكد ايمانهم بالله وعظمته ، ولكنهم لم يعرفوا الطريق الى دين يسد فراغ نفوسهم ، فعاشوا يتلمسون الطريق الى الحق على حسب ما تمليه عليه نفوسهم و ومما يجعل الناس تكره الدين وينصرف عن العبادة ما يرتكبه علماء الدين غالبا ، انهم يقبلون على الدنيا وينتابهم الجشع وتجفوا نفوسهم ، فهم مثل سيء ، وقد أجمل القرآن تلك النقائص :

(ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)[٢٩] والمطلوب أن نقدم جوهر الاسلام خالصا : وفي الكتاب والسنة ينابيع لليقين الحي ، وكل ما هو طيب ، فكما الناس يستريحون من عناء العمل بالتنزه فأيضا الأرواح تجد ما تريده في الكتاب والسنة .. وهذه حقائق ..

لقد حمل الغرب على الاسلام في فترة نام فيها العالم الاسلامي ، ولا زالوا يقولون : ان الاسلام هو السبب في انحطاط الشعوب الآخذه به ، وهذه فرية وكفاهم التاريخ ، وأن الشعوب الاسلامية ، ظلت صاحبة الحضارة والسيادة على العالم لقرون

طويلة ، وأنها كانت محط أنظار العالم ورجال العلم ، لكننا نحن الذين تركنا الفرصة للمتقولين ، نتيجة للأوهام التى يتبعها بعض المسلمين من رجال الدين ، وهى ليست بخافية على أحد .. أما الذين يحملون الاسلام وزر انحطاط شعوبه وما أضيف اليه من وضعيات لا يرضاها الله ورسوله .. وقام المخلصون بانكارها ، فاعتبرهم بعض الناس زنادقة .

ونظرة يسيرة الى (سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم) فقد أضاف كتاب السيرة المحدثين الى حياة الرسول ، مالا يصدقه عقل ، ولا تخشل له فى اثبات الرسالة [٣٠] ، هذه الأشياء جعلت المستشرقين يتخذوها ذريعة وحجة لمطاعنهم ، بالاضافة الى ما زوروه بحجة أنهم يكتبون على الطريقة العلمية الحديثة ، ولقد قام بعض علماء المسلمين ، فى ظروف مختلفة ، محاولين ادحاض مزاعمهم ، و " محمد عبده " فى العصر الحديث على قمة هؤلاء الذين دافعوا عن الاسلام ، ومع ذلك : اتهم بالزندقة والكفر .. مما أضعفه أمام خصوم الاسلام .

وكان لهذا أثر جانبى أسوأ ، فقد جعل الشباب المؤمن المتعلم ، يرى أن استخدام المنطق والعقل ، فى نظر جماعة علماء المسلمين .. وأن المجتهد يعتبر ملحدا ، وأن الايمان قرين الجمود .. لذلك جزعت نفوسهم ، وانصرفوا يقرأون كتب الغرب ، يتلمسون فيها الحقيقة ، اقتناعا منهم بأنهم لن يجدوها فى كتب المسلمين ، وقرأوا الكتب الفلسفية الهدامة ، وآراء المنحرفين ، مثل : ماركس وشيعته .. ومن هنا انصرفت نفوس الشباب وغيرهم عن التفكير فى الأديان كلها وفى الاسلام وصاحبه .. لأنهم لم يدركوا الاتصال الروحى بين الانسان وعوالم الكون اتصالا يرتفع به الانسان الى الكمال ، وقوته المعنوية . ثم انهم رأوا الغرب فصل بين الدين والحياة العملية ، وبين الدولة والفكر ـ كما حدث فى العصر السادس والسابع عشر فى أوروبا ..

الداعى لكتابة البحث
.. وتقرير المشكلة ..

المراجع: - والتعليقات .

(١) الشيخ محمد الغزالي " من .. الا الله " - مجلة الوعى الاسلامى ص ٦٥ / عدد ١٩٧٦/١٣٥ . الكويت
(٢) يوسف القرضاوى " أضواء على الحركات الهدامة " ص ١١ .
(٣) سورة .. يونس/٥٧
(٤) سورة الأنعام . آية ٩٦-١٠٤
(٥) يوسف زعبلاوى " الصحراء تزحف" مجلة العربى صفحة ص ٢٢ عدد ٢٢٨ /١٩٧٧م
(٦) سورة الجن /٢٦-٢٧
(٧) هذه الأحاديث موجودة فى البخارى ، حب الأدب مج ص ٨٨٣ -٨٨٥ - ٨٨٧ - ٨٨٩ ، من أرادها فلينظرها .
(٨) يجب على كل مسلم حر عاقل بالغ الزكاة والصلاة ، وكل الأمور التكليفية " أبو حنيفة - فى الهداية ، والشافعى - فى الأم .
(٩) ابن ماجه ، " ب " الطلاق ١٦
(١٠) كما هو واقع الآن ، والمشاهد فى الصحف والمجلات اليومية
(١١) سيد قطب " المستقبل لهذا الدين " . ص ١٢/ ١٩٧٨م
(١٢) مثل ما هو كائن الآن : فى مصر ، السودان ، سوريا ، باكستان ....
(١٣) الشيخ محمد الغزالى " ركائز الايمان " . ص ٥ وما بعدها ......
(١٤) جريدة الاهرام المصرية - تحت عنوان " صندوق الدنيا ". عدد ١٩٧٨/٥/٤م
(١٥) عبد القادر عودة " الاسلام بين جهل الأبناء وعجز العلماء " . ٢٨
(١٦) سورة .. إبراهيم/٢٢
(١٧) أبو الأعلى المودودى " الجهاد فى سبيل الله " ص ٦٥
(١٨) سورة العنكبوت / ٥٦
(١٩) البخارى " ب " البر
(٢٠) معنى الحديث مأخوذ عن : أصول الجصاص ، ايمان المقلد - " باب فى اثبات القياس والاجتهاد
(٢١) د. محمد مصطفى الزحيلى " سمو الاسلام بالنفس الانسانية " ص ١٩٧٨/١٨ جدة
(٢٢) سليم طه التكريتي " النهضة الفكرية فى العصر العباسى " ص ١٢٦ /١٩٧٦م
(٢٣) أصول الكرخى " لأبى حسن الكرخى ، والشهرستانى " الملل والنحل "
(٢٤) (٢٥) الغزالى " خلق المسلم " ص ٧٦
(٢٦) البقرة /٢٥١ -(٢٧) د محمد دراز " الدين " ص ٤٧ الحلبى - مصر ١٩٥٤م
(٢٨) حسن البنا " الجهاد فى سبيل الله " ص ٨٦ ..(٣) رنست رينان ز" تاريخ الأديان
(٢٩) سورة التوبة / ٣٤
(٣٠) وضحت ذلك فى " حول صاحب الحديث "

" لماذا اخترت الحديث ؟.../"

حديث الرسول - صلي الله عليه وسلم - من جوامع الكلم، لاشتماله على روائع التمثيل والتشبيه وتصوير المعقول فى صورة المحسوس، مع الدقة الفائقة، والصدق فى مطابقة المشبه للمشبه به، وانتزاع المشبهات بها من دنيا المخاطبين وواقع حياتهم، فهى أمور محسوسة تقع أمام أعينهم، وتتأثر بها مشاعرهم.

وكلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - موزون بميزان دقيق، وهو أبعد ما يكون عن المجازفة، وارسال القول على عواهنه كيفما اتفق، ولما لا يكون كلامه - صلى الله عليه وسلم - بهذه المنزلة، وقد تربى فى معانى القرآن، وفاضت على قلبه فيوضات الوحى الالهى، وقد قال - صل الله عليه وسلم - (أوتيت جوامع الكلم)[١]......

من إحدى مشكلاتنا الأساسية، اننا نقرأ الاسلام بأعين مغمضة أحيانا، وبعين واحدة أحيانا أخرى، ونرى الكثير أيضا من الذين يتحدثون عن : الاشتراكية، الرأسمالية، القومية، وأيضا خرجت مذاهب جديدة، مثل : اليمين، واليسار، والديمقراطية، والدكتاتورية، وحتى الذين يتكلمون عن تعدد الزوجات، والاكتفاء بواحدة، وتحديد النسل واطلاقه .. هؤلاء جميعا، وغيرهم يتمكنون من العثور على سند من الكتاب والسنة، يعززون به دعواهم بطريقة أو بأخرى[٢]..

ومن حقنا أن نسأل : أى اسلام هذا الذى تستطيع أن تغترف منه كيفما شئت، ويتكيف معك دائما، ولا يستعصى عليك أبدا ؟.. ولن نذهب بعيدا، ولكن نذكّر أن الاسلام لا ينفرد بهذه الظاهرة اطلاقا، لأنه فى العصور الماضية قيل : أن تعاطى الأدوية، والحقن للمرضى وقراءة الفلسفة، ضد تعاليم المسيح. وفى هذا الزمن تقترف جرائم كثيرة فى حق الانسانية .. باسم الحرية، والسلام والعدل، ولن نبالغ اذا قلنا : ان هذا الفهم للحديث الذى هو - المصدر الثانى للتشريع

فهما مغلوطا ، ولايجوز أن نتجنى عليه كما يفعل بعض الذين باعو أنفسهم للشيطان نتيجة أفكار خاطئة وظن مكذوب ، حول الحديث وصاحبه ، فبعد أربعة عشر قرنا ، يأتى فريق لم يهضموا الاسلام ولا علومه ، ولم يلتقطوا الا الفتات اليسير - يقللون من شأن الحديث ، بل ويشككون فيه - وياليتهم قرأوا ماكتبه أعداء الاسلام أنفسهم والله انهم قالوا قولة الحق وشهدوا واعترفوا بعظمة الاسلام ونوره الخالد .. وقاموا ببحوث تاريخية فى الدراسات الاسلامية [٣] .

هذه الكتب مهدت لأبناء الاسلام أن يستفيدوا من هذه البحوث فى تلك الدراسات بعد أن انصرفوا عنها أبناء الاسلام أنفسهم ، ان قراءة السنة بدون تركيز وفهم قد صارت علامة بارزة فيمن ينسبون للاسلام من مواقف وأفكار ، وربما نعثر على اجابة للسؤال ، اذا حاولنا أن نعرف جذور المشكلة ...

ولماذا لم تقم هذه المشاكل كلها فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؟ بل حدثت بعد وفاته مباشرة .. وأخذ المسلمون يتطاحنون فيما بينهم ، وان أول شىء كانت له اليد الطولى فى هذا المجال هم [٤] المنافقون ، والحاقدون على الاسلام

ففى العصر الاسلامى الأول - زحف الضعف السياسى الى جسد الأمة الاسلامية تدريجيا ، بدأ بالملكية التى ابتدعها الأمويون ، وانتهت بالمماليك الذين استجلبوا من أطراف العالم ، فكان من الطبيعى أن يزحف التدهور والتحلل الى الفكر الاسلامى ، وثقافته : - وكان انعكاس هذه العهود على الفكر الدينى واضحا اذ انصرف الكثيرون الى القشور والشكل ، وأهمل الفقهاء مقاصد الشريعة ، وانشغلوا بالرد على أفكار الهدامين كما حدث فى العهد العباسى ، وأيضا المتكلمين .....

وفى هذا المناخ الذى خطط له اليهود باحكام فى صفوف المسلمين رياء ونفاقا زيفوا كل معالم التاريخ ، ودسوا سمومهم فى التفسير والحديث [٥] ..

فى هذا المناخ ظهرت المذاهب والفرق التى اختلفت وتقاتلت حول كلمات لا تغنى

ولا تسمن ، ولم يجن الاسلام منها غير الدمار والتشتت ، حتى عصرنا هذا ..
وشغل المسلمون طويلاً للاجابة على سؤال : هل القرآن قديم ، أو حادث ؟ وعذب الامام أحمد بن حنبل ، وجلد بالسياط من أجل هذا .. وضاع مجهود كثير من العلماء في مناقشة قضايا – الجبر والاختيار – وقد عمد اليهود لأثارة هذه الأسئلة ليشغلوا المسلمين عن النظر في أمور حياتهم ومستقبلهم وتركوهم يدورون في حلقة مفرغة .
وكان لهم ما أرادوا وانشغلت جهود العلماء وضاعت أدراج الرياح ..

ولعل من مفارقات القدر ما حدث بين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان .. وعندما تدخل عمرو ابن العاص بدهائه المعروف (والقصة معروفة) الا أننا نتساءل ؟ ..

هل سأل أحد نفسه وسط الاضطراب والهرج والمرج اللذين وقعا في صفوف المسلمين ولماذا رفعوا المصاحف على الرماح ؟ ولماذا يقحم كتاب الله في معركة كهذه ؟ .

لكن الامام " علي " كان أعلم من غيره بالقرآن ، وأدرى بامكانية استخدامه وخطورة التلاعب بألفاظه وآياته تبعا للهوى .. (علي) قال عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم – : (أنا مدينة العلم وعلي بابها) [٦] . وهو الذي نصح عبد الله بن عباس عندما أرسله مبعوثا للخوارج ، ليضمهم الى الصف ويثنيهم عن الشقاق فقال له : (لا تخاصمهم بالقرآن ، فان القرآن حمال ذو وجوه ، ولكن حاججهم بالسنة فانهم لم يجدوا عنها محيصا) [٧] وكلمات الامام علي هذه بالغة الأهمية والدلالة وتشكل أحد المفاتيح التي يمكن أن تفيدنا في فهم أبعاد القضية التي نناقشها ، ذلك أن القرآن " حمال ذو وجوه " وتستطيع أن تطوع نصوصه بالحق أو بالباطل ، لصالح الموقف الذي تختاره .. (من الانتصار بالقرآن – الى الانتحار بالقرآن)

من أجل هذا : اخترت بحثي في الحديث بالذات ، لأوضح بعض ما استغلق فهمه على بعض الناس في الطب والكون والحضارة البشرية . ولأبين بعض الحقائق ، التي

فسرها المغرضون حسب أهوائهم ، ولماذا الحديث بالذات ؟ هذا ما تكون الاجابة عليه فى ثنايا البحث .. ولصد بعض التأويلات التى تلصق بكتاب الله وسنة رسوله ظلما وعدوانا .. ولرفع الحرج عن أولئك الذين تسببت القراءة المغلوطة للاسلام فى تضييق سبل الحياة عليهم .

لقد ظلمت السنة كثيرا ، وحملت فوق ما تحتمل ، لنفس السبب : القراءة بدون فكر وانتباه ، ولن أتكلم عن ما هو مدسوس ومنسوب الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بغير وجه حق فذلك أمره معروف .. ولكن ما أعنيه هو الصحيح المنسوب اليه الذى اعتبره المتصفون تشريعا ملزما - للمسلمين ، فى كل زمان ومكان ، الأمر الذى أوقع المسلمين فى حرج آخر - وقد كان الشيخ " محمود شلتوت شيخ الأزهر رحمه الله : واحدا من الذين حاولوا بالمنطق الهادى أن ينبهوا الى ضرورة قراءة السنة بطريقة صحيحة ، وسجل رأيه فى كتابه المعروف (الاسلام عقيدة وشريعة) قائلا : ان السنة تشريع وليس تشريعا - "

فمن السنة التى لا تعتبر تشريعا ولا تلزم المسلمين ، ما يعتبر سلوكا شخصيا للرسول - صلى الله عليه وسلم - أو آراء مبنية على اجتهادات ، وتجارب خاصة ولعلنا نتذكر قصته مع الاعراب الذين نصحهم فى مسألة " تأبير النخل " وعندما أبلغ بأن نصيحته لم تحقق هدفها المرجوه قال : " أنتم أعلم بشئون دنياكم "

مرة أخرى يقول الشيخ شلتوت : (ان السنة التى تعد تشريعا لها درجات :

١ - ماصدر عن النبى باعتباره مبلغا ورسولا ، وهذا ملزم لكل المسلمين .

٢ - ماصدر عن النبى بوصفة اماما للمسلمين ، وهذا التصنيف للأحاديث لم يلق الاهتمام الكافى من الفقهاء الذين كان كل تركيزهم على ضبط الأحاديث وتحقيقها ، وتلك ولا شك انها مهمة جليلة أداها علماء الأحاديث وفقهاؤه ، لكن أسباب صدور الحديث لم تتوفر له الدراسة الكافية[٨] . "

وهذا هو لب الموضوع وهو الذى حاولت طرقه وفتحه للمناقشة لعلنا نصل الى رفع بعض الحرج عن المسلمين فى هذا المجال .

وأيضا مما جعلنى ..... أختار الحديث : أن بعض المستشرقين - اذا لم يكن كلهم - يقع فى أخطاء كثيرة ، عندما يقرأون الحديث النبوى ، أو التفسير ، فلعدم دقتهم فى ادراك أسرار اللغة العربية تارة ، أو سوء نواياهم تارة أخرى فى الحرص على هدم مقررات دين من الأديان ، ونزعات كثيرة فاسقة لجلب بعض المغانم أو السلطة - ......

أما والاسلام برئ من هذا النوع .. فليتق الباحثون من أبنائه ، سلطان الشهوة التى يخضع لها الغرب ، ويجب أن يأخذ أبناء الاسلام حذرهم على ما يصدر عن الغرب من مباحث دينية ..

مهما بلغ المغرضون فى نفث سمومهم على الاسلام ، وصاحب رسالته - صلى الله عليه وسلم - فلن يستطيعوا أن يخدعوا أحدا من المسلمين ومن الجدير بالذكر أن الغالبية من علماء الغرب - الذين يبحثون فى الكائنات والطبيعة والتكنولوجيا الحديثة - وجدوا الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، فى القرآن والحديث ، مطابقا لما اكتشفوه "وخروا لله سجدا وأصبح أكثرهم من الموحدين "[٩] وما أيسر ترحيبهم بدين يوافق ما درسوا من علوم ، ويروى عطشهم الروحى ، الى ... السكينة والحب (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[١٠] ..

" نهاية المطاف "

والمقام يطول لو تعرضنا لكل أبواب البحث ، لكن حسبى ما أشرت لبعض محتوياته اجمالا .. ولعل الناس يدركون ما أفادته السنة المحمدية لهم ، ويستمتعون بلذة الفكر ، تهديه الأسانيد الصحيحة ، .. يعمر قلوبهم بما فى الهدى المحمدى من جمال وجلال ، وعظة وعبرة .. مطمئنا كل الاطمئنان الى أن هذا الدين سيحقق

البشر مما هم فيه من الحيرة ، وظلام المادة ، ويبصرهم بنور الايمان .

والأمل كبير أن يكون هذا البحث جديرا بتبصرة الإنسان الحضارى لبجديد آخذا بيده ، فى ظل راية الاسلام .

واذا كانت نصرانية الغرب تستكبر أن نجد النور الجديد فى الاسلام ورسوله وتلتمس هذا النور فى (خرافات الهند) مثلا ـ وفى مختلف مذاهب الشرق الأقصى ..

فان للاسلام أيضا رجالات جديرون بأن يقوموا بما هو واجب عليهم بكل نزاهة وانصاف بهدف الوصول الى الحق " فالتفكير الاسلامى على أنه تفكير علمى على الطريقة الحديثة فى صلة الانسان بالحياة المحيطة به ، وهو من هذه الناحية واقعى بحت .. ينقلب تفكيرا ذاتيا حين يتصل الأمر بصلات الانسان بالكون وخالق الكون "(١١)

والآن يحاول المؤمنون المسلمون القضاء على الوثنية التى تتحكم فى عالمنا الحاضر ، وهذا يبدوا واضحا لكل من يتتبع سير العالم وأحداثه ..

والأمل كبير فى أن يقوى العالم الاسلامى أمام تلك المسائل .. بالتخصص لدراسة أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعاليمه ، لنشر الثورة الروحية ويعم الخير على الجميع ـ هذا الاطمئنان يؤيده الواقع : فانما يرى الآن من عناية الغرب ببحث آثار الشرق ، وعناية علمائه بدراسة الاسلام من نواحيه المختلفة ودراسة تاريخه وأممه ، قديما وحديثا .. ومن انصاف بعضهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أيدته التجارب من أن الحق لا محالة غالب ، كل ذلك يرشدنا الى أن الاسلام سينشر لواءه على العالم ، وسيكون أشد الناس عداوة له اليوم ، هم أشد الناس غيرة عليه ودفاعا عنه ، وسيكون هؤلاء الغرباء عنه ، هم أنصاره وأهله .

وكما نصره أول الأمر الغرباء عن البيئة التى نشأ فيها ، فسينصره آخر الأمر الغرباء ، عن لغته ووطنه . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..: " بدأ الاسلام

غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغربا " [١٢]. وغريبا : أى غير مأنوس للناس فى قوانينه وشريعته ، وأحكامه ، وسيعود غريبا : أى سينصرف الناس عنه ، ولا يتبعون أحكامه . [١٣]

واذا كان النبى - صلى الله عليه وسلم - هو الخاتم " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين " ويقول - صلى الله عليه وسلم - " لا نبى بعدى " ..

.....وليس للعالم بعده مرشد وهادى ، ودينه أكمل دين بنص الوحى القاطع ، فلا يمكن أن يقف أمره على ماهو عليه الآن .. ولا بد أن يمحو نوره نور غيره ، كما تمحو الشمس نور غيرها من الكواكب ..

" أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل علىّ غضبك ، أو يحل علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم " ..

عبد الله سلامة نصر

" .... لمـــــا ذا ... اخـــــترت الحديث ".../ "

المـــراجع :- والتعليقات .

1 - رواه الشيخان ، والقاضى عياض فى : " الشفا " "
2 - فأخذوا قول عمر - رضى الله عنه - " جهد البلاء " : قلة الحاجة وكثرة العيال " حجة لهم فى تحديد النسل . وفيما روى " كنا نعزل على عهد رسول الله (ص) مع أن المقصود بالمعنى خلاف ما يرمون اليه ، بدليل : أن الدولة الاسلامية ، ما زالت فى حالة بنا " وفتوحات ، فهى محتاجة للرجال
(٣) ا . ى . ونستك " المعجم المفهرس للحديث النبوى "
(٤) منهم : عبد الله بن أبى ، ولؤلؤة الجوسى ، وعبد الرحمن بن ملجم .
(٥) د. محمد عبد الرؤوف " نظرات فى الحديث النبوى " - الوعى الاسلامى - ص ٩ عدد ١١٠ / ١٩٧٤- الكويت .
(٦) راجع (التدوين فى عصر الصحابة والتابعين)
(٧) سيرة ابن هشام : " موقعة صفين "
(٨) الشيخ محمود شلتوت - شيخ الأزهر - " الاسلام عقيدة وشريعة " القاهرة
(٩) منهم : جون كلوفر ، فرانك الين ، تشارلز يوجين ، ومحمد أسد - وكان أسمه قبل أن يسلم " ليو بولدفايس " .
(١٠) د. محمد عبد الرؤوف " نظرات فى الحديث النبوى ص ١١
(١١) د. يول - عن كتاب - مفتريات على الاسلام - ص ٣٢٥ / دار الفكر . بيروت ١٩٧٢م
(١٢) أخرجه - مسلم ، ب " الايمان " و الترمذى ، وابن ماجه - ب - الفتن .
(١٣) هذا انا حمل لفظ " الغربا غريبا " على معنى أنه ، غير مأنوس - وسأتعرض لشرحه فى موضعه . انشاء الله ..

" شكـــــر وتقـــــدير "

عند شروعي في بحثي هذا وجدت معونة صادقة قدمها لي اخواني الأساتذة الباكستانين ، الذين لم يدخروا وسعا في مساعدتي واني أشهد الله أنهم علماء عاملون .

ولما تقدم بي البحث بعض الشئ ، ألفيت المعونة الصادقة والمشورة الخالصة تصل اليّ من كل صوب ، سواء من الأساتذة الباكستانين والعرب بطبيعة الحال أو من القائمين على دور الكتب ورجالها وخاصة مكتبة جامعة بهاور والكلية والاسلا مية الذين أمدوني بكل عون ، بجانب بعض المكتبات في السفارات العربية وخاصة ... (المكتب الثقافي السعودي) بالباكستان فقد قدم مساعدة خالصة بما كنت أحتاجه من كتب ومراجع ، وأشياء أخرى .. وكذا السفارة الكويتية والأردنية ، والسفارة المصرية .. فلهم شكري العميق .

ثم أنه كانت تستغلق عليّ بعض المسائل والصعوبات فأفضي الى من آنس فيهم المعرفة من الأساتذة وخاصة المشرفين وعلى رأسهم فضيلة الشيخ / محمد عبد القدوس / وأستاذي المشرف / د . سعيد الله القاضي / ا د . قاضي مجيب الرحمن بالأضافة الى / الأستاذ فضل معبود ، ومولانا عبد الشكور .

هؤلاء ... كنت أجد منهم خير العون ، حيث دلوني على مسائل كثيرة كانت السبب في تخفيف العناء الأكبر ... فجزاهم الله الجزاء الأوفى ......

وأني مع ذلك لست أحسبني أوفيت على الغاية من هذا البحث ، بل لعلي أكون أدنى الى الحق .

والبحث في حد ذاته لم يكمل لظروف حالت دون ذلك ، وما هو الا قطرة في بحر .

وأن ما بذلته من مجهود في هذا السبيل ، مجهود لا يخرج على أنه بداية من ناحية علمية اسلامية ، ....

والبداية دائما أصعب ، ولعدم قدرتي على حسن البحث والتنقيب ، والتمحيص واذا كان كثير من العلماء والباحثين ، قد انقطعوا لبحث أجزاء معينة من العلوم " فحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جدير بأن ينقطع لبحثه آلاف يتخصصوا فيه .. "

وأكرر اني لا أستطيع أبدا .. أن أقول قد أكملت البحث ، اذ أن كل باحث ، مهما أوتي من فكر ، فبعد أن ينتهي من بحث ما كان بصدده ، الا ويجد فيه تقصيرا ويتمنى لو فعل ، كذا .. وكذا ، لكان أفضل ، ولو كرر أيضا لوجد تقصيرا ، وهكذا .. وهذا يدل على نقص العقل البشري ، وأن الكمال لله سبحانه ...

كما التمس من كل قارئ ، وجد ملاحظة أو خطأ ، وقعت فيه .. أن يقوم بارشادي اليه ، واني مستعد وبصدر رحب ، بقبول النصح والنقد البناء الهادف .... (وفوق كل ذي علم عليم) - فليس المرء يولد عالما - مع التزامي بتصحيح كل ما نبهوني اليه . عندما تكمل قدرتي على حسن البحث ، مع العزم على قوة الجهد اتمام ما بدأت ، وليس يساورني شك في أن الانقطاع للبحث العلمي ، ستؤتي ثمارها انشاء الله ..

لذلك أرجو أن يكون هذا البحث فاتحة لبحوث جديدة .. ومنهاجا لمحاولات صادقة نطمع أن ينهض بها علماء المسلمين ، كل في ناحية اختصاصه ، ويعرضون على الناس بفكر مستنير ، ا.. ما اشتمل عليه " القرآن والحديث " من نور العلم والهداية ، حتى تتضح للمتكاسلين حقيقة الرسالة المحمدية بعد أن ظنوا بها الظنون ، وأودعوها زوايا النسيان ، وأن يدفعهم الحرص على الحياة ، وأن يعملوا بمقتضاها فيصلوا الى الهداية والرشد ......

ان الدعوة الى الحق أكبر خدمة للانسانية ، لذلك بعث الله رسله بدعوة الحق ، وأمر الناس بها (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) .

وأملى فى علماء الاسلام كبير أن يقوموا على اختلاف ميولهم العلمية بدعوة الاصلاح ، القائم على العلم ، الذى أشار اليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله (من سلك طريقا للعلم ، سهل الله له طريقا للجنة) وان فى ذلك ما يحجهم على المضى فى العمل ، ولقد أشاد الرسول بفضل العلم فقال : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى) ومن سار على الدرب وصل ..

نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل ، ولا يكلنا لأنفسنا ....

وأن يوفقنا للوفاء فى العمل لخير الانسانية ، انه نعم المولى ونعم النصير ....

عبد الله سلامة

* تـــــدوين الحـــــديث *

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

البـــــاب الأول :-

الفصــــل الأول :-

٥ نشـــأة التـــدوين

٥٥ أقـــوال المستشرقين

٥ صحـــة الأســـانيد

" نشأة التدوين "

القرآن مصدر الهى بلفظه ومعناه ، ليس من عمل محمد كما يقولون .. وانما هو ، قول : " رسول كريم " تلقفه محمد من لدن حكيم عليم ، ثم أوحاه بلسان عربى مبين على قلبه - صلى الله عليه وسلم - فتلقفه كما يتلقف التلميذ من أستاذه نصا من النصوص ، وكانت لهذه النصوص شروطا قاسية ، سار عليها محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يتعداها ، هى :

١ - الوعى والحفظ (سنقرئك فلا تنسى)[١]

٢ - الحكاية والتبليغ " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا "[٢]

٣ - البيان والتفسير " وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم "[٣]

٤ - التطبيق والتنفيذ " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "[٤]

وقد نقل الينا هذا القرآن كاملا متواترا ، نقله أجيال عن أجيال ، تلاوة بالألسنة وحفظا فى الصدور وكتابة فى المصاحف ، وشهادة التاريخ بتواتره لا يماثلها ولا يدانيها شهادة .[٥] " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "[٦]

ولم يحظ كتاب ظهر على الأرض مثل - القرآن - بهذا الاهتمام وهذه الدقة والقرآن هو المصدر الأول والوحيد لعقائد الاسلام ، ونظمه وتشريعاته ، وآدابه وتوجيهاته .

والسنة ما أتت الا موضحة ومفسرة للقرآن ، ومبينة لما استغلق فهمه .. وقد تلقاه المسلمون بالتحرير والشرح ، والتفسير كل فى مجال علمه وتخصصه . واستنبطوا منه أحكام دينهم ، وأصول مجتمعهم ، وما يتصل بأمور دنياهم ومعيشتهم ، وقد وضعوا له الأسس السليمة والقواعد المتينة ، كما خططها لهم النبى (ص)

من توجيهات " فلقد اقتضت حكمة الله ، أن تكون الآيات المحكمات فى كتابه هى الأصول التى لا خلاف عليها ، والأسس التى يرد غيرها اليها ، أما الآيات الأخرى فقد جعلها الله من السعة والمرونة .. بحيث تتسع لمختلف الأفهام المعقولة ، فى شتى البيئات والعصور ، بحيث يعذر بعض الفاهمين بعضا .. وبهذا يكون القرآن الكريم - مصدرا وكتابا للانسانية كلها ، فى جميع الأزمان ، ولو كانت كل آيات القرآن محكمة ، لا نغلق - باب الاجتهاد - والفهم وانطفأ نور ... الفكر ، وانطلت حركة العقل "[٧]

والقرآن هذا نزل على محمد عليه السلام - وثبت أنه موحى اليه (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)[٨] فكان لما يقوله ويهدى اليه فى تبيين الاسلام وتوضيح معالمه ، وتطبيقه فى الحياة ، بمنزلة الوحى المعنوى (ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[٩].

هذه السنة مشت فى رحاب القرآن ، وعبرت عن روحه ، شارحة وموضحة " وتركت للناس أبواب الفهم والتجديد فى أمور حياتهم ، المتغيرة والمتطورة ، بتغير الزمان والمكان ، نرى ذلك عندما أشار - عليه السلام - على جماعة بتأبير النخل ولكنه لم يأت بالنتيجة المطلوبة ، فكان رده - عليه السلام - (أنتم أعلم بشئون دنياكم)[١٠]. وقد وجدت هذه السنة : أيضا من الرعايا والحفظ ، وجمعها وتنقيتها من الدخيل عليها ، مالا يزال التاريخ العلمى يذكره بالفخر والاعجاب ..

ومراحل التدوين ونشأته ... مرت بسلسلة طويلة ، منها " مرحلة الصحيفة "[١١] وأن كبار الصحابة والتابعين ، ترددوا زمنا فى شأن - تدوين الحديث - لكنهم كانوا يكتبون الحديث للانتفاع به وحفاظا عليه ، وتثبيتا فى الذاكرة ، "[١٢].

وكما ذكر أن ترددهم ، عن التدوين : خوفهم من اختلاط الحديث بالقرآن ، وتحرجا من شئ لم يفعله الرسول ، .. وظل الحال هكذا حتى تبدلت الظروف فى أواخر

القرن الأول الهجرى ، وخشى ضياع الحديث ، بذهاب حفظه ، وأصبحت الحاجة ماسة لدراسته ، عندما اشتدت الخصومات والفتن ، وأصبح الجدل بين الفرق ، واستخدموا الحديث كل يؤيد رأيه ـ [١٣] فلما ظهرت هذه الفرق ، وتكلموا فى القدر ، وأولهم " معبد الجهنى " [١٤] . وسأل ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ عن القدر ، فذكر عن أبيه ـ أن رجلا طلع وجلس الى رسول الله ، وأسند ركبتيه الى ركبته ، وسأله عن الايمان ، والاسلام ، والاحسان ـ فذكر الرسول ـ عليه السلام ـ فى تعريف الايمان " وتؤمن بالقدر خيره وشره "

فمن هنا ظهرت أهمية التدوين للحديث ونشأته ـ ولجأ المخلصون الى السنة يستضيئون بهديها ، بعد ماكثر المزيفون فى الحديث ، وصح عزم بعض الصحابة والتابعين على تقييد الحديث .. بعد وجود العلة لذلك ، وهذا لم يحدث دفعة واحدة بل بدأ ببعض الصحف ، التى كانت تكتبها الصحابة ، وعثر فعلا على بعض تلك الصحف للصحابى ـ نبيط بن شريط الأشجعى الكوفى ـ رواها عنه ـ ابنه مسلمة ـ وهو من الثقاه ، وتوجد منها نسخة فى مكتبة " الظاهرية " بدمشق ، وأخرى " بدار الكتب المصرية " بالقاهرة [١٥] . ونمى وتطور لما زادت الحاجة للتدوين ، بتجاسر الملحدين على الوضع فى الحديث [١٦] ....

ولقد حاول أعداء الاسلام ، أن يدسوا فى السنة ماليس منها ليكدروا نقاءها ، فوضعوا أحاديث مكذوبة ، وروايات ملفقة ، ونسبوها زورا الى الرسول منتهزين ماحاق بالمسلمين من فتن ، فى فترة من فترات الركود ....

ولكن سرعان ماوقف المخلصون المؤمنون ، من سلف هذه الأمة وكرسوا حياتهم يطوفون البلاد ، ويجوبون القفار ، بحثا عن ـ صحيح السنة ـ وكشف زائفها [١٧] ..

ولما ابتدأ العرب فى الاختلاط بالأمم المجاورة ، وموت الفقهاء وكثر اللحن قام الغيورون من المسلمين .. وكانت الشرارة والاذن (فى نشأة تدوين الحديث)

وكانت الفرصة متاحة والأمور صالحة لهذا العمل الجليل : حيث أن العهد كان قريبا بالرسول وصحابته " رضوان الله عليهم " . والأمة العربية أمة حفظ ووعى فوضع هؤلاء العلماء الأصول والقواعد للرواية ، وبحثوا عن الرجال ، وجرحوا وعدلوا ، وألفوا الكتب الكثيرة فى التاريخ ، والسيرة ، والأسماء : ولم يأخذوا الا عن ثقة ، عدل ، حافظ ، ضابط ، حتى لقد أخرجوا كتبا للثقاة ، وكتبا للضعاف ، وذلك لم يعرف لأمة فى صيانة تراث نبيها [١٩] ...

ثم تأتى نقطة هامة ، وخطيرة ، تسرب منها بعض المشككين ، وكانت سببا فى بلبلة أفكار الكثيرين من الضعفاء .. ـ قول : ـ " زيهر " انهم اهتموا بسند الحديث ورواته ، دون موضوعه أو متنه ، فردوا الحديث الشاذ المخالف لعلل قادحة تتصل بالموضوع كما تتصل بالسند " [٢٠] .

وهذا كلام غير صحيح بدليل ، ان كتب مصطلح الحديث اهتمت بالموضوع أيضا ... وإذا كان العلماء وجهوا همتهم الى السند والرواة ، لأن الموضوع تختلف العقول فى قبوله ، ورده حسب عصورها وثقافاتهم ، وما كان يعتبر صحيحا مقبولا بالأمس ، قد يعد خطأ مرفوضا اليوم وبالعكس .. فقاموا بما عليهم ، فى نقد الرواة وتجلية حالهم ، وتركوا لمن يأتى بعدهم الحكم على موضوع الحديث ، بما يتفق وما عندهم من وسائل الفهم وموازين النقد " [٢١]

" أقـــوال المستشرقين "

يزعم بعضهم ، أن أحاديث نبوية كثيرة زائفة وملفقة ، وان نصف الأحاديث المدونة فى صحيح البخارى ليست أصيلة وغير موثوق بها [٢٢] . أما المستشرق اليهودى ـ زيهر ـ يقول : إن الاسلام نما على يد رجاله ، من طريق الاضافات التى جعلت هذا الدين يكبر الى حد لم يعرفه محمد فى حياته وان هذه الاضافات " أى السنة

على حد تعبيره ، هي : من صنع العلماء والفقهاء الذين ارادوا أن يجعلوا من الاسلام دينا شاملا ..."[٣٣] وكما يقول الألماني : - جوزيف شاخت - (ان تعاليم القرآن نجد تكملتها في مجوعة من الأحاديث المتواترة . وهناك جمل أخذت من العهد القديم والجديد ، وتعاليم الفلسفة اليونانية ، والهنود ، كل ذلك أخذ مكانه في شريعة الاسلام ، عن طريق الحديث ، وان الرسول قد اضطر بحكم الظروف ، التي أحاطت به الى أن يعترف : أنه ينسخ بأمر الله ماسبق أن أوحاه الله اليه)[٣٤] .

هذه بعض أقوالهم ، والرد عليهم فيما بعد ، ولكن يجب أن يلاحظ أن هؤلاء وزعمهم أن الاضافات التي أضافتها الصحابة هي : ليست اضافات ، بل هي من أنواع القياس والاستصحاب الذي يختص به علم " أصول الفقه " وأيضا كل شيء ، ناتج عن شيء آخر يكون أعم وأشمل وأصح مما قبله .. فاذا كان الاسلام ناتج عن الديانات الأخرى السابقة - على حد تعبيرهم - فطبيعة الحال أنه استخلص كل ماهو صالح لحياة البشرية نحو سعادتها وأمنها .. هذا مايمتاز به الاسلام[٣٥] .

ان كتب الحديث لم يتداولها الناس الا بعد زمن الشافعي ، وان الشافعي عندما اعتبر السنة أصلا من أصول الدين ، سارع الوضاعون الى وضع الحديث لتأييد مذاهبهم وابطال مذاهب المخالفين[٣٦] .

" صحــة الأسـانيد "

" قال أحمد بن منصور الرمادي : خرجت مع أحمد ويحيى ، الى عبد الرازق ، أخدمهما فلما عدنا الى الكوفة قال يحيى لأحمد : أريد أن أختبر أبا نعيم ، فقال له أحمد : لا تزيد الرجل الا ثقة ، فقال يحيى : لا بد لي ، فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثون حديثا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أحاديث أبي نعيم ، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه ، ثم جاءوا الى أبي نعيم ، فخرج فجلس على دكان ، فأخرج يحيى الطبق ، فقرأ عليه عشرة . ثم قرأ الحادي عشر ،

فقال أبو نعيم : ليس من حديثي اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثاني ، وأبو نعيم ساكت ، فقرأ الحديث الثاني فقال : ليس من حديثي اضرب عليه ، وهكذا فانقلبت عيناه وأقبل على يحيى فقال : أما هذا - وذراع أحمد في يده - فأورع من أن يعمل هذا ، وأما هذا يريدني فأقل من أن يعمل هذا ، ولكن هذا من فعلك يا فاعل .. ثم أخرج رجله ، فرفسه فرمى به وقام فدخل داره ، فقال أحمد ليحيى : ألم أقل لك انه ثبت . قال : والله لرفسته أحب الي من سفرتي [27] ..

مما سبق يتضح مدى الدقة في رواية الحديث ، ورجال الحديث وأيضا طريقة " صحيفة همام بن منبه " والتي أوصل كيفية رواية الحديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيقول : " هذا ماحدثنا به أبو هريرة - رضى الله عنه - عن الرسول قال : ويسوق الأحاديث مع ذكر كلمة قال صلى الله عليه وسلم - وهكذا - فلم يبدأ همام قائلا ، قال النبي : - مع قرب عهده منه - ولكن ذكر مايدل على أنه تعلم الأحاديث من شيخه أبي هريرة الصحابي وتلقاها عنه فهو طريقه الى الرسول ، وسنده في معرفة الحديث ، وسند " همام " مكون من صحابي ، ولكن اذا طال العهد فان سلسلة الاسناد تمتد وتتعدد ، [28] فمثلا أبو بكر القطيعي : راوي الصحيفة التي وردت في مسند أحمد بن حنبل ، وهو بعيد العهد برسول الله - عليه السلام - فلسنده اسناده الذي نجده يروي عن شيخه ، عبد الله بن أحمد عن أبيه الامام ، عن عبد الرازق عن معمر ، عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم [29]

وعلى هذا فذكر السند يدل على صحة الحديث وتحكم الباحث من درجة ضبط روايته وعدالته ، ووقاية من خطر الكذب والوضع في الحديث ، ولو لم يكن هناك اهتمام بالاسناد لكفى أن يقال : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم - وأصبح الأمر سهلا ، ولم ينكشف غش المزيفين .. لكن الله ميز هذه الأمة بطريق الاسناد ، واعتبروه من أمور الدين ، كما ذكر مسلم في صحيحه " ان عبد الله بن المبارك

كان يقول : " الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء " وقيل : (ان هذا العلم ـ أي الحديث ـ دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [٣٠] ويتضح مما سبق أن التدوين نشأ مبكرا بدليل صحيفة : " ابن منبه " الذى رواها عن أبى هريرة ـ م٥٨هـ وعلى ذلك يكون ما وصلنا من الأحاديث كامل الصحة والدقة فى الاسناد [٣١] ، وكذلك ما روى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : " كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفعنى بما شاء أن ينفعنى منه ، واذا حدثنى غيره استحلفته ، فاذا حلف لى صدقته ، وحدثنى أبو بكر ـ وأبو بكر صادق فيما يحدث ـ وذكر حديث صلاة التوبة المشهور ، وهو أن أبا بكر سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له " [٣٢] . ثم قرأ هذه الآية (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله [٣٣]) وهذا يفيد أيضا الدقة فى الاسناد والأحاديث المنقولة عن الصحابة والأئمة وهم أعلم الأمة وأفقهها وأتقاها ، واذا خفيت بعض الأحاديث عليهم ، فلا يدل على نقص فى علمهم ، ولا يحتاج ذلك الى بيان ، ومن اعتقد أن كل الأحاديث هم على علم بها فهو مخطئ وكذا لا يقال (ان كل الأحاديث دونت وجمعت لأن هذا بعيد ، والمشهور منها جمع بعد انقراض الأئمة المتبوعين ، وعلى هذا لا يجوز أن يدعى انحصار الأحاديث فى دواوين معينة .. ولو فرض فليس كل ما فى الكتب يعلمه العالم ، والمتقدمين أعلم بالسنة من المتأخرين ، ..

وقد ضبط ألفاظ الحديث : الحفاظ ، وفيه من الشواهد ما يبين صحة ذلك ، ومنها العلم بأحوال الرجال ، والاجماع والاستقامة من الراوى وما الى ذلك ... [٣٤])

ورجال الحديث النبوى انفردوا فى تاريخ الفكر الانسانى ، وبخاصة تاريخ (تدوين الرسالات السماوية وغيرها) بنظام دقيق البحث ، والتدقيق فى الرواية

لا مثيل له فى تاريخ الأنبياء والمرسلين .

ويكفى ما تعرض له الامام البخارى وما كابده من مشاق ، وأسفار فى مختلف أقطار الدولة الاسلامية ، لجميع الحديث وتمحيصه ، وما رواه بعد ذلك من أنه ألفى من الأحاديث المتداولة التى كانت تزيد على ستمائة ألف حديث فلم يصح لديه منها أكثر من أربعة آلاف حديث ، وهذا معناه أنه لم يصح لديه من كل مائة وخمسين حديث ، الا حديث واحد ـ .[٣٥] وأما أبو داود فلم يصح لديه من خمسمائة ألف حديث غير أربعة آلاف حديث وثمانمائة ، وكذلك كان عأن كل الذين جمعوا الحديث كانوا يعرضوه على قياس ضبط الحديث وصحته وكذبه ، فما وجدوه موافقا أخذوه والا فلا .. وحتى الأحاديث التى صحت كانت موضع نقد عند غيرهم من العلماء ، وانتهى بهم الى نفى الكثير منها ـ وهذا يدل على حرص المسلمين ، وصدق عزيمتهم حفاظا وأمانا على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .....

وتبعا لهذا النظام الدقيق ، عرف الناس الأحاديث الصحيحة والموضوعة ، والضعيفة ، والمنكرة ، والشاذة ، ووضعت كتب ضخام فى الأسانيد مثل : مسند مالك وأبى داود ، ومثلها فى تراجم الرواة ، حتى أصبح من الميسور على الباحث معرفة حقيقة أى حديث منسوب الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سندا ومتنا [٣٦] ...

" والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انتقل للرفيق الأعلى ، وترك الاسلام كاملا متكاملا ، ومن عهده حتى اليوم ، المسلمون يعتبرون أى تزيد على هذا الدين بدعة ، يجب محاربتها .[٣٧] ..

ولعل هذا يكون فيه الكفاية ....

" تــدوين الحــــديث "

البـــاب الأول

الفصــل الأول : نشأة التدوين ـ أقوال المستشرقين ـ صحة الأسانيد

المــراجــع: ـ والتعليقات ·

(١) ـ سورة الأعلى / ٦
(٢) ـ " " الاسراء " / ١٠٦
(٣) ـ " " النحل / ٤٤
(٤) ـ " " النساء " / ١٠٥
(٥) ـ الشيخ طه الوالى " الكتب والمكتبات عند العرب " عن مجلة ـ منار الاسلام ـ ص ٦٤ عدد ١/ ١٩٧٦م ـ أبو ظبى ـ وأحمد العسال " الاسلام بين شبهات الضالين " ص ٦٠ ج ١ ـ المكتب الاسلامى ـ بيروت ·
(٦) ـ سورة الحجر / ٩
(٧) ـ د· محمد شوقى الفنجرى " السنة وتدوينها فى شتى العصور الاسلامية " مجلة العربى ـ ص ٨٤ عدد ١٩٤ /١٩٧٥م
(٨) ـ النحل ٨/ ٤٤
(٩) ـ الحشر / ٧
(١٠) ـ رواه مسلم ـ كتاب الايمان
(١١) ـ ذكرت ذلك فى صحة الأسانيد مثل ·· صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص وهمام بن منبه عن شيخه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ (م ـ ٥٨ هـ)
(١٢) ـ كمثل كمسألة الصحيفة
(١٣) ـ د · محمد عبد الرؤف " نظرات فى الحديث النبوى " ص ٨ / ١٩٧٤م
(١٤) ـ وتشتت أفكار المسلمين حول القدر وحدثت فتنة حوالى سنة ٦٠ هـ ثم حريق الكعبة سنة ٦٤ هـ
(١٥) ـ فؤاد سزكين " تاريخ التراث العربى " ص ٢٥٥ ج ١ ـ القاهرة ١٩٧١م
(١٦) ـ نفس المصدر السابق ـ ومجلة " المجمع العلمى " دمشق عدد ٢٨ ص ١٢ / ١٩٥٣م ـ محمد حميد الله
(١٧) ـ كما رأينا فى صحيفة عبد الله بن عمرو ·· الخ ـ د · محمد عبد الرؤف ص ٩ مجلة العربى عدد ١١٠ ـ ويوسف القرضاوى أكاذيب المفترين ص ٦٤ ج ١
(١٨) ـ حياة محمد للأستاذ / محمد حسنين هيكل
(١٩) ـ د· أحمد كمال أبو المجد " التجديد فى الاسلام " العربى · ص ١٦ · عدد ٢٢٥ / ١٩٧٧م
(٢٠) ـ الشيخ عبد العال أحمد ـ والشيخ موسى لاشين " مصطلح الحديث " كلية أصول الدين القاهرة
(٢١) ـ مفتريات على الاسلام ص ٣٥

(٢٢) ـ هذا من كلام ـ سيرنجر ـ و ـ دوزى ـ و ـ موبير ٠
(٢٣) ـ كتاب " مصادر التشريع الاسلامى " للشيخ عبد الوهاب خلاف ٠٠٠
أحمد جمال " مفتريات على الاسلام "
(٢٤) ـ أحمد جمال ٠ نفس المصدر السابق ص ٣٥ ج ١ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٧٢م
(٢٥) ـ فؤاد سزكين ص ٢٥٦ ٠ نفس المصدر
(٢٦) ـ لست متفق مع ـ شاخت ـ وهل وجد من أشار له من الفقها ٫ ـ وأهل الاسلام أنفسهم ـ أم أنه استنباط مغرض :
من السهل أن يكذب الناس ٠٠ لكن من الصعب أن يستمر الكذب طويلا ، لأنه ناعى ٫ عن غير دليل ٠٫
(٢٧) ـ الرحلة فى طلب الحديث ، للخطيب البغدادى ، مجلة المجتمع ـ ص ٢٢ عدد ٤٠٤ / ١٩٧٨م ـ الكويت ـ
(٢٨) ـ المتوفى ٣٦٨هـ
((٢٩ ـ د٠ محمد عبد الرؤوف " نظرات فى الحديث " ـ الوعى الاسلامى ـ ص ١٠ عدد ١١٠
(٣٠) ـ مقدمة صحيح مسلم ٠ ٣١
(٣١) ـ محمد بن سيرين " مقدمة صحيح مسلم "
(٣٢) ـ رواه أحمد وأبو داود ، والترمذى وابن ماجه ٠ باب فضل الصحابة ـ وقال الحافظ بن حجر : هذا حديث جيد الاسناد
(٣٣) ـ آل عمران / ١٣٥
((٣٤ ـ شيخ الاسلام ب ابن تيمية " الأئمة الأعلام " ص ١٧ ـ ٢٠/ مطبوعات الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة ـ السعودية ـ ١٣٩٦ هـ الطبعة / ٥ ٠٠ مكة المكرمة ٠
(٣٥) ـ ابن تيمية " علامة صدق الحديث وكذبه " ص ٢٢ ـ ٣٣ ـ و د ٠ محمد حميد الله ـ كيفية جمع الحديث ـ حياة البخارى ، عن مجلة المجمع العلمى ـ عدد ٢٨ ص ١١٢ / ١٩٥٣م ـ دمشق ٠ـ
(٣٦) ـ أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ـ ا ٠ ى ٠ ونستك
(٣٧) ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف " تاريخ التشريع الاسلامى " ص ٣٨ / ١٩٤٤م القاهـــرة ٠

+++++++++++++++

الباب الأول

الفصل الثانى

- التدوين فى عصر الرسول ـ
- أحاديث النهى عن الكتابة ـ
- أحاديث السماح بالكتابة ـ

" التـــدوين فى عصـــر الرسول "

ان كتابة الأحاديث النبوية ، قد ... بدأت منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأن هناك صحفا لبعض الصحابة ، كعبد الله بن عمرو (م - ٦٣ هـ) وسمرة بن جندب ، وجابر بن عبد الله - دونوا فى هذه الصحف بعض الأحاديث ....

وهناك دليل آخر على حدوث التدوين فى عهد الرسول هو : ارساله - عليه السلام - الكتب والمراسلات الى الملوك فى الأقطار المجاورة ، داعيا اياهم الى الاسلام ، مع الارشاد والنصح - والا فعليهم الجزية - وطبعا ذلك استلزم بعض القوانين التشريعية ، التى لا تخلو من توجيهات الرسول وما يتبعها من أحكام ، وسن قوانين فى حالتى السلم والحرب وأحكام أخرى - من زواج وطلاق ، وحدود وأرث وهذه الكتب منها .. ماهو مصور ومخطوط فى المراجع التاريخية [1] . وكذا اجتهاد الصحابة فى عهد الرسول ، كما حدث لعلى بن أبى طالب ، ومعاذ بن جبل فى عملية القضاء ، وهذا كله يدل دلالة قاطعة على حدوث (التدوين فى عهد الرسول) بالاضافة الى الكتابات الفردية كما ذكر .

ومن المؤكد أن التدوين بدأ بتلك المحاولات ، بتدوين بعض مايود الانسان حفظه ويخشى نسيانه ، ويحرص على الاحتفاظ به [2] .

" ولما كان القرآن كتب بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعض الصحابة اتجهوا الى تدوين الروايات المنقولة عن الرسول الكريم ، ثم تدوين الآراء المأثورة ، فيما يتعلق بتفسير القرآن وبيان الأحكام ..

ولم تكن فكرة التدوين عائمة (فى العصر النبوى) لانتشار الأمية ، ولضعف وسائل الكتابة ، لكن السنة لم تدون تدوينا رسميا ، بمعنى تدوين .. وذلك لوجود الصعوبات المذكورة .. وكذا تدوين الكلمات والأفعال والمعاملات ، يحتاج لعدد كثير من الرجال وملازمة دائمة للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذا مما

يوجب مشقة بالغة ، وأيضا اعتمادهم على الحفظ فى الصدور ، علاوة على تحرجهم من اختلاط بعض أقوال النبى الموجزة[١] بالقرآن سهوا - وهذا فيه من الخطر ما فيه ونهى الرسول عن كتابة السنة لكن لا يمنع أنه قد كتب ولا على سبيل التدوين .[٣]

والسنة لم تدون بمعنى التدوين لتحرج الصحابة عن السؤال فقد روى عن ابن عباس قال : (ما رأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب الرسول - عليه السلام - ماسألوه عن ثلاث عشرة مسألة ، حتى قبض ، كلهن فى القرآن منها " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ".[٤] " يسألونك عن المحيض "[٥] " يسألونك عن الأهلة " ... الخ فقال : ما كانوا يسألون الا عما ينفعهم[٦].

يتضح مما سبق أن الحديث لم يدون كما دون القرآن والرسول لم يعين كتبة لذلك لأن السنة واسعة كثيرة النواحى ، مشتملة على أعمال الرسول القولية ..... والفعلية من بدء الرسالة حتى وفاته ..

ولعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أدرك بثاقب فكره أن السنة لو دونت بمعنى التدوين مثل القرآن سيتسبب فيما بعد فتح باب الشك فى القرآن - وقد تحقق ظن الرسول ، فى أن بعض كتاب الغرب يقولون عن القرآن أنه كلام محمد ، فماذا كان يحدث لو دونت السنة مع القرآن ..

" أحاديث النهى عن الكتابة "

قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - " لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " .[٧] وهذا النص يفيد منع التدوين فى عصر الرسول بالمعنى المطلوب ..

وكان الاتجاه العام بين الصحابة يميل الى كراهية تدوين الحديث ، بالرغم من شعورهم بضرورة التدوين وخشيتهم على السنة من الضياع ، وتغير الروايات ..

الى أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، فاستفتى أصحاب الرسول فى ذلك :

: فأشاروا ، بأن يكتبها ، يقول البخارى : " ثم مضى عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : انى أريد أن أكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا ، فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا أشرب كتاب الله بشئ أبدا " [٨] ..

ومن الملاحظ عند كبار التابعين أيضا أنهم كانوا يكرهون فكرة التدوين ، لأنهم كانوا يخشون أن تنقل آراؤهم فتختلط بالسنة النبوية أيضا بدليل أنهم كانوا يأمرون تلاميذهم بعدم كتابة آرائهم الا أنهم بدأوا فيما بعد يتقبلون فكرة التدوين [٩] ..

" أحاديث السماح بالكتابة "

الا أن هناك نصا آخر يفيد أن " التدوين " بحد ذاته ليس ممنوعا ، وأن المنع لا يفيد العموم - فقد سمح رسول الله - صلى الله علية وسلم - لبعض الصحابة بالتدوين ، ومن ذلك ما رواه ، عبد الله بن عمرو بن العاص اذ قال : " كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله - عليه السلام - أريد حفظه ، فنهتنى قريش ، وقالوا تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله - عليه السلام - وهو بشر يتكلم فى الغضب والرضا .. فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله ، فأومأ بأصبعه الى فيه ، وقال " أكتب فوالذى نفسى بيده ماخرج منه الا حق " وهناك أحاديث أخرى تفيد التدوين ، موجود فى سنن - الدارمى - والجامع للترمذى - ومن هنا يستنتج أن النهى لم يكن مقصودا لذات النهى ، انما كان خاصا حيث يخشى منه على القرآن (ولما أصبحت الخشية غير واردة ، وصار أمر الفصل بين القرآن والسنة ممكنا وأيضا اشتهار الصحابة بكتابة القرآن ، أو كتابة السنة ، لم يعد حكم النهى قائما ، ولهذا فقد اتجهت الأنظار نحو التدوين ، الا أن هذا الأمر لم يخلو من تردد عند بعض الصحابة) [١٠] . فعن رافع بن خديج - رضى - قال : قلنا يا رسول

الله ، إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : أكتبوا ولا حرج ..

والنبى - عليه السلام - كتب كتاب الصدقات والديات ، والفرائض والسنن ، لعمرو بن حزم .. والرسول نهى عن التدوين الرسمى مثل القرآن وسمح بتدوين نصوص من السنة فى أحوال خاصة ، كما أذن لبعض الصحابة بكتابتها لأنفسهم ويؤيد ذلك ما رواه - الخطيب البغدادى - عن الضحاك ، قال : لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف .[11] وذكر بعض العلماء ، إن أحاديث السماح بالكتابة نسخت أحاديث النهى عنها ، فقالوا ان النهى عن الكتابة ، خشية اختلاط السنة بالقرآن الذى لم يجمع بعد ولم يكتمل ، وخشية الانشغال بالحديث عن القرآن وهم حديثوا عهد به .. فلما اطمأن الى عدم الخلط أذن فى كتابة الحديث[12] ..

XXXXXXXXXXX
++++++++

" تـــدوين الحـــديث "

الباب الأول

الفصل الثانى .. التدوين في عصر الرسول ـ أحاديث النهى عن الكتابة ـ أحاديث السماح بالكتابة

المـــراجع : والتعليقات .

(١) الشيخ عبد الوهاب خلاف " مصادر التشريع الاسلامى " ـ وجمهرة رسائل العرب لأحمد ذكى ـ صبح الأعشى ، للقلقشندى ـ شرح المواهب اللدنية للزرقانى .

(٢) كما حدث لعبد الله بن عمرو ، كانت له صحيفة أسمها " الصادقة "

(٣) البخارى .. " كتاب العلم " ـ وحجة الله البالغة للدهلوى ،

(٤) سورة البقرة / ٢٢٢

(٥) " " " " / / ٢١٧

(٦) حجة الله البالغة ج ١ ص ١٤٣

(٧) أخرجه مسلم ـ مختصر جا

(٨) مختصر جامع بيان العلم ـ ابن عبد البر ـ وسنن الدارمى ج ١ ص ١٣٥

(٩) ابن النديم " الفهرست " .. وموقف الرسول من التدوين ـ مجلة المنار ص ٦٦ عدد ١ / ١٩٧٦م ـ أبو ظبى .ـ

((١٠) الخطيب " كتاب العلم " ص ٤٧ ـ " وفى اعتقادى انه ليس هناك تعارض حقيقى بين أحاديث النهى ، وأحاديث الاذن بالكتابة بدليل ماذكر

(١١) وفيات الأعيان ـ لابن خلكان ، البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ .. تذكرة الحفاظ ـ للذهبى

(١٢) الخطيب البغدادى " كتاب تقييد العلم " ص ٤٧

" تـــدوين الحـــديث "

الباب الأول

الفصـــل الثـــالث :

" التـــدوين في عصـــر الصحابـــة "

لقد أوصى رسول الله ـ عليه السلام ـ أصحابه بتبليغ سنته من بعده ، يقول : " نضر الله امرأ سمع منى مقالتى فوعاها ـ فحفظها ـ ورعاها ، فأداها كما سمعها فربى مبلّغ أوعى من سامع "[١] .. وفى حديث آخر يقول : " ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب " كما أوصى الرسول ـ عليه السلام أصحابه بالتثبت فيما يقولون ويروون " كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع "[٢] . فلم يكن بد من أن يستجيبوا للأمر ويبلغوا تلك الأمانة للمسلمين ، بعد أن تفرقوا فى الأمصار ، وأصبحوا محل نظر أمام التابعين عندما كانوا يرحلون اليهم ويتتبعون أخبارهم ، مع بعد المسافة ومشقة الأسفار ، هذا كله كان عاملا فى انتشار الحديث وانتقاله الى جمهور المسلمين ، غير أن الصحابة كانوا متفاوتين فى الرواية عن الرسول قلة وكثرة[٤] .. روى البخارى فى " كتاب العلم " عن عبد الله بن الزبير أنه قال لأبيه : " انى لا أسمعك تحدث عن رسول الله ـ عليه السلام ـ كما يحدث فلان وفلان ، فقال له : أما انى لم أفارقه ولكن سمعته يقول : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " ويقول السائب بن زيد .. " صحبت سعد بن مالك ، من المدينة الى مكة ، فما سمعته يحدث عن النبى حديثا واحدا ، وكان أنس بن مالك يتبع الحديث بقوله (أو كما قال)

والصحابة فعلوا ذلك . حذرا من الوقوع فى الخطأ الغير مقصود فاحتاطوا ـ لدين الله ـ وعمر رضى الله عنه ـ لم يكثر فى الحديث عن الرسول ، حتى لا ينشغل الناس عن القرآن ، روى الشعبى عن قرظة بن كعب قال : " خرجنا نريد العراق ، فمشى عمر معنا ، الى صرار فتوضأ فغسل اثنتين ، ثم قال : " أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا : نعم ، نحن أصحاب رسول الله ـ عليه السلام ـ مشيت معنا .. فقال : انكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالحديث ، فتشغلوهم جودوا القرآن ، وأقلوا الرواية ، وامضوا وأنا شريككم ، فلما قدم قرظة ، قالو : حدثنا ، قال : " نهانا عمر بن الخطاب " [٥] ..

لكن هذا لا يمنع من أنه كان فيه من الصحابة . المكثرين من الحديث عن الرسول ـ عليه السلام ـ مثل : أبى هريرة ، فكان مثل الوعاء " الملئ " بالحديث ، ففاض به على المسلمين فاستفادوا وأفادوا من بعدهم .. وعلى كل حال فقد كان التحديث فى عهد أبى بكر وعمر ، قليلا ـ لأنهما اتبعا منهج حمل المسلمين على العناية بالقرآن أولا . [٦] ..

سئل مرة أبو هريرة : أكنت تحدث فى زمن عمر هكذا ؟ قال : لو كنت أحدث فى زمن عمر مثل ما أحدثكم لضربنى بخفقته [٧] " وهنا يتبادر للذهن أن عمر كان ضد رواية وهذا لاسند له من الصحة .. فأبو هريرة كان من أكثر المحدثين فى زمن عمر ، وكذا ابن مسعود من كبار الصحابة ، وأقدمهم اسلاما ، وله منزلة عظيمة فى نفس عمر ، يدل على ذلك حينما أرسله للعراق ، فامتن عليهم بارساله ، اذ قال لهم : " ولقد آثرتكم بعبد الله على نفسى " ـ وأكثر الأحكام تؤخذ من السنة ـ فكيف يقف عمر ضد رواية الحديث .. وهل يريد أن يكتم عمر حديث الرسول ـ عليه السلام ـ عن المسلمين ؟ .

زمن الذين عنوا بكثرة الحديث من الصحابة : ابن عباس ـ أبى هريرة ـ و..:

وعائشة ـ وجابر بن عبد الله ـ وابن مسعود .. لم يرووا عن عمر أنه تعرض لهم بشيء، بل روى عنه ذات مرة حينما أكثر أبو هريرة من الحديث : أكنت معنا حين كان النبي ـ عليه السلام ـ في مكان كذا ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله يقول : " من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " فقال له عمر : أما اذا ذكرت ذلك ، فاذهب فحدث ، فكيف يعقل أن يكون عمر وقف ضد الصحابة في رواية الحديث[٨]

والخبر الذي قيل عن أبي هريرة ، من أن عمر كان يمنعهم من رواية الحديث ويحبس الصحابة ، مثل ابن مسعود .. انه خبر ليس له أساس من الصحة ـ لأن الخبر ظاهر الكذب في نفسه ، ومختلق على حد تعبير ابن حزم : لأنه لا يخلو من أن يكون عمر اتهم الصحابة ، وهذا فيه ما فيه ... أو ألزمهم كتمان السنة وعدم تبليغها ، وهذا خروج عن الاسلام ، وهذا مالا يفعله عمر مطلقا ، ولا يعمل به مسلم كان على صلة برسول الله ـ عليه السلام ـ .[٩]

والأدلة تثبت أن الصحابة ، اهتموا بالسنة ، مثل : اهتمامهم بالقرآن وقد وجب عليهم طاعته في حياته وبعد وفاته ، وذلك بأمر القرآن (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)[١٠] (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[١١]

والأدلة التي توجب طاعة الرسول عامة ، لم تتقيد بزمن ، ولم تتقيد بالصحابة دون غيرهم ، فلقد رويت أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر ، منها ما رواه الحاكم وابن عبد البر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عن جده ، أن الرسول ـ عليه السلام ـ قال : " اني تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما .. كتاب الله ، وسنتي "[١٢] . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ صلى الصبح ، ووعظ الناس حتى بكوا ، ووجلت قلوبهم ، وظنوا أن الرسول مودع لهذه الدنيا ، فقيل يا رسول الله كأنها عظة مودع .. فأوصنا ، قال : " عليكم بالسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين

المهتدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم ومستحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة "[١٣] . لهذا عنى الصحابة بتبليغ السنة لأنها أمانة الرسول عندهم الى المسلمين من بعدهم ، وقد أوصى الرسول بذلك بقوله : رحم الله امرأ سمع مقالتى فأداها كما سمعها ، ورب مبلغ أوعى من سامع[١٤] .

والصحابى كان يقطع المسافات البعيدة ، فى رحلة ربما تستغرق شهرا ، أو أكثر ، من أجل السؤال عن حكم شرعى ، ثم يرجع من عند الرسول فور سماعه الحكم لا يلوى على شئ[١٥] ..

وأكثر الصحابة علما بالسنة هم : السابقون فى الاسلام ، كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن مسعود ، وكتاب الوحى ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم ، لذا لم يبقى شك فى أن السنة قد حظيت بالحفظ فى عهد الرسول والصحابة ولم يبق حجة لمن يقول : ان الصحابة امتنعوا عن كتابة السنة ورواية الحديث "[١٦]

" الحديث فى عصر التابعين "

بعض الصحابة امتد به العمر الى أواخر المئة الأولى للهجرة .. والتابعى من صحب الصحابى وسار معه ، ولم يرى الرسول ، وعلى هذا يكون التابعين من بعد وفاة الرسول مباشرة ، وليس كما يظن البعض .. أن عهد التابعين ، يبدأ بعد وفاة الصحابة .

والتابعين ابتدأوا فى تدوين الحديث ، قبل انتهاء المائة الأولى من الهجرة بكثير وليس بعدها ، فجمعوا الروايات فى عهد الصحابة وكتبوا ماوصل اليهم من أخبار عن الرسول والعلماء والمحدثين ، وقطعوا المشهور سيرا من أجل الحديث الواحد[١٧] .

" عمر بن عبد العزيز .. والحديث "

" عمر بن عبد العزيز .. والحديث "

ولم يكن الحديث قد دون الى عهد متأخر من عصر الأمويين ، وقد أمر عمر بن عبد العزيز ، بجمعه ثم لم يجمع الا في عهد الخليفة (المأمون) بعد أن اصبح الحديث المكذوب كالشعرة البيضا " في جلد الثور الأسود ـ [١٨] الا أن هذا يتناقض مع ما قاله ابن النديم ، في كتابه "الفهرست" وأن العرب المسلمين كانوا يدونون ويكتبون القرآن والحديث ، كلا على حده .. وكل المواقف التي اتخذها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ضد التدوين للحديث هو الحذر الشديد من كتابة الحديث بجوار القرآن .

ولعل هذا التحليل يفي بالوصول لما قاله ، ابن النديم : " بعد انفراج الأفكار واتساع الصدور، واستعادت الكلمة المكتوبة سبيلها الى الصحف وأن لم تكن وحيا منزلا في القرآن [١٩] ، يذكر لنا في عهد معاوية بعد ان استتبت الخلافة : أرسل الى(عبيد بن شريه الجرهمي) أن يقبل عليه من اليمن ليروى له الأخبار المتقدمة وما يتصل بملوك العجم والعرب ، وسبب تبلبل الألسنه وأفتراق الناس في البلاده وأمر موظفيه أن يدونوا ما يرويه " عبيد " وينسب اليه ، ويضيف ، ابن النديم ـ ان لعبيد هذا مؤلفات كثيرة منها : " كتاب الامثال " في نحو خمسين ورقة رآها هو بنفسه [٢٥] ..

وما حكاه ابن النديم عن ما فعله ، معاوية مع اليمني يدل على الأهتمام بتدوين ما في صدور الرجال ليكون مرجعا أمينا في جميع العلوم ـ والناس على دين ملوكهم يحبون تقليدهم محبة أو زلفي ـ فلما وجدوا معاوية جعل للكتابة شأنا ، قلده في ذلك العظماء " وعقدت النوادى للقراء " والمجاورة " وطلب العلم من كل طبقة وكل لون [١٣] ..

ثم أمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث بعد القرن الأول الهجرى ولم يكن

دون رسميا مثل القرآن موانما كان بواسطة مجهودات شخصية ، ومن غير المأمون أن يترك الحديث ولم يجمع في كتاب موبعد أن انتشر الإسلام في الاقطار موماتمعظم الصحابة موأمن اختلاط القرآن بالحديث موأصبحت الحاجة ماسة لجمع السنن باشراف الحكومة الاسلامية موحتى لا تضيع ولا تتعرض للدس والزيادة والنقصان ، ..

كتب عمر لكل الأمصار (انظروا حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاجمعوه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله) .. وأرسل الى العالم (ابي بكر بن محمد بن حزم – م١١٧هـ) ليجمع الحديث موأمره أن يعتني بمجموع (عمرة بنت عبدالرحمن م٩٨هـ) (والقاسم بن محمد بن ابى بكر – م١٠٧هـ) وكان نهجه " افشوا العلم واجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا" كما أمر ابن شهاب الزهرى (م١٢٤هـ) وغيره بجمع السنن ، يقول : أمرنا ابن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا .. فبعث الى كل أرض له عليها سلطان (دفترا) [٢٣] ونشطت حركة التدوين بعد عام ١٥٠هـ ومن رجالها "جريج المكي م١٥٠هـ " وابن اسحاق م١٥١هـ وسفيان الثوري م١٦١هـ ومالك بن أنس م١٧٩هـ ثم تتابع الناس وساروا على منوالهم وأما جمع الحديث إلى مثله في باب واحد .. فقام به التابعي الجليل " عامر الشعبي م١٠٣هـ " وكان معظم هذه المؤلفات يضم الحديث ، وفتاوى الصحابة والتابعين ، يرى ذلك واضحا في (موطأ مالك بن أنس) ولم ترتب الأحاديث كل في بابه ليسهل على الباحث العثور عليها .. إلا على يد (الامام محمد بن اسماعيل البخاري م٢٥٦هـ) في كتابه (الجامع الصحيح) واقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة [٢٤] وسار على نهجه (الامام مسلم بن الحجاج النيسبوري م٢٦١هـ) في صحيحه موكذا (الامام أبوداود م٢٧٥هـ) في سننه ، (وابن ماجه م ٢٧٣هـ) في سننه أيضا و(الترمذي م٢٧٩هـ) في جامعه وكذا (الامام النسائي م ٣٠٣ هـ) في سننه . [٢٥]

هذه الكتب جميعها انكب على شرحها ، واختصارها وتهذيبها كثير من العلماء حتى اليوم ..

"تدوين الحديث"

الباب الأول

الفصل الثالث :- التدوين في عصر الصحابة والتابعين ..

المراجع :- والتعليقات .

(١) جامع بيان العلم ج ١ ص ٣٩ ، وابن حبان في صحيحه، والترمذي ..
(٢) ابن عبد البر - جامع بيان العلم - ج ١ ص ٤١ ..
(٣) خرجه مسلم - ايمان ..
(٤) مصطفى السباعي - مكانة السنة في التشريع - ص ٧٥ ..
(٥) نفس المصدر ص ٧٦ .. " أنظر باقي التعليق ، في نهاية المراجع "
(٦) "" "" "" ص ٧٢ ..
(٧) جامع بيان العلم - لابن عبد البر ، ج ١ ص ١٢١
(٨) مصطفى السباعي - السنة ومكانتها في التشريع ص ٧٨ ....
(٩) ابن حزم في " الأحكام " ج ٢ ص ١٩٣ ....
(١٠) سورة النساء / ٥٩ ..
(١١) "" "" / ٨٠ ...
(١٢) جامع بيان العلم - ج ٢ ص ١٨٠
(١٣) الترمذي ، وأبي داود - الفتن - ...
(١٤) ابن حبان في صحيحه ، وأبي داود ، والترمذي ....
(١٥) السنة ومكانتها في التشريع ، والبخاري في الصحابة ...
(١٦) فؤاد سزكين - تاريخ التراث العربي - ص ٢٥٥ / ط ١ / القاهرة ١٩٧١م
(١٧) د . عجاج الخطيب - أصول الحديث - ص ١٧٠ - ١٧١ / دار الفكر الحديث
(١٨) الدار قطني ....
(١٩) أي أن التدوين وتسجيل الحديث حدث قبل خلافة . عمر بن عبد العزيز ...
(٢٠) ابن النديم في " الفهرست " و طه الوالي - الكتب والمكتبات عند العرب
مجلة المنار ، عدد ١ ص ٦٦ / ١٩٧٦م ابوظبي . ..
(٢١) أبو الفرج الأصفهاني ، في كتابه - الأغاني - ...
(٢٢) وابن شهاب أول من دون الحديث ، وهذا أول تدوين للحديث يعد رسميا في عرف علماء الحديث .. وأما تقييده وحفظه في الصحف والرقاع ، فقد مارسه الصحابة في عهد الرسول (ص) ولم ينقطع بعد وفاته ، بل بقي بجانب حفظه حتى جمع في المسانيد الكبيرة ....
(٢٣) الدراسات في الحديث النبوي " للأعظمي " في المقدمة ، وشذرات الذهب - للذهبي - ومرآت الجنان - لليافعي - ....
(٢٤) عبد العزيز آل مبارك في بحثه " المنهج العلمي في تدوين الحديث - النبوي " الناشر - مجلة البلاغ - ص ٣٢ عدد ٥٣٧ / ١٩٨٠م الكويت ..

بقية مرجع رقم (٥) وفي رأيي أن الذي منع " عمر بن الخطاب "

عن كتابة السنة ، أنه رأى الصحابة تعلموا كل شئ عن رسول الله ﷺ وبدورهم سيعلموها أولادهم وهكذا ، والصحابة رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم - فى أفعاله ، وسمعوه فى أقواله ، وأرشدهم للعبادات والمعاملات ، والصحابة كانوا قليلا ما يسألون الرسول عن شئ .. فعن ابن عباس - رضى - قال : " ما رأيت قوما خيرا من أصحاب رسول الله (ص) ماسألوه عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض .. كلهن فى القرآن ، منها : " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه " و " يسألونك عن المحيض " (البقرة) الخ . وما كانوا يسألون الا عما ينفعهم وقد التزم الصحابة - رضى - بما أوصاهم به الرسول - ص - سواء فى حياته أو بعد انتقاله ، فلم ينقل عنهم أنهم تسامحوا فى (القرآن ، أو الحديث)

ومما يروى عن ابن مسعود أنه قال : " أن عمر أخذ صحيفة كتب فيها بعض الأحاديث من أحد زائريه ، وسكب عليها الماء " ، وقال : " ان هذه القلوب أوعية ، فاشغلوها بذكر الله ، وتلاوة القرآن ولا تشغلوها بغيره .....

الحديث محتاج للمراجعة

الباب الثانى

الفصل الأول :

المشككين فى الحديث

الفصل الثانى :

شبهات المعارضين

الفصل الثالث :

١ ـ حكم الأحاديث الضعيفة والموضوعة
٢ ـ آراء من أجازوا الحديث الموضوع
٣ ـ كيف تسربت هذه الأحاديث

الفصل الرابع :

الأئمة يردون على المشككين

الفصـــل الأول

المشـــككين فى الحـــديث (+)

الحديث فى هذا العصر محتاج الى احياء ، فقد مات حفظته الفاقهون ، وما يدرس منه الآن فى الأزهر والبلاد الاسلامية .. قليل لا يثمن ولا يغنى من جوع ، وأن ما درس من علوم حول الحديث مثل .. (المصطلح) كان عبارة عن قواعد ألفت منذ مئات السنين وغير مقرونة بالأمثلة التى يدركها الطالب ويفهمها ، وتيسر له شرح هذه القواعد ، والتى تعين الدارسين والقارئين على فهم الأحاديث المرفوضة والمقبولة ..

وهذه الكتب ما زالت حتى الآن لم تنقح وتتغير أسلوبها الى أسهل ، وابعاد الألفاظ التى بطل استعمالها ، وتقريب الضمير من صاحبه ، فأحيانا بعد قراءة صفحة كاملة يوجد الضمير عائدا على أولها - بعد طول انفصال - وهنا يستغلق على الطالب الفهم ، بالاضافة الى غرابة الألفاظ ، وليس المقصود التغيير .. بل المطلوب التبسيط والتقريب .

هذه الكتب ما زالت تدرس ، فى مصر وباكستان ، والهند ، حتى بطبعتها وأسلوبها القديم ، وليس يوجد الآن علماء يسمون برجال - الحديث - ماعدا القليل - لهم خبرة بالجرح والتعديل [١] ...

وقد نشأ عن ذلك : (ان بلادا اسلامية عامة يحكمها حديث مكذوب ، كحديث " لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف " وكحديث : " خير للمرأة أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل " ان هذه الأحاديث الموضوعة .. أساس للسلوك فى بعض البيئات الاسلامية أما الأحاديث الصحاح فى نفس الموضوع ، فقد اختفت ، أو أولت [٢] .....

أحيانا يستعمل الناس الأحاديث الضعيفة لكن يجب أن يكونوا على حذر ، حتى ولو كان استعمالها فى فضائل الأعمال ، ولذلك يجب التنبيه الى درجتها حتى لا تتعدى المقصود من ايرادها ، أما الأحاديث الصحيحة : يجب أن يصحبها شرح دقيق

فان الحديث يفسر اذا أسيء فهمه أو نقل الى غير وضعه يفسر بمعنى غير صحيح[3] وليس هذا تقليل من قيمة سند الآحاد ـ معاذ الله ـ ولكن يجب أن يفعل كما فعل العلماء السابقون الراسخون فى العلم .

وكم فى السنة من كنوز رائعة تنتظر الكشف عنها ، وأن تتمشى بنظام مع دلائل القرآن القريبة والبعيدة ، وكذلك باقى الكتب التشريعية على ضوء الكتاب فان هذا يفتح المجال لفهم الأحاديث ، ومعرفة الأساس الذى يجعل أحد الأئمة يؤثر حديثا عن الآخر[4] .....

من هنا يجب أن يعرف أن العلم الصحيح ، بمواقع الأحاديث الصحيحة يعطى صورة دقيقة الملامح للاسلام وتعاليمه السامية[5] .....

الفصل الثانى

شبهات المعارضين

ومع كل هذا : يأتى بعض المعارضين ويلقى ببعض الكلمات فتلقى آذانا صاغية من ذوى النفوس ضعيفة الايمان ـ بدينها وربها ونبيها ـ وقد تكون البيئة التى عاشوا فيها ، لها أثر عليهم وعلى نفوسهم .. لا تتناسب مع الخلق الحسن ، هذه البيئة تظن أن الألفاظ الغير مستحسنة .. هى من عوامل الرجولة ، يصدق عليهم قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (سيكون أقوام من أمتى ، يتغلطون فقهاءهم بعضل المسائل ، أولئك شرار أمتى) ويقول أيضا : (اللهم انى أعوذ بك من أربع ـ من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع[7])

هذه اشارة من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كافية لأمثال هؤلاء المعارضين

" ان الأحاديث التي وردت على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعترض عليها بعض المشككين ، بقولهم : ـ أنها دونت بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمائتي سنة .. وظهرت أحاديث مزيفة ، ومزورة ، منسوبة للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا أول لها ولا آخر ، وأنه من الصعب أن يدلل على صحتها .. ... وهكذا ظهر ستون نوعا من الحديث المكذوب الى الصحيح ، والمكذوب الضعيف ، وعندما يجدون أمامهم ستون نوعا من الحديث لا يستطيعون أن يجزموا بصحة أحدهما على الآخر .. اذا مسألة الحديث يرتفع فوقها علامة استفهام كبيرة[٨] "

وهكذا وبكل بساطة .. يريدون أن يمحوا أصلا عظيما ومصدرا من مصادر التشريع الاسلامي ، وركنا أساسيا استمد منه الاسلام والمسلمون أحكامهم وأنكارهم منذ خمسة عشر قرنا من الزمان ..

ولا ينكر أنه ظهر في الاسلام منذ صدره الأول .. وضاعون في الحديث ، افتراء على الله ورسوله ، واخترعوا هذا لسبب من الأسباب ، ولكن علماء الاسلام فطنوا منذ العهود التي ابتدأ فيها تبويب الحديث ـ الى هذا الافتراء والدس .. فأخذوا يتبعون الحديث واحدا واحدا ، يدرسون رواتها ومقدار صدقهم أو غفلتهم ولا يقبلون من الأحاديث المنسوبة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا ما ثبتت صحته حسب ما وضعوا له من أصول ومصطلحات[٩] ....

ولقد أكثر العلماء من البيان للأحاديث الموضوعة ، ونفوا انتحال المبطلين ، وافتراء المفترين ، وزور المزورين ، ولقد تدارسوا الحديث دراسة متقنة ، ووضعوا علوما للتعرف عليه ، ودراسته بلغت كما قال ـ الامام النووي ـ الى ـ ٦٥ ـ علما ، كعلم مصطلح الحديث ، وتدوين الحديث ، وعلم الجرح والتعديل .... الخ "[١٠] فلا يستطيع مدع بعد هذا أن يدعي عدم تبيين الحديث الصحيح من الحديث المكذوب .. ان أية أمة من الأمم السابقة واللاحقة ، لا تستطيع أن

تقوم ببعض المجهود الذى بذله علماء الاسلام كى تصل أحاديث الرسول صحيحة كما هى فى درجة قوتها وصحتها وصدق روايتها ..

لقد أراد بعض أعداء الاسلام أن يطعنوا فى الأحاديث سواء فى العصر القديم أو الحديث ، ومن نحا نحوهم من المستشرقين ، ومن على شاكلتهم ، من الذين ينتسبون للاسلام [11] .... (ولكن كثيرا من العلماء والمختصين تصدوا لطعونهم ، وأبرزوا ما فيها من كذب وبهتان واختلاق ، وعدم اتباع للطرق العلمية فى البحث والنظر النزيهين .

ولو اتبع منطق الاستغناء عن أحاديث الرسول الصحيحة فسيكون انحراف عن الاسلام ، والتنكر للشريعة [12])

ان السنة تطاع لأنها بيان للقرآن ، فطاعة الله العمل بكتابه ، وطاعة الرسول العمل بما بين به كتاب الله - قولا أو فعلا أو حكمة - وان جميع ما حكم به النبى - صلى الله عليه وسلم - فهو مما فهمه من القرآن ، يقول عليه الصلاة والسلام " تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتى " [13]

ويقول عليه السلام - " رحم الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها ، ورب مبلغ أوعى من سامع " [14]

فهل يترك كل هذا ، ويقال : أن الأحاديث المروية عن الرسول مشكوك فى صحتها ؟ اذن فما هى الأحاديث الموثوق بصحتها .. ان كانت تلك الأحاديث الواصلة الى الأمة ، بالطرق الموثوقة مشكوك فيها ؟ فعلى هذا هذا أيضا تلغى الرسالة المحمدية . وأيضا لا يبقى دين اسلامى كامل ، ان استغنى المسلمون عن أحاديث رسولهم الأمين ، ولا تعرف الشريعة على حقيقتها [15] ..

وكان من حكمته - عليه الصلاة والسلام - وبلاغته مخاطبة الناس على قدر عقولهم بكلمات تهضمها ثقافاتهم ، ولا تحتاج لتأويل أو تفسير للا نسان العادى

وربما كان يتحدث ببعض الأحاديث التي تحتاج الى تأويل ، مثل (اذا وقع الذباب في اناء أحدكم ، فليغمسه كله ،) أو حديث (سجود الشمس كل يوم تحت العرش)

هذا ما كان يحدث في عهده - صلى الله عليه وسلم - فلا أشكال ....

وفي العصر الحاضر ، ربما يخفى المعنى لبعض الأحاديث - على بعض الناس - فليس من الصواب أن يتكلم بها العلماء ، على مسامع الناس بغير حاجة تقتضيها ، بل تتحدث بما له صلة بحياتهم ، وشئونهم الخاصة وواقعهم ..

قال الأمام النووي ، متحدثا مع تلاميذه : " وليتجنب مالا تحتمله عقولهم ومالا يفهمونه "[16] ويقول علي - رضي - " حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون " وروى البيهقي ، عن المقداد بن معدي كرب ، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : " اذا حدثتم الناس عن ربهم ، فلا تحدثوهم بما يغرب أو يشق عليهم "[17] .

قال ابن مسعود " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة "[18] وهذا مع البعد الشاسع بين طلاب الحديث في زمنهم ، وعموم الناس في هذا الزمان فمن الواجب انتقاء ما يحدث به جمهور الناس ، فليس كل ما يعرف يقال ، وليس كل ما يقال لشخص يقال لغيره .. وليس كل ما يقال في بيئة يقال في غيرها ، وليس كل ما يصلح في زمن يصلح لغيره ، بل يجب أن يراعي المسلم مقتضى الحال ...

ويكفي قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)[19] وجاء عن الامام مالك ، انه قال : (أعلم أنه لا يسلم رجل حدث بكل ما سمع ولا يصح أن يكون اماما) .. فمن الواجب على أهل العلم والذكر ، مناقشة هذه القضايا ، والمتناقضات الواردة في كلام المعارضين ، ليعي المسلمون حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعرفوا الحقائق - فالرجال يعرفون بالحق ، وليس الحق يعرف بالرجال -[20] ....

لقد شككوا في " صحيح البخاري ، ومسلم ، وابن حنبل ... الخ الصحاح الستة

وان أحدا لم يضف اليها ، أو ينقص منها شيئا ، ما الذى يؤكد هذه الكتب فى صحتها
أنه لم يكتب فيها سوى أحاديث الرسول ؟ إذن فيها أشياء لا تتفق مع أصول القرآن

وهذه بعض أحاديث احتج بها المعارضون :

١ ـ هناك تناقض بين قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عائشة ناقصة عقل ودين .. وحديث " خذوا نصف دينكم من فم عائشة " ..

ويرد عليهم : بأن هذا كلام غير مقبول ، حيث الأول ليس بحديث ، بل هو من كلام الفقهاء ، وتصحيح العبارة ـ ايمان النساء ضعيف ـ وذلك لما يحدث لهن فى الدورة الشهرية ، بما يمنعهن من الصلاة والصوم ، وبعض العبادات الأخرى ، وأنهن على النصف من الرجل ، فى الشهادة والميراث وما الى ذلك ، وأما الثانى : فهو حديث غير صحيح ، ولكن كان الفقهاء يسألون عائشة عن بعض الأمور الفقهية وغيرها فيما يخص النساء باعتبار ملازمتها للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستحيائه ب بالتصريح بما يستقبح ذكره ...

٢ ـ قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " اذا التقى المسلمان بسيفهما ، فالقاتل والمقتول فى النار [٢١] " والمعروف أن هذا حدث بين على بن أبى طالب ، ومعاوية ، وعائشة ، فكيف يكون فى النار مع أن الرسول عده من المبشرين بالجنة ؟ وهذا تناقض واضح اذ لا يمكن أن يكون فى الجنة ، والنار فى وقت واحد [٢٢] ..

٣ ـ يدعون أن السنة غير الحديث ، فيقولون : ان الحديث هو الذى نقل على أساس أنه كلام الرسول ، وأن السنة فهى طريقة الرسول ، ومواقفه التى اتخذها تجاه أمر من الأمور ...

٤ ـ قاسوا تناقض الأحاديث فى زعمهم ، على تحريف الانجيل ، فقالوا : ان مجموعة من الناس ، بعد عيسى عليه السلام ، ادعوا انهم يحفظون الانجيل فكتب كل منهم ما يحفظ ، فصار لديهم أربعة أناجيل ، كل منها غير الآخر ، ولا يعرف ما هو

الصحيح ، وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث ، كلها يدعى أصحابها أنها صحيحة ومنسوبة للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا نعرف أيها الصحيح ، وهنا يوجد احتمالين : اما أن يكون بعضها صحيح ، والبعض الآخر غير صحيح ، وهنا ترد جميعها ويكتفى بما يتفق مع أصول القرآن ولا يقال : روى البخارى ومسلم مثلا ، واما أن تكون جميعا قالها الرسول ، فبهذا يصبح كلامه متناقضا كأى واحد من الناس ...

كما أنهم أيضا هاجموا المذاهب الأربعة وأصحابها ، وقالوا انها : اجتهادات خاصة ، وهم مثلنا تماما ، بنوا أحكامهم على قوانين وضعية [٢٣]. فمن السهل جدا على الانسان المجادلة ، ومن الصعب جدا اثبات الحقيقة أيضا فالمعاند مهما قدمت له الأدلة ، فهو مكابر لا يقتنع ومن الأفضل عدم السماع لما يقول .. فخير من الاجابة السكوت.

++++++++++++++++++++++

xxxxxxxxxxxxxxxx

الحديث محتاج للمراجعة

الباب الثانى

الفصل الأول .... و .... الفصل الثانى

المراجع : والتعليقات .

(*) هذا الفصل ، هام وخطير .. فقد حاولت أن أعرض فيه بعض آراء المشككين ، والطاعنين فى الحديث ، ومذهبة ضعفاء العقيدة ولا ايمان لهم ...
(١) مصطفى السباعى " السنة ومكانتها فى التشريع الأسلامى ..
(٢) الشيخ محمد الغزالى " ركائز الايمان " ص ١٨٢ (مكتبة الأمل الكويت)
(٣) نفس المصدر ..و .. جريدة الدعوة السعودية -ع- ١٩٥ -
(٤) الشيخ الشعراوى " الدعوة السعودية - عدد - ١٩٥
(٥) وهذا الموضوع يستدرجنا للدخول فى معرفة الأشخاص الذين لهم دراية بالحديث ، فكما يقول علماء الحديث : هناك فرق بين الحفاظ والمحققين ، فالحافظ رجل يجيد الاستيعاب ، ويحفظ فى ذاكرته مخزونا ضخما من الآثار ، الا أنه ضعيف الوعى بالحقائق ولا يستطيع النقد .
أما المحقق : فرجل يقظ الحس ، ذكى يستفيد من قليل الكلام ، هذا ولقد هزم الاسلام وتعرض للطعن والتجريح ، وذلك نتيجة لغفلات الحفاظ ، وتدوينهم كل ما يعرض لهم ، والاحتفاظ به فى الصناديق فقط .. خذ مثلا : رجلا - كالسيوطى .. فهو من أكابر الحفاظ الا أنه مثل الذى يحتطب ليلا .. يجمع كل ما يعترضه ، سواء كان حقا أم باطلا ولولا أن تلميذ السيوطى غطى هذا النقص ، لكان تعرض للطعن والجرح من الكثيرين .
والمطلوب من علماء الدين أن يأخذوا الخير من أطرافه فيكون باعهم طويلا فى معرفة الآراء والمذاهب ولا يحرفوا الكلم عن مواضعه ..
(٦) أحمد بن حنبل ج٥ - ابن ماجه - فى الفتن .
(٧) أحمد بن حنبل ج ٣ / ١٩٥ .
(٨) مجلة المستقبل ، تحت عنوان " بروستانتيه " - تاريخ ١٩٧٨/٧/٢٢م باريس - فرنسا .
(٩) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى - للسباعى .
وعندما ننظر كيفية تدوين السنة ، والجرح والتعديل ، وكتب مصطلح الحديث نجدها من أصح الطرق فى البحث العلمى لتصحيح الأخبار والروايات ..
وهذا قول : - أسد رستم - أستاذ التاريخ فى " الجامعة الأمريكية - ببيروت سابقا ، فى كتابه (مصطلح التاريخ) يقول : " هذه ميزة لا توجد فى مؤلفات لعلماء من الأمم الأخرى ، حتى ولا فى كتبهم المقدسة " وشىء آخر يدل على صحة - التدوين -

" ان كتب العلماء " ذاتها ، مثل : صحيح البخاری ، ومسلم ، والفقهاء الاربعة ، وغيرهم ، من الذين كتبوا فی الحديث ، فأن تلاميذهم أخذوا عنهم هذه الكتب ، بالسند المتصل ، جيلا بعد جيل " وكتب المصطلح ، بينت الشروط المطلوبة ، في الراوی والمروی ، وكيفية سماع الحديث وضبطه ، قامت كلها على قواعد ثابتة ، فی القرون الثلاثة الأولی ، ثم بعد ذلك خصت بالترتيب والتدرج ، ومما يوضح ذلك : ما ألفه شيخ البخاری ، هو ـ علی بن المدينی ـ ثم بعد ذلك صنفت تصنيفا علميا فی مصنف واحد على يد ـ القاضی محمود الرامهرمزی ـ (٣٦٠هـ) فی كتابه (المحدث الفاصل بين الراوی والسامع) ثم من بعده بعناية أكثر ، الحاكم أبو عبدالله النيسابوری ـ م ٤٠٥ هـ ـ فی كتابه (معرفة علوم الحديث) الی أن جاء الحافظ ابن كثير ـ م٧٧٤هـ ـ فی كتابه (اختصار علوم الحديث) وطبع هذا الكتاب بعناية وعلق عليه الأستاذ ـ أحمد شاكر ـ تحت عنوان (الباعث الحثيث) ثم تتابعت المؤلفات فی هذا الشأن حتى سنة ـ ٨٠٦هـ ـ قام الحافظ " ابن حجر " ووضع كتابه (مصطلح الأثر) ثم لا يخفى علينا أيضا ، ما ألف فی طريقة (الجرح والتعديل) عن أحوال الرواة ، وطريقة أمانتهم وثقتهم وعدالتهم .. ويعلنون رأيهم دون تحرج بين الصحيح وغيره ، وذلك كله دفاعا عن ـ حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتی قيل للبخاری يوما " ان هذا اغتياب للناس ، فقال : " انما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا ، وقد قال النبی ـ بئس أخو العشيرة ـ " فلا يمكن بعد هذا أن يشكك فی حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما ذلك الا دعايات مضللة من الحاقدين على الاسلام ورسوله .

وقد قام الأستاذ ـ مصطفى السباعی ـ رحمه الله ـ بتوضيح ذلك ، فی كتابه (السنة ومكانتها فی التشريع الاسلامی) موضحا كل ذلك من ص ١٢٢ ـ حتى ١٤٢ ـ فمن أراد التأكد فليرجع اليه ...

(١٠) الامام الشوكانی " ارشاد الفحول"

(١١) نفس المصدر السابق .

(١٢) الشيخ الغزالی " هذا ديننا " ص٤٥ / مصر / ١٩٦٢م .

(١٣) الترمذی ، وأبو داود ، والنسائی .

(١٤) البخاری .

(١٥) ولقد ذكر المشككين بعض الأحاديث مثل (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميرا ") قال عنه الامام ابن حجر : أنه لايعرف له اسناد ، ولم يره فی كتب الحديث ، وان باب التعارض فی الأحاديث طرقه العلماء فی أبحاثهم ، وأعطوه حقه من الدرس والبحث ، وذكرت ذلك سابقا .

ان تحطيم السنة أو نفيها ، وبالأخص من مسلمين مسئولين ، لاينتج عنه الا الاضرار بحقائق الاسلام وابطال المصدر الثانی من شريعته ، ولا يخفى ما فی ذلك من خطر ، أقلها تشتيت كلمة المسلمين ، وافساح المجال لخصوم الاسلام ، الذين يتربصون به الدوائر ، لا نريد أن يستغل المسلم ويصبح سلاحا موجها الی صدره ، يقول سبحانه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الی الله لهم البشری فبشر عبادی الذين يستمعون

القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب (غافر/١٧
ويقول الدكتور - محمد نبهان - : " ان هذا غزو تبشيرى استشراقى صادف فراغا ثقافيا ، وتخلفا فكريا ، بالنسبة للاسلام ، ومصادره ، فتمكن ، وتطاول الجهل بعنقه ، ورأسه ليفرض على نفسه - الأحاديث المتفق عليها والمقبولة باجماع الأمة والعلماء - ليردها بجرأة ، حتى زعم بعضهم ، أن حديث (بنى الاسلام على خمس) وهو من المعلوم من السنة بالضرورة ، ويحفظه العامة والخاصة ، زعموا أنه من وضع المستعمرين ، وشبهتهم : أنه لم يذكر الجهاد ..
وقوم آخرون ردوا حديث : (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبئ اليهودى وراء الحجر ، فيقول الحجر : يامسلم ، هذا يهودى ورائى فتعال فاقتله) وزعموا أن هذا الحديث يخدر المسلمين ، لأنه يدفعهم الى الانتظار الطويل ، حتى يتكلم الحجر .. ليدل على اليهودى ..

وأرى أن لفظ الحجر ليس بلازم أن يكون بلسان المقام ، أى بمدلوله بل ربما يكون بلسان الحال ، ومعناه : أن كل ما فى الكون سيكون فى صالح المسلمين ، ولفظ الحجر ليس المقصود به الحجر بعينيه ، بل هو كل صلب ، وهذا مثل : أجهزة الرادار ومحطات الانذار التى ترصد مستخدمها عن اقتراب العدو سواء كان راكبا أو طائرا ، ولسان حالها يقول : عدوك اقترب يامسلم فارسل عليه القاذفات لقتله .. فلماذا اذن نكذب هذا الحديث لأنه يتفق وما نحن عليه الآن . وهذا يدل على عظمة الرسول وأنه ملهم (ان هو الا وحى يوحى)

وتوجد كتب كثيرة من الممكن الاستفادة بها ، فى رد كلام - المستشرقين والمبشريين ، وكشف زيفهم ، وفضح نفوسهم ، منها :

١ - السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى .. د. مصطفى السباعى .
٢ - السنة قبل التدوين .... د. عجاج الخطيب .
٣ - الأنوار الكاشفة فى الرد على أبو رية . . عبد الرحم بن يحى
٤ - الحديث والمحدثون .... د. محمد أبو زهو .
٥ - دفاع عن أبى هريرة . ... د. عجاج الخطيب .
٦ - دراسات فى الحديث النبوى - مترجم - د. مصطفى الأعظمى .

وتعقيبا على ماذكر نستشهد بحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى رواه البخارى (نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فبلغها مثل ماسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع) ..

(١٥) شرح التدريب والتقريب - للسيوطى .
(١٧) البخارى - باب العلم .
(١٨) الترمذى - ثواب القرآن .
(١٩) أبو داود - الأدب
(٢٠) أحمد جمال " الحديث النبوى فى نظر المستشرقين " عن كتاب - مفتريات على الاسلام - ص ٣٥ / دار الفكر . بيروت / ١٩٧٢م .

(٣١) البخاري - الايمان .

(٣٢) مجلة المستقبل - تحت عنوان " بروستانتية اسلامية " تاريخ ١٩٨٧/٧/٢٢ باريس فرنسا .

هكذا عالمنا الاسلامي اليوم ، مثل قواقع البحر ، التي تحملها الأمواج الى الشاطئ ثم ينحسر عنها فجأة في حركة الجزر ، فيخلف الكثير منها على الشاطئ تلفحها الشمس ويلعب بها رواد الشاطئ ، وتدوسها أقدامهم ، وقد يعجب بها البعض فيحمل منها مايشاء - بينما تظل اللآلئ الثمينة في جوف الماء مستقرة على القاع لا تصل لها حركة الأمواج ، يسعى اليها الا نسان باحثا عنها في الأعماق ، في رحلة شاقة قد تكلفه حياته ، دون ان يصيب منها حبة واحدة ..

هكذا المسلمون هذه الأيام .. نرى الفكر الأصيل والثقافة العميقة والعلم الخالص ، يغوص بعيدا في العمق يوما بعد يوم بينما تطفوا القواقع والطفيليات على الشواطئ ، وتحظى بالاهتمام ، والفكر الأصيل بجوهره النقي ، والثقافة الحرة بمعدنها الصافي ، لا تزال مهملة ، لا تجد من يقدرها ويحفظ على أصحابها أصالتهم ، ويحميهم من أن يتحولوا الى سوق الاستعراضات الهابطة .

لكن المسلم الأصيل ، الأمين ، هو الذي يعطي نتاج فكره باخلاص وعمق تفكير ، مهما كلفته الحياة من مشاق ، ويتعرض للأذى وخاصة من الحكام .. لكن هذا لا يثنيه ، عن قولة الحق ، ولو ذهبت حياته فداء لها .. لكن أحيانا نجد القائمون على العمل الفكري ، يجدون المعاناة في البحث العلمي فيتحول عن مواقعهم - لأن لقمة العيش وقسوة الحياة تطاردهم ولأن تقدير من بيدهم المنح والعطاء ، يقدرون الراقصات والمغنيين والمسارح وما الى ذلك .. فالراقصة تأخذ في دقائق معدودة ازاء بضع اهتزازات ، مايأخذه عشرات العلماء في شهور .. وفي رحلة طويلة كلها مشاق وآلام ..

فهل يمكن أن ندعي بعد ذلك ، اننا نعمل لنطوى مسافات التخلف القائمة بيننا ؟ وهل يمكن أن نساعد العلماء لكي يستطيعوا الرد على أمثال من يكتبون افتراءات - ضد الحديث والسنة - ويهاجمون الاسلام ..؟

++++++++++++++++++++++++

xxxxxxxxxxxxxx

الحديث محتاج للمراجعة

الباب الثاني

الفصل الثالث :

•• حكم الأحاديث الضعيفة والموضوعة

•• آراء من أجازوا الحديث الموضوع

•• كيف تسربت هذه الأحاديث ؟

الفصل الرابع :

•• الأئمة يردون على المشككين.

++++++++++++++++++++++++

الفصل الثالث :

حكم الأحاديث الضعيفة والموضوعة

لقد قام نخبة من العلماء ، الذين لاتأخذهم فى الحق لومة لائم .. ووضحوا وبينوا كيف يفرق بين الحديث الصحيح والضعيف ، والموضوع ..... وحذروا من رواية الحديث الموضوع ، ويجب أن ينبه اليه القارئ ليحذره ..والامام النووى يحرم روايته مع العلم به ، فى أى معنى كان !! سواء كان فى الأحكام ، أوفى القصص ، أوللترغيب والترهيب[1] وذلك لما جاء فى الحديث الصحيح : (من حدّث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)[2].

وتصدى علماء من أهل السنة لهذه الأحاديث ، عن كشف زيفها ووضحوا باطلها ، قال ابن الجوزى : (لما لم يكن لا يستطيع أحد أن يدخل فى القرآن ماليس منه ، أخذ أقوام يزيدون فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويضعون عليه مالم يقل .. فهيأ الله علماء يذبون عن النقل ، ويوضحون الصحيح ، ويفضحون القبيح وما يخلى الله منهم عصرا من العصور .. غير أن هذا الضرب قد قل فى هذا الزمان فصار أعز من عنقاء مغرب[3]) .

" رأى من قال بجواز الأخذ بالموضوع "

بعض العلماء قالوا : " أنه تجوز رواية الحديث الضعيف للضرورة ، والاستشهاد به فى فضائل الأعمال والقصص ، والترغيب والترهيب ونحو ذلك " لكن الامام النووى ينبه الى عدة أمور ..

١ ـ ان الرأى الذى يقول بالأخذ بالحديث الضعيف ، رأى غير متفق عليه ، رفض العلماء الأخذ بالضعيف فى أى مجال ، وهو أيضا مانص عليه ـ البخارى ومسلم دققوا عليه أبلغ تدقيق ، وأنكروا على من ترك الأخبار الصحيحة .. وهذا الرأى

مال اليه - القاضي ابن العربي - رأس المالكية في عصره ، و- أبو شامة - رأس الشافعية في عصره أيضا .

٢ - أنه اذا وجد في الصحيح والحسن ، ما يتضمن المعنى المراد تعليمه ، أو التذكير به ، فلامعنى للجوء الى الضعيف والواهي ، وقد أغنى الله بالجيد عن الرديء .

٣ - ان الحديث الضعيف لا يجوز أن يضاف الى النبي - صلى الله عليه وسلم - بصيغة الجزم ، قال : " واذا أردت رواية الضعيف بغير اسناد ، فلا تقل ، - قال رسول الله - بل قل - روي عنه كذا ، أو بلغنا عنه كذا ، وما أشبهه من صيغ التمريض ، ومن قال بغير ذلك فكلامه مردود [٤] .

٤ - ان العلماء لم يعملوا بالضعيف ، ولم يفتحوا له الباب ، واتبعوا قواعد منها :-

(أ) ألا يكون الحديث شديد الضعف .

(ب) أن يندرج تحت أصل شرعي معمول به ثابت في القرآن ، أو السنة الصحيحة .

(ج) ألا يعتقد عند العمل به ، أنه مروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

ومن هنا يتبين أن العلماء وقفوا ضد الأحاديث الضعيفة ، ثم يجب أن لا يترتب عليها حكم شرعي ولا تشتمل على حكم يشيبه التهويل والمبالغة ، التي يمجها العقل أو الشرع ، وقد نص أئمة الحديث أنفسهم أن الحديث الموضوع يعرف بقرائن في الراوي أو المروي .. ومنها أن يكون مخالفا للعقل ، أو الحس أو المشاهدة ، أو يكون منافيا لدلالة الكتاب أو السنة المتواترة ، ومنها الافراط في الوعيد الشديد على الأمر الصغير [٥] .."

" أمثلة للأحاديث الضعيفة والدخيلة "

١ - " لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا .. "

قال السخاوى ، فى المقاصد الحسنة : « لا أصل له فى المرفوع .. والصحيح أنه مأثور من بعض السلف . »

٢ ـ « ان الميت يرى النار فى بيته سبعة أيام »

قال البيهقى ، فى مناقب الامام أحمد « سأل عنه أحمد فقال : باطل لا أصل له وهو بدعة وموضوع .

٣ ـ المسافر شهيد » .

قال السيوطى .. لا يصح ، وقال ابن عدى من رواته ـ عبد الله بن محمد بن المغيرة وهو كذاب ، والحديث موضوع »

٤ ـ « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن من الفضل ما نالهن أحد الا بقرعة : الصف المقدم ، والآذان ، وخدمة القوم فى السفر »

قال ابن عدى : ـ من رواته ـ اسحاق بن نجيح وهو كذاب ، والحديث موضوع ، ورواه السيوطى فى اللآلئ المصنوعة .

٥ ـ « نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ضرب البهائم ، وقال « اذا ضربت فلا تأكلوها . »

موضوع .. هذا ، وقال ابن عدى لا يصح .. لأن من رواته ـ ابراهيم بن يزيد ـ وهو متروك الحديث .

٦ ـ « من اتخذ مغفرا ، ليجاهد به فى سبيل الله غفر الله له ، ومن بيضه بيض الله وجهه يوم القيامة ، ومن اتخذ درعا كانت له سترا من النار يوم القيامة هذا الحديث موضوع ، قال الخطيب : انه منكر جدا ، وقال الحافظ عبد الغنى ، من رواته ـ قوم ملطيون ـ وهم غير ثقة .

٧ ـ « ويل ، وادى فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا ، قبل أن يبلغ قعره » واللغة تدل على أن « ويل » كلمة وعيد بالهلاك ، معروفة قبل الاسلام وبعده ..

٨- ومثل ذلك ما جاء عن - الطبرانى - والبيهقى ، وابن مسعود فى تفسيره كلمة " الغى " فى قوله تعالى " فسوف يلقون غيا "[٧] قال : واد فى جهنم ، وفى رواية " نهر فى جهنم " ..

٩- وروى البيهقى ، عن أنس بن مالك فى قوله تعالى " وجعلنا بينهم موبقا "[٨] قال : " واد من قيح وصديد ودم " ....

١٠ - وكذا كلمة " أثاما " قيل : "أيضا واد فى جهنم فيه حيات وعقارب .. الخ فى قوله تعالى " ومن يفعل ذلك يلق أثاما "[٩] .

١١ - ومثال ذلك للأحاديث الضعيفة أيضا التى وردت فى شأن - عبد الرحمن بن عوف - " انه يدخل الجنة حبوا بسبب غناه " وقد يقال : ان مثل هذه الأحاديث تندرج تحت أصل التحذير من فتنة المال وطغيان الغنى[١٠] ..

كيف تسربت هذه الأحاديث ..؟[١١]

الفصل الرابع

الأئمة يردون على المشككين فى الحديث[١٢]

من المعلوم عند المسلمين ، فى كل الأزمنة .. أن من أنكر حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - قولا كان أو فعلا ، وكان الانكار نابعا عن جحود متعمد فقد كفر .. وحشر مع المنكرين[١٣] ..

روى الامام الشافعى - رضى - يوما حديثا وقال انه صحيح ، فقال له قائل : أتقول به يا عبد الله ؟ . فاضطرب وقال : يا هذا .. أرأيتنى نصرانيا .. أرأيتنى

خارجا من كنيسة ... أو أو .. ألخ .. ـ أروى حديثا عن رسول الله ـ عليه السلام ولا أقول به ... [١٤]

" قد وضع الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من دينه وفرضه ، وكتابه الموضع الذى أبان جل ثناؤه .. أنه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته ، وحرم من معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن بين الايمان والعمل بما أمر به الرسول ، فقال : تبارك وتعالى (فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم)[١٥] وقال سبحانه (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)[١٦] وقوله سبحانه (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول)[١٧] . فلولا ثبوت الحجة بالسنة ، لما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته بعد تعليم من شهده .. أمر دينهم ـ ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع ـ[١٨] وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نضر الله امرءا سمع حديثا فأداه كما سمعه ـ[١٩] . " فلما ندب رسول الله الى استماع حديثه ومقالته ، وحفظها وآدائها ، دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه الا ما تقوم الحجة به ، على من أدى اليه ، لأنه انما يؤدى عنه حلال يؤتى ، وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة فى دين ودنيا)[٢٠] .

ويقول ـ عليه السلام ـ لا ألفين أحدكم متكئا على اريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أم نهيت عنه ، يقول : لا أدرى .. ما وجدنا فى كتاب الله اتبعنا[٢١]

وروى أيضا حديث ـ المقدم ابن معدى كرب ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ " حرم أشياء " يوم خيبر .. منها : الحمار الوحشى " الأهلى " وغيره ، ثم قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثى فيقول ـ بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه ، ألا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) وزاد ـ

البيهقى (ألا وانى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه) ثم أكمل الحديث ..

وقال البيهقى ، عن أبى هريرة - رضى - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " انى خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا .. كتاب الله ، وسنتى عضوا عليها بالنواجذ ، ولن يفترقا حتى يردا الحوض .. "[٢٢] وكأن الرسول - عليه السلام - يشعر بما سيحدث من بعده للأمة ، وماسيصيبها من تمزق ، وقيام البعض بالتشكيك فى سنته ، فيقول : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبد حبشى ، كأن رأسه زبيبة ، فأنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم ومحدثات الأمور ، فأن كل محدثة ضلالة .. وكل ضلالة فى النار "[٢٣]

ويقول الأمام الشافعى - رضى - : (وسنة رسول الله - عليه السلام - من .. ثلاثة أوجه : -

١ - ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فسن الرسول بمثل النص ..

٢ - ما أنزل الله فيه جملة كتاب ، فبين عن الله معنى ما أراد بالجملة ، وأوضح كيف فرضها ، عاما أو خاصا ، وما الواجب على المسلمين أن يفعلوه ..

٣ - ما سن الرسول - عليه السلام - مما ليس فيه نص كتاب ، فمنهم من قال : جعله الله له بما افترض من طاعته ، وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه ، أن يسن فيما ليس فيه نص من كتاب ، ومنهم من قال : لم يسن سنة قط الا ولها أصل فى الكتاب كما كانت سنته مثل : تبيين عدد الصلاة وكيفيتها ، والحدود والبيوع ، وغيرها من الشرائع . ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله كما بين فى الصلاة ومنهم من قال : ألقى فى روعه كل ما سن وسنته الحكمة التى ألقيت فى روعه عن الله ، يقول سبحانه : (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى)[٢٤]

وأخرج البيهقي بسنده عن حسان بن عطية ، قال : " كان جبريل ينزل بالسنة على الرسول ، كما كان ينزل بالقرآن ، يعلمه اياها كما يعلمه القرآن "[٢٥] .

ويجب أن يكون معلوما لدى المسلمين جميعا ، أن القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن ، فالسنة شارحة للقرآن ، وليس العكس ، وهما للبيان معا[٢٦] يقول سبحانه (بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)[٢٧] . والقرآن فيه كنوز بسبب الايجاز ، كنوز تحتاج الى من يبين خفاياها فيبرزها ، وتلك وظيفة السنة .. روى عن عبد الله بن المبارك ، أنه قال : " سمعت أبا حنيفة يقول - اذا جاء عن النبي - عليه الصلاة والسلام - شيء فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن الصحابة شيء نختار من قولهم[٢٨] " . فهكذا كل المسلمين في كل العصور ، يحترمون سنة النبي ، احترامهم للقرآن ، ومن الأدلة على مكانة السنة في الاسلام ، ما رواه أبو مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يؤم القوم أقرؤهم للقرآن ، فان كانوا سواسية ، فأعلمهم بالسنة ، فان كانوا سواسية فأقدمهم هجرة)[٢٩] . ومن المعلوم ما فعله عمر بن الخطاب - رضي - مع شريح ، وكان قاضيا في بعض الولايات (اذا حضرك أمر لا بد منه ، فانظر في كتاب الله فاقض به ، فان لم يكن ، فبما قضى به الرسول فان لم يكن ، فبما قضى به الصالحون وأئمة العدل ، فان لم يكن ، فاجتهد رأيك[٣٠] اذن فاتباع السنة قوام للدين ، حيث يقول ابن سيرين : " مادموا على الأثر فهم على الطريق ، والأثر هو ما ورد عن النبي " وسفيان الثوري يقول : " انما العلم كله ، العلم بما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " وجاء رجل الى الامام مالك ، فسأله عن مسألة ، فقال له : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فقال الرجل : أرأيت ؟ فقال مالك " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم "[٣١] . وقال بن يزيد (حرمة أحاديث رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - كحرمة كتاب الله ، وكذا فى معرفة حقها ولعظيم حرمتها " . والشافعى يقول " كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - " والامام مالك اذا أراد أن يحدث .. توضأ وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة ، وحدث ... فقيل له فى ذلك ، فقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أحدث الا عن طهارة ، وكان يكره أن يحدث فى الطريق العام[٣٢] أو ، هو قائم أو متعجل ، وقال : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن الرسول ...."

++++++++++++++++++++++++++++++
%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%%

" الحـــديث محتاج للمـــراجعة "

البـــاب الثـــانى

الفصـــل الثالث ...... و ...... الـــرابع

المـــراجع :- والتعليقات .

(١) فتاوى الامام النووى - شرح التقريب -
(٢) رواه مسلم
(٣) ابن الجوزى (م ٥٩٧هـ). وماذا كان يقول - ابن الجوزى - لو عاش حتى اليوم وشاهد هذا الزمان وما يحدث فيه ، وعلى أية حال ، لا ريب أن الأحاديث الواهية والموضوعة ، قد كثرت صفا " الثقافة الاسلامية ، ودخلت كثيرا من فروعها ، وتسللت الى كثيرا من الكتب ، فى مختلف الفنون : من تفسير ، وحديث ، وتصوف وفقه ، وكتب الأحكام ، ومن هنا كانت ثغرة اتسعت حتى صارت بابا لتدخل منه آفة التشكيك والتكذيب للحديث ، وأخذ يتسلق بهـــا بعض الزنادقة ، واستغلها أعداء الاسلام للاستشهاد بها ضده . وهذه الأحاديث فعلا - وهى ليست أحاديث - فيها من الغرائب ، والمبالغات ، مالا تقره العقول السليمة .
(٤) النووى فى شرح التقريب
(٥) من البخارى ومسلم ، والتقريب - للنووى - فى كيفية طرق الحديث - الوعى الاسلامى عدد - ١٦٧ / ١٩٧٨م .
(٦) خرجه - أحمد والترمذى ، بنحوه الا أنه قال (سبعين خريفا)
(٧) سورة مريم / آية / ٥٩
(٨) سورة الكهف آية ٥٢
(٩) سورة الفرقان ... آية ٦٨
(١٠) ومن الغريب أن الذى ذكر هذه الأحاديث عالم اسمه - المنذرى .. فـــى كتابه " الترغيب والترهيب " ولم يعلم أنه بصنيعه هذا ، سيجر عـــلى المسلمين والاسلام الويلات والدمار متمثلة فى هذه الأحاديث .... ولـــكن يجب أن نذكر أنها تعارض أحاديث كثيرة صحيحة ، فعبد الرحمن بن عوف من العشرة المبشرين بالجنة ، وأنه كان من خيار الصحابة وكبار المتقين ، وأنه يمثل الغنى الشاكر حقا ، ورضى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما نقرأ ذلك فى كتب السيرة لابن هشام " وعمر جعله من الستة أصحاب الشورى ، وماله من أصل حلال صالح ، فكيف تنقص درجاته فى الآخرة ، أو تقصر به دون غيره من أغنيا " هذه الأمة ؟ كما يقول : خالد محمد خالد - فى كتابه " رجال حول الرسول " .. وانا كان عبد الرحمن سيدخل الجنـــة حبوا ، بهذه الصفة .. فمعنى هذا أن (المنذرى - رحمه الله) سيدخل

وجوهنا أبواب الجنة ، بل ريحها .. لأننا مهما بلغنا من تقوى وصلاح فلن نساوي ما وصل اليه عبد الرحمن بن عوف ، اذن فعلينا السلام ، ولن ندخلها أبدا ..

وبهذا القدر أكتفي ولعلي أكون قد أوضحت بعض النقاط ، التي اعتبرها الحاقدون حجة لهم ، ولعلهم يتوبوا الى رشدهم .. " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " الصف ..

(١١) بعض الكتب لا تعنى بانتقاء الأحاديث التي توردها ، ولا ترجعها الى من خرجها من أصحاب الكتب الحديثة ، ويعتمدون على تلك الكتب .. فنرى الأكثرية يقرأون كتب التصوف ، مثل : ـ احياء علوم الدين ، الغزالي وكتب الوعظ والتفسير ونحوها ، ظانين أن هذا يغنيهم من البحث في درجاتها ، والاطمئنان اليها .. وكتب الوعظ هذه يجب أن لا يعتمد عليها في نقل الأحاديث ، لأنها تجمع الغث والثمين ، والجديد والقديم ، ولا تدقق فيما تروى ، وانما كل همها الترهيب والتحذير ، والقصص والأخبار بدعوى انها لا تتعلق بحكم شرعي كما يلاحظ ذلك في كتاب الترغيب ـ ـ للمنذري ـ حتى حفاظ الحديث ، الناقدون : اذا ألفوا في الوعظ وما يتعلق به ، تساهلوا الى حد التفريط فيما يروونه .
وهذا ليس بخاف على أحد حيث نسمعه كل يوم جمعة وكتاب مثل (نزهة المجالس ومنتخب النفائس ـ للصافوري) فانك ترى فيه العجب .. وهكذا نجد ابن الجوزي ، صاحب (الموضوعات) و (العلل المتناهية) وغيرها ، يرخي لنفسه العنان ، في كتابه (ذم الهوى) وغلبت فيه عاطفة الواعظ على عقلية الناقد الحافظ ..

(١٢) في هذا الفصل ، يقوم أئمة المسلمون بالرد على المشككين ، والدافع جعلني أطيل في هذا الفصل بالذات .. لأنه من الأشياء الهامة ولاغنى عنها في هذا البحث ..

(١٣) أن منكر الحديث كافر ، هذا ما أجمع عليه المسلمون .

(١٤) عن كتاب (الرسالة) للشافعي .

(١٥) سورة النساء ـ ١٧١ .

(١٦) سورة النور ـ ٦٣ .

(١٧) سورة النساء ـ ٥٩ .

(١٨) البخاري ومسلم .

(١٩) البيهقي (المدخل) وأيضا قاله في السنن .

(٢٠) د . عبد الكريم زيدان ـ السنة مصدر في التشريع ـ عن مجلة " المجتمع " ٤٠٧ ـ ١٩٧٨م

(٢١) البيهقي (في المدخل والسنن) وخرجه الترمذي ـ باب العلم ، وابن ماجه ـ المقدمة ، وأبو داود ـ السنن

(٢٢) الترمذي ـ المناقب .

(٢٣) خرجه أبو داود ـ السنن ج ٥
(٢٤) سورة النجم ـ ٦
(٢٥) خرجه الدارمي ـ المقدمة .
(٢٦) محمد على الفرا (الاجتهاد والصحابة) مجلة العربى . عدد ١٨٦ / سنة ١٩٧٤م . الكويت .
(٢٧) سورة النحل ـ ٤٤
(٢٨) الوعى الاسلامى عدد ١٣٠ سنة ١٩٧٥م ـ الكويت .
(٢٩) خرجه مسلم والبخارى .
(٣٠) مجلة ـ البلاغ ـ عدد ٣٨٠ سنة ١٩٧٦م . الكويت . والعقاد ـ عبقرية عمر ـ
(٣١) سورة النور ٦٣ / آ
(٣٢) حجة الله البالغة ـ شاه ولى الله الدهلوى ـ ص ١٢٨ ج ١

وكفانا ماعلمنا ، من عظمة السنة ، وتلك المقتطفات المروية عن الأئمة ، والذين قدروا السنة الشريفة حق قدرها ، فى كل الأزمنة والعصور .. تقديرا فاق الوصف والتصور ، احتراما وتعظيما لصاحب أشرف رسالة وأفضل دين .. دين الاسلام الذى شرعه الله لعباده ، والذى فيه سعادة البشرية ، وعزتها وتقدمها ـ فهل من مدكر ـ ..

+++++++++++++++++++++++++++
xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx
xxxxxxxxxx

" الحديث محتاج للمراجعة "

الباب الثانى

الفصل الخامس :

" تحريف الأحاديث "

المسلمون عليهم واجب كبير وشاق ، وعليهم أن لا يتكلوا على غيرهم ، ومهمتهم أن يحذروا من سوء الفهم للأحاديث الصحيحة الحسنة ، التى وردت بها - كتب السنة وتلقاها العلماء بالقبول .. فحرفها بعض الناس عن مواضعها ، وتأولوها على غير وجهها ، وبعدوا عما أراد الله ورسوله ، كما تفعل بعض الفرق لتؤيد مذهبها ، وتثبت أفكارها ، صنعوا ذلك مع السنة .. حتى القرآن لم يسلم من عبثهم[1] ..وكثيرا ما تتورط الفرق فى مثل هذا الأمر ، ونادرا ما تسلم من الخطأ وما وقع فيه القدماء سقط فى مثله المحدثون ، فبعض الناس يتخذ من الحديث الصحيح ، الذى رواه - مسلم فى قضية ، تأبير النخل .. عندما قال عليه السلام - : (أنتم أعلم بشئون دنياكم انما ظننت ظنا ، ولا تؤاخذونى بالظن ، ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فانى لم أكذب على الله) ، فانهم قد استندوا بهذا الحديث ، لعزل " التشريع الاسلامى" عن الأمور الدنيوية بجميع مجالاتها - من اقتصاد وسياسة ونحوها - بزعم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوض تنظيم أمور الدنيا وشئون الحياة للناس بهذا الحديث ..[٢] والحديث انما يقصد ، بأمور الدنيا ، الشئون الفنية المتعلقة بالوسائل والكيفيات ، مثل : شئون الزراعة ، والصناعة ونحوها ، مما ترك لعقول الناس واجتهاداتهم ، ولو كان الأمر كما يقال ، وهو فصل التشريع عن الأمور الدنيوية ، لما أنزل الله أطول آية فى القرآن لتنظيم شأن دنيوى ، وهو كتابة

الدَين .. يقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدَين الى أجل مسمى فاكتبوه .. الآية) [٤].

ومن تلك الأحاديث التى وردت فيما سماه العلماء - الفتن - ، وفساد آخر الزمان ، وأن الشر عم والفساد قد طم ، وأن الأمور تسير من سىء الى أسوأ ، والعلماء نفضوا أيديهم من كل محاولة للعلاج ، ورسخ فى أذهان العامة وبعض الخاصة .. أن الدعوة للعمل فرض كفاية ، اذا فعله البعض سقط الحرج عن الباقين [٥] واستندوا الى أحاديث ضعيفة كما ذكر فى بابه ...

ثم أنهم حرفوا حديثاً صحيحاً مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - (بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ..) والحديث هذا بمثابة اعمال الضوء الأحمر علامة الخطر - وحتى يتفادى السائرون الوقوع فى الحفر ، ولم يرد الحديث أن يغلق باب الاجتهاد والأمل ، وكلمة " غرباً " هم طائفة قائمون على الحق يؤدون دورهم ، فى أماكن غريبة عنهم ولم تثنهم غربتهم عن الدعوة والجهاد ، وان كان من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم .. فالمقصود اذن بمثل هذا الحديث هو التنويه بالغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس [٦].

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا [٧]

يؤيد ما ذكر ، قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم ، كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، قالوا : أمن قلة يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت ..) [٨].

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أخبر وكأنه حاضر هذه الأيام ، وقد تحقق كل ما فى الحديث ، من مؤامرات ومكايدات دولية ، تحاك ضد المسلمين والاسلام ،

وتحاول أن تجعلهم غرباء فى أوطانهم ، ويستغلون خيراتهم وثرواتهم ، وبلاد البترول حالها ليس خاف على أحد ، فكأن الله كشف الحجاب للرسول فأخبر عنها وكأنه يراها . فيجب أن لا يستسلم المسلمون لليأس ويعملوا على كل ما يغير القلوب للطريق القويم ، يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رافعا من عزيمة المسلمين : (ان الله زوى لى الأرض ـ أى جمعها وضمها ـ فرأيت مشارقها ومغاربها ، وأن أمتى ، سيبلغ ملكها ما زوى لى منها [٩] .. ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها [١٠] .. وحديث آخر (مثل أمتى مثل المطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره) [١١] . ويقول : (لا تزال طائفة من أمتى ، قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله ، وهم ظاهرون للناس) [١٢] . ويقول : (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، فيختبأ اليهودى وراء الحجر ، فيقول الحجر ، يا عبد الله أو يا مسلم ، هذا يهودى ورائى فاقتله) [١٣] .

الباب الثانى

الفصل الخامس :-

"تحريف الأحاديث"

المراجع : والتعليقات .

(١) كتاب - الرسالة - للامام الشافعى .
(٢) الترمذى ، والدارمى - الرقاق - .
(٣) هذا الحديث رواه - الدارمى - فى الرقاق ، ويبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيه ، أن هناك أمورا دنيوية ، سندها التجربة والتعود دون العادة وبحسب الاتفاق دون القصد ، يوضحها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوله : (انما أنا بشر اذا أمرتكم بشئ من دينكم ، فخذوا به ، واذا أمرتكم بشئ من رأيى فانما أنا بشر) .
(٤) سورة البقرة / ٢٨٢ . و- الفصول فى الأصول - لأبى بكر الجصاص (م ٣٧٠)
(٥) الشيخ عبد العزيز بن باز - رئيس ادارة البحوث والحديث - مجلة الدعوة عدد ٤٩٣ / ١٩٧٦م .
(٦) أخرجه مسلم والترمذى - كتاب الايمان - ومعنى " غريبا " : أى غير مأنوس للناس فى ذاك الوقت ، بما أتى لهم من أشياء غريبة عنهم ، فى قوانينه وأحكامه وشرائعه ، و " سيعود غريبا " أى : سينصرف الناس عنه ولا يتبعون أحكامه ، وعلى هذا يكون اللفظ سليما والحديث صحيح ولا شك فيه ... الا أن بعضهم قال : (ان الاسلام لم يكن غريبا فى يوم من الأيام ، ومن يقل بغربته ، يريد أن يضعف من عزيمة المسلمين ويفرق شملهم . وبهذا يكون الحديث مثبطا للهمة ، والقعود عن واجب الدعوة فهل يصدق أن الرسول ، قال هذا ليهد من عزائم الناس؟ .. ان الاسلام ملة أبانا ابراهيم ، ملة جميع الرسل ، فكيف بدأ غريبا ، وكيف يعود غريبا . وهذا قول المحرفين ، والحديث ثابت الرواية .
(٧) من كلام الامام الشافعى - الفقيه الأديب - تعليق أحمد العربى . جدة
(٨) خرجه أبو داود - عن ثوبان - وأيضا فى كتاب - مشكاة المصابيح ج ١
(٩) (٩) أحمد بن حنبل والترمذى ومسلم .
(١٠) أبو داود ، والحاكم وصححه البيهقى .
(١١) الترمذى - الأدب -
(١٢) البخارى - الاعتصام ج ١

(١٢) البخاري - الجهاد ..
ويتعلل بعض المشككين ببعض الأحاديث التى كانت لها مناسبة خاصة ، وقد أشرت لها قبل ذلك ..
ونأتى الآن لقول المشككين المعاصرين فى القرآن نفسه .. وأنه لم يعلم منهم .. يقول أشخاص منهم وهم على مستوى المسئولية - لا داعى لذكر أسمائهم قالوا : " ان فى القرآن تناقضا لم يقبله العقل ، بين قوله تعالى (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا - التوبة / ٥١) وبين قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - الرعد / ١١)
والرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - كان انسانا بسيطا ، يسافر كثيرا عبر الصحراء العربية ، ويستمع الى الخرافات البسيطة ، السائدة فى ذلك الوقت ، وقد نقل تلك الخرافات الى القرآن .. مثال ذلك : عصا موسى ، وهذا شىء لا يقبله العقل .. وكذا قصة أهل الكهف..
ان المسلمين وصلوا الى تأليه محمد ، فهم دائما يكررون محمد - صلى الله عليه وسلم - الله يصلى على محمد - وهكذا .
وقد تصدى للرد على أمثال هؤلاء بعض العلماء ، واعتبروهم من الملحدين الكافرين ، ان لم يسارعوا بالتوبة .
ثم أنهم أيضا استنكروا على القرآن ، جعل المرأة نصف الرجل فى الميراث فقالوا .. هل يكون من المنطق فى شىء أن ترث الشقيقة نصف ما يرثه شقيقها؟
وطالبوا من الحكام بوصفهم أمراء المؤمنين .. أن يطوروا هذه الأحكام ، بحسب تطور نمط الحياة . والرد عليهم من جوانب كثيرة لكن نقتصر على جانب واحد رد عليهم فيه رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت عنوان حكم الاسلام - ان الأحكام الشرعية التى نص عليها القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة أنه لا مجال للاجتهاد فيها ، وانما الاجتهاد يكون فى المسائل الفرعية التى لا نص فيها ، والمواريث شرعها الله وفصلها ، وهو العالم بأحوال عباده . يقول سبحانه (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ..الآيات - المائدة / ٤٨)
ويقول سبحانه وتعالى (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) قال المفسرون معناها : أنه متقن الألفاظ والمعانى ، مشتمل على الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة والشرائع المستقيمة .
وذكر العلماء أنه من طعن فى القرآن لا يخلوا ما قاله ، اما أن يكون - جدا أو هزلا - وعلى أى حال فهو كافر ، فان الهزل بالكفر كفر ، لا خلاف فيه بين الأئمة ، هكذا قال عبد الله القرطبى فى تفسيره - الجامع لأحكام القرآن -
وقال القاضى - عياض - أيضا فى كتابه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ص٣٢٥ اعلم وفقنا الله واياك ، أن جميع من سب النبى - صلى الله عليه وسلم -

أو عابه ، أو ألحق به نقصا فى نفسه ، أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشئ عن طريق السبله ، أو الازراء عليه فهو ساب له والحكم فيه أنه يقتل ، وكذا من لعنه أودعا عليه ، أو غير ذلك مما يجرى بين عامة الناس وقت البلاء والمحنة ، وهذا كله باجماع علماء الأمة من عهد الصحابة حتى الآن . وباقى الأحكام موجودة فى كتب الفقهاء ، منهم : ابن تيمية ، فى كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) وكذا القاضى عياض ، والمنذر ، والشافعى وغيرهم .

ثم أنه لا يعد من التحريف .. تحريف الألفاظ ، واختلافها ، لأن الصحابة عامة وكذا الرواة ، كانوا يحكون أفعال الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأسلوبهم ، ونحن نعلم أن الأفعال لا تحكى ، بل ترى ، والحكاية بالمعنى لا حرج فيها ، ..

وأحيانا يحدث اختلافا فى الألفاظ ، دون المعنى ، ولهذا أهمية كبيرة يقول الشيخ محمد أبو زهو : (ان بعض الناس ، قد لا يفهم هذا اللفظ فيأتى لفظ آخر شارحا وموضحا لما استغلق فهمه من هذا اللفظ .

وحتى يحدث فيه فرق بين ألفاظ الحديث ، وألفاظ القرآن ، لأن الحديث يجوز فيه الحكاية بالمعنى ، بخلاف القرآن ..) هكذا ذكره فى - الحديث والمحدثون ، ...

والذين يشككون فى الحديث .. استنادا لاختلاف الألفاظ على ألسنة الرواة ، يجب أن يعرفوا هذه الحقيقة ، أن هذا لا يدل على ضعف الحديث والحديث ليس قرآنا حتى نتمسك بحرفيته ، بل أتى شارحا ، وموضحا للقرآن وللأحكام التى استغلق فهمها على أمثال هؤلاء المشككين ، ..

كما أوضحنا ... لعلهم يفهمون ......

الحديث .. وأثره على العلوم الأسلامية

الباب الثالث

الفصل الأول : ـ

١ ـ الحديث وأثره على التفسير ..

٢ ـ السنة المصدر الثانى للتشريع ..

٣ ـ جبريل .. ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ..

٤ ـ السنة مبينة للقرآن .. ولا دخل للرأى فى تفسيره ..

٥ ـ السنة والمتشابه من القرآن ..

الحديث وأثره على التفسير

السنة النبوية .. تعتبر المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم ، التى تشرح كتاب المولى سبحانه ، وتوضح قوانينه الأساسية ، وتوضح جوانب خاصة من المبادئ العامة للقرآن الكريم .

واذا أطلقت كلمة السنة ، فانما يراد منها الطريقة والسيرة ، سواء كانت هذه الطريقة حسنة أو سيئة [١] .. يدل على ذلك قوله - عليه السلام -: (من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدى ، كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لايرضاها الله ورسوله ، كان عليه من الوزر وآثام من عمل بها ، لاينقص من أوزار الناس شيئا) [٢] ..

وتطلق السنة على : الطبيعة ، وعلى : حكم المولى سبحانه ، ومنه قوله جل شأنه " سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " [٣]

وقيل ان السنة اذا أطلقت ، انصرفت الى الطريقة الحسنة ....

وعرفها المحدثين : بأنها كل ما أثر عن النبى من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو سيرة أو خلق وشمائل ، أو صفات خلقية ، دون نظر الى ما قد يثبت به حكم شرعى أو لا .. ويستوى ذلك فيهما قبل البعثة أو بعدها - [٤]

وأما أفعال الصحابة - رضى - مما لم يوجد فى كتاب ولافى سنة ، فقد أطلق عليها العلماء اسم - السنة - لكونها أما اتباعا لما ثبت عندهم ، ولم ينقل الينا وإما صدر منهم على جهة الأجتهاد ، وعلى هذا فجميع المصالح المرسلة والأستحسان تدخل فى مدلول السنة .. وأذن فيصح اطلاق السنة على سنة الخلفاء الراشدين بالمعنى الأولى للكلمة [٥] .. والدليل على هذا قوله - عليه السلام - (عليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ

واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار)[6] وقيل ان السنة فى هذا الحديث ، تعنى المدلول اللغوى ، أى : الطريقة ، وقد اتفق معظم المسلمين على القول بحجية السنة ، ومن هنا يعلم أن كل المحاولات التى يبذلها العلماء للتوفيق بين السنة وما يصاحبها من أفعال الصحابة ، ومن بعدهم من المسلمين وتفسيرها ، وما يتفق والمصالح الضرورية ، التى تنفع وتخفف عنهم كل هذه المحاولات صحيحة فى رأى علماء الأصول[7] .. وهناك ثلاث طرق ، لتوجيهات السنة الشريفة : ـ .

١ ـ التوجيهات الشفوية : وهى أحاديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، التى قالها فى مختلف الأغراض والمناسبات ، .

٢ ـ أفعاله وسلوكه الشخصى : كأدائه الصلوات الخمس بهيآتها ، وأركانها وآدائه مناسك الحج ، وكل ماروى فى آداء العبادات أو غيرها .

٣ ـ سكوته على أفعال غيره : الذى هى بمثابة اقرار ضمنى بالموافقة ، مثال ذلك : ماروى أن صحابين خرجا فى سفر فحضرتهما الصلاة ، ولم يجدا ماء فتيمما وصليا ، ثم وجدا الماء فى الوقت .. فأعاد أحدهما ، ولم يعد الآخر فلما قصا أمرهما على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقر كل منهما على مافعل ، فقال للذى لم يعد (أصبت السنة ، وأجزأتك صلاتك ..) وقال .. للذى أعاد (لك الأجر مرتين[8] .)

هذه الطرق الثلاثة ، للسنة النبوية ، والتى تعد من الأسس والقوانين ، هى ما تحدد وتبين أثر السنة على التفسير والتشريع الاسلامى .[9]

++++++++++++++++

::::::::

* السنة المصدر الثانى للتشريع *

والمعلوم أن السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الاسلامى ، ولا يوجد فى السنة الصحيحة مايتعارض مع القرآن الكريم ، من معتقدات أو أوامر [١٠]

وهذه الطرق الثلاثة التى مرت هى فى الحقيقة مستخلصة من كتاب الله عز وجل ، فالقرآن الكريم يأمرنا بطاعة الله ، والرسول ، وتنفيذ أوامره . يقول سبحانه : (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا [١١]) .

وهذه الشروط والقوانين ، والأحكام ، ماوضعت الا لتبين ماللسنة من تأثير على التفسير .. (ان السنة لا تأتى بزائد على القرآن الكريم ، أى لا تخرج عن نطاقه وروحه ، وليس معنى هذا أنها لم تزد على مافى القرآن اضاحا وتبيانا ، وتفصيلا [١٢] .. وعلى هذا فوظيفة السنة .. هى :ـ

١ ـ أن تقر وتؤكد ماجاء فى القرآن من أحكام ، مبشرة بها ، داعية الى تنفيذها وهذا كسائر الأحاديث الواردة فى الحث على الصلاة ، والزكاة والحج ، وترك قتل النفس ، وكل ماورد به الأمر صراحة فى كتاب الله ..

٢ ـ أنها تبين ماجاء به القرآن الكريم من الشرائع الكريمة ، بتوضيح المجمل أو تخصيص العام ، أو تقييد المطلق ، أو تعيين المراد من النص المحتمل .....
مثال ذلك ، قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (صلوا كما رأيتمونى أصلى [١٣]) . فهو بيان لشكل الصلاة التى أمر بها القرآن ، وكذا الباقى فى بقية الفرائض ..

٣ ـ أن تستقل فى تشريع بعض الأحكام التى سكت عنها القرآن .. مثال ذلك :
* تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وخالتها ، والقضاء بشاهدين واليمين ،

وتحريم كل ذى ناب من السباع[١٤] .. والقرآن يرشد الى الاقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - " لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"[١٥] ..

وأمر المولى - جل وعلا - ، رسوله بأن يكون قدوة للمؤمنين ، وصرح القرآن الكريم ، بأن الرسول يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، فمن لم ينه عنه الرسول فهو مباح .. يقول سبحانه : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه ، أولئك هم المفلحون[١٦]) .

فكل ما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو فعله أو أمر به ، أو أباحه ، ولم ينزل فيه ما يصححه من الوحى .. فهو فى حكم الموافق عليه ، ويأخذ صفته التشريعية التامة ، وذلك بشروط الاسناد الجيد فى الحديث ..

وتعتبر أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنسبة للقرآن بمنزلة قوانين الدولة المرتبطة بدستورها .. فالرسول يوضح للناس معانى القرآن[١٧] . (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم[١٨]) . والقرآن ليس فيه تفصيلات فرعية .. بل أتى مجملا ، وهناك أمور جاءت فى السنة .. كما جاءت فى القرآن ، مثل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة[١٩]) والحديث الشريف يقول : (بنى الاسلام على خمس .. شهادة أن لا اله الا الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا[٢٠]) . ..

وقد تأت السنة بما ليس فى القرآن .. كميراث الجدة .. فبعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - جاءت جدة الى أبى بكر الصديق ، تطلب نصيبها فى الميراث ،

فى حفيد لها مات .. فقال لها أبو بكر : لا أجد لك فى كتاب الله نصيبا ، ولم يكن يعرف أن الرسول ـ جعل لها السدس وسأل أبو بكر الناس ، فلما صلى الظهر قال : أيكم سمع رسول الله قال فى الجدة شيئا ؟ فقال المغيرة بن شعبة : أنا ، قال : ماذا قال ؟ قال : أعطاها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سدسا ، قال : أيعلم ذلك أحدا غيرك ؟ فقال محمد بن سلمة : صدق ، فأعطاها أبو بكر السدس)[٢١] ، ونفذ ما قاله الصحابى .. وكذلك لم يرد فى القرآن أن القاتل لايرث قريبه اذا قتله ، ولكن ذلك ورد فى السنة[٢٢] ، وقد ورد فى السنة أيضا تقديم الدين على الوصية ، ولم يرد فى القرآن .. يقول ابن كثير ، فى تفسير قوله تعالى : (من بعد وصية يوصى بها أو دين) أجمع العلماء من الخلف والسلف ، على أن الدين ـ مقدم على الوصية[٢٣] عند التمعن فى معنى الآية ..

وعن على بن أبى طالب ، قال انكم تقرأون " من بعد وصية يوصى بها أو دين ان رسول الله ـ قد قضى بالدين قبل الوصية[٢٤] .

وفى القرآن الكريم آيات يصعب فهمها ، بغير السنة ، منها قوله تعالى : " ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما "[٢٥] . فالمعنى المتبادر الى الذهن ، لهذه الآية الكريمة .. أن الله عز وجل ، رفع الاثم والحرج عمن لم يسع بين ـ الصفا والمروة ـ ولكن اذا نظر فى سبب النزول ، وجد أن معناها يخالف تماما ، مايتبادر الى الذهن .. فقد ، روى عروة بن مسعود ، أن أباه سأل السيدة عائشة ، عن معنى هذه الآية الكريمة وذكر لها المعنى المذكور ، فقالت : (ليس الأمر كذلك .. ولو كان كذلك ، لقال الله تعالى ـ لا جناح عليه ألا يطوف بهما ـ)وقد نزلت هذه الآية ، لما تحرج الصحابة من أن يسعوا بين الصفا والمروة ، وقد كانوا يطوفون فى هذا المكان ، بين الأصنام فى الجاهليه ، فنزلت الآية لرفع الحرج[٢٦] ..) ...

" جبريل يـــنزل بالســنة كما ينزل بالقرآن "

ومن الجدير بالاهتمام لجميع المسلمين .. أن تعاليم السنة النبوية ... الشريفة ، كانت بوحى من توجيهات السماء ، الا أنها ليس بذات نص .. بل هى الهام أما اذا كانت محض محاولة شخصية منه – صلى الله عليه وسلم – فانه كان يطبق فيها روح الدستور القرآنى .. واذا حدث منه اجتهاد ، فى تعليماته بوصفه بشرا من غير أن يتلقى فى ذلك تنزيلا أسرع له الوحى ليبين طريق الصواب ....

ومما ينبغى معرفته : أن اجتهاد الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى الأحكام أساسه القرآن الكريم ، وما بثه فى نفسه من روح التشريع ومبادئه[27] ، تقول عائشة رضى الله عنها (لقد كان خلقه القرآن .[28]) فالرسول يستند فى تشريعه للأحكام الى تطبيق المبادئ لتشريع القرآن ، ومن هنا لا يمكن أن يقع بين أحكام القرآن والسنة تخالف أو تعارض .. وذلك كشرح آية (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم[29])

وقد قام – ابن كثير بتفسير القرآن بالسنة وبين مدى ماللسنة من أثر على التفسير : " ان الواجب على العلماء الكشف معانى كلمات الله ، وتفسير ذلك وطلبه من مظانه ، وتعلم ذلك وتعليمه ، كما قال تعالى : واذأخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون "[30] . – ان أحسن الطرق وأصحها .. أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى موضع ، قد بسط فى موضع آخر ، فان أعياك ذلك .. فعليك بالسنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له ، قال الامام الشافعى : كل ماحكم بـه رسول الله فهو مما فهمه من القرآن –[31] . فيقول – عليه الصلاة والسلام – (ألا وانى أوتيت القرآن ومثله معه)[32] . أى السنة .. ومعنى هذا أن السنة أيضـا تنزل عليه بالوحى ، كما ينزل القرآن ، الا أنها لا تتلى كما يتلى – وقد استدل

وقد استدل الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ وكذا غيره من الأئمة بأدلة كثيرة ، على أن السنة لها أثر كبير على التفسير ودليل ذلك .. عندما أرسل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ معاذ ابن جبل ، الى اليمن وسأله (بما تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فان لم تجد ، قال : بسنة رسول الله ، قال : فان لم تجد قال : أجتهد رأيي ، قال : فضرب الرسول على صدره ، وقال : الحمد الله الذي وفق رسول ، رسول الله لما يرضى رسول الله) [٣٣] .

" السنة مبينة للقرآن ولا تخل
للرأى فى تفسيره "

لقد قام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، بعد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتطبيق ذلك المنهج العظيم ، ففسروا القرآن بالسنة الصحيحة ، وبكل ماأوتوا من فصاحة اللغة ، مع ابتعادهم عن الرأى المحض فى التفسير ، كلما أمكنتهم الظروف ، فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم ، حجة على بعض ، ولا على من بعدهم ، وكذلك : ابتعدوا عن تفسير القرآن بمجرد الرأى ، لما فى ذلك من حرمة فقد روى محمد بن جرير ، عن ابن عامر الثعلبي ، عن ابن عباس ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من قال فى القرآن برأيه ، أى بما لا يعلم ، فليتبوأ مقعده من النار) [٣٤] . ويقول ابن كثير " وقد تكلم بعض أهل العلم : من قال فى كتاب الله برأيه ، فأصاب .. فقد أخطأ [٣٥] " أى لأنه قد تكلف مالا علم له به ، وسلك غير ماأمر به ، فلو أنه أصاب المعنى فى نفس الأمر ، لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل فهو فى النار ، وان وافق

حكمه الصواب .[٣٦] " ويقول أبوبكر الصديق : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى ، اذا قلت فى كتاب الله برأيى " ومن هنا يتبين أن الصحابة ، ابتعدوا عن تفسير القرآن بالرأى ، بقدر المستطاع ، وقال ابن مسعود : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن ، وزاد - عبد الرحمن السلمى - فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .[٣٧]

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعوا لأصحابه بالخير ، ويدعوهم الى طلب العلم وقد قال من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ..[٣٨]

" السنة ... والمتشابه من القرآن "

ان انشغال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته بالحروب ، وارساء قواعد الدعوة .. كانت الشغل الشاغل لحياتهم كلها - فكانوا أشبه مايسمى بلغة العصر .. حالة " طوارئ " ... مستمرة - فقد ركزوا على الأمور الأكثر أهمية ، وكان من الحكمة التى انتهجها الرسول ، أن يبعد أصحابه عن كل المناقشات الجدلية ، والفكرية ، حتى لا يتصدع بنيانهم الجديد .. لدرجة أنه نهى عن تدوين حديثه - فى تلك الفترة - مكتفيا بالقرآن ... هذا كان منهجه الفكرى " تأسيس العقيدة أولا " والتى لا دخل للفكر البشرى فيها .. وابعاد كل مايثار حولها من أفكار ، لترسخ فى النفوس ، سواء فى العبادات والمعاملات ، ولقد سمح الرسول بالسؤال ، والاجابة فى ذلك فقط ..

والقرآن ينزل والرسول يوضح ، بقدر الحاجة الضرورية ، موضحا للصحابة ، ما استغلق فهمه من أمور الدين .. قال أبو ذر ، والعباس : " ما مات الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى ترك السبيل لنا نهجا " .[٣٩] مثال ذلك لما سمعت السيدة

عائشة - رضى - الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : من حوسب عذب " - رأت هذا يخالف فى ظاهره قوله سبحانه (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا[٤٠]) . فهناك من يحاسب ولا يلحقه عذاب .. والحديث أتى بصيغة التعميم من حوسب عذب - وعائشة تناقش الرسول . كيف ذلك ؟ فقال لها : - ليس ذاك بالحساب ولكن ذاك العرض - وفى رواية .. انما ذلك العرض - أى عرض الأعمال على الله ، وتجاوزه عن السيئات منها ، وورد الحديث بروايات كثيرة والمعنى واحد .. وعائشة فى سؤالها لأمر يخص مصير الناس فى الآخرة ، وما فهمته من الآية[٤١] .. ولقد سمعته - صلى الله عليه وسلم - يقول فى بعض صلاته .. (اللهم حاسبنى حسابا يسيرا ، فلما فرغ سألته .. ما الحساب اليسير ؟ فقال : أن ينظر فى كتابه ، فيتجاوز له عنه ، انه من نوقش الحساب يا عائشة ، يومئذ هلك .)[٤٢] . والرسول لم يغضب لأن سؤالها للتوضيح .. وكذا فى مسألة ، الخيط الأبيض ، فى الصوم .. فعن عدى بن حاتم ، لما نزلت آية " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر "[٤٣] . فعمدت الى عقالين - أبيض ، وأسود - فجعلتهما تحت وسادتى ، قال : فجعلت أنظر اليهما ، فلما تبين لى الأبيض من الأسود . . أمسكت عن الطعام ، وبدأت الصيام .. فلما أصبحت ، أخبرت الرسول بما صنعت ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : " ان وسادك .. اذن لعريض - انما ذلك بياض النهار من سواد الليل "[٤٤] . ...

كل هذا يدل على أن فهم الصحابة كان يختلف ولم يلاحظوا الكناية ، فواجب الرسول هنا التوضيح .. وخاصة فى المسائل الدينية .. لكن العقل البشرى فى حياته العملية يسأل فيما يغيب عنه .. والقرآن كما يعلم نزل موجزا .. يركز أحيانا على مواضع العبر .. تاركا بعض الجوانب الأخرى للعقل .. وآيات أخرى لم يصل العقل البشرى فيها الى رأى حاسم .. مثل القضاء والقدر .. والجبر ...

أم مخير ... الخ .. ولو أن الرسول والصحابة ﷺ تناقشوا فى هذا الأمر لسجله من بعدهم من التابعين .. كما نقلوا الكثير من أقوال الرسول وصحابته ، وكذا عصر التابعين - كثر فيه الجدل ، فلو كان هناك شئ مأثور عن معانى الآيات المشكلة اذن لعرفه الناس .ولم يرد حديث صحيح ، ولاقول صحابى .. مما يدل على أنهم لم يتعرضوا للسؤال عن ذلك .. ومع هذا ، فما زالت تشغل بال بعض الناس حتى الآن ...[45]

" الصحابة تركوا السؤال عن المتشابه فى القرآن -
فهل يلامـــوا ...؟ "

المفسرون قالوا : ان ذلك مما استأثر الله بعلمه[46] .. ولو كانت تلك الرواية صحيحة .. لفهم منها أنهم يجعلمو ن ذلك - وبهذا ينقطع حبل الأجتهاد على كل من يريد شرحها وفهمها .. لكن الملاحظ أن الباب ما زال مفتوحا لعقول المفكرين ....

" وليس من المعقول أن تكون معانيها غامضة فلم يسأل الصحابة الرسول ، وهـــو المسئول عن تفسير القرآن وتوضيحـه ..." هذه مناقشات ومجادلات ظهرت نتيجة الجو العلمى .. فلماذا الصحابة لم يسألوا ؟ ولو فعلوا لأراحوا الناس .. لكن لو تدبر الناس الأمر وبحثوا جانبا من الجوانب التى منعت الصحابة من السؤال لأستراحوا أيضا .. " فهم كانوا يعيشون فى جو كله ، حالة استعداد للدفاع ، أو لفتوحات جديدة ، وأن العربى بسيط ينفر من التعقيد .. وكان التركيز كله منصب حول العقيدة وبنائها ، والدفاع عنها من الأعداء المحيطين بها .. اذا فالجو لا يحتمل - والصحابة كلهم فى حالة طوارئ - مناقشات لا تدخل فى عقيدتهم ، أو عباداتهم ، أو معاملاتهم ، وقد أثيرت هذه الموضوعات أخيرا .. عندما أمن الناس واتسعت الحركة الذهنية - فى عصر الترجمة - ودخل فى الاسلام الكثير من الديانات الأخرى

بالاضافة الى قصر عمر دعوة الرسول - عليه السلام - عشرون عاما قضى نصفها سرا وفى اضطهاد عنيف - [٤٧] ونزاع فكرى مع الكفار .. وعشر سنوات أخرى ، قضاها - فى المدينة - دفاعا وحربا فرضتها قريش واليهود أيضا ..وكذا زمرة المنافقين - فليس من المعقول وجود أى مناقشة حول - المتشابه من القرآن أو مجادلات نظرية تفصل الأفكار وتمزق الصفوف ، ولا تأتى بنفع - ولا يمكن أبدا فى هذا الوقت العصيب أن يسألوا من أحق بالخلافة ، أو ما المراد بالحروف فى القرآن ، أو ما هو القضاء والقدر ، وما الى ذلك الأصل : البيضة أم الدجاجة ونحو ذلك من الجدل العقيم مما لا يفيد العقيدة فى شئ [٤٨] .. نعم : لقد فهموا كل شئ اجمالا - ورضى منهم الرسول ذلك ، ولم يشغلهم .. بكيف ، ولماذا مما يبعدهم عن الأساس ، ويشغل فكرهم .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه .. [٤٩]

الباب الثالث

الفصل الأول :

" الحديث .. وأثره على التفسير "

المراجع والتعليقات .

(1) Early development of Muslim jurisprudence by Dr. Ahmad Hasan Sunnah. (١)

(٢) خرجه ابن ماجه والترمذى ـ باب السنن
(٣) سورة الأحزاب / ٦٢ .
(٤) مصطلح الحديث ـ ابن حجر .. و . محمد رجا" حنفى " مكانة السنة من القرآن " م ـ ٢٢ ص ٢٨ ـ ٢٩ .. الأردن ١٩٧٨م
(٥) الشيخ أبو زهرة " أصول الفقه " .. و .. محمد رجا" حنفى " مكانة السنة من القرآن ص ٤٠ .
(٦) خرجه ابن ماجه ، وأبو داود ، والترمذى ـ باب المناسك ـ ..
(٧) محمد سلام مدكور " الاختلافات الفقهية ومناهج الفقها" " مجلة العربى عدد ١٨٥ / ١٩٧٤م ص ٨٠ .
(٨) خرجه البخارى ـ الصلاة .
(٩) د . محمد سلام مدكور " مناهج الاجتهاد فى الاسلام " ج ٢ . ص ٦٤٤ ... طبع فى الكويت .. و . أحمد العسال " أضوا" على الحركات الهدامة " . المكتب الاسلامى ـ بيروت ـ لبنان ـ ص ٥٠ ..
(١٠) محمد رجا" حنفى " مكانة السنة من القرآن " ص ٣٠ ..
(١١) سورة النسا" / ٥٩ ..
(١٢) الشاطبى " الموافقات " ج ٤ . ص ١٣٤ ...
(١٣) خرجه مسلم ـ باب الصلاة ـ و البخارى ـ الآذان ..
(١٤) الرسالة ـ للامام الشافعى . ص ٢٨ ..
(١٥) سورة الأحزاب / ٢١ ..
(١٦) الأعراف / ١٥٧ ..
(١٧) محمد رجا" حنفى " مكانة السنة " مجلد ٢٢ . الأردن ص ٣١ و .. الرسالة ـ للشافعى . ص ٣٠ ...
(١٨) سورة النحل / ٤٤ ..
(١٩) سورة النسا" / ٧٧ ..

(٢٠) خرجه البخاري ـ الصلاة ـ ...

(٢١) رواه ابن عباس ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وهو مذهب ـ مالك والشافعي ـ باب الميراث .. وكذا تفسير ابن كثير ، سورة النساء " ، في ـ من لهم النصف ـ مذكرة العصرية ـ وأحكام القران لابن العربي ..

(٢٢) شاه ولي الله الدهلوي " حجة الله البالغة " ـ ج ١ ـ ص ١٤١ ..

(٢٣) ابن كثير .. ج ٢ ـ ص ٢١٦ و .. الرسالة ـ للشافعي ...

(٢٤) خرجه أحمد بن حنبل ، والترمذي ، وابن ماجه ـ التفاسير ..
د . محمد سلام مدكور " الشافعي ومنهجه الفقهي " مجلة الفيصل ـ عدد ٣٣ / ١٩٧٩م . ص ٥٦ ـ السعودية ..

(٢٥) سورة البقرة / ١٥٨ ...

(٢٦) ابن كثير ج ٢ .. و الشيخ أبو زهرة " تاريخ المذاهب الاسلامية " ج ٢ ـ ص ٢٥٧ ..

(٢٧) الرسالة ـ للشافعي ـ ص ٣٠ ـ ٧٣ ..

(٢٨) خرجه مسلم ـ الأحكام ..

(٢٩) تفسير ابن كثير ، سورة النساء " ج ٢ .. ص ٣٢٩ ـ طبعة ليبيا .....
على أنه ليس من السهل أن تكتشف الأحكام من القرآن التي تتفق ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وعلى كل حال .. فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير من يوضح الأمور التي تحتاج الى توضيح ، وهو الذي يدرك أكثر من غيره .. حقيقة الاسلام ، وروح الشريعة ، ولذلك لم يكن عجبا .. أن يقدم على خطوات جديدة تتصل بكل ما يهم البشرية ، ومن هنا كانت أمته .. خير أمة أخرجت للناس .. لا بأحدث حضارة ، وتقدم وعلم . لم تعرفه البشرية على المدى البعيد ..... وستظل ، السنة هي المصدر الثاني للتشريع الى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول سبحانه مبينا طاعة الرسول (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . / النساء " / ٨٠ فمن الواجب على المسلمين الالتزام بالسنة النبوية الثابتة بالأحاديث الصحيحة ليهتدوا الى النور الذي يهديهم الى سواء السبيل .....

(٣٠) تفسير ابن كثير ـ الجزء الرابع ـ ص ٧٦ ـ سورة آل عمران / ١٨٧ .

(٣١) محمد رجا " حنفي ـ مجلة .. هدى الاسلام ـ عدد ٥ ـ ٦ ـ الأردن ١٩٧٨م ص ٣٦ ..

(٣٢) خرجه أبو داود ـ القرآن .. و أحمد بن حنبل ـ ج ٢

(٣٣) خرجه أبو داود ـ الأقضية .. و ابن ماجه ـ المناسك . ..

(٣٤) خرجه الترمذي ، والنسائي ـ التفسير .....

(٣٥) ابن تيمية " مقدمة أصول التفسير " ج ا ص ١٠ ـ ٣٠ ..

(٣٦) ابن القيم " أعلام الموقعين " ج ٢ .. ص ٢٤١ ـ ٢٤٣ .. و كذا ـ الأم ج ٧ . ص ٢٤٣ ......

(٣٧) نفس المصدر السابق •• •••
(٣٨) وعلى هذا يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وضح كل شئ يتعلق بالشريعة ، وأرسى القواعد الأساسية للدين الجديد ، وترك الأمور الأخرى ، التى تخص حياة الناس الخصية ، وأعمالهم الدنيوية تاركا باب الاجتهاد مفتوحا •• ولم يتعرض لتفسير ـ المتشابه من القرآن ـ والأمور العلمية والكونيات •• وذلك الأسباب كثيرة ، أجملت بعضها فى المتشابه من القرآن فى هذا الفصل ••
(٣٩) خرجه الدارمى ـ المقدمة •••
(٤٠) سورة الانشقاق / ٧ ••••
(٤١) الشيخ عبد المنعم النمر "التفسير والمفسرون" مجلة ـ العربى ـ عدد ١١٦ •• / ١٩٦٨م • ص ٥٢ ـ الكويت ـ
(٤٢) البخارى ـ باب العلم ـ •• و ابن كثير فى تفسيره ـ آية ٧/ سورة الانشقاق ـ ج ٤ •• ص ٤٨ ـ طبعة الحلبى ـ مصر ـ
(٤٣) سورة البقرة / ١٨٧ ••
(٤٤) خرجه الدارمى ـ الصوم ـ •••••
(٤٥) د • أحمد عمر هاشم "المتشابه من القرآن" جريدة الندوة السعودية عدد ١٨ رجب / ١٣٩٩ هـ •• ص ٤ ••
(٤٦) تفسير ابن كثير •• والسيوطى •• والجلالين •• عن أبى بكر وعمر ••
(٤٧) سيرة ابن هشام ـ الرسول فى مكة ـ ••••
(٤٨) ومع كل هذا •• فقد أشار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أحاديثه ، للكون والكائنات ، وكل مايتصل بحياة الناس ـ الاجتماعية والعملية والخلقية ـ مما ذكر فى بابه داخل البحث ••
(٤٩) الشيخ / عبد المنعم النمر "التفسير والمفسرون" ـ العربى ـ عدد ١١٦ / ١٩٦٨م •• ص ٥٥ ••••••

(15) Islamic Legal Philosophy A study of al-shatibi, al-Mawafaqat by Khalid Masud.

—

الباب الثالث

الحديث .. وأثره على العلوم الاسلامية

الفصل الثانى :

** الحديث .. وأثره على الفكر الاسلامى .. .. ..
** الحديث .. والسلوك الشخصى .. ..
** الرسول .. لا يرضى لأمته بهذا الفكر .. ..
** الله .. وارادة الانسان .. ..

الفصل الثالث :

** عباقرة على مر الزمن .. ..
** شخصيات خلدها التاريخ .. ..
** القرآن والسنة .. ومناهج الفقهاء .. ..
** الاسلام أول مكتشف لعالم الروح .. ..

العوالم الغيبية

" الحـديث .. وأثـره على الفكر الاسلامى "

لقد أثر الحديث الشريف ، تأثيرا كبيرا فى الرعيل الأول من المسلمين ، فكانوا أنشط عقولا ، وأسلم وجهة ، وأحكم سياسة من غيرهم .. ولم يحدث أبدا أن كان الاسلام ــ قيدا على انطلاقهم الفكرى ــ أو عائقا دون اقتحام المجاهيل المادية والأدبية ، بل الذى وقع .. هو العكس .

كان الاسلام دافعا ومحرضا على البحث الجرئ ، والفكر العميق .. كانت آيات القرآن ، والأحاديث النبوية ، باعثا هائلا على احياء الموات الذهنى ــ والاجتماعى حيثما وجد القرآن والحديث الشريف .. وعلى ضوئها انطلق العقــل الاسلامى الأول ، انطلاقته البعيدة المدى ، فجدد ونقى التراث الأول للانسانية ، ومهد وأعان على خلق حركة النهضة التى أحيت الغرب ، بل والعالم كله ..

غير أنه من الملاحظ ، من عدة قرون .. كبا هذا العقل كبوة خطيرة ، كما يلاحظ أيضا أن جماهير المسلمين ، قد أصابتها علل أزرت بقدرتها الفكرية ، وحكمها على الأشياء .. والناس المتعلمون من عقلاء المؤمنين ، أدق تفكيرا وأصدق احكاما من الجاحدين الملحدين ، وخاصة العلماء منهم .. قد يحيطون علما ببعــض آفاق الوجود ، لكنهم يجهلون أو يجحدون الحقيقة الأولى فيه ..

والمعلوم أن الاسلام تضمن كغيره من الديانات السماوية ، حديثا عن عوالم أخرى .. غير محسوسة ــ وهو حديث محدد البدايات والنهايات ، وهناك ملائكة لشئون الحياة والموت .. وهناك جن مكلفون بالايمان ، فيهم الصالح والفاسد ، والطيب ، بالاضافة الى الأمور الأخروية : من حساب وعقاب ، وجنة ونار ، وبعث وحشر ، وما الى ذلك .

والعلم بهذه المخلوقات قاصر .. والمصدر لاثباتها هو : الدين ، والنصوص

الدالة على وجودها - لا يمكن نفيها - وكتب التوحيد والحديث ، والقرآن تعرضت لهذه الكائنات ..[١]

والقرآن يؤكدها ، يقول سبحانه : (قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا ان سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنا به)[٢] .. كما جاءت ... أحاديث .. آحاد - ببعض أعمالها وأحوالها - وهذه الأحاديث ، تفيد الظن العلمي وهو ظن يقوى ويضعف حسب درجة ثبوتها وقبولها .. وأن الخرافات التى انتابت المسلمين فى فترة الضعف ، كان لها أثرها الخطير على الاسلام .. فقد انتشرت أخبار وأحاديث كثيرة حول - السمعيات - ومنها الجن ، والشياطين ، وكان لها أثر بالغ على فكر المسلمين من العوام ، وما ترتب على ذلك من أمور السحر والشعوذة وجرى وراء ذلك البسطاء ، بهذه الأفكار ، وحولوها عن وجهها الصحيح ، واستغلوا قول الرسول عنها .. استغلالا سيئا .. فالجن حقيقة لا شك فى ذلك ، بدليل القرآن والسنة ، والقرائن .. فما هو قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى ذلك ؟ وما هو الجن ووظيفته فى الفكر الاسلامى ..؟

يقول سبحانه :(واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا .. الى قوله : يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم).

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :" ما من أحد الا وكل به قرينه من الجن قالوا : واياك يارسول الله ، قال : واياى ، الا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بخير "[٤] .. ويتضح من الحديث أن بعض الجن غير مسلمين ، وللحديث أثر بالغ على الفكر الاسلامى .. لكن يجب أن يوضع فى معناه الصحيح ، ولا يحرف لأغراض تخل بما أشار له القرآن وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم ..

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وعلاقته الانسان بالجن

« الحديث .. والسلوك الشخصى بالنسبة للجن »

لهذا النوع من الأحاديث أثر على حياة المسلم وطريقة معيشته ، وسلوكه الشخصى ، والمشتمل على حياة ترقى بالمسلم الى مستوى يليق به .. من ذلك ينهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أسلوب أدبى ـ عن الأكل والشرب باليد الشمال حتى لا يتشبه المسلم بالشيطان ، لأنه يأكل ويشرب بشماله ، فيقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بها[٥]) .. وكذا غسل اليد وما يتبقى فيها من فضلات الطعام ، والجراثيم التى تضر بصحة الفرد ، ولهذا حذر الرسول من النوم ليلا وأثر الطعام فى يد الانسان ، حتى لا يؤذيه الشيطان ، فيقول : (ان الشيطان حساس لحاس ، فأحذروه على أنفسكم ، من بات وفى يده غمر فأصابه شىء فلا يلومن الا نفسه[٦]) .. ونهى عن الاستجمار بالعظم ، وعلل النهى بقوله : (فانه زاد اخوانكم من الجن[٧]) ..

غير أن الخرافيين والخياليين من الناس وسعوا دائرة الكلام فى هذه العوالم المغيبة ـ السمعيات ـ وأدخلوها فى شئون مادية ، محسوسة ، ونسبوا اليها من التصرفات ، والآثار ، مايبرأ منه الدين .. والمسلم واجب عليه الايمان بتلك الأمور السمعية ، ومن حقه تكذيب الأخبار التى يخمها الواهمون ، ومن حقه حراسة حقائق الدين الاسلامى ، من عبث المنحرفين الضالين ، فمثلا : روى أن مالك بن أنس سئل : أيتزوج الانسى من الجنية ؟ فقال مالك : يجوز ، ثم سئل : أيتزوج الجنى من الانسية ؟ فقال مالك : لا ، لماذا ؟ مع أن الحالين سواء .. قالوا : خشى مالك أن تزل أى امرأة ثم تزعم أنها تزوجت من عالم الغيب ، فحفظ حدود الشرع والخلق بهذا النفى القاطع » ـ...ـ...

وإذا كان الامام الكبير ، قد صان الدين بنفى الشطر الأخير من السؤال ..فاليوم يصون الدين والعقل بنفى كل ما يشيع بين العوام من خزعبلات فى هذه المجالات ..[٨]

فتحضير الجن : وهو ما يسمى فى هذا العصر - بتحضير الأرواح - شغل باطل وغير صحيح ، ومضيعة للوقت ، وضحك على السذج من الناس ، وتصديق السحر والشعوذة ، وخلط المعلومات الانسانية بالسحر ، وما يعرفونه بأعمال الشياطين الخفية ، كل هذا لا صلة له بالدين ، وكذلك : حساب النجوم - ليس العلم الفلكى وانما هو العلم الذى يدعيه المنجمون -[٩] . و كل المزاعم التى تؤكد صلة ما بين بعض الناس وبعض الجن أو الملائكة ، ويقولون باجازتها وعدم حرمتها ، لأنها من الأمور السمعية ولا مصدر لها الا الكتاب والسنة ، لكن أخبار الناس ليست مصدر علم ، بل كثيرا ما تكون محور أساطير .. ولا حرج على من يكذبها ، ويقيم فهم الناس لشئون الحياة على الواقع المحسوس[١٠] ..

ولقد حرم الله هذا العمل ، وأباح قتل من يقوم به - لأنه لا يضر ولا ينفع فالضر والنفع باذنه سبحانه ، بدليل قوله : " وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم .. الآية "[١١] . فسرها ابن جريج : لا يجترئ على السحر الا كافر واستدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر واستشهد بالحديث الذى رواه ، الحافظ أبو بكر البزار ، عن الرسول قال : (من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم -[١٢] .. وعن أحمد بن حنبل ، وطائفة من السلف ، وقيل : بل لا يكفّر ، ولكن حده ضرب عنقه .. وكتب عمر الى كل الولاة (أن أقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر)[١٣] ...

وقال - صلى الله عليه وسلم - (حد الساحر ضربه بالسيف)[١٤] ..

لكن هناك شئ يجب أن يكون فى الاعتبار ، وهو الاعتراف بوجود ـ الجن والشياطين ـ ويجب الايمان بهما ، ومن ينكرهما فهو كافر ، ووجودهما معلوما من الدين بالضرورة . يقول سبحانه (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)[١٥] .. ولقد سخر الله الجن والشياطين لسيدنا سليمان عليه السلام ـ لاستخدامهم فى جميع الاعمال والأغراض ، بدليل قوله سبحانه (ومن الجن من يعملوا بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات)[١٦] .. والجن والشياطين تتشكل بأشكال مختلفة ، تأكل وتشرب وتسكن ، وأيضا منهم الصالح والطالح " وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك "[١٧] . والشياطين يسترقون السمع من الملأ الأعلى ويعرجون كما تعرج الملائكة ويهبطون ببعض الأخبار لأوليائهم من الانس ، فيحدثه بها ، ليحدث الناس فيفتنهم ويغويهم ، بدليل الآية (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا)[١٨] ويقول عليه الصلاة والسلام ـ تأكيدا لهذه الحقيقة : " ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء ، فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه ، فتوحيه الى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم "[١٩] ويفهم من هذا كله أن هناك سحر وشعوذة ـ وما الى ذلك من الخيالات والأوهام التى يؤمن بها ويتبعها بعض الجهال ، كالاخبار بما سيحدث للانسان من خير أو شر ، وحول المستقبل من نجاح وسعادة ، فكل هذا كذب وبهتان ـ وكذب المنجمون ولو صدقوا ـ وكان الأولى أن يسعد المنجم نفسه ، ولا دخل للجن فى هذا .. ولقد حذر الرسول من اللجوء لهذه الأساليب ، انقاذا للفكر الانسانى من الدمار (ولو كنت أعلم الغيب ـ لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء)[٢٠] . ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم فى معايشهم وعلاقاتهم ، نماذج لنضج التفكير وسلامة الحواس ، ودقة الاحكام ـ

ومما يؤخذ على المسلمين ، فى العصور المتأخرة ، خلطهم بين عالم الغيب ،

وعالم الشهادة ، فعالم الشهادة ـ واضح بين ، حيث يتبع عناصر وقوانين محكمة والمشاهدة تدل عليه .. أما عالم الغيب ، فمبهم لا يعرف من حقائقه الا القليل الذى عرف عن طريق الشارع لحكمة قصد اليها ، وهو ما غاب على أعين الناظرين ـ من الموجودات ـ وان كانت حقيقة محصلة فى صدورهم ، ولا تغيب عن خاطرهم .. والانسان ان لم يؤمن به ، فقد جرد نفسه من الشعور وأصبح كالآلة ، لا وعى ولا ادراك ..[٢١]

" الرسول لا يرضى لأمته بهذا الفكر "

فى عصور الانحسار ، تحولت الأمور الدينية .. الى أحيا" غير ثابتة ، فيها الممكن والمستحيل ، وانتشر اللغو والعبث فى أقطار كثيرة من الوطن الاسلامى ، فوقف تقدمها العلمى ، نتيجة التدهور الذهنى ، والمغالاة فى الأمور الغيبية ، وغيروا حقائق الأحيا" ، ونفوا قوانين الكون .. ومن المؤسف والغريب ، أن عددا من المؤلفين فى فروع الثقافة الاسلامية ، أذنوا لهذا الباطل أن يميع " ويستحيل أن ترقى أمة ، يسودها الفكر المكذوب" .

فالأقوال المنسوبة الى المتصوفين ، مثار للعجب ، ولو صدقت فلن يبقى مجال لأى تقدم ـ كونى أو صناعى ـ والأمثلة كثيرة على هذا :ـ

١ ـ زعم بعضهم أن حية سقطت على الجيلانى ، وهو يدرس ، ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهمه غيره .

٢ ـ وأن تمساحا ابتلع صبيا ، فناداه الدسوقى ، فخرج من البحر يمشى ووضع الطفل بين يدى الشيخ .

٣ ـ وذو النون المصرى ، أنه أقسم على شجرة ليس فيها رطب ، أن تنثر رطبا

جنيا ، فنثرت ..

٤ - وأن أبا تراب النخشبي ، عطش أصحابه .. فضرب برجله الأرض ، فانفجرت عين من ماء زلال ، فقال أحدهم : أريد شربة في قدح ، فضرب النخشبي بيده الى الأرض ثم رفعها ، وفيها قدح من زجاج أبيض كأحسن ما رأى الناس ..

٥ - ونقل عن الواسطي .. أنه انكسرت السفينة ، وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية ، فصاحت بي وقالت يقتلني العطش ، فقلت : هو ذا يرى حالنا ، فرفعت رأسي فاذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب ، وفيها كوز من ياقوت أحمر ، وقال : هاكما اشربا ، فأخذت الكوز وشربنا منه ، واذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، فقلت : من أنت يرحمك الله؟ فقال : عبد لمولاك ، فقلت : بما وصلت الى هذا ؟ فقال : تركت هواي لمرضاته - فأجلسني في الهواء ".[٢٢]

هذه حكايات لايثق بها الفكر الاسلامي .. والرسول نفسه لم يدع هذه الأشياء ولاصحابته من بعده - ولم يخرج نفسه عن دائرة كونه بشر .. وكان يقول : " أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة "[٢٣] .. انما أنا بشر مثلكم ، أنام وأصحوا آكل وأشرب ، وأتزوج النساء .. الخ ، ما ينطق عن بشريته ..

لقد دعا للعمل والجهاد والأخذ بالأسباب ، ونهى عن الاستناد لهذه الأفكار ...

جاء رجل ومعه دابته ، فقال : يا رسول الله :" أعقلها وأتوكل .. أو أطلقها وأتوكل . قال : أعقلها وتوكل[٢٤] " لم يقل له : توكل ثم اعقلها .. لا ، بل اعقلها وتوكل على مدبر الكون وخالقه ..

" اللـه .. وارادة الانسان "

لم يكن الاسلام يوما داعيا الى التواكل ، سالبا للانسان حريته .. ولقد كان هذا الأمر موضع جدل بين علماء الاسلام منذ وجد علم الكلام .. حسمه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أحاديث كثيرة ، والجدل فى أن الانسان - مخير أم مسير - .. فى الأمور التى له ارادة فيها - ومحاسب عليها مادام عنده عقل يدرك به الخير - والشر والنافع والضار ، ولقد شغل هذا الأمر الانسان عندما عجز أمام الكون وما يجرى فيه ..

ولم يختلف فكر الانسان المعاصر الذى اخترق الفضاء ، عن فكر من كان يعيش فى الكهف .. " حول الظواهر الكونية " ونظرته للسماء وما يجرى فيها من ظواهر . والتى وقف أمامها عاجزا مشدوها .. وبعد ادراكه لكوكبه الأرض - البالغ حجمهـا حجم دبوس بالنسبة للكون .. وهذه المعرفة هى التى تقوده للايمان بخالق الكـون ، وقف الانسان عاجزا أمام ظاهرة - الموت ، وقدرة العقل ، والطاقة ، الخ .. وفى النهاية ليس أمامه الآن يردها الى " القدر " الارادة الالهية التى تحكم العلل والمعلولات ، وهذا ماتهدف اليه الأديان[٢٥] ، ......

" ولاتكليف على معدوم الادراك ، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها " ...

وكثير من الفلسفات ، تعرضت لارادة الانسان ، وعما يقع منه من أفعال ..... لشعور أصحابها بأن هناك اله يثيب ويعاقب .. وبقدر ما وضعوا من قوانين ونظم : الا أنها لم تكن كافية ..

وجاء الاسلام بعد اكتمال العقل البشرى ونضجه ، وجعل حرية الانسان بعقلـه وبقدر طاقته الاختيارية .. وذهب مفكروا الاسلام مذاهب شتى - الا أن الرسول - عليه السلام - حسم الأمر ونهى عن الخوض فى القدر ، بقوله (بهذا ضلت الأمم قبلكم)[٢٦] ويقيم - عمر بن الخطاب - الحد على سارق ، لأنه قال : " انما سرقت بقضاء الله "[٢٧]

ويؤكد القرآن .. حرية الانسان ، بدليل مسؤليته عن أفعاله الاختيارية ، يقول سبحانه (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله)[٢٨] وقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٢٩] . ولا تزر وازرة وزر أخرى ، والثواب والعقاب من مقررات الاسلام ، وأن الانسان مسئول عن أعماله الاختيارية ، لأنه عاقل .

ولقد فهم المسلمون ذلك من القرآن ، وارشاد النبى لهم ، وأن قوة عليا ، تهيمن على الكون ، خلقته بنظام ثابت ، والقضاء والقدر فى العقيدة الاسلامية متصل بسنة الكون وحسب قانون أزلى .. واتصال العقل بهذا القانون الالهى ، هو حرية ارادة الانسان ، من نظر وتأمل وكشف عن الطبيعة .. ومن هنا يتضح الفرق بين التوكل على الله الذى هو الايمان بقدرته ، والتواكل : الذى هو ترك الأمور وسلب ارادة الانسان ، والله أتم نعمته على الناس اذ فتح لهم مغاليق الكون ، وعلمهم ما لا يعلمون[٣٠] ..

وانه لمن المحزن أن أجيالا من المسلمين ، ظنت مادة الكون ، عبارة عن عجينة يشكلها بعض الناس كيف يشاء ، فليست لها علامات معتادة ولا قوانين مطردة .. وانه لمن المحزن : أن من تقربوا الى الله ببعض العبادات ، يتصورون أن قرباتهم هذه تغير أساس الكون ولبناته ، وتشيع فى نظامه الفوضى .. والأغرب من ذلك أن يظل هذا التصور قائما فى خطب بعض الناس ومقالاتهم ، فى البلاد الاسلامية ، مستندين لبعض الكتب التى تتكلم فى الترغيب والترهيب ، ظنا منهم أن هذا مفيد للاسلام ، وينهر الناس عن المعاصى[٣١] ..

هذا فى الوقت الذى طفر فيه العلم المادى ، فغاص فى أعماق الذرة وغاب فى أجواز الفضاء ، وتجول فى أعماق الكون أسفله وأعلاه ، متدبرا سنن الفطرة وعجائب الخلق ، ثم يعود من هنا وهناك بروائع ما خلق الله .. وان الرسول صلى

الله عليه وسلم - يطارد هذه الأفكار ، ويأخذ بيد الانسان الى الطريق المستقيم ويجتنب العقل الى الحق ، والفؤاد الى الفضيلة ..[٣٢]

وانه لثقيل على الصدر أن يوجد جيل من الناس لا يعى أن الكون محكوم بقوانين دقيقة ، ولا يدرى أن العقل اليقظ هو الوسيلة الهامة لمعرفة الله ، عن طريق تأمل ملكوته ، وتدبر وحيه ، وانفاذ وصاياه ، واعلاء كلماته ..

وأفعال المسلمين الآن تنافى الاسلام الذى يقوم على احترام العقل ونبذ التخامين والأحداس، وعلى اعظام الكون ولفت النظر الى ما فى بنائه من روعة وجلال .. ان أبعد الناس عن الاسلام رجل بصره فى مواطئ قدميه ، وهمته لا تعدو مل بطنه وكسوة بدنه ..[٣٣]

على أية حال يجب أن تتضافر الجهود لدفع المسلمين الى سبيل العمل الذى يملأ القلب ، ويملأ الحياة بالحياة ..

الباب الثالث

الحديث .. وأثره على الفكر الاسلامى

الفصل الثالث :

عباقرة على مر الزمن

لقد كان للحديث بالغ الأثر فى اتجاهات بعض رجال الاسلام وأفكارهم - فأستضاؤا بنوره وفكره وارشاداته ، فأضاءوا العالم بمشعل الهداية والرقى ، والتقدم ، فلقد قدم هؤلاء الرجال خدمات للاسلام وللانسانية ، سجل لهم التاريخ هذه الأعمال بحروف من نور ..

لقد طرقوا جميع أنواع العلوم ، وجالوا فى كل مجالات الحياة .. وما زالت أفكارهم حتى الآن ، هى المرجع والأساس لحضارة البشرية وتقدمها فى هذا العصر[٣٤]

هؤلاء الأفذاذ الذين تعلموا فى مدرسة محمد - صلى الله عليه وسلم - رفضوا المناصب المغرية ، والتقرب الى الخلفاء ، ولم يكن هدفهم المصالح الشخصية ، بل اسعاد البشرية فى ظل دينها الحنيف ، وتحملوا الأذى فى سبيل اخلاصهم لمبدأ العلم والتمسك بالحقيقة ، فلم يرهبهم سجن ولا سوط ازاء المبدأ .. انه شعور بالواجب والحقيقة الملقاة على عاتقهم ..[٣٥]

فأبو حنيفة - رفض القضاء ، وتقبل السجن راضيا ، وروى أنه مات فيه .

وضرب " مالك " بالسياط فى سبيل أن يغير رأيا مخالفا لحديث الرسول ، أو يكتم خبرا رآه .

وأوذى " الشافعى من أجل تجرده وأمانته العلمية .

وابن حنبل - تحمل من العذاب مالا يحتمله الا المؤمنون الأبطال .. هؤلاء جميعا كانت لهم آراء وأفكار ، استخلصوا رحيقها من الحديث الشريف ، ولم يلزموا الناس بالتقليد يوما .. يقول " أبو حنيفة " - هذا رأينا ، فمن جاءنا بأحسن منه ، قبلناه - والشافعى يقول " رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب "[٣٦] ..

" القرآن والسنة ومناهج الفقهاء "

من الآثار العظيمة التى أوجدها الحديث فى الفكر الاسلامى وفقهائه ، هى الأحكام التشريعية ، ولم يكن من الميسور الوصول الى معرفة كل الأحكام المتعلقة بالعباد ، بعد عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الا بواسطة الصحابة ، - والتابعين والفقهاء ، الذين تعمقوا فى فهم النصوص ، وبينوها للناس عن طريق الاستنباط ، يقول - صلى الله عليه وسلم - " ما اكتسب مكتسب ، مثل فضل علم ، يهدى صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى " وقوله " ماعبد اللهُ بشيء أفضل من فقه فى دين "[٣٧] .. وليس مايؤخذ على الفقهاء اختلافهم فى المسألة ، فهم متفقون على الأصول ، والنص ، فاذا وجد لهم رأى قد جاء الحديث الصحيح بخلافه ، فلابد له عذر من تركه وعدم اعتقاده بأن هذا من قول الرسول ، أو فهم أن القول خلاف المسألة أو نسخ ذلك الحكم[٣٨] .

وللفقهاء مناهج يسلكونها فى معرفة الحكم ، منها ماهو مستتر فى نفسهم لم يعرف الا فيما بعد - كما تتضح أمانتهم العلمية - وتورعوا عن القول فى دين الله

بغير علم " ان من فقه الرجل أن يقول فيما لاعلم له به .. لا أعلم " ومن طرق الفقهاء في الاستنتاج ، واستنباط الأحكام .. ماينير الطريق ، ويبعد عن الجمود الفكري .. وان اختلافهم في الطرق أدى الى اختلافهم في النتائج ، حسب الألفاظ والمعاني ، ففريق لا يبحث - الألفاظ ودلالتها ، وفريق يتبع المعنى ، بالقياس ، والتعليل - ولهم في هدى القرآن والسنة خير معين .. فقد كان - صلى الله عليه وسلم - يوجههم الى تذوق أسرار التشريع ومعانيه - يتضح ذلك عندما سئل (أيقضي أحدنا شهوته ويؤجر ؟ فقال : أرأيت لو وضعها في حرام ، أكان يأثم ؟ قيل نعم ، فقال : فكذلك يؤجر .. أفتجزون بالشر ولا تجزون بالخير ؟)[٣٩] .

وحينما سأله عمر بن الخطاب - عن قبلة الصائم لامرأته ، فقال : أرأيت لو تمضمض بماء ، ومجه وهو صائم ؟ قال عمر : لا بأس .. فقال - صلى الله عليه وسلم : فكذا هذا)[٤٠] .

ونهج القرآن أيضا .. مخاطبة العقول ، ودعوتها للنظر في جميع الأمور - وجعل العقل مناط التكليف - في أمور الدنيا ، ومعرفة الخالق سبحانه ..

ولقد كان من الفقهاء المجتهدين من الصحابة المشهورين - عائشة ، عمر ، علي وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وفقهاء المدينة السبعة -[٤١] . وسار على نهجهم أبو حنيفة النعمان وأصحابه ، والأوزاعي ، وفريق تهيب وأخذ باللفظ ولم يتوسع المعنى ، منهم - أحمد بن حنبل ، وابن سيرين ، ولم يتعرض للفتوى[٤٢] .

" اختلاف أمتي رحمة "

كان لكل واحد من الفقهاء ميزان يسير عليه ويهتدي به في تفكيره ، ويتميز به عن غيره .. مع وضع عناصر منطقية مبتكرة ، واضحة في منهجه الأصولي ، .

وبوجود الفقه وجدت بالضرورة مناهج استنباط الأحكام ، حسب قواعد منطقية

منضبطة فى نفس الفقيه ، وحيث المصلحة العامة ، وذلك اذا لم يوجد نص .. والا كان القياس ..

.. أبو حنيفــة ..

تأثر بفقها ء المدينة ، ولم يكتف بأحاديث الآحاد مع تأكده من متنه - وعرضه على النصوص العامة - كما أخذ بالاجماع ، معتبرا قول الصحابى فى العبادات وما لامجال للرأى فيه ، فحكمه حكم السنة ، ويقدمه على القياس ، وما عدا ذلــك يتخير ويجتهد ، ويقول : " انى آخذ بكتاب الله ، والا فالسنة ، وآثار الصحـاح التى اشتهرت فى أيدى الثقاة ، واذا لم أجد آخذ بقول من شئت من الصحابة ، وأدع ما شئت ، ولا أخرج عن قولهم .. والا آليت رأيى ، وعلى أن أجتهـد كما اجتهدوا " وهو على هذا لم يأخذ برأى التابعين ، مع تقديمه القياس على خبر الآحاد .[٤٣]

.. الامام مـالك ..

منهجه الفقهى .. الاعتماد على الحديث برواية أهل الحجاز ، مقدما رأى أهل المدينة .. مقدما القياس على خبر الآحاد - فقد رضى أن يكون تابعا فى منهجه الفقهى حتى ليخيل لبعضهم أنه مقلد وآخذ عمن قبله .[٤٤]

.. الامام الشافعى ..

كان له الفضل فى وضع قانون لمعرفة دلائل الشريعة ، فاستنبط - علم أصــول الفقه - ولما تشعبت الأمور الفقهية ، وازدهر الفكر ، وضعت له هذه المناهج ، وكان أساسه الاستدلال بالحديث عن غيره مع ميله لاستعمال اللفظ على الحقيقة .. اذا لم تكن هناك قرينة تصرفه الى المعنى ، ويقول " العلم طبقات شتى ، ..

أولا - كتاب الله ، وسنة رسوله ..

ثانيا - الاجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة .

ثالثا - قول الصحابة مالم يكن هناك مخالفا منهم ..

رابعا - اختلاف أصحاب النبى .

خامسا - القياس ، ولا يصار الى شئ غير الكتاب والسنة وهما موجودان .[٤٥]

هذا منهج الشافعى فى الفقه - اتبع منهجا وسطا - ..

" أحمد بن حنبل "

أعرض عن الرأى ، وأقبل على فقه السنة ، معتمدا على أقوال الصحابة والتابعين ، فاذا وجد اختلافا فى أقوال الصحابة أخذ بها ، ولم يفاضل بينها تورعا ، فاذا لم يجد .. اجتهد مؤثرا المصلحة المرسلة ، مع استصحاب الأصل معتمدا على القياس ..[٤٦] وهكذا كل فقيه له منهجه الخاص ، وفى اختلافهم رحمة من حيث التخفيف على الناس .. وكلهم عن رسول الله ملتمس ..

" سبب اختلاف الفقهاء "

كما ذكر من قبل أن اختلاف الأئمة ليس فى المصدر ، وانما فى الحكم نفسه ، حيث وقعت فيه عدة فتاوى مختلفة ، وذلك لاختلاف فهم المطلوب من النصوص ، حسب اختلاف وجهات النظر ، وحسب درجاتهم فى حفظ السنة والعلم بها - ثم أن اختلاف البيئة والعصر الذى يعيش فيه الفقيه كان السبب فى اختلاف الفتوى ، ولم يكن اختلافا بالمعنى المعروف ، انما كان فى بعض الوقائع وليس فى الكل .. مع اتفاقهم

على المصدر - اذا فهو اختلاف فى الفروع فقط ..

وفى القرن الثانى زادت المسافة فى الاختلاف حول تقدير بعض المصادر - التشريعية ، والمبادئ اللغوية [٤٧] . كما لوحظ من قبل من أن أبا حنيفة يحتج بالسنة المتواترة ومالك .. يرجح أقوال أهل المدينة ، وباقى الأئمة يحتج بأقوال العدول ..

والفقهاء لما أمعنوا النظر فى المقاصد الشرعية ، وجدوها ترمى الى مصالح الناس ، فكان الاختلاف .. من ترجيح بعض النصوص ، واجتهاد بالرأى وما الى ذلك ونتيجة لهذا " أن قامت نهضة تشريعية عظيمة ، فقد دونت الصحاح الستة - و وتنافس العلماء فى المعرفة والاجتهاد ، ودون الفقه ، وعلم أصول الفقه . هذا كله من آثار الحديث على الفكر الاسلامى . [٤٨] هؤلاء العباقرة كانوا أئمة فى العلوم الشرعية .. أما القسم الثانى ، فهم رجال حملوا على أكتافهم لواء الحضارة فى العلوم الدنيوية ....

" شخصيات خلدهم التاريخ "

" الشريف الأدريسى " أقام فى صقلية - استجابة لحاكمها الذى دعاه ليقوم بعمله العلمى الضخم ، متفرغا له تفرغ كاملا ، محاطا برعاية الملك وتشجيعه ، وكان الملك الحاكم ، ويسمى - رجار الثانى - معنيا بالجغرافيا ، ويحاول الوصول الى أدق المعلومات عنها ، ولم تكن الوسائل ميسرة فى ذلك الحين ، فكان يستدعى العلماء الباحثين ، ليستعين بهم ويدون ما يصل اليه من حقائق .. وكان بجانبه فى ذلك كله - الشريف الادريسى - يحاور ويناقش حتى مضت خمس عشرة سنة جمع خلالها الكثير من المعلومات - وصار فى الامكان مباشرة العمل فى الخريطة .. ولم

ولم يكن عمل الادريسى قاصرا عليها .. بل كان انتاجه خصيبا ، لا يزال حتى اليوم يحتل مثار الاعجاب .. ومن المؤسف قد ضاع فى غمار الزمن جزء مهم مما حققه الادريسى من أعمال ، فقد ذكر ـ أبو الفدا ـ أنه كان له كتاب " الممالك والمسالك " وألف أيضا فى علم النبات كتابا أسماه " جامع أشتات النبات " يورد فيه أسماء النباتات فى أكثر من عشر لغات ، ويستنتج أن الادريسى حاذق فى جميع علم النباتات ، والمواليد وعلوم الطبيعة ، والطب ، أكثر من الجغرافيا ، أما قمة أبحاثه الجغرافية ، فهى كتاب " نزهة المشتاق " شرح فيه خريطته وعلق عليها[٤٩]

ولقد شاع فى القرون الوسطى أن الأرض مسطحة تقوم على سطح الماء ، لكن الادريسى استمد تصوره من القرآن (والأرض بعد ذلك دحاها) أى أنها بيضاوية الشكل محاطة بالماء من كل جانب ، حيث يغمر الماء نصفها المعمور وينحصر عن النصف الآخر ، ويفصل بينهما خط الاستواء ، وبناء على هذا التصور وضع الادريسى خريطته .. والمهم أنه استطاع بفكره ومهارته أن يخطط للدور الحضارى الاسلامى فوضع كتاب " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " أشار فيه للأنهار والجبال ، والمدن ، والسكان وأجناسهم ، وعاداتهم ، والنباتات والحيوان وما فيها من منافع طبية ..

وقام الادريسى بعمل خريطته المشهورة وانتهى من العمل فيها سنة ١١٥٤م ، وأخيرا نهبت الخريطة وضاع ذلك المجهود الفنى الرائع ولم تسلم الا خريطة كانت معلقة على الحائط ، وخريطة الكتاب التى جمعها المستشرق الألمانى[٥٠] ، وظلت المصدر الوحيد لكل المؤلفين فى الجغرافيا حتى عهد قريب .. وبذلك خلد التاريخ ، رجلا أخلص لدينه الاسلامى .

ومن الذين برعوا فى علم الهندسة واشترك فى " بيت الحكمة " فى عهد المأمون حتى قال عنه مؤرخوا الغرب ، انه أعظم مكتبة علمية فى العالم أجمع .. هو .

" الحسن بن موسى " أول عالم يخصص مكافأة شهرية لقسم الترجمة ، ليترجم له - المؤلفات الغربية .. وبرع فى علم الميكانيكا ، وحساب المثلثات ، وترجمت مؤلفاته الى اللغات الأجنبية ، وأصبحت محور الدراسة فى أوروبا طوال القرن الثامن عشر ، واشترك هو وأخوته فى تأليف كتب عن الموسيقى والحساب والطب ، والفلسفة ، ورغبوا فى طلب العلم حتى أصبحوا من علماء عصرهم ، وعمت كتبهم بلاد الروم ".[٥١]

وبعد قرنين من عصر الترجمة ظهر العالم الذى سن نظرية المعرفة مسبقاً علماء قبل العلماء الذين تكلموا عنها - بثمانية قرون ، هو - ابن حزم - الذى عمل بالسياسة ثم اعتزلها ، وانصرف الى التأليف وأجمع العلماء على تضلعه بعلم الفلسفة ، وألف أربعمائة كتاب ، كلها على مستوى علمى رفيع ، فكان من أنصار الذين يتمسكون بظاهر النصوص فى الأمور الدينية .. واشتهر بنظريته: (ان المعرفة بالحس السليم ، وبالبديهة شيئا واحدا ..) لأن البديهة أول العقل وتقوم على الحس السليم .. والحواس لا تدرك شيئا الا بالمعرفة ، والعقل لا يستطيع تمييز الأمور جيدا الا اذا كانت الحواس فى جسم صاحبها سليمة .

وسبق الفيلسوف الألمانى - كانط - فى حل مشكلة : (كيف تكون الأحكام - المبنية على اختبار الحس ممكنة بالبديهة -) سبقه بسبعة قرون ، وحل المشكلة نفسها حل العبقرى البصير .[٥٢]

ويحتل المكان الأول فى طليعة مفكرى الاسلام - أيضا - الامام الغزالى - حيث أن له بالغ الأثر فى الحياة الفكرية ، والدينية ، والتى سادت العالم الاسلامى فى عصره وما زالت موهبته النادرة محل اعجاب حتى اليوم .. فلقد صرف جمهور المسلمين عن المجادلات الكلامية فى أمور الدين ، واتبع نهج القرآن والسنة ، وانتصر على

الفلاسفة ، بعد أن فند معتقداتهم ورد على حججهم وأخضع العقل البشرى للشرع ، وصرح بعجزه ... خلافا لآرائهم ، والغزالى لم يكن مقتدرا فى الرياضيات والطبيعيات ومع ذلك ضرب فيها بحظ وافر . أما فى المنطق والفلسفة فكان علما من أعلامها ، واستخدم المنطق لنصرة الدين ، وهاجم الفلسفة المضللة لذوى العقول القاصرة ، والمعركة التى قامت بين الغزالى والفلاسفة ، الذين قالوا : " بقدم المادة ، وأن العالم أزلى قديم - وفريق يقول : بحدوث العالم لأن الله علة ايجاده - ولكنه قديم لأنه ناشئ عن الله مباشرة بلا تراخ فى الزمن واتجه لهذا الرأى أيضا - بعض فلاسفة الاسلام ، كالمعتزلة - : فالعالم عند هؤلاء جميعا متأخر عن الله بالذات والمرتبة ، وليس متأخر عنه بالزمن "[٥٣] .

أما الغزالى : فلزم جانب الدين ، وقال : " العالم حادث خلقه الله من العدم باختياره وارادته ، فى الزمن الذى أراده ، وعلى الهيئة التى أرادها .. والله خلق الزمان والحركات أيضا ، وليس العالم أزليا "

وقال الفلاسفة : " ان النفس مخالفة للبدن ولذلك تبقى بعده دائما ، وهى اما فى نعيم أو عذاب .. أما الجسم فانه منعدم ، والمعدوم لا يعود .. "[٥٤]

والامام الغزالى يخالفهم - لأنهم عرفوا ذلك عن طريق العقل ، بينما الصحيح طريق الشرع - والغزالى أنكر السببية ليفسح مجالا للمعجزة ، ويرى أنها تناقض القضاء والقدر .. ثم ان اقتران حادثتين ، أو تعاقبهما ليس دليلا فى رأيه على أن الثانية منها مسببة عن الأولى ، مثل : الشرب ، والرى والأكل والشبع ، - والدواء والشفاء ، والنار واحتراق الأجسام ، أما الاقتران الظاهر بين الحوادث فيقول الغزالى : " أنه سبق فى علم الله وتقديره أن خلقها على التعاون ، فان الله يشفى المريض اذا أراد له الشفاء ، وأن الله وحده هو مسبب الحوادث كلها "[٥٥]

والغزالى نصر الدين بالعقل ، وتأثر بكتاباته وفكره كثيرًا من الفلاسفة[٥٦] .

المسيحين قديما وحديثا ، وخاصة في أوروبا [٥٧] ..

ومن علماء الاسلام الذين أثرى بهم التراث الفكرى الاسلامى ، وثالث ثلاثة ازدهرت بهم الحضارة العربية فى عصرهم [٥٨] .. ويحتل مكانة عظيمة بين علماء المسلمين ، اذ هو عالم مؤرخ طبيعى ، جيولوجى ، فلكى ، رياضى ، كما درس التقاويم والطب ، وعلم اللغات ، وعلوم الآثار ، وعلم الأديان ، والأخلاق ، وفى أخريات أيامه اهتم بالعلوم الكونية والاختراعات .. وبذل عناية فائقة فى علم الأدوية والمعادن ، قال فيه علماء الغرب المعاصرين : (لو كان ـ أبو الريحان البيرونى حيا اليوم لاستحق بجدارة .. جائزة نوبل..)

ومن أشهر مؤلفاته "القانون المسعودى" وهو عبارة عن موسوعة فى الفلك ، والرياضة والجغرافيا ، والهندسة .. وقد قامت دائرة المعارف فى ـ حيدر آباد • الدكن • بالهند ـ بطبع كتابه " الرسائل المتفرقة فى علم الهيئة ـ ١٩٤٨م " أما كتابه "الصيدلة فى الطب" فقد نشر فى برلين ١٩٣٢م ـ وقام المستشرق الألمانى " ادوارد سخاو " بتحقيق كتابه ـ الجماهير فى معرفة الجواهر ـ الذى نشرته • لندن عام ١٨٧٨م ، وطبعته فرنسا مرة أخرى عام ١٩١٠م ، وكذا الهند ـ [٥٩] ..

" والبيرونى " ألف من الكتب ما يضيق المقام عن ذكره : منها ماهو فى ـ الأرضيات والكواكب ، والنجوم والشمس وما الى ذلك ، وقد سمى الغربيون احدى النظريات ، ب " قاعدة البيرونى " كما أن له دراسات وأبحاث فى عمر الأرض ، وكذا البراكين والزلازل ، وقد بلغ عدد مؤلفاته تقريبا ـ ١٨٠ كتابا ـ ضاع معظمها

والبيرونى .. كغيره من علماء الاسلام ، الذين تأثروا بالقرآن والحديث ، بعيدا عن الأهواء والأغراض وطبقوا كل ما أمرهم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحثا عن الحقيقة •

واخلاصا للبحث العلمى ..

وتحتفل أوروبا - كل عام بميلاده - وصدرت دراسات تذكارية ، اعترافا بفضله على العلم والثقافة الانسانية [٦٠] . هؤلاء مركز أصالة العالم الاسلامى الذى ينطوى على كل هذه الزخائر ، والتى كانت نتاجا موسوعيا فى عصر اسلامى مجيد ، قد مضى .

ومن أساتذة الكيمياء ورائدها ، فى الشرق والغرب هو - جابر بن حيان - هو أول من استحق لقب الكيميائى من المسلمين - [٦١] . كما ألف فى العلوم الطبيعية ، وصناعة الكيمياء وأصبح مشهورا فى هذا المجال ، طيلة القرون الوسطى .. بالاضافة الى علم الفلك والطب والرياضيات .. الخ .. وله مؤلفات فى جميع فروع المعرفة منها كتابه " الرحمة " تطرق فيه الى تحويل المعادن ذهبا .. وأظهر فيه عمقا قديرا فى الكيمياء حتى أصبحت تسمى - صنعة جابر - [٦٢] . ان من المؤمنين بالبحث والتجربة ، ويقول لتلاميذه : " عليك بالتجربة لتصل الى المعرفة " وقام بالتعديل فى - نظرية أرسطو - مما هيأ الأسباب بعد ذلك للتوصل لنظرية الذرة ، كما ألف كتاب " السموم ودفع مضارها " وأدخل على علم الكيمياء شئ جديد اسمه - علم الميزان - وقام بتحـويل الزئبق الى مادة صلبة حمراء ، واكتشف أنها لم تفقد ماهيتها [٦٣] .. ولمدة ألف سنة بقيت مؤلفات - جابر - مرجعا لعلماء الغرب والشرق على السواء . وامتازت مؤلفاته العلمية بالقوة والايجاز وزادت عن - ٥٠ كتابا -

كتاب رجب أحمد تحول الروح والحديث النبوي

" الاسلام أول مكتشف لعالم الروح "

بحث علماء الاسلام فى عالم الماديات ، وتفوقوا فيه ، كما تفوقوا فى علم النفس - علم الوجدان والمشاعر والأعصاب - واستمدوا معرفتهم من عقيدتهم - الاسلامية .. لهذا العلم الهام ..[٦٤]

والدليل الحدسى على - النفس - أمر بديهى لا يحتاج الى دليل ، وعبروا عنه أيضا بأنه " من علم المكاشفة " وفلاسفة أوروبا يشاركون علماء الاسلام هذا الرأى ، يقولون : " انها حدسية ، ولجهلنا بالدليل لا يمنع من وجودها وادراك - النفس شعور بها "[٦٦] وعلماء الاسلام وجدوا أن القرآن أساس الدراسات النفسية ، فقد أطلق العقل من أسر التقليد والجمود ، ودعاه للتأمل فى الملكوت والحياة ، وخاصة النفس - وطلب من الانسان أن يتعهدها بالخير ويزكيها بالطاعة ، ويبتعد بها عن كل المؤثرات الضارة ، يقول سبحانه : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها "[٦٧] . وآيات القرآن عن النفس كثيرة[٦٨] وكلها إشارات جعلت علماء الاسلام يطرقون باب الحديث عنها ، ويفردون لها - الأبحاث المستقلة ، وهؤلاء العلماء كلهم علماء شريعة لا صلة لهم بعلوم الطب[٦٩] .. الا بقدر ما فى الاسلام من عقيدة وشريعة ، وأبحاثهم مبتكرة صحيحة ، رائدة لمن بعدهم ، فابن سينا ، تكلم عن " هوى النفس " وابن حزم تكلم فى - أصلها - ، الغزالى تكلم عن - دور المراهقة وخطره - وتكلموا عن أثر العوامل النفسية فى الجسم وأمراضه وشفائه ، وعن الحفظ والذاكرة والنسيان والتعب ، وأهمية الراحة الترويح عن النفس ، وكلها أبحاث شهد لها الجميع بالاحترام والتقدير[٧٠] ...

ويشير الرسول - عليه السلام - فى كثير من أحاديثه ،فكان يقسم بها ، ويدعو للاعتنا بتهذيبها ، فيقول : " والذى نفسى بيده ما بعد الدنيا من دار ، الا الجنة أو النار [٧١]

ويقول ، بعد وصية طويلة لأصحابه : " نفسك تحييها ، أحب اليك .. أم نفس تميتها .. قال : بل نفس أحييها .. قال : عليك بنفسك . " [٧٢]

ومن خلال القرآن والأحاديث الشريفة ، قام علماء الاسلام بدراسة النفس .. كل حسب طاقته العلمية .. [٧٣]

وعلم النفس ليس قاصرا على الجسم فحسب ، بل تطرق الى الوجدان والفكر ، والأدب والشعر والفقه ، والحديث والتفسير .. هذه العلوم تناولت علم النفس الاجتماعى وما يتعلق بها بالأفراد ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول .... " ان من الشعر لحكمة " [٧٤] . فحكم الشعراء وخيالهم داخل فى صميم علم النفس ، - لأنها تصور ما فى الوجدان من شعور - والأمثلة من واقع الحياة : فالرجل يوصى عند احساسه بالموت ، والرجل يغلب عليه الشك فى الطهارة ، والرجل يحزن ويغضب ويضطرب نفسيا ، كل هذه أشياء نفسية ، ولها دخل كبير حتى فى تفسير القرآن ، والحديث .. مما حدا بالامام مالك أن يدون ذلك فى حواشيه ، وكذلك الامام البخارى ومسلم فى مقدمته ، وما يتبع ذلك من اختلاف الروايات ، وما ذكره ابن حجر ، والعينى ، وما تناوله - ابن المقفع - ، والجاحظ - من مسائل متعلقة بالنفس والأخلاق .. [٧٥] وما ذلك الا تأثرا بالعقيدة الاسلامية ، ومدى تأثير الحديث - الشريف فى نفوسهم ، ففاضت بأسمى المعانى العلمية والفكرية ، موجهة النفوس الى الاطمئنان والاحساس بالهدوء - .. [٧٦]

ويصور القرآن الكريم : بعض المواقف النفسية الرائعة فى قصة " ابنى آدم " فى قوله تعالى (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك [٧٧] .) موقف يمثل الحسد ، وكانت أول جريمة ترتكب على الأرض .. .

الدافع لها مشكلة نفسية بين أخين ..

وكذا يوسف : مع اخوته ، يصور القرآن الغيرة ، ومراحلها ، ومباذتها وآثارها ونتائجها ، وهذا كله أسهم فيه مساهمة فعالة .. علماء الاسلام ، كالغزالى - احياء علوم الدين - وابن الجوزى فى - الأزكياء - وابن طفيل الطبيب الأندلسى فى كتابه - حى بن يقظان - ويعتبر من الرواد المفكرين المجددين فى علم النفس أمثال : " جاك جان روسو " فى كتابه أميل - [٧٨] .

وفى الحقيقة ان علماء الاسلام ومفكريه ، لهم الفضل فى تطوير " المنهج العلمى التجريبى " مثل جابر فى - الكيمياء - والرازى فى الفيزياء - وناقشوا كل ذلك بطريقة تجريبية اندهش لها العالم فى هذا العصر - عن طريق الكتاب والسنة ، بدافع الايمان بالله سبحانه ..

ومهما قيل فى العلوم الحديثة ، كالتعلم الشرطى ، أو التعلم بالاقتران ، فقد سبقهم الغزالى بطريقة فذة ، مستحدثا بعض المصطلحات ، مازالت تدرس حتى الآن ، لعمقها فى المعنى والبحث المفيد ، أما من جهة نظام الأسرة والمجتمع فوضحه ابن خلدون فى كتابه " التكيف الاجتماعى والنفس " ..

ومن الملاحظ أن العلم الحديث .. اتجه الى النواحى التجريبية ، وليس الى النواحى النفسية ، كما فعل علماء الاسلام [٧٩] ..

من خلال هذا العرض السريع .. يتضح ما قام به مفكروا الاسلام فى مجالات - (النفس الانسانية) المتقدمين منهم والمتأخرين ، وكانت رائدة لارتباطها بالاسلام وكتابه الكريم ، والمتأمل فى كتابات المتقدمين .. يجد أفكارا ونظريات ، ربما تكون أحيانا - نظرية - [٨٠] . الا أن التجارب العملية أثبتت أصالة هذه الأفكار ، وصدقها بعمق ليس له مثيل فى الفكر المعاصر ..

الباب الثالث

الحديث وأثره على الفكر الاسلامى

.... والعلوم الاسلامية ....

الفصل الثانى ... و ... الفصل الثالث :-

المراجع : والتعليقات .

(١) من أرادها .. فهى فى كتب التوحيد .
(٢) سورة الجن / ٢
(٣) سورة الأحقاف / ٢٩ - ٣١ ..
(٤) أخرجه مسلم ج ٨ / ١٣٩
(٥) أخرجه مسلم .. / ج ٦ - ١٠٩ ، ومالك ، وأبو داود ..
(٦) أخرجه الترمذى - الأطعمة - ٤٨ ، وأبو داود (٣٠/١) وابن حبان .. " والغمر " هو رائحة الطعام .
(٧) أخرجه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ..
(٨) الشيخ الغزالى " ركائز الايمان " ص ١١٦ ..
(٩) مثل الشيخ الطنطاوى الجوهرى ، فى تفسيره " الجواهر - ج ١ " وهو من العلماء " المحدثين ، والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر - رحمه الله فى تحقيقه لكتاب " لطائف المنن " وعلق عليه ، محمد السمان ، فى - مجلة الدعوة السعودية - عدد ٦٩٢ / ٩٩ ١٣ هـ ..
والغريب أن بعض المفسرين الكبار قديما وحديثا انساق فى هذا التيار ، كما ذكر و أيضا الزمخشرى ..
(١٠) ركائز الايمان ، ص ١١٣ ..
(١١) سورة البقرة / ١٠٢ .. انظر ابن كثير فى تفسير هذه الآية ..
(١٢) تفسير ابن كثير .. نفس المصدر ..
(١٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، وابن كثير فى تفسيره ، ج ١ ص ١٤٤ - طبعة الحلبى / مصر ...
(١٤) أخرجه الترمذى ، وأحمد بن حنبل ، وتفسير ابن كثير ..
(١٥) سورة الذاريات / ٥٦ ..
(١٦) سورة سبأ / ١٢ - ١٣ ..

(١٧) سورة الجن / ١١
(١٨) سورة الجن / هـ ١٠ ..
(١٩) أخرجه البخاري .. ج ٤ / ١٣٥ ..
(٢٠) سورة الأعراف / ١٨٨ ..
(٢١) أبو بكر الجزائري " عقيدة المؤمن " ص ١٨٢ - وعندي أن الجماد لهحيز والانسان كائن له حيز ، فاذا وجد في مكان استحال أن يوجد في مكان آخر .. وليس في امكانه أن يعرف مالم يشاهده بحواسه من الأشياء - المادية ، لكن لا بد أن يؤمن بأشياء لا ترى بحواسه .. فمثلا : حواسه التي يحصل بها المعلومات ، محدودة القوة ، ولها مجال لا تستطيع أن تتعداه ، فالسمع مقيد في سماعه للأصوات العالية ، لكن لو انخفض الصوت الى درجة معينة ، تعذر عليه السماع .. وكذا البصر مقيد بالرؤية حسب بعد معين ، وحسب حجم الأشياء ، لكن هناك أشياء بعيدة جدا ، وأخرى صغيرة جدا ، لا ترى الا بواسطة الأجهزة المكبرة (الميكروسكوب) فعدم رؤيتها لا يدل على عدم وجودها ، وانما هو ضعف البصر وطاقته المحدودة .. فكذا الايمان بالغيب والأشياء التي لا يمكن مشاهدتها ولا الاحساس بها .. لكن تعرف بالعقول ، فكثير من الناس لم يرو بلادا مثل : أوروبا ، والحجاز ، لكن يؤمن بوجودها - وانكارها من باب - العبث واهدارا لكرامة العقل - وأبسط دليل على عالم الغيب : الأحلام التي يراها النائم ، فعالم الغيب موجود والايمان به واجب لكن لا يجب أن نخرجه عن اطاره المعقول ..
(٢٢) هذه المقتطفات من : " رسالة القشيري " عن كتاب - ركائز الايمان - للشيخ الغزالي ص ١١١ ..
وعندي أن هذا لايرضي الله ولارسوله .. فاني أعيش منذ أربعين عاما لم أر شيئا من هذا القبيل ، وغاية مانقول سمعنا ..
واني لا أنكر الكرامة بالنسبة للأولياء - ولا المعجزة بالنسبة للرسل وأمرهما معروف في كتب التوحيد .. لمن أرادها ...
ولقد كان من رحمة الله بالأمة الاسلامية ، أن سلفها الصالح سليم من هذا الاعتقاد .. فلم نسمع أن أبا بكر - طار في الهواء ، ولاعمر - سار على الماء ، ولاعثمان استطاع أن يحمي نفسه من قاتليه .. ولا - علي - تغلب على - معاوية - ولم تظهر على أيديهم هذه الكرامات .. بل كانت كل أمورهم طبيعية .. مثل باقي الناس ، مستعملين كل الوسائل الطبيعية والتي يستخدم فيها العقل والفكر ، وسيرتهم ليست خافية على أحد ... والنبي - عليه السلام - لم يدع لنفسه هذا .. وكذا الصحابة والتابعين فسعدت بهم الدنيا ، وكانت حضارة الاسلام الخالدة .. ولو أن تلامذة محمد - عليه السلام - حدثت لهم مثل هذه الأشياء ، عن الكون والكائنات ما فتحوا بلادا ، ولاتركوا أي أثر يدل عليهم ...

(٢٣) البخارى ـ الأطعمة ـ
(٢٤) أخرجه الترمذى ، كتاب ـ القيامة ـ .
(٢٥) د . محمد حسين هيكل " المعرفة والفلسفة والايمان " عن مجلة ـ العربى
عدد ٢١٣ / ١٩٧٦م ـ ص ٣٠ .. الكويت ..
(٢٦) ابن سعد " الطبقات " والشهرستانى " الملل " والبخارى ، حديث/٣٣٧.
(٢٧) ابن المرتضى " المنية والأمل " ..
(٢٨) سورة البقرة / ٧٩ ..
(٢٩) " " الرعد / ١١ ..
(٣٠) الشيخ محمد عبده " العروة الوثقى" ص ٤٩ ـ دار العرب ـ ط ١ ـ القاهرة
سنة ١٩٥٧م ..
(٣١) الشيخ الغزالى " هذا ديننا " ـ وأحمد العسال " الأضوا" على الحركات
الهدامة " ج ١ ـ المكتب الاسلامى ـ بيروت ، ص ٥٠
كما فى ـ بنجلاديش ـ وغيرها من جزر ـ الملايو والفيليبين ..
(٣٢) الشهرستانى " الملل والنحل " والبخارى حديث/ ٣٣٧ ..
ومثل هذا المثل فى لغة الفارسى .. تدبير تدبير كند بنده ـ تقدير
زند هذه .
(٣٣) محمد فتحى عثمان " الدين للواقع " ـ ١٩٧٥م الكويت.
(٣٤) د . محمد البهى " مع المذاهب الاسلامية ، مجلة الأزهر ـ عدد / صفر
١٣٧٩ هـ .. القاهرة ..
(٣٥) مقدمة طه حسين " فجر الاسلام " تأليف ـ أحمد أمين ـ النهضة المصرية
/ ١٩٦٥م . ـ مصر ـ ود. محمد البهى " مع المذاهب الاسلامية " ..
(٣٦) تفسير ـ ابن كثير ـ ج ١ ..
(٣٧) أخرجها الطبرانى فى ـ الأوسط ـ والبيهقى فى ـ السنن الكبرى ـ ..
(٣٨) ابن تيمية " رفع الملام عن الأئمة الأعلام " ط ٣ ـ ١٣٩٠هـ ـ بيروت ،
ص ١٠ ..
(٣٩) أبو بكر الجصاص فى ـ أصوله ـ / ٢٥٤ ـ ١ .. بالمعنى ..
وأخرجه أحمد بن حنبل ـ النكاح ـ وأبو داود ـ الصدقة ـ
(٤٠) أخرجه أحمد ، وأبو داود ـ الصوم ـ
(٤١) فقها" المدينة ، هم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، و القاسم
ابن محمد ، وأبو بكر الحارث ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، و سليمان
ابن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ..
(٤٢) د . محمد سلام مدكور " الاختلافات الفقهية ، ومناهج الفقها" " العربى
عدد ١٨٥ / ١٩٧٤م .. ص ٨١ ـ الكويت ـ
(٤٣) نفس المصدر ـ ص ٨٤ ..
(٤٤) الشاطبى " الاعتصام " ج ٢ ص ١٧٧ /١٩٧٨م ..
(٤٥) الامام الشافعى " الام " ج ٧ ص ٢٤٦ ..

(٤٦) ابن تيمية " رفع الملام عن الأئمة الأعلام " ص ١٠
(٤٧) الشيخ عبد الوهاب خلاف " تاريخ التشريع الاسلامى - ط ٩ / ١٩٧١م - دار القلم للطباعة والنشر - الكويت - ص ٧٢ .
(٤٨) د . مصطفى السباعى " السنة ومكانتها فى التشريع " - دار العروبة القاهرة - ١٩٦١م - ص ١٠٢ ..
(٤٩) يقول : محمد عبد الله ماضى ، أنه اطلع على نسخة من هذا المختصر فى (مكتبة المعهد الشرقى - بهامبورج) طبعة روما / ١٩٥٢م ..
(٥٠) هو - ميللر - طبعها سنة ١٩٢٨م وما زالت محفوظة فى ألمانيا ..
(٥١) ابن النديم " الفهرست " ..
(٥٢) د . عمر فروخ " تاريخ الفكر العربى " - ط ٤ / ١٩٦٢م لبنان ص ١٣١ وكتاب (الصلة فى أخبار أئمة الأندلس " ..
(٥٣) الامام الغزالى فى " احيا " علوم الدين - والمنقذ من الضلال " ..
(٥٤) وعلى هذا .. هم أنكروا البعث ، والجنة والنار والحساب والعقاب ..
(٥٥) ولو أن هذا يتناقض مع الأخذ بالأسباب ، ويحدو بالانسان الى التواكل ويتناقض مع قوله - ص - اعقلها وتوكل - وأيضا ينتفى الثواب والعقاب والارادة الانسانية فى الأعيا " التى يختارها بنفسه والله يقول : (ان الله لا يأمر بالفحشا ") وأيضا يتزروع البعض عندما يرتكب معصية مثل السرقة والزنا مثلا ، ثم يقول كتب على هذا .. وكثيرا من الناس ، فهموا الأمر على غير الحقيقة ، وأعرت لهذا فى باب (سبب تأخر المسلمين)
(٥٦) المنقذ من الضلال - للامام الغزالى - حققه الشيخ المرحوم د . عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ط ١ / ١٩٦٤م - القاهرة ..
(٥٧) وعلى هذا فقد أثر الفكر الاسلامى تأثيرا كبيرا فى أوروبا ، وكان - ابن رشد - له أثر فى نهضة أوروبا العلمية ، يفوق ما تركه الغزالى فى تفكيرها الدينى .. والكلام على نهضة المسلمين . ثم تخاذلهم بعد ذلك يجعل فى النفس أسى وحسرة ، على ماض مشرق ، ومستقبل مظلم ... فنحن فى حاجة الى أفكار رائدة لأننا أصحاب هذا الفكر المنير ، وشهد الأعدا " قبل الأصدقا " ، بفضل العرب على الثقافة الانسانية كلها ..
(٥٨) وهم : ابن سينا . ابن الهيثم . البيرونى ..
(٥٩) مجلة الفيصل .. عدد ١٢ / ١٩٧٨م - السعودية - ص ١٥٠ ..
(٦٠) دى بوير - الماني : " تاريخ الفلسفة فى الاسلام " ص ٣٠٢ - ترجمة : د . عبد الهادى أبو ريده - ١٩٦٢م - السعودية - وفرانز روزنتال - " مناهج علما " المسلمين فى البحث العلمى " ترجمة : حسنى محمد بدوى - عن مجلة الفيصل - عدد ١٢ - ١٩٧٨م ..
(٦١) أبو بكر الرازى ، فى كتابه " الأسرار وسر الأسرار " و - لعيارد - فى كتابه " الكيميا " الى زمن دالتون " - د . على الدفاع / ١٩٧٨م

(٦٢) جورج سارتون " المدخل الى تاريخ العلوم " عن مجلة - الفيصل - عدد اغسطس / ١٩٧٨ م السعودية ...

(٦٣) د. عبدالحليم منتصر " المنهج التجريبي لدى علماء العرب في العصر الاسلامي " بحث قدمه في - مؤتمر الحضارة العربية بين الأصالة - والتجديد - سنة ١٩٧٥م ببيروت ، ومحاضرة أخرى بعنوان " هل الحضارة ستشرق من الشرق مرة ثانية ..؟ " بغداد - ١٩٧٦م ...
ومن الجدير بالملاحظة .. أن - جابر - العالم المسلم ، قد سبق - دالتون - بأكثر من ألف عام .. وأنه الذي نقل " الكيمياء " من الخرافة الى العلم التجريبي ، المتبع الآن ...
انهم مسلمون ساروا على نهج الرسول ، وما أجدرنا بمحاولة جادة لتتبع الحضارة من هنا مرة أخرى ...

(٦٤) ابن ماجة - النفس - الفيصل . عدد ٣٠ / ١٩٧٩م . ص٣٢ / السعودية .
والموضوع بوجه خاص فيه جانب من - المكتشفات الطبية - والجانب الآخر متعلق بالفكر الوجداني والروحي .. وآثرت الجانب الأخير - لارتباط الفكر بالنفس ، والنفس مرتبطة بالحياة - بل عينها - المرتبطة بوجدان المسلم الخاشع لقدرة الله ..
والاسلام ليس دين ماديا فقط ، بل هو روحي أيضا ، يهتم بتطهير النفس وتزكيتها والارتفاع بها عن مستوى المادية الحيوانية ...
لهذا نجد علماء الاسلام أول من تكلموا في النفس وجوهرها ، واستقلالها عن الجسم ، ومصيرها بعد الموت ، وأجادوا في عرض الأدلة - عقلية - وشرعية وحسية - على وجود النفس ...

(٦٥) الغزالي " احياء علوم الدين " ج٣ ..

(٦٦) لوك مالبرانش - ترجمة : محمد المبارك - الفيصل عدد ٣٠ ...

(٦٧) سورة الشمس /٧ ، ٨ ، ٩ ....

(٦٨) ذكرت لفظة " النفس " في القرآن - ٦١ - مرة في سورة الفجر ، والقيامة ويوسف ... الخ ..

(٦٩) منهم : الغزالي ، وابن سينا ، وابن مسكويه ، والخطيب البغدادي ...

(٧٠) د. عبد الله العجلان - تخصص شريعة وأصول - مقال له بعنوان (علماء المسلمين في نشأة علم النفس) /١٩٧٩م السعودية ، ص٧٦ ..

(٧١) أخرجه أبو نعيم ، في - الحلية - والبخاري - الأدب ...

(٧٢) " " أحمد بن حنبل - ج٣ ..

(٧٣) د. عابد توفيق الهاشمي - الفيصل - نفس العدد السابق ..

(٧٤) أخرجه البخاري ، والترمذي - الأدب - ...

(٧٥) كما يلاحظ ذلك في كتاب "كليلة ودمنة " لابن المقفع ، وكتب التصوف

للامام الغزالى ، والمكى ...

(٧٦) د. عبدالله الطيب ـ السودان ـ مجلة الفيصل ـ نفس العدد الماضى ..

(٧٧) سورة المائدة /٣٢ ...

(٧٨) د. عبدالحميد الهاشمى ـ أستاذ علم النفس ـ سوريا .. نفس المصدر ..

(٧٩) د. فاروق محمد الصادق ـ أستاذ فى جامعة الأزهر (علم النفس المعاصر

(٨٠) ان هذه التجارب والأفكار ، نابعة من عصورهم الروحى ... يلاحظ ذلك فى كتب التصوف .. فقد ذكروا أشياء مثل : طير الانسان فى الهواء وبعض المخترعات : كتكلم الحديد .. وقد حدث هذا فعلا الآن ...

الباب الثالث

الحديث وأثره على العلوم الاسلامية

الفصل الرابع :

** الحديث ... وأثره على الترجمة ....

** الحديث ... ونهضة الترجمة ....

** الترجمة فى العصر الحديث ....

الفصل الخامس : هذا .. محمد ـ رسول الله ....

** رجل بعث أمة ....

** الأسوة الحسنة ....

** نظرة . حول ما كتب عن سيرة الرسول ....

« الحديث وأثره على الترجمة »

كان عصر الترجمة فى التاريخ الاسلامى عصرا ذهبيا ، فعندما اتسعت الامبراطورية الاسلامية ، واختلطت بالثقافات الأخرى .. قام علماء الاسلام تحدوهم رغبتهم الجادة ، فى العلم والمعرفة ، على تلك المستحدثات .. من طب ، وفلسفة .. الخ . فقاموا بنقل كتب العلم ... وترجمتها الى العربية ..

وكان من أقوى بواعث هذه النهضة .. هي الروح الاسلامية ، ورغبة البلاد المفتوحة فى الدين الجديد ..

والترجمة بلغت أوج عظمتها فى القرن التاسع الميلادى ، وابتدأت بتفتح واعى حبا فى المعرفة ، واقبالا على العلم ، مع الاعجاب بتراث الاغريق والرومان والاقدام على نقل هذه الكنوز وترجمتها ، وكانت النهضة الاسلامية بمثابة بذور - لنهضة أوروبا التى بدأت مؤخرا - خمسة قرون -

والنهضة الاسلامية بلغت ذروتها بسرعة عجيبة .. ودون سابق انذار .. وتساءل المؤرخون على تلك النهضة ، والبواعث التى جعلت المسلمون العرب يتجهوا الى - تعريب تلك الكتب .. فوجدوا الباعث الأقوى : هو - الدين - متمثلا فى القرآن الكريم ، وحديث الرسول - عليه السلام - وحثه المسلمين على طلب العلم ، فمنهجهم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ..

والترجمة بدأت مبكرة من زمن الدولة الأموية ، ثم فى عهد الخليفة المنصور العباسى - ٧٥٤م - وامتدت مع الزمن ، وبلغت ذروتها فى عهد « المأمون - ٨١٢م »

وأول نقل فى الاسلام ، كان على يد - خالد بن يزيد بن معاوية - حكيم آل مروان : أحب العلوم ودرس الكيميا ، وأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ونقلوا كتب الكيميا . الى العربية .. بالاضافة الى أعمال - عبد الله بن المقفع

التى عملت تعريب عدد من الكتب الفارسية .. وقام الخوارزمى - الرياضى - الذى اشتهر بحساب الأرقام التى اتخذها من العالم الهندى - مانكا - واستخدمها فى شتى المجالات ..

ثم جاء " الرشيد / ٧٨٦م " فتألق فى عهده .. الندوات ، والمحاضرات ، والمجالس العصبية . ثم كان عصر المأمون - العصر الذهبى - بحق لسعة علمه - وحبه للمعرفة ، ووجه أكبر همته للترجمة ونشر الثقافة ، ولم يقم بهذا الجهد - المحمود .. أحد من المسلمين : لاقبله ولابعده .. حيث جمع خيرة المترجمين - وأعطاهم أغلى الرواتب ، وأنزلهم منزلة كريمة ، وكافأهم بوزن مايترجمون ذهبا[٢] ..

" نهضـــة الترجمـــــة "

ولقد تأثر الفكر الاسلامى أيضا - من ترجمة الكتب - الأجنبية - الى العربية فأمدته بنظم ومعارف جديدة ، والتقت الحضارات بحضارة الاسلام ، ووقف العلم على قدميه ، وبدأت أعظم عملية ازدواج فكرى فى تاريخ البشرية[٣] ..

وركزت حركة الترجمة الاسلامية على الكتب العلمية ، واستجلبت الكتب من شتى الأقطار ، وانتدب لها أكبر الحاذقين باللغات : اليونانية ، والسريانية ، والآرامية .. وحملوا تلك الكتب - من طب ، وفلك ، ورياضيات ، وفلسفة ، وغيرها وعادوا بها الى بغداد -[٤] وترجمة كلها الى العربية ، وكان يقوم فريق من العلما بمقارنة مافيها بالعلوم الاسلامية ، وادخال الطابع الاسلامى عليها .. بالتصحيح

والاضافة ، فصنفوا لتلك الكتب خرائط جديدة ومصورات للبلدان وتقاويم فلكية[٥] أحسن دقة مما فعله الغرب ، واسهاما من دولة الاسلام فى نشر الروح العلمية .

كان التدريس مجانا فى " بيت الحكمة - وكان الجو الفكرى سائدا بحرية تامة بين المفكرين .. من مناظرة بين الأديان دون خوف ، وظل هذا الازدهار - الى أن داهم المغول - بغداد - ١٢٥٨م) وخربوا خزانة الكتب ، ونهبت معالمها ، وفقد المسلمون أعظم تراث لديهم .. الا بعض الكتب التى هرب بها العلماء الى مصر ، والأقطار المجاورة - ثم انه كان الدافع لوضع كثير من المؤلفات لخدمة - التفسير والحديث هو الروح الاسلامية ، التى تشبع بها المترجمون والأدباء ، فقام " محمد بن موسى الخوارزمى " بوضع علم - الجبر - والأصمعى " تاريخ الملوك " والفراء " أصول النحو " وذلك على أسلوب دقيق فى النقل والمعنى[٦] .

ومن جانب آخر فقد أحضر المأمون .. كل الكتب الموجودة فى مكتبة - صقلية " وجمع علماء الأمة ، كل فى تخصصه ، وصوروا العالم بأفلاكه ، ونجومه ، وبره ، وبحره ، وعامره وغامره ، ومساكن الأمم والمدن - وكانت هذه " جغرافية العالم " أحسن من - جغرافية .. مارينوس وبطليموس ، كما رسموا كتابا فى الجغرافيا ، أعان الدولة على معرفة البلاد ، والأمم التى أظلتها راية الاسلام فى عهد الدولة العباسية ، بجانب هذا : اعتنوا بالفلك ، والطبيعة والرياضيات ، والطب ، والعقاقير ، وما الى ذلك من العلوم التى كان لها الأثر فى التقدم الحضارى[٧] .

وبهذا تكون الترجمة فتحت الباب للعقل والمعرفة .. فأثرت اللغة العربية بكلمات ومعانى جديدة ، أضيفت لهذا التراث العظيم ، مثل : الألفاظ الطبية ، والأدوية والصناعات .. الخ .. - هذه المسميات كانت مجهولة فى الجاهلية ، وصدر الاسلام ، كما أعطى الفرصة الواسعة ، لانتشار حضارة الأمة الاسلامية : من الصين شرقا ، الى فرنسا غربا ، وأصبحت اللغة العربية لغة عالمية ، ألفت

بها الكتب ، وأبرزت علماء أجلاء ، فى ظل تلك الحضارة العلمية النادرة ...

ولقد أدرك علماء الاسلام ـ ان العلم دائما فى ركابه القوة ، وأفضل العلم ما كان مصدره كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[8] ..

والترجمة كما هو معروف .. من الوسائل الهامة التى تقوم بعملية التفاعل الفكرى بين الأمم ، فلقد أثرت ، واستفاد بها ـ غير المسلمين ـ لكن بعد مدة بسبب أن العرب ترجموا من اللغات الأجنبية الى لغتهم ، ولم يحدث العكس ، مما جعل الفكر العربى غير معروف لفترة وجيزة ، أتى بعدها المستشرقون فقاموا بتلك المهمة .. لكن المشكلة : أن ترجمتهم انصبت على كل ما يحط من سمعة الاسلام ، والمسلمين ، مثل : ترجمتهم الأساطير ، والأوهام والوضعيات ، وكتب ألف ليلة ، وذلك لا متاع قرائهم فقط ..

لكن المنصفين .. لم يغمطوا الاسلام حقه ، وقاموا بترجمة العلوم الاسلامية الى لغاتهم ، متوخين الاخلاص فى الترجمة ، مما كان له الأثر الفعال فى نهضة أوروبا ..

ومن الملاحظ أنه من الصعب جدا ، جعل أمة تتقن لغات العالم لتلم بثقافاته لكن بالترجمة يصبح ذلك يسيرا ، ويدفع تهمة القصور عن اللغة العربية ـ لغة القرآن والحديث ـ ومسئولية المسلمين التاريخية ، المحافظة على التراث ـ بتطويره ، والاضافة اليه ، ونشره وعدم تجميده ، وربطه بالتقدم العلمى عن طريق الترجمة ـ فهى من أهم الوسائل لهذا الهدف ..

والنهضة الفكرية الجادة للمسلمين ، هى التى ستجبر العالم لترجمة الكتب العربية ، وأما لو حدث ـ وترجمت العربية الى اللغات الأخرى ، فستذوب شخصيتها فى الحضارات الأخرى ـ وتظل اللغة العربية والعرب عالة على اللغات الأخرى ، يفكرون بها ويدونون بها أبحاثهم ، ولن يصلوا الى ما وصل اليه أبناء اللغة[9] .

" الترجمـــــة فى العصر الحديث "

وكما كان للترجمة أهميتها فى الماضى ، ففى العصر الحالى أكثر اهتماما ، لسرعة انتشار الثقافة بالوسائل الحديثة وسرعة الاتصال ، فالتأثر بالحضارات وغيرها جعل الغرب يعيش فى فراغه الروحى .. نتيجة للاستعمار الفكرى الذى كان يعيشه فى القرون الماضية ، فأصبح فى حاجة ماسة للفكر الدينى وخاصة الاسلامى.[١٠]

ومن واجب المسلمين التاريخى ، احياء ملايين المخطوطات - فاليابان ، قد ضربت أروع المثل فى الترجمة الحديثة ، باستحداث أجهزة ترجمة لنشر كل ورقـــة تصدر فى العالم ، وتوزعها على الشعب ليستفيد منها فى أقرب وقت -

ولقد عرف أسلافنا ما للترجمة من جليل الفائدة العلمية ، ودفع عجلة التطور الى الأمام ، والاطلاع على ما عند الغير من معارف .. وذلك منذ فجر التاريخ - والعالم الغربى يعيد النظر الآن فى علاقته مع الاسلام ، وهروبا من حياتهم ، التى ينقصها الخلق والانسانية .. فهل أعددنا العدة لهذا اللقاء[١١] .

ولقد لعبت الترجمة فى العصر الحديث دورا هاما ، وخاصة فى الثقافات الغير عربية ، وعلى مر التاريخ تزدهر الترجمة - عندما يبادر أصحاب الحاجة اليها - والاستفادة من تجارب الغير ، وكان العرب المسلمون هم المبادرون فى العصـــور الأولى ، ثم حدثت فترة ركود وكسل .. وانقلب العكس حيث قام الغرب بالنقل عـــن العرب ، اعترافا بسمو حضارة الاسلام .. " إن أية أمة تشعر بالفرق ، بين ماض مزدهر ، وحاضر أقل ازدهارا "

والتفسير والحديث ، كان لهما فضل كبير ، عندما حاولت الدول المسلمة والغير عربية أن تترجم التراث الاسلامى ، وانبثقت حضارة : أحس العالم كله بالحاجة لها فقام بالنقل عن الاسلام مرة أخرى ، تحدوه الروح الاسلامية ..[١٢]

الفصـــل الخـامـس

هــذا .. محمـد .. رســول اللــه .....

" رجـــل بعـث أمــة "

صار شغل الناس فى يثرب التحدث والنقاش ، حول الاسلام وصاحبه ، بعد بيعتى العقبة - وكانت يثرب من قبل مسرحا للوثنية اليهودية ، ودخل الاسلام تلك المدينة العظيمة ، بمن سكنها ..

وأصبحت المدينة محطا لأنظار الجزيرة ، والممالك المجاورة ، بعد دخولها فى الاسلام ، والناظر للمدينة فى ذاك الزمن ، يرى فيها : المتحمس للدعوة الاسلامية ولصاحبها - منتظرين اشراقه عليهم مهاجرا .. ومن جهة أخرى ، يرى من ينتفض - خوفا على سلطانه وجاهه ، ويرى أيضا - من يسأل عن دعوة الدين الجديد .. ، متتبعا أخبار الرسول وصحبه ، وضروب الأذى التى يواجهونها من أقوامهم وعشيرتهم وكلما التقو بصحابى يرى المسلمون فى المدينة يسمعون منه ما أوحاه الله لرسوله ويسمع الكثير عن الذين هدمت انسانيتهم ، وعبدوا الأحجار وخروا لها سجدا [١٣] ..

ووقف اليهود عن قرب يتلقفون الأخبار ، عن - محمد ورسالته - " وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به " [١٤] ..

وتطلع الوثنيون الحيارى .. من الأوس والخزرج ، وغيرهم ، الى الفجـر - لعله يبدد تلك الظلمات ، ويأخذ بأيدى الحيارى من متاهات الشكوك .. بكل هذا تهيأت خواطر أهل - يثرب - قبل أن يأتيهم - الرسول مهاجرا - فلما استقر ، ولم

يكد .. حتى بنى أول مسجد فى الاسلام ، تصفوا فيه النفوس ، وفيه وضعت أول خطوط الدولة الجديدة .. ادارة ، وسياسة وحكما - وفيه انعقدت مجالس الشورى ، - واستقبلت الوفود ، وأعلنت فيه التعبئة للجهاد ، وفيه تعلمت الصحابة كل الأمور الدينية والدنيوية ، من تهذيب النفوس وتربية العقل ، وتنظيم المجتمع الجديد ، على ضوء الدين ..

وقد تلقى الصحابة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أوحى الله - من قرآن ، وتشريع ، فاذا تصعبت الأفهام عن ادراك المعنى ، كان عند صاحب الالهام الجواب ..[15]

وعاشت العقول والأسماع ، والأرواح مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما يتدفق منه من جوامع الكلم ، ومع ارشاده البصير الذى يأخذ بأيدى الضاربين فى الظلمات الى صبح اليقين .. بدل عبادتهم آلهة نحتوها من الصخر ، وقالوا : " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى "[16] ..فاتخذوا الحجر وسيلة ، وحين دعاهم الرسول الى عبادة الله دون وسيلة .. تحدوا دعوته...[17]

لقد واجه اليهود والنصارى بعد أن حرفوا دينهم ، وعانى الرسول من أفعالهم أشد المعاناة ، الى أن وطد أركان العقيدة فى قلوب المسلمين الذين انطلقوا بعد ذلك فى الآفاق ، لا تثنيهم عن دعوتهم قوة ، ولا تفتر لهم عزيمة .. تآزروا وتحابوا فى الله ، وظل الكيان الاسلامى بعيدا عن التفكك قوى البنيان ، مع تباعد الأوطان واختلاف الأفكار .. وكان المعلم الأول قدوة لطلابه ، فى سلوكه وأخلاقه ، والذى امتدحه ربه به " وانك لعلى خلق عظيم " . وحسن سلوك النبى ، ولينه وتعاطفه مع المسلمين - حملتهم على الاقتداء به فى كل شئ : فى الزهد ، والصبر ، والجود والتسامح ، وعزوفا عن متاع الدنيا ، صابرا على المكاره ، لا يغضب الا حين تمس حرمات الله ، وتربت أمته على ذلك ، فأصبحت أمة التوت لها أعناق الأقاصرة ،

وأطاحت بتيجان الأكاسرة [١٨] ..

ثم كان المهاجرون والأنصار .. الذين ملأوا الدنيا عدلا ونورا ، وانطلقوا فى الآفاق .. يزودوا الناس بخير الزاد ، والجميع اشتركوا فى العمل الجبار ، ولم يتقيدوا - كما أرشدهم الرسول - بجنس أولون أوسن .. وأخذوا عنه كل بادرة ، وقيدتها عقولهم .

وفى فجر الاسلام : قام الصحابة بنشر كل ماسمعوه عن الرسول عليه السلام ، ثم حملوا الى العالم أجمع أرقى حضارة عرفتها البشرية [١٩] ..

وكان ظهور الأمة الاسلامية بهذه الصورة العظيمة - معاجير المفكرين ، وعلماء الاجتماع .. فمن جوف الصحراء ، وبعيدا عن مراكز العلم والحضارة ، ومن قبائل متفرقة متطاحنة ، تظهر في ظل الاسلام قوة ثالثة - تنافس الروم والفرس مكونة حضارة جديدة ، ذات قيم ومبادئ ، تنهار أمامها أقوى دولتين فى العالم ، فى بضع سنين [٢٠] ..

وظهور الاسلام بهذه القوة لم يكن مصادفة .. بل كان بجهد فكرى جبار - وانها الأمة الوحيدة التى تعرف موعد قيام حضارتها وعزتها .. فمن ليلة القدر - حتى اليوم - انها قامت على العقيدة الصافية والحب الخالص .. دستورهم : القرآن الكريم ، وحديث سيد المرسلين [٢١] ... "

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

+++++++++++++++++++

" الأســوة الحســنة "

الروح الصافية الطاهرة ، وصفاء القلب ، واكتمال العقل والرجولة ، والشجاعة النادرة .. انها صفات الكمال .. ومع هذا فقد كان زاهدا فى تقوى ، متواضعا فى عزة ، لا يكاد ينال من الطعام الا مايسد رمقه ، يفعل كل هذا بمحض ارادته ، وعن قبول واقتناع ، محتسبا لله تعالى ، وقد كان عليه السلام أوسع الناس صدرا ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، دائم القول " اللهم لا عيش الا عيش الآخرة "[٢٢] . ويقول : " مالى وللدنيا وما أنا فيها الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها "[٢٣] .

وعمر بن الخطاب ـ رآه مرة مضطجعا على رمال حصير قد أثر فى جنبه فهملت عينا عمر بالدموع . فقال عليه السلام : مالك يا عمر ؟ فقال : يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هم فيه .. فاحمر وجهه الشريف ، وقال " أو فى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ وقال : " أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا "[٢٤] .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يحب هذا النوع من المعيشة لنفسه ، وروى عنه قوله :

" اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا " ولم يشبع من طعام قط هو وأهله ثلاثة أيام تباعا .. حتى فارق الدنيا "[٢٥] .. أسمى معانى الحياة ومقوماتها ـ الزهد فى الدنيا ومغرياتها . فعن عائشة قالت " أنه كلنا آل محمد ليمر بنا الهلال ما نوقد نارا ، انما هما الأسودان : التمر والماء " وعنها أيضا " مات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد ، الا شطر شعير فى رف لى " وقالت لم يمتلئ جوف النبى شبعا قط ، ولم يبث شكوى لأحد ، وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى ، وان كان ليظل جائعا طوال الليل يتلوى ، فلا يمنعه صيام يومه

ولو شاء سأل ربه كنوز الأرض وثمارها ، ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى رحمة له وأمسح بيدى على بطنه وأقول : نفسى لك الفدا ، لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ؟ فيقول : ياعائشة .. مالى وللدنيا ، اخوانى من الرسل تحملوا أكثر من هذا ، فأكرمهم الله ، وانى أستحى ان ترفهت فى معيشتى ، وانى غدا لاحق بهم ، ثم قالت : فما مضى بعدها شهر حتى توفاه الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " [٢٦] ..

هذه قطرة من محيط حول صاحب الحديث ـ محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء ـ هذه هى حياة حبيب الله " الأسوة الحسنة " فما هى حياتنا نحن ؟ ..

" نظرة .. حول ما كتب عن سيرة الرسول .. "

ليست الحاجة ماسة ـ لكتابة سيرة جديدة ـ عن النبى العظيم ، فان سيرته مما لا تستطيع الوقائع أن تطمسه ، وليس فى امكان أحد اختراعه ، وليست خاضعة لوصاية .. فهى تحكى فترة تاريخية كاملة بما فيها من كل المعايير والأخلاق ، والتقاليد وتظهر شخصيته صلى الله عليه وسلم ـ من خلال أعماله ، لينهج ـ الناس نهجه ، وتتخذ من التاريخ موقفا فى دينها ..

ان السيرة كتبها رجال مسلمون فصحاء ، لا تعوزهم رجولة ، ولا تريبكهم عقدة نقص ، معتزين بدينهم ونبيهم .. " لكن عندما كتبت سيرة النبى ـ عليه السلام ـ فى العهد الأول .. اكتفى المؤرخون بسرد الأحداث ، ولم ينظروا الى الأفكار ـ والملابسات الأخرى . لقد وضعوا فى اعتبارهم الصدق والاخلاص ، حيث اعتبروا ـ التاريخ أمانة أمام الله ـ مسؤلون عنها ـ فابتعدوا عن الهوى النفسى .. لكنهم

جمعوا كل ما فى وسعهم جمعه من المعلومات ، غير مترابط الصلة ، وكانت لهم الأعذار فى ذلك ، ومع ذلك فقد التزموا بالموضوعية ، متورعين عن الكذب ..

وكتاب السيرة كان أكثرهم من المفسرين والمحدثين فى بداية حياتهم ...[٢٧] فالتزموا بنفس المنهج فى صدق التاريخ ، عن النبى - عليه السلام - ..[٢٨]

هذا موقف المؤرخون الأوائل - والآن اختلف الحال واتسع الزمن بين أيامه - عليه السلام - وبين مؤرخى العصر الحاضر ، وتدخلت الأهواء ، وتأثرت النفوس باتصالها بثقافة الشعوب الأخرى وأصبحت كتابة التاريخ - تحتاج الى تاريخ ، وانعكس كل ذلك على نفس الكاتب .. " ومن الملاحظ تاريخيا ، أنه كلما كثرت - المعلومات عن شخصية تاريخية ، كانت الكتابة حوله مغرضة ، ويختار الكاتب من الأحداث ما يوافق هواه " ..[٢٩]

لكن المتقدمون كما ذكر : كان الصدق ، وأمانة الكلمة متوفرة .. وكلامهم عن المعجزات نادر ، وذلك لقربهم من عهد النبوة ، وأقوال الصحابة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ماتزال حية فى أذهان التابعين ، مع حرصهم الشديد أن يعرفوا كل شئ عن شخصية الرسول - عليه السلام - فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة الا بحثوا عنها .

فى الوقت نفسه كانت حركة تدوين الفقه ، والحديث على أشدها ، لمعرفة - أحكام الدين ، وأدق تفصيلات الشريعة ، فسجلوا كل حرف سمعوه عن النبى - عليه السلام - دون تحيز أو تغيير .. لحاجتهم لذلك .. وان كانت أحيانا تعترضهم - بعض الأحداث ، لا يفهمون مغزاها ، وذلك لقصور فكرهم عما سيحدث فى المستقبل ، فلم يهتموا بها : مما سبب أحيانا لبعض الناس - قصورا حول السيرة - ولم يفهموا المراد فى بعض مراحلها التاريخية .

والتابعين أثناء تسجيلهم للسيرة .. لم يغب عن أذهانهم بشرية الرسول -

عليه السلام - وأنه غير مقدس ، متمسكين بقوله : " لاتطروني كما أطرت النصارى - عيسى بن مريم ، فانما أنا عبد ... فقولوا عبد الله ورسوله " [٣٠] .

ولهذا كان موقفهم من التاريخ صادقا ...

ومرت القرون واختلفت القيم والأذواق .. مع وجود أتباع الديانات الأخرى " بدأت كتابة السيرة تنحرف عن النهج الصحيح .... [٣١] وتدخل من كان فكره غير عربي - كالموالي ، وذلك لانشغال العرب أساسا بالدولة والحروب ، وانعكف الموالي على الدراسة والكتابة ، وخاصة العلوم الدينية .. - [٣٢]

ومن أثر الفتوحات الاسلامية ، ودخول الاسلام في تلك البلدان .وكانت - المجادلات الدينية ، وخاصة من اليهود والنصارى ، ورغبتهم في ابطال دين الاسلام ، واظهار المعجزات الخارقة لأنبيائهم .. وارادتهم رفع المسيح عن الأغراض الدنيوية ثم الأهداف السياسية ، ومهاجمة خصوم الاسلام ...

ابتدأ المسلمون بالدفاع - في الواقع ليس له مايبرره أويدعو اليه - في الوقت الذي اتسعت فيه الدولة الاسلامية - فردوا على المعجزات بمعجزات - متزايدة ، تشبه أو لا تشبه معجزات المسيح أو غيره .. مما لم توردها مؤلفات الأوائل من كتاب السيرة ، ولهذا : طمست الحقائق واخترعت القصص المزورة ، وبدأ ذلك أوضح في مادة الحديث النبوي - والذي كتب بأيدي الموالي من الفرس والمتشيعون من أصحاب المذاهب ، سواء منهم التابع لـ - علي - أو - سلمان الفارسي - ومن وجد في البلاط العباسي ، ...

وتدهورت مؤلفات السيرة التي كتبت بعد ابن اسحاق ، والواقدي ، وابن سعد ، والطبري .. [٣٣] ، لكن مع ذلك فما زالت المادة الصحيحة موجودة .. في مصدرها الأصلي وهو : القرآن ، ومجموعات الحديث - لابن حنبل ، والبخاري ، ومسلم ، وغيرها من كتب التفسير والحديث ، وبعض الحقائق المتناثرة في الكتب .. [٣٤] وأصبحت

كتب السيرة بعد ذلك ، اما ملخصة عن الكتب الأربعة :

١ ـ سيرة ابن اسحاق ..   ٢ ـ مغازى الواقدى ...

٣ ـ طبقات ابن سعد ..   ٤ ـ تاريخ الطبرى ..

أو مهتمة بدلائل النبوة ، كاهتمام الكاتب بتقديس من يكتب عنهم : كالوعظ والارشاد منصرفة عن تسجيل الحقائق ـ ولم يجد هؤلاء الكتاب حرجا من الاختراع ان كان من شأنه تعزيز الايمان .. وطبقوا هذا الأسلوب فى : السيرة والحديث ـ على السواء[٣٥]

وبمرور الزمن تضاءلت الصورة الحقيقية ـ لنبى بشر من لحم ودم ـ وزاد هنا الكلام عن الأشياء البعيدة عن الحقيقة .. وقصص المعجزات التى لم يقبلها عقل ولم ينسبها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنفسه ، ولم يذكرها الصحابة ، ولا تحدث عنها القرآن الذى ذكر كل الأدلة على نبوة محمد ـ عليه السلام ـ

وفى أواخر القرن ـ التاسع عشر ـ لم يوجد أى نسخة من سيرة ابن هشام ـ أو ـ " طبقات ابن سعد "

" المستشرقون .. والسيرة "

ولما اتصل العالم الاسلامى بالغربى ، واستعمرت الهند والبلاد العربية .. اندهش مثقفوا المسلمين بما كتبه المستعمرون عن النبى ـ عليه السلام ـ فى كتبهم واعتقادهم بتفوقهم الحضارى المادى ..

من هنا تحولت كتابة السيرة تحولا خطيرا ، نتيجة لكتابة ـ المستشرقين ـ ورد عليهم مؤلفوا الاسلام ، مهاجمين بذلك المستشرقين ، والرد عليهم .. الا أنه رد من شعر بالنقص ، وكان فى كتاباتهم الطابع الغربى المحض .. يوجد واضحا فى ـ

كيفية : أن الاسلام رفع من شأن المرأة ، واهتمامه بالأسرة وحرم الرق ، واهتم بالعلم ، وقاوم التفرقة العنصرية ، وأقام العدل - وجروا القرآن الى الاكتشافات العلمية الحديثة ، وأنه تنبأ بها - وكثير من الأمثلة ..

وهذا ما وصل اليه شعور المسلمين ، فى هذه الحقبة من الزمن ووقعوا فى فخ الحضارة الغربية ..[٣٦]

وابتدأ الغرب يكتب عن نبى الاسلام الأساطير ، وأخذ عنهم علماء الاسلام هذه الوضعيات ، ولم يفطنوا الى الحيلة فى ذاك الوقت الذى كان فيه التعصب الأوروبى على أشده ضد الاسلام ، وخاصة الدولة العثمانية .[٣٧]

وفى الفترة الأخيرة اهتزت مؤلفات السيرة بالرغم من زيادة المؤلفات - أضعاف ما كانت عليه فى القرن الأول .. ووجد فيها من الاضطراب ما يحول بين - الباحث وبين الوصول لبغيته ، وما أقامته المسيحية من عقبات ، وتضليل على المفكر الحديث .. وفى العصور الوسطى فى أوروبا - سادت الأوهام ، وفرضت صورة الاسلام ونبيه على الغرب ، فى ظل حروب طاحنة ، وفتوحات اسلامية وصليبية ، وشاع الخطر السياسى والدينى - وفى سبيل تعزيز ثقة المسيحين بأنفسهم ، قاموا بتشويه الاسلام وخاصة رجال الكنيسة منهم ، واتهموا - محمد بالشهوانية والكذب - ..

فلما قامت الحروب الصليبية ، واتصلت أوروبا بالمسلمين ، وأقاموا العلاقات فيما بينهم ، وبالضرورة قامت محاورات فى العقيدة * وعرف الغرب حضارة الاسلام وآدابه وعلومه وتعلم لغته ،* وانكشف للغرب خداع - قساوسته - نحو الاسلام - وأزعجهم أن يروا العائدين من الشرق يمتدحون الاسلام وأهله .. فابتدأت الحروب ضد الاسلام بطريقة أخرى ، وهى : تأليف الكتب عن الاسلام ، ودسوا فيها السم - الزعاف ، وكان مصدرهم .. كتب الاسلام نفسها ، وما فى بعضها من وضعيات أحيانا مما سهل على المغرضين مهمتهم ..[٣٨]

أما السيرة فى أوروبا الحديثة ، وازدهار العقل ، فقد اتخذوا منهجا آخر - ظاهره الرحمة ، وباطنه الفتنة - فقاموا بمدح الاسلام والحديث الطيب عن " محمد - صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه بوسائل ماكرة لا يلحظها السذج من الناس ، الا اذا أمعنوا النظر ، فيجدون الغرب اعتبر الاسلام مجب مناسب لعرض آرائهم السياسية والدينية .. " [٣٩] .

لكن يوجد منهم من أنصف السيرة ، متخذا موقفا موضوعيا ، ورأوا فى النبى - عليه السلام - عقل راجح ، وشخصية قوية ، استطاعت أن تحل مشاكل العرب ، وتوحد كلمتهم ، وتظهر عبقريتهم على العالم معتقدين أن - كل ديانة تكمن فى منابعها ، ومصادرها [٤٠] . وحاولوا اكتشاف المصدر الذى استقى منه محمد - عليه السلام مبادئ الاسلام قبل أن يكون رسولا ، وقبل ظهور دعوته .. لعل ذلك يلقى الضوء على سيرته فبالغوا فى ذلك مما أخل بالهدف الذى يرموا اليه . [٤١] . ..

البـــاب الثـــالث

.. الحديث .. وأثره على العلوم الاسلامية ..

الفصـــل الـــرابع ... و ... الفصـــل الخامس ..

المــــراجـــع : والتعليقات .

(*) من الجدير بالذكر .. اذا استعرضنا أثر الحديث في الفكر العربي وغيره اننا نجد بين أيدينا صورا نابضة بالأمجاد من خلالها نعمر بقيمة تراثنا الذي لم يهتم به كاملا ولم تقدر قيمته ـ والتقدير هنا : تقدير العقل المسلم العصري الذي أخلد للراحة ، بعيدا عن الاجتهاد والاجهاد الفكري والتحقيق والتأليف .. فمن وضعوا تراثنا ، لا يكفي تخليدهم بالكلام : بل بالعمل المصحوب بالجهد والكفاح الطويل ..

(١) ابن النديم " الفهرست " ص ٣٤٣ ـ مكتبة الخياط ـ لبنان ..

(٢) سليم طه التكريتي " النهضة الفكرية في العصر العباسي " ص ١٢٦/ سنة ١٩٧٦م ـ الكويت . ـ

(٣) المؤرخ الانجليزي . هـ . ج . ولز ـ عن مجلة " العربي " ص ١٢٦ ـ عدد ٢١٣ / ١٩٧٦م ـ الكويت . ـ

(٤) د . ماكس ماير هوف " تراث الاسلام " ص ١٠٢ ـ جامعة اكسفورد ـ لندن ١٩٤٣م ..

(٥) المسعودي " التنبيه والاشراف " ..

(٦) سليم طه التكريتي ـ جمعية المترجمين .. بغداد ـ في مقاله " بيت الحكمة " مجلة العربي . عدد ٢١٣ ـ ص ١٢٩ / ١٩٧٦م ..

(٧) محمد كرد على ، ود. عبد الحليم منتصر " الحركة العلمة في عهد ـ المأمون " العربي ـ عدد ١٨٥ / ١٩٧٤م ص ٤٤ ..

(٨) نفس المصدر ص ٤٥ ..

(٩) د. رضا محمد سعيد " الترجمة بلا قيود " ندوة ، عن مجلة ـ الفيصل ـ السعودية ـ عدد ١٢ / ١٩٧٨م ـ ص ٥٨ ..

(١٠) د. عزب عبد الحميد خطاب " دعوة الى تضافر الجهود " عن المصدر السابق ص ٦٠ ..

(١١) د. نعمان عبد الرازق ـ العراق " تجربة رائدة ـ نفس المصدر السابق ص ٦٣ ...

(١٢) د. رضا محمد سعيد " الترجمة وأثرها في الفكر الاسلامي " السعودية ـ ١٩٧٨م ص٥٨ ..
How Greek Science passed to the Arab, by De-lacy O' leary, D. D., Author of Arabic Thought and its place in history. Third Impression.

(١٣) سيرة ابن هشام ، و ـ مختصر سيرة الرسول ـ للشيخ عبد الله بن محمد ابن عبدالوهاب ، ص ١٤٩ ـ ١٦٦ ...

(١٤) سورة البقرة / ٩٠ ...

(١٥) الشيخ محمود الحبشي " محمد في مرآة الآخرين " عن : جريدة ـ الندوة السعودية ـ عدد : ١٩٧٩/٨/١م ، ص ١٠ ....

(١٦) سورة الزمر / ٢ ....

(١٧) عبد الرحمن علام " درس من محمد " ، جريدة الوحدة ـ عدد ٥/ ١٩٧٩/٨م ص ١١ ، ـ أبو ظبي ـ

(١٨) الشيخ محمد عز الخطيب " حقيقة اليهود " عن ـ ندوة المحاضرات ص١٣٩ مؤسسة مكة للطباعة ، ١٩٧٢/٢/٥م ـ السعودية ـ

(١٩) عبد المنعم البساطي " في رحاب السيرة " مجلة الدعوة ـ الاخوان ـ المسلمون ـ عدد ١١ / ١٩٧٧م ، ص٦/٧ ـ مصر ..

(٢٠) د. محمد حسين هيكل " الصديق أبو بكر " ـ مطبعة الحلبي ـ ١٩٣٠م ـ ص١٠٢٠ مصر ..

(٢١) العقاد " عبقرية محمد " ص٢٨ ، طبع في مصر ..

(٢٢) العلامة أبو الحسن الندوي " السيرة النبوية " المكتبة العلمية ، الهند ـ باكستان .. عن جريدة الندوة السعودية عدد ٦٢٩٦ / ١٩٧٩م .

(٢٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ..

(٢٤) حديث طويل ، رواه البخاري ومسلم ، واختصره الأستاذ / الندوي في كتابه " السيرة النبوية " ..

(٢٥) أخرجه ، البخاري وأحمد ..

(٢٦) الحديث طويل ، رواه البخاري ، عن عائشة وأيضا مسلم وأتيت به مختصرا

(٢٧) كالطبري ... وهذا مايقال عنه : بالروح العلمية ، في هذا العصر .

(٢٨) حسين أحمد أمين " تطور كتابة السيرة " العربي ، ص١٠٧ ـ عدد ٢١٥/ ١٩٧٦م .. الكويت ..
العربي ، عدد ـ ٢١٠/ ١٩٧٦م

(٢٩) ا هـ . كار " ما التاريخ " مجلة العربي عدد ٢١٠ / ١٩٧٦م
What is history By C.H.CHAR
What is history by C.H.CHAR

(٣٠) أخرجه البخاري ـ كتاب الأنبياء ، وأحمد بن حنبل ، ج ١ ..

(٣١) ذلك الانحراف بلغ أقصاه ، في العصر الحديث ..

(٣٢) " تطور كتابة السيرة " ص١٠٨ .. ، د. أكرم العمري " تاريخ صدر الاسلام " مجلة المجتمع ـ عدد ٤٣٨ ـ ١٩٧٩م ص ١٧ ..

(٣٣) " تطور كتابة السيرة ..

(٣٤) مثل كتاب ، " الأصنام " لابن الكلبي ، وأخبار مكة " للأزرقي

وفتوح البلدان - للبلاذرى ، وتفسير الطبرى ، ومروج الذهب - للمسعودى والكتب الخاصة بتراجم الصحابة ، مثل : أسد الغابة فى معرفة أسماء الصحابة - لابن الأثير .. وهكذا ..

(٣٥) " تاريخ صدر الاسلام " ص ١٧ ..

(٣٦) توماس كارلايل " الأبطال وعبادة البطولة " ترجمة صفا " خلوصى - مجلة العربى .. عدد ٢٢٤ / ١٩٧٧م ، ص١٠٦ - الكويت -

(٣٧) حيث كانت تمثل الخلافة الاسلامية ، وعاصمتها .

(٣٨) جمال الدين الأفغانى " العروة الوثقى " - دار العروبة - القاهرة القاهرة / ١٩٥٧م .. ط١، ص ٣٣ ، ٣٠ ..وأيضا : ادوارد جيبون ، فى " الامبراطورية الرومانية " ..

فكل مايرونه سيئا للاسلام لا شك فيه ، وأما مايعلي من قدره ... - مشكوك فيه ، كمثل من يمدح نفسه فلا يسمع لكلامه ، أما من يذمها فهو صادق ...

(٣٩) توماس كارلايل - فى محاضرة ألقاها ، فى - أدنبرة - بعنوان " " محمد والاسلام " بتاريخ الجمعة - ٨ مايو - ١٩٤٠م ..

(٤٠) كما يوجد مكتوبا على باب .. ادارة القانون ، فى لندن .. أسماء المشهورين ، فى القانون .. ومن بينهم اسم " محمد صلى الله عليه وسلم " - (Lincoln Inn:)

(٤١) من أمثال هؤلاء الكتاب : ريتشارد بيل ، وهملتون جيب ، وفى العصر الحديث المستشرق الاسكتلندى - منتجمرى وات " فقد دافع عن محمد ، دفاعا لم يقم به مسلم ، وذلك فى كتبه : محمد فى مكة ، ومحمد فى المدينة ، وما الاسلام " وكذا المستشرق - دانيال - كتب كتابا - DANIAL" Islam and the West".

فقد دافع فيه عن الاسلام ، ومن الممكن لكل مسلم قراءته للاطلاع . وفى رأيى أنهم دافعوا عن الاسلام ، بغرض الحصول على الأموال ، وليس حبا فيه ..

والآن : وبعد تلك المقتطفات ، حول - سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - نجد من المحزن .. أن المسلمين تملأ صدورهم الثقة عندما يروا بعض المستشرقين ، أو أى كاتب أجنبى - يمدح محمدا - صلى الله عليه وسلم - ، ولو لم يتبحر فى دراسة الاسلام .. والحقيقة أن محمدا غنى عن ذلك كله - فلا مدحهم يزهينا ، ولا نقدهم يهزنا أو يخيفنا .. فالكل ذوى مصالح دنيوية ، والا لماذا لم يعتنقوا الاسلام / فهو الدليل على صدق نواياهم .. فالشمس لا يراها المرضى بالرمد ..

البـــاب الرابـع

" من أجل الحيــاة .....

الحديث ، يقود معركة الحياة "

الفصـل الأول ....

* * حيـاة واقتصـاد ....
* * ماتملك .. حيا وميتـا .. ..
* * المجتمع الاقتصادي في الاسلام .. ..
* * العمـل .. والعمـال .. ..
* * لماذا نحرص على القاتل .. ولم نراع حرمة القتيل ..؟
* * لا تريق ماء وجهك .. ..
* * علاقة المسلم .. بأخيه المسلم .. ..
* * دين ودنيا .. ..
* * للانسان حقوق .. للحيوان أيضا حقوق .. .. .

" حيـاة .. واقتصـاد "

الصراع الرهيب منذ القدم .. يقوم على الأرض ، بين الانسان وأخيه الانسان . بل بين كل الأحياء .. وذلك : لسد غريزة الجوع ـ ذلك الغول الشره ـ الذى يجر البشرية كلها الى دمار نفسها .. اذا لم يقم قانون يحدمن خطورة ذلك الوحش ـ المسمى بالجوع .. وينظم لقمة العيش التى يتصارع من أجلها الأحياء ..

وأول شئ اهتم به الاسلام بعد العبادة . هو العمل على تنظيم تلك الحيـاة . لأن الانسان أنانى بطبعه ، يحب نفسه ويؤثرها على الآخرين ، ومن النادر أن يحدث العكس ، وهم الذين قال فيهم الله سبحانه " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهـم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "[1] ..

والنفس البشرية أمارة بالسوء ، ولا بد من قانون ينظم لها الحياة ، لتسير فى طريق الخير والاصلاح ـ وليس هذا تدخلا فى حرية الناس وان ظن البعض ـ والمفهوم أن المصلحة الفردية لا تطغى على مصلحة الجماعة ولا تتغلب مصلحة الجماعة عـلى مصلحة الفرد .. ومن هنا وضع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسس لهذا المفهوم ـ مفهوم الحرية لكسب المعيشة ، وأن يدور مع المصلحة العامة : حيث أن الفرد ـ لبنة فى المجتمع ، وأى اضرار فى كليهما ينعكس على الآخر ، لأن الأمة ماهى الا مجموعة أفراد يتبادلون سبل الحياة فى المعاملات ، يقول عليه السلام : " .. (المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تتداعى له سائر أعضاء الجسـد بالسهر والحمى)[2] ..

وما تطلبه لنفسك يطلبه الغير لنفسه .. واذا طلبت أكثر ، طلب هو أكـثر منك .. وبذلك يتحول أسلوب التعامل الى فوضى وظلم ، والنظام الذى يخضع لـه ـ

الأفراد فى ظل الشرع ، ليس تقييدا لحريتهم .. لكنه لون من التعاون العام — المتبادل بين الأفراد[٣] .. ومن هنا يصبح النظام العام للأمة طريق السعادة ، فمثلا: " عندما تدخل الاسلام ، فى عملية البيع والشراء ، وغيرهما من المعاملات .. بين للناس كيف يأخذون مزيدا من السعادة .. حتى ولو كان مفروضا عليهم بعض — القيود ، فلا يترك فئة من الناس يستغلون فئة أخرى ؛ كالمرابى المتعامل بالربا .. فيتولد الحقد فى النفوس ، وتتلاشى أواصر المحبة والألفة .. زد على هذا العقاب النفسي الذى يتعرض له المرابى — مع فساد المجتمع ، وزيادة ثروة أفراد قلة — على حساب الآخرين بدون وجه حق — . "

ولما كانت هذه فى المعاملة تؤدى لتلك النتيجة ؛ لعن الرسول — عليه السلام — كل من يشارك فى هذا العمل الشائن ، يقول .: " لعن الله آكل الربا ، وموكله وكاتبه ، وشاهده ، وقال : هم سواء[٤] " ويتضح من قوله — عليه السلام — أن السعادة الحقة ، هى التعامل الكريم بين الناس ، فالمرابى الذى يتجر فى طعام خلق الله ويحتكر أرزاقهم ، ظانا أن ذلك من حقه .. باسم حرية الفرد المطلقة : ظن خاطئ . ولو منحه الاسلام هذا الحق لأصبح وبالا على المجتمع ، الذى هو فى حاجة له أيضا ولهذا حرم الاسلام احتكار الطعام والكساء — لحاجة الناس لهما أكثر من احتياجهم للمال[٥] ..

والحديث يوضح أن عاقبة المحتكر .. خيبة أمل فى الدنيا والآخرة ويصيبه الله بالافلاس ، والمرض الخبيث — الجذام — فقد روى أن أمير المؤمنين عمر ، خرج الى المسجد ، فوجد طعاما منثورا ، فقال : ماهذا الطعام ؟ قالوا : طعاما — جلب الينا ، قال : بارك الله فيه وفى من جلبه ، قيل يا أمير المؤمنين : فانه قد احتكر .. قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان ، وفلان مولى عمر ، فأرسل لهما فدعاهما ، فقال : ماحملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا :

يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع[٦] . فيذكرهم عمر بحديث الرسول ـ عليه السلام ـ حيث قال (من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالافلاس أو بجزام ..) .. فقال فروخ عند ذلك يا أمير المؤمنين .. أعاهدك أن لا أعود . أى الى الاحتكار فى طعام أبدا .. أما مولى عمر ، فقال : انما نشترى بأموالنا ونبيع .. قال : أبو يحى المكى .. راوى الحديث ـ فلقد رأيت مولى عمر مجزوما[٧] ..)

والواجب شرعا على التجار أن يعرضوا سلعتهم ظاهرة للناس ، ويبيع بالسعر المعقول ، وهذا حقهم لأنهم أصحاب المال .. والرسول ـ عليه السلام ـ سمى ـ الأغذية المعروضة فى السوق (طعام المسلمين) والتاجر ماهو الا أمين على هذا المال ، فالمشترى يملك الثمن وله حق الشراء ـ وعرض السلعة فى السوق حق الجماهير ، والتزاما بالمصلحة العامة ..

وهذا معقل بن يسار ـ يوضح ذلك ، عندما جاءه أمير البصرة : عبيد الله بن زياد يعوده وهو مريض .. ودار بينهما حديث ، ثم قال معقل[٨] : اجلسونى ، ثم قال : اسمع ياعبيد الله حتى أحدثك عينا لم أسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة ولا مرتين .. سمعت الرسول ـ عليه السلام ـ يقول : (من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة .. فقال عبيد الله : أأنت سمعته من رسول الله ـ عليه السلام ـ قال : نعم غير مرة أو مرتين .)[٩] ..

ﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫ

" ماتملك .. حيا وميتا "

يرفض الاسلام الفوارق الاجتماعية ، مبطلا النظام الشيوعى والرأسمالى ، ولا يقف ضد الغنى ، بل يدعو الناس للعمل من أجل حياة أفضل . وشظف الحياة شىء مخيف ، ولا يرجى من الجائع المحروم ، سوى الانحراف ـ وصحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان ـ [١٠] ....

والفقر والكفر متساويان فى نظر الاسلام ، فيقول ـ عليه السلام : (كاد ـ الفقر أن يكون كفرا) [١١] . والسعى على الرزق من أفضل العبادات .. لهذا كان ـ الرسول عليه السلام ـ يدعو (اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، قال رجل : أيعدلان ؟ قال : نعم) وقال : (اللهم انى أعوذ بك من الجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال) [١٢] .

والعمل فريضة ، وكل فرد على قدر عمله " ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون " [١٣] . والناس فى معيشتهم درجات رفعها الله فوق بعض ، فللعمل جزاء ، والعمل حركة والحركة حياة (وأن ليس للانسان الا ماسعى) والغنى الفاحش .. مع الفقر الشديد المتقع لا يجوز ، وعلى الدولة أن تكفل المعيشة ـ للأفراد الغير قادرين .. وهذا حقهم (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) [١٤] .. ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (من ترك كلا ـ ضعيفا ـ فليأتنى به فأنا مولاه) فأنا مسئول عنه بصفتى رئيسا .. وسار عمر بن الخطاب : على هذا النهج يقول : " انى حريص على أن لا أدع حاجة الاسددتها ، بما اتسع بعضنا لبعض ، فاذا عجزنا تأسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف) [١٥] . والغنى فى الاسلام وسيلة وليس ـ غاية فيقول عليه السلام (نعم العون على تقوى الله : المال ، ونعم المال .. الصالح للعبد الصالح) ويقول عليه السلام أيضا لاحسد الا فى اثنتين .. رجل

آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى سبيل الله)[١٦]. والفقهاء يقولون : (المال مال الله ، والبشر مستخلفون فيه ، وذلك أخذا من قوله - صلى الله عليه وسلم - عندما سئل (أى الناس أحب اليك ؟ قال : أنفع الناس للناس ، قيل أى الأعمال أفضل ؟ قال : ادخال السرور على المؤمن ، قيل : وما سرور المؤمن ؟ قال : اشباع جوعته وتنفيس كربته ، وقضاء دينه .. الخ . الحديث ..)[١٧].

حتى بعد الوفاة .. وضع الاسلام نظاما وحكما يكفل توزيع الثروة توزيعا - عادلا بين الأفراد ، " فشرع - الميراث - على المستحقين (نصيبا مفروضا) وحرم تراكم الثروة فى يد شخص واحد ، بل توزع على جميع الورثة ، وكل من له صلة بالميت[١٨] كما حرم كل عمل يخل بنظام الارث ، يقول سبحانه بعد أن قرر قواعد الارث (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)[١٩].

حتى من يتحايل للحصول على نصيب أكبر من الارث ، داخل فى هذا التعدى ، ولهذا يرى الفقهاء : أنه لا تصح الوصية لوارث - ويقول عليه السلام (ان الله أعطى كل ذى حق حقه ، ألا لا وصية لوارث)[٢٠] " ..

هذا هو حكم الاسلام - أما فى النظم الأخرى التى تنقل معظم الارث الى أكبر الأبناء وتترك له حرية الوصية فى التركة لمن يشاء .. فيتولد الحقد ، وتنشأ المذاهب المتطرفة ، ويضطرب الاقتصاد ..[٢١]

« المجتمع الاقتصادى فى الاسلام »

اعتراف الاسلام بالجهد الذاتى .. من أروع النظم الانسانية ، حيث يجعل هذا حافزا لمواصلة الانتاج لخير المجتمع ، فلا يجعل الفرد آلة تدور . بل له نصيب كبير من هذا المجهود .. ونهى عن الاستغلال ، وامتصاص دماء الآخرين واهدار مجهودهم ..[٢٢]

لكن الاسلام شجع الفرد على العمل .. وبهذا يفسح المجال للعقول الذكية ، للابتكار المثمر لرفاهية الناس .. والمنافسة فى هذا المجال ، ورغبة الانسان فى التفوق شئ ممدوح ، لجنى ثمار الحياة ومسايرة للفطرة البشرية (حب التملك) ولا يعنى هذا ترك الفرد لرغبته العصبية ، فى كل ما يملك ، بل عليه « حق معلوم للسائل والمحروم » ..[٢٣]

وحدد الاسلام الطرق المشروعة لكسب هذا المال ، فلا ضرر ولا ضرار ..[٢٤] ولا ظلم ولا اجحاف بحق الآخرين ـ وله بعد ذلك أن يتمتع بما بقى له من حقوق ـ فكانت .. « الزكاة » بجميع أقسامها .. حلا عادلا ، فلا فوارق مالية ، ولا طبقات فردية ، ولا قلة ثرية ، أمعاؤهم مريضة من كثرة الطعام ولا كثرة فقيرة أمعاؤهم مريضة من ـ قلة الطعام .. يقول ـ عليه السلام ـ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، ويكره ما يكرهه لها » .[٢٥]

وقام الاسلام بحماية الملكية الفردية المشروعة ، وأحاطها بسياج قوى ، فقرر عقوبة من يعتدى على المالك .. بالسرقة والغصب ، أو قطع الطرق وما الى ذلك .. ووعد من يدافع عن ماله وعرضه ، ومات فى سبيل ذلك .. بالشهادة .

يقول - عليه السلام - : " من دافع عن ماله فقتل ، فهو شهيد ... ومن دافع عن عرضه .. فقتل ، فهو شهيد "[٣٦] وعلى الحاكم تنفيذ حكم الله الذى حدده الكتاب ، والسنة ، فيعاقب الفرد بنوع ما ارتكبه من جرم .

ولم يتعدد الرسول - عليه السلام - فى تنفيذ حد من حدود الله .. قدر تعدده فى تنفيذ حد السرقة . فقد جاء مرة - أسامة بن زيد - وكان من أحب الناس اليه يشفع فى - فاطمة بنت الأسود ، المخزومة - وكان قد وجب عليها حد السرقة ، فقد سرقت حليا وقطيفة ، ورأى أهلها أن إقامة الحد عليها سيلحق بقبيلتهم العار الى الأبد ، فلجأوا الى أسامة ، لمكانته عند الرسول ، راجين أن يشفع لها عنده .. فأنكر الرسول عليه السلام - شفاعته ، وانتهره قائلا : " أتشفع فى حد من حدود الله الله ؟ ثم قام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس انما ضل الذين من قبلكم .. . انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد - وايم الله ، وفى رواية والذى نفس محمد بيده : لو أن فاطمة بنت محمد - سرقت لقطع محمد يدها[٣٧] . " ..

عظمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقوة الايمان ، لسعادة البشر ، - ليأمن الناس أعراضهم وأموالهم - فى السرقة الصغرى - كما يسمونها الفقهاء .. أما : قاطعى الطريق - فيقول الله فيهم (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .[٣٨])

وأما - الغاصب - فمحروم من رحمة الله ، فيقول - صلى الله عليه وسلم - (من غصب شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة)[٣٩] .. والشرع يوجب رد المغصوب مع عقوبة الغاصب ، كقاطع الطريق .. والاعتداء على الملكية ، ليس هو المقصود فقط ، بل لو نظر بعين حاسدة حاقدة لمال الغير ، فعليه اثم أيضا .

يقول سبحانه (ولا تمدنّ عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)[٣٠] .. ويقول سبحانه (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما كسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله)[٣١] ..

..

* العمـــل ... والعمـــال ...*

الاسلام قدس العمل ـ والعمال الذين لا يملكون الا أجسادهم ، ووضع لهم حماية وأعلى الله من شأنهم ، يقول سبحانه (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ..)[٣٢] .. حتى فى يوم الجمعة .. لا يستحب أن يطول المكث فى المسجد ، فبعد انتهاء الصلاة مباشرة . على المؤمن أن ينصرف فورا الى عملـه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا)[٣٣] حتى فى أثناء العبادة أجاز الله العمل ومباشرة التجارة أثناء موسم الحج وتأدية المناسك ، قال تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)[٣٤] .. قال .. المفسرون ـ البضاوى والقرطبى ـ إن الآية تحث على الأخذ بأسباب الرزق ، ومزاولة أعمال التجارة ، وما اليها فى نفس مواسم الحج ومواطنه)[٣٥] .. وقال عليه السلام (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده)[٣٦] .. وروى أن النبى ـ عليه السلام ـ لما رجع من غزوة تبوك ... ـ استقبله معاذ بن جبل ، وصافحه ، ـ فوجد فى يده خشونة ، فقال له : (لقد كبنت يداك يا معاذ)[٣٧] .. فقال : نعـم

يارسول الله ، لأنى احترث بالمحاة ، وأنفق من ذلك على عيالى ، أى اعتفل بالزراعة ، واستخدم الفأس .. لهذا خشنت يدى ، فقبل الرسول - عليه السلام - يده .. وقال : تلك يد يحبها الله ورسوله ، تلك يد لا تمسها النار)[٣٨] .. وأن قوما قدموا على الرسول - عليه السلام - فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ، ويكثر الذكر ، فقال - عليه السلام - : أيكم يكفيه طعامه فقالوا : كلنا نتعاون على سد حاجته كى يتفرغ لعبادته ، فقال عليه السلام - : كلكم خير منه ، أى أنكم تعملون وهو لا يعمل "[٣٩] ..

والواضح من هذه الأدلة أن الاسلام يقدس العمل والعامل حرفى ملكية أجره . أما من جهة الوفاء بحق العامل ، فيقول - عليه السلام - عن رب العزة (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)[٤٠] .. كما يوصى - عليه السلام - .. بضرورة الاسراع باعطاء العامل أجره ، فيقول (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)[٤١] ..

والاسلام يطبق هذا - المبدأ على جميع أنواع العمل المباح والعاملين فيه : سواء كان العمل جسميا أم عقليا .. هذا لأن العامل ، تقوم على كاهله نهضة الدولة والعمل من شريعة الاسلام ، ولا يحب الكسل ولا الكسلاء ، وعلى الانسان أن يعمل ليتمتع بحياة أفضل ، وعليه أن لا يترك شبرا من الأرض بوارا بدون استغلال ، - فالأرض خلقها الله لرزق الانسان ، فلا يتركها صحراء يتلظى بنارها ، ويتضور جوعا ويموت مرضا ، وتحت أرجله الخير الكثير ، يقول سبحانه (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)[٤٢] .. ويقول عليه السلام - (التمسوا الرزق فى خبايا الأرض)[٤٣] .. وعنه - صلى الله عليه وسلم - (ما من مؤمن يزرع زرعا فيأكل منه طير أو حيوان ، الا كتب الله له به حسنة)[٤٤] ..

وعلى هذا .. فالاسلام لا يجيز أن يعطل المالك أرضه ، أو غيرها لأنه اضرار بالصالح العام ، وتنزع الملكية منه جوازا ، وتمنح لمن يقوى على استغلالها ، " وقد فعل عمر ذلك ، مع بلال بن الحارث المزنى " [٤٥] ..

" لماذا نحرص على القاتل .. ولم نراع حرمة القتيل ؟ "

يقول سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع ، بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ، ولكم فى القصاص حياة ، يا أولى الألباب لعلكم تتقون) [٤٦] ..

والمثل العربى يقول : (القتل أنفى للقتل) ..

فالنص على عقوبة القاتل عمدا (بالقتل) فى جميع الشرائع السماوية ، ولقد ارتضته جميع الطبائع البشرية من غابر الأزمان ، فلم تعاقب القاتل الا بالقتل - والجروح قصاص - [٤٧] ..

وحكمة الله العادلة .. اقتضت أن تكون فى مصلحة المجتمع - عقوبة القتل ، لقاتل النفس - واعتبر الإسلام أن القاتل عضو مريض مطلول فى المجتمع فيجب

قطعه ليسلم باقى الجسد •• يقول سبحانه : (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) [٤٨] والقاتل نفسه لا يجد راحة ، وان أفلت من العقوبة •• فشبح القتيل يلاحقه ويقلقه وينعدم نومه فتضطرب نفسه فيزداد بطشه ، ولن يتورع عن تكرار جرمه •

هذا هو حكم الله فى القاتل •• ولقد قامت بعض الدول المتقدمة فى هذا العصر ، ومنعت عقوبة القتل ، وحرفت التشريع ، مدعية أن هذا حفاظا على حرمة الحياة البشرية ، وأنه لا ينبغى القضاء عليها [٤٩] •• يحافظون على القاتل الذى لم يراع حرمة الحياة البشرية أيضا •• " انهم يحرصون على القاتل ولم ينظروا كم سيشرد من الأطفال ؟ وتتفكك أسر ، وتتعثر فى الحياة ؟" ولقد خففوا العقوبة من الاعدام الى شىء آخر أخف ، وتركوا العضو الخبيث فى الجسد المريض ليفسد باقى الجسم ، وفى النهاية يموت المريض •• ولو قطع لكتبت لباقى الأعضاء الحياة •

لقد أعلنت ـ ألمانيا الاتحادية ـ مؤخرا منع عقوبة الاعدام فيها ، وذلك تمهيدا ليصبح قانونا دوليا •• وقال : ممثلوا الحكومة فى البرلمان:" ان موقف ألمانيا من هذه القضية ، يأتى انطلاقا من قناعة الدول بأن حرمة الحياة البشرية لا ينبغى القضاء عليها " ولهذا انتشرت السرقة وغيرها ، وانتشرت أعلى نسبة فى الجريمة •• وسارت أمريكا على هذا النهج ، ورأت فشل القانون لمدة عشر سنوات ، فعادت لتنفيذ عقوبة الاعدام للقاتل •

وعلى هذا فالقانون البشرى ، لا يمكن أن يعادل التشريع السماوى ، وأن الاسلام : دين اصطفاه الله لخير البشرية ، ولكل زمن وعصر [٥٠] •• (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [٥١] •• (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) [٥٢]

•• لا تسرق ماء وجهك ••

جاء فقير يسأل النبى -صلى الله عليه وسلم- الحاجة ، فقال له -عليه السلام- : أما لك مال ؟ فقال : لا ، فأعاد عليه السؤال مؤكدا ، فقال : عندى -حلس- نجلس على بعضه ونتغطى بالبعض الآخر ، وقدح نشرب به ، فقال : إيتنى بهما فأحضرهما ، فعرضهما -النبى على من كان معه •• قائلا : من يشترى منى هذين ؟ الى أن باعهما بدرهمين ، فأعطاه اياهما ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما لعيالك وبالآخر -فأسا- وأمره بالعودة بعد الشراء • فوضع له خشبة "يدا" فى الفأس وقال له : اذهب واحتطب ، ولا أرينك خمسة عشر يوما •• فذهب ثم عاد بعد المدة ومعه عشرة دراهم ، فقال : يارسول الله •• بارك الله لى فيما أمرتنى به ، فقال له -عليه السلام- : هذا خير -أن تأتى يوم القيامة وفى وجهك نكتة المسألة ؟

علاج نفسى عظيم • لم يتوصل له علماء النفس والاجتماع فى العصر الحديث • ولو حلل الحديث لاشتمل على معانى عظيمة ، فقوله -عليه السلام- من يشتر منى ولم يقل : من يشتر من هذا الرجل •• على عادة الناس فى المعاملة ، وبقدر حب الرسول -عليه السلام- للفقراء وعطفه عليهم ، فانه كان يكره لهم السؤال •• والحب والكراهة ينبعان من تقديره لانسانية الانسان الفقير ، الذى يجب أن تظل عزيزة مكرمة ، فلا يزل نفسه ولا يخفض عنقه لمطامع الدنيا • ما دامت فيه قوة -تساعده على العمل ، والسير فى أرض الله •• والكسل ليس من شيمة المؤمن ، ولا يترك أولاده وأهله : عالة يتكففون الناس- ان كل قرش يأخذه تسولا من الناس ، يقتل فيه الحافز على العمل •• نتيجة للمسلك السهل ، والذى لا يكلفه سوى -كلمة استجداء- والرسول -عليه السلام- : رأى الرجل قادرا على العمل ، فلابد

من أن يرتفع بمستواه فوق السؤال ، ولو تركه هكذا : لتوقف النشاط الاقتصادى . وانتشر مرض - التسول - بين المجتمع .. فقدم الرسول - عليه السلام - العلاج . فأمره باحضار ماتبقى من بيته - رغم حاجته اليه - وظن الحاضرون أن الرسول ستأخذه الشفقة والرأفة بهذا الرجل .. ويترك له بساطه وقدحه ، بعد ماعرف حاله والحاضرون فى مجلس الرسول - صلى الله عليه وسلم - ماعليهم الا أن يتبرعوا ببعض المال ..

لكن نظرة الرسول - للموقف تختلف ، والرجل .. والدرهمين .. ليسا بمشكلة أن يخرجهما أحد الصحابة من جيبه ... وكلهم والحمد لله - عند حسن الظن بهم .. لكن الرسول - عليه السلام - يريد أن يبدأ الرجل عمله من ماله الخاص ، ويصبح لافضل لأحد عليه ، ويشعر الرجل بأهميته وسط الجماعة [٥٤] ::

" قد يكون من السهل أن تدفع القرش للمسكين .. لكن من الصعب أن تحاول رفع آدميته .. بتيسير طريق العمل له .. وهنا كانت عظمة الرسول - عليه السلام - تساند الفقير ولاتستذله .. "

والاحسان الى ذوى الحاجات : فضيلة من أشرف الفضائل الانسانية .. لأنها قوة فى العظيم ، تعمل عملها على اعانة الضعيف ، ولا تعمل عملها فى اذلاله وارغامه [٥٥])

والرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الأسلوب ، يخطط للأجيال القادمة ، ولا يجعل أموالهم تستهلك فى أشياء مستهلكة ، فقال : اشتر فأسا .. والفأس هنا ، لا تستهلك ، بل آلة للانتاج . وساعده بيد الفأس ، لفتة أخرى : لأولى الأمر - الرؤساء - فى تقديم المساعدة حافزا للمواطن على العمل ، وتأمين مستقبله ، ليزداد احترامه لنفسه ، والرسول - عليه السلام - لم يتركه ، بل تابع الاشراف والارشاد - لا أرينك خمسة عشر يوما - فربما لا يجيد الرجل خوض التجربة ، أو ربما صادفته بعض المشاكل .. فلا يصدمه من المرة الأولى ، فيوجهه ، ليبقى لديه -

الأمل فى النجاح والربح ، وعاد الرجل مسرورا بنجاح التجربة ، وهنا يأتى دور الموعظة فى وقتها المناسب .. موعظة مفيدة بناءة ، فالقول بدون العمل لافائدة منه ، يقول ـ له الرسول " هذا خير لك أن تأتى يوم القيامة ، وفى وجهك نكتة المسألة " فجعله يتذوق حلاوة العمل ، ليستقر فى نفسه أبدا .. ويرتفع بقيمة العمل فيجعل منه عبادة يحمى بها نفسه من ذل السؤال .. واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول .ح. هكذا علمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . ـ

xxxxxxxxxxxxxxxxxx

.. علاقة المسلم بأخيه ..

كونوا عباد الله اخوانا ـ علمنا رسول الله ذلك ـ لا فرق لعربى على عجمى ولا أحمر على أسود الا بالتقوى ، كلكم لآدم . وآدم من تراب .. نداء عظيم وجهه الرسول ـ عليه السلام ـ لأمته مهما تباعدت بينهم المسافات ، واختلفت الجنسيات فالاسلام يجمع الجميع .

فعلاقة المسلم بأخيه علاقة أخوة ومحبة ـ انما المؤمنون اخوة ـ ونهى عن التفرقة والتماحن ، وكل مايدعو الى تفكك الروابط بين المسلمين ، مثل : الظن والغيبة ، والنميمة ، وما الى ذلك ، لما لهذا من خطورة على المجتمع أولا ـ وصحة الفرد ثانيا ، حيث ترفع ضغط الدم ، ومرض القلب ، والأعصاب ، يقول ـ عليه السلام (اياكم والظن ، فانه أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله

تعالى : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يحقره ، ولا يخذله ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ، ماله ودمه وعرضه ، ان الله لا ينظر الى صوركم وأجسادكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، ويشير الى صدره ، ألا لا يبيع بعضكم على بيع بعض ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث [٥٦]..

والحديث جامع لكل المعاني الانسانية ، التي تكفل للمجتمع وسائل الحياة الطيبة ، لو سار عليها ، يقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) [٥٧]. ويقول - عليه السلام (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قالوا : أفرأيت ان كان فيه ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته) [٥٨]..

ولأهمية حرمات المسلمين يوصي عليها الرسول في أخريات أيام حياته ، وكذا دمائهم وأموالهم ، فعليها ترتكز الحياة ، يقول (إن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا) [٥٩].

ولقد صورت السنة الشريفة عقوبة الذين يأكلون لحوم اخوانهم ، ويقعون في أعراضهم ، ويشوهون وجوههم بأيديهم ، فيقول عليه السلام (لما عرج بي مررت - بقوم لهم أظفار من النحاس ، يخمشون بها وجوههم ، وصدورهم ، فقلت من هؤلاء - يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) [٦٠]. وأوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالدفاع عن الأعراض ، وجزاء هذا اعتاق من النار يوم القيامة ، يقول (من ذب عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقا على الله أن يعتقه من النار - ومن رد عن عرض أخيه ، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) [٦١]..

وهكذا يوضح الرسول - صلى الله عليه وسلم - كيف تكون علاقة الانسان بأخيه

الانسان ، ففى ذلك قوتهم وسعادتهم - حدد هذه العلاقة على مر التاريخ فى صفحات تنير وجه الزمن ، فدعم فضائل الناس ، وأبان لهم وجه الكمال ، ليمضوا فى الحياة على بصيرة ، وتنظيف النفس من أدران النقص ، والتسامى بالمجتمع الى مستوى أنبل ، ولهذا وسع الرسول عليه السلام هذه العلاقة[٦٢] ، فقال : (تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة . وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة . واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، - وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة[٦٣])

" دين .. ودنيا "

أثبت التاريخ الواقعى - للعهد النبوى ، وعهود الخلفاء الراشدين ، وفترة حكم عمر بن عبد العزيز - وبعض فترات [illegible] الحكم الأموى والعباسى والأيوبى : أن المجتمع الاسلامى كان مجتمعا مثاليا ، اسلاميا .. عاش كأسعد ما تعيشه البشرية عبر التاريخ عقيدة وروحا - فلقد طبق فى هذه العهود " النظام الاسلامى " المعتمد على أسس السلام والخير والحق ، لكل المجتمع الانسانى .

حرية الرأى والفكر ، مضمونة لكل الناس بما فيها من مبدأ - الشورى فى الحكم - الناس أحرار فيما يملكون ، ماداموا مراعين حق الله فيه ، يقول عليه السلام (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٦٤] .. الرجل والمرأة والخادم وخاصة الحاكم فهو المسئول الأكبر ، لأنه مناط القدوة ، والناس على دين ملوكهم ..

فبيده اسعاد المجتمع وشقاؤه ـ والحكم تكليف لا تشريف ، وعناء وبلاء ـ يقول الصديق ـ رضى الله عنه ـ انى وليت عليكم ولست بخيركم فأطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم[٦٥] ـ وعمر عندما قال : " من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقومه " فيرد عليه أحدهم " لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا " انها الشجاعة ، مع صفاء القلب ، ويرد عمر بقوله : " الحمد الله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه .. "

لم يحزن الحاكم ، ولم تأخذه العزة بالاثم ، بل قال : الحمد الله الذى .. الخ . وصلاح الأمير ، وصلاح العلماء ، يدور عليهم صلاح الأمة ، وعليهم أن يبدأوا بأنفسهم وأهليهم[٦٦] .. ولقد فعل عمر ذلك مع أهله ، فقال " لا أوتى بأحد منكم قد فعل ما نهيت عنه ، الا أضعفت له العقوبة ، لأن الناس ينظرون اليكم : كما تنظر الطير الى اللحم ، فاذا وقعتم وقعوا "[٦٧] . ف

فعدالة الشعب . من عدالة الحاكم . يقول ـ صلى الله عليه وسلم " لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، انما السمع والطاعة فى المعروف "[٦٨] .

فالحاكم المسلم مطالب بتنفيذ شريعة الله فى خلقه ، والأمر شورى ، بين أهل الحل والعقد من الأمة " وأمرهم شورى بينهم " الناس كلهم سواسية ، لا فرق بين الشريف وغيره .

ان الاسلام وضع فى تشريعه للناس كل ما يضمن لهم سعادتهم ، ويضبط سلوكهم ، كل فرد له حق .. وعليه حق .

ففى الأحوال الشخصية : من زواج ، وطلاق ، وارث ، وحضانة ، وانفاق على الأقارب . لها حل وقانون .

والأحوال العامة : من تجارة ، وزراعة ، وعمل ومسايرة المجتمع ، من تفاهم وقضاء . هذه المشاكل كلها لها حل وقانون يضبطها ، لا يظلم الضعيف ، ولا يحتقر

الفقير ، على مر العصور والأزمان [٦٩] .. ولهذا يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان أحبكم الى الله أحسنكم أخلاقا [٧٠] .. »

أما فى العبادات : من صلاة وصوم وزكاة وحج ، فكلها لها أهميتها فى حياة الناس ، من صفاء الضمير ، واستقامة الأخلاق ، والمودة والثقة بالله والالتجاء اليه وقت الرخاء مثل وقت الشدة [٧١] ..

.. للانسان حقوق .. للحيوان أيضا حقوق ..

قال سبحانه : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) [٧٢] ..

سخر الله ما فى الكون لمنفعة الانسان ، ونظرة الاسلام لهذه المنافع ، ـ نظرة ترتكز على احترام حياة هذا الكائن ، وتعاونه مع الانسان فى عمارة الكون حتى أن بعض ـ السور فى القرآن الكريم ـ حملت أسماء بعض الحيوانات : الأكثر لصوقا بالانسان ـ كالبقرة ، والأنعام ، والنحل ، والنحل ـ وما ذلك الا لحكمة لم تكمل لدى الانسان معرفتها حتى الآن ..

واذا كانت بعض الدول غير الاسلامية ، أنشأت مؤخرا بعض الجمعيات ، للرفق بالحيوان ، وكذا مصحات لعلاجه ، ولتنمية الثروة الحيوانية ـ فقد سبقهم الاسلام بهذا العمل . » وحددت عزيمته المقاصد من انتفاع الانسان بالحيوان ، واستعماله والتصرف فيه .. لذلك فله حق أيضا فى اطعامه وخدمته ، ورعايته [٧٣] .. وأن لا

يصيبه بأذى .. - وكل هذا يندرج تحت القاعدة الفقهية : " عدم الاعتداء " على حقوق الغير " .

والانسان وما يملك : ملك لله وحده ، واستعمال لفظة " الحق " من جملة هذا ـ الغير ـ التى تشمل الحيوان أيضا ..[٧٤]

والرفق بالحيوان مبدأ انسانى ، لكنه لم يقم بحفظ حقوقه كما يجب ـ لكن الاسلام وضع مبدأ لهذا التعامل ، يقوى فيه عنصر الايمان ، الذى يتميز به المؤمن فيقول ـ عليه السلام ـ (ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ، ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على سواه .. وان الرفق لا يكون فى شئ الا زانه ، ولا ينزع من شئ الا شانه ..[٧٥]

وبما أن فى الحيوان منفعة ـ للانسان ، ووثيق الصلة به ، ومتعاون معه فى عمارة الكون ، لهذا نظر له الاسلام نظرة عطف واحترام : لأنه يحمل من الحس والشعور أقوى من الانسان نفسه ، ويتألم ويبكى بغير دموع ولا يكاد يبين ـ ..[٧٦]

يتضح هذا التكريم فى القرآن ، فبعد أن ذكر الله خلق السموات والأرض ، وقدرته فى خلق الانسان ، أردف ذلك بقوله سبحانه (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون)[٧٧] .. فالله يرشدنا ـ فى أن الحيوان أشرف الأجسام الموجودة على الأرض بعد الانسان ـ لما له من الحواس الظاهرة والباطنة ، فلا ينظر له من ناحية مادية تتعلق بالأكل والشرب منه ، والنقل واللباس فقط .. بل هناك جهة معنوية ، وصفة جمالية أيضا توجب حسن المعاملة ، والصاحبة والحب ، بالاضافة الى كونها من ثروة الانسان ..[٧٨]

ويحبب الاسلام الاحسان للحيوان ، فيثنى على بعضها لأهميتها ، ويلفت لها

الأنظار ، يقول - عليه السلام - (الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم - القيامة ، والابل : عز لأهلها ، والغنم : بركة)[٧٩] ..

والعطف على الحيوان جعله الاسلام عبادة ، حتى لا يستهان بها : فقد غفر الله لبعض العصاة نتيجة لذلك العطف " فقد سقت امرأة بغية كلبا رأته فى يوم - حار يطوف حول بئر ، أخرج لسانه من شدة العطش ، فنزعت خفها ونزلت للبئر وملأته وسقت الكلب - فغفر الله لها - فقال الصحابة : يارسول الله ، أان لنا فى - البهائم أجرا ؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر) وفى رواية أخرى فى كل ذات كبد حراء أجر "[٨٠] .

وكما أن فى الاحسان أجر ، كذلك فى الاساءة معصية وعقاب من الله ، يقول عليه السلام - (عذبت امرأة فى هرة حبستها ، ولم تطعمها ولم تسقها ، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض)[٨١] .. وحرم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ايذاء الحيوان وتعذيبه بأى صورة من الصور ، هذا فى الحيوانات النافعة التى لا تؤذى - أما - الضارة ، فأحل الاسلام قتلها بدون تمثيل بها[٨٢] ..

انها لفتة حكيمة ، وارشاد نبوى عظيم .. ومما يحكى أن عدى بن حاتم ، كان يفت الخبز للنمل ، ويقول : " انهن جارات ، ولهن حق الجوار "[٨٣]

البـــاب الـــرابـع

•• من أجــل الحياة •• الحديث يقود معركة الحياة ••

الفصـــل الأول

المـــــراجـــع : والتعليقات .

(١) سورة الحشر / ٩
(٢) أخرجه البخاري ، ومسلم - البر .
(٣) وفي رأيي أن الفرد اذا شعر بأنه ليس طليقا في كل شيء •• شعر برغبة شديدة نحو الشيء الممنوع - فكل ممنوع مرغوب - وأحب شيء الى الانسان ما منع . حتى في حياتنا الزوجية ، وكلما كان الحصول على هذا الشيء - بعد مجهود وتعب . شعر الانسان بلذة هذا الشيء ، فكسرة خبز قديد ، أحلى من العسل بعد الجوع الشديد .
والاسلام لا يريد منا أن نعيش مدللين - كل ما نبغيه نجده ، فتصيبنا ، التخمة ، وتذهب منا بهجة الحياة ، يقول عليه السلام " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع "
الشيء المجاني : رخيص ، والذي يأتي بدون جهد تعافه النفس ولا ترغب فيه فيصبح ممجوجا .
(٤) أخرجه الدارمي - كتاب البيوع
(٥) السعيد الشرباصي " تنظيم الاسلام للحرية الفردية والاجتماعية " عن جريدة الندوة السعودية - عدد - ٦٢٨٤ - ٩/١١/١٩٧٩م ، ص ٤ ••
(٦) نفس الرد الذي يتذرع به بعض التجار به بعض التجار في هذا الزمن ، وعلى الخليفة تحق برهم وتذكيرهم بنظام الاسلام ••
(٧) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، ج ١ ص ٢١ ••
(٨) من أهل بيعة الرضوان ••
(٩) رواه الحسن البصري . من معقل بن يسار ، في مسند الامام أحمد بن حنبل - والحديث يعالج مشكلة من أكبر مشاكل المجتمع الحالي ، ويقدم لها

الحل العادل ـ حاميا للأفراد من جشع قلة منهم ، معلنا أن المصلحة الفردية لا تقوم على ظلم الآخرين .

(١٠) د. شوقي الفنجري " الاسلام والطبقات الاجتماعية " مجلة العربي ، عدد ـ ١٩٦ / ١٩٧٥م ، ص ٢٠ الكويت ..
(١١) رواه البيهقي عن الطبراني ، في الأوسط ..
(١٢) أخرجه أبو داود ، وغيره ..
(١٣) سورة الأحقاف / ١٩ ..
(١٤) سورة النور / ٣٣ ..
(١٥) " الاسلام والطبقات الاجتماعية " نفس المصدر السابق ، ص ٢١ ..
(١٦) أخرجه البخاري ـ باب العلم ..
(١٧) " " " ومسلم ـ كتاب الايمان ..
(١٨) د. عبد الواحد وافي " الاقتصاد الاسلامي في المجتمع " ـ عدد ٤٠٥ ، ص ٤٠ / ١٩٧٧م ـ الكويت ..
(١٩) سورة النساء / ١٤ ..
(٢٠) أخرجه الدارمي ـ باب الوصايا للوارث ..
(٢١) " الاقتصاد الاسلامي في المجتمع " المصدر السابق ..
(٢٢) مثل النظام الشيوعي ..
(٢٣) بخلاف النظام الرأسمالي ، فلا حرمان للفرد ولا طغيان منه ..
(٢٤) أخرجه ابن ماجه ـ الأحكام ، ومالك ـ الأقضية ..
(٢٥) أخرجه البخاري ، ومسلم ـ كتاب الايمان ..
(٢٦) " " ـ كتاب المظالم ، ومسلم ـ الايمان ..
(٢٧) " " " " ـ " " الحدود ص ١٢ ..
ومن مصادر هذا القسم ـ أحمد فراج في مقاله " الأزمة والحل " مجلة منار الاسلام ، عدد ١ ، ص ١٠٣ / ١٩٧٦م ـ أبو ظبي . ـ و. " الاسلام والطبقات الاجتماعية " و " الاسلام ومشكلة العصر "
(٢٨) سورة المائدة / ٣٣ ..
(٢٩) أخرجه مسلم ـ المساقاة ..
(٣٠) سورة طه / ١٣١ ..
(٣١) سورة النساء / ٣٢ ، ومن مصادر هذا القسم أيضا .. د . مصطفى كمال ـ وصفي " الملكية في الاسلام " عن مجلة ـ الدعوة المصرية ـ الاخوان المسلمين ، عدد ١١ ، ص ٢٢ / ١٩٧٧م ـ مصر ..و ـ علي عبد الله ـ الطنطاوي " شمول الشريعة الاسلامية " ص ٥٤ نفس المصدر السابق ..
(٣٢) سورة الملك / ١٥ ..
(٣٣) سورة الجمعة / ١٠ ..
(٣٤) " " البقرة / ١٩٨ ..
(٣٥) " الاقتصاد الاسلامي في المجتمع " ..

(٣٦) أخرجه ابن ماجه ـ التجارات .
(٣٧) خشنت وغلظت ...
(٣٨) الطبراني عن ابن عباس .. ومن الملاحظ أن الرسول ـ لم يقبل يد أي شخص خلال هذه المرة ...
(٣٩) أخرجه عن ابن عباس ـ
(٤٠) " " البخاري ـ البيوع ، وابن ماجة ـ الرهان .
(٤١) " " ابن ماجة ـ الرهون .
(٤٢) سورة الملك/ ١٥ .
(٤٣) أخرجه ابن حنبل ـ المساقاة .
(٤٤) "" "" ""ج ٦ ....
(٤٥) " الاقتصاد الاسلامي في المجتمع " المصدر السابق .
ملاحظة : توجد بعض الألفاظ ، التي شاع استعمالها ـ لم يراع الباحثون دقة مدلولها في التعبير .. ولذا فانها تشكل خطرا على المعنى المطلوب أحببت أن آتي بها للفائدة ، من هذه الألفاظ : عبارة (نظرية الاسلام في الاقتصاد) أو (نظرة الاسلام حول موضوع كذا ..)
ويقول د. عيسى عبده : " اني لا أقر وجود نظرية اسلامية ، لأن التعبير في حد ذاته مغرض .. والاسلام دين لا يقوم على نظريات ، وانما مصدره الوحي الذي هو فوق قدرة البشر ، أما النظريات : تبدأ بالخيال ، والتصور والفرض ، والبرهان ، على صحة هذا الفكر وممكن تمايف ـ الصواب والخطأ .. واسقاط كلمة (نظرية) من كل بحث اسلامي أفضل ـ والاتيان بلفظة (أحكام ، ونظم ، وقواعد) والتي تستمد مادتها من الكتاب والسنة ..
والاقتصاد ليس شيء مستحدث ، بل فيه قواعد وضوابط .. وللدكتور عيسى عبده ، كتاب في هذا الصدد ..
(٤٦) سورة البقرة / ١٧٩ ..
(٤٧) الأستاذ عادل حسن جميدار " التماس شريعة الله " جريدة الندوة ـ عدد ٦٢٧٨ ، ص٤/ ـ ١٩٧٩م السعودية .
(٤٨) سورة المائدة ٣٣ .
(٤٩) "التماس شريعة الله" نفس المصدر
(٥٠) " التماس شريعة الله " .
(٥١) سورة المائدة / ٥٠ .
(٥٢) " " " " / ٤٥ .
(٥٣) أخرجه أبو داود ـ الزكاة .
(٥٤) د . محمود محمد عمارة " كرامة الانسان في الميزان " مجلة ـ التضامن الاسلامي ـ ج ٩ ، ص ٥٣ ، ١٩٧٩م ـ مكة المكرمة ـ السعودية ـ
(٥٥) العقاد "حياة محمد" ـ مصر ـ

(٥٦) أخرجه مسلم ـ البر ـ .
(٥٧) سورة الحجرات/ ١٢ .
(٥٨) أخرجه مسلم ، عن أبي هريرة .
(٥٩) أخرجه البخاري ، ومسلم ، عن أبي بكر ، في حجة الوداع .
(٦٠) " " ـ التفسير ، وأبو داود ـ الأدب ـ .
(٦١) أخرجه أحمد بن حنبل ـ باب الأدب .
(٦٢) الشيخ محمد الغزالي " خلق المسلم " ط ٤ ـ ص٧ ، ١٩٦٠م ـ دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ
(٦٣) البخاري ـ الصدقة ـ .
(٦٤) " " ـ الأحكام ، الترمذي ، الجهاد .
(٦٥) تاريخ الطبري .
(٦٦) الشيخ عبد الوهاب خلاف " السياسة الشرعية " ص٢٣٦ ـ المطبعة السلفية ١٩٤٠م ـ القاهرة .
(٦٧) أما حكام اليوم فيعيشون في ترف وبذخ منقطع النظير ، ويطالبون قومهم ـ بشد الأحزمة على البطون ـ مع العلم أن شعبهم لا يجد قوت يومه ..
(٦٨) الشيخ الغزالي " الاسلام والأوضاع الاقتصادية " ط٣ ـ ١٩٥٢م القاهرة ص ١٢٠ .
(٦٩) د. سليمان محمد الطحاوي " الشورى في الاسلام " ، والنظم النيابية المعاصرة " مجلة العربي ، عدد ١٩٨ ـ ص١٠٦ ـ ١٩٧٥م ـ الكويت ـ ، وأحمد جمال " أثر الاسلام في المجتمعات الانسانية " مجلة المفكر العربي ، عدد ٧٤ ، ص٢٩ / ١٩٧٥م ـ بيروت ـ
(٧٠) أحمد بن حنبل ، والبخاري ـ كتاب الأدب ..
(٧١) د. محمد سلام مدكور " مناهج الصحابة في الاجتهاد " مجلة العربي ، عدد ١٩٢ ـ ص٢٩ ـ ١٩٧٥م ـ الكويت ـ
(٧٢) سورة الاسراء / ٧٠
(٧٣) ومن حكمة الله أن الحيوان يملك قوة تفوق الانسان أضعاف ، ومع ذلك ينقاد له هادئا طائعا . يقول سبحانه : والأنعام سخرها لكم ـ فالطفل يقود الجمل الكبير ، . يقول بعض الباحثين : أن الجمل يرى الطفل ـ وكأنه جبل ضخم فينقاد له .
(٧٤) د. انريكو أنسا باتو " الاسلام وسياسة الخلفاء " .
(٧٥) أبو داود ـ الأدب ، البخاري ـ الاستئذان .. والأحاديث التي تشير للتراحم كثيرة ، منها: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " رواه أبو داود
(٧٦) المنفلوطي " النظرات "
(٧٧) تفسير القرطبي ، ج١٤ /١٠ ـ ٦٩ ، الآية ٨/ من سورة . النحل .

(٧٨) تفسير الرازى ـ ج١٩ ص٢٢٧ ، ٢٢٨ ـ وكذا تفسير القرطبى ج١٠ ـ ص٢٩
(٧٩) البخارى ومسلم ، عن عبد الله بن عمر ، والزيادة فى رواية ابن ـ ادريس عن حصين ، وأخرجه البرقانى فى مستخرجه ، ونقله ابن حجر " فتح البارى ـ ٦ / ٢٩٥ "
(٨٠) أخرجه مالك والبخارى ـ باب المساقاه .
(٨١) أخرجه البخارى ـ بدء الخلق ، ومسلم فى ـ البر ، وكذا النووى فى شرحه عن مسلم ٩/ ٨٩ .
(٨٢) كتب الفقه مليئة بالأحكام المتعلقة بالحيوان ، النافع والضار ، ولا يتسع المقام لذكرها .
(٨٣) د. أحمد الكبيسى " الحيوان فى الفقه الاسلامى " ـ كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ـ ص١٣٤ ـ ١٩٧٧م .

الباب الرابع

" الحديث .. يقود معركة الحياة "

الفصل الثانى :

* * بناء الرجال أولا ــ .. ..
* * جيل أعز دين الله ــ .. ..
* * .. ..

الفصل الثالث :

* * الصحابة أخذوا بالأسباب .. ..
* * القضاء والقدر في نظر الاسلام .. .. .
* * الصحابة وسياسة الحكم .. ..

•• بناء الرجال أولا ••

ان الرسول - عليه السلام - عندما أراد أن يبني أمة الاسلام : كان أول خطوة فعلها هي : بناء الرجال أولا •• وكان يعلم أنه اذا تم ذلك • تبعه العمل النافع والمثمر ، وهذا ماتم فعلا •

فقد قام الصحابة من بعده ونفذوا تعاليمه •• ولهذا قدر لأمة الاسلام أن تنطلق ، وستبقي ما دامت متمسكة بهدى النبوة • فهو الذى سيعصمها من الضلال ويلهمها رشدها •

والرسول - صلى الله عليه وسلم - ربى صحابته على منهج القرآن فتحولوا من حال الى حال : " وصدقوا ما عاهدوا الله عليه[1] " وجمعوا بين الدين والدنيا ، ومزجوا بين مطالب البدن وغذاء الروح •• زهاد بالليل ، وفرسان بالنهار " أعداء على الكفار رحماء بينهم[2] "

ان الاسلام فجر فى الصحابة مواهب لم تكن موجودة •• فجعل أبوبكر - رجلا يتخلع من كل ماله فى سبيل الله ، ويتعالى عن المادة ، فأصبح الرجل : (الأتقى الذى يؤتي ماله يتزكي وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى[3]) وقد نهض بأعباء الخلافة ، وضرب بيد من حديد على حركة الردة •

وعمر - الجبار فى الجاهلية •• يصبح رجل اصلاح عظيم رمز للعدل ، يجوع ليشبع الناس ، ويبكى لبكاء طفل قست عليه أمه ، ويعدل القانون من أجل بكائه • ويقول : " لو عثرت دابة بأرض العراق ، لسألنى الله عنها لم لم تمهد لها الطريق ياعمر •• " •

ولهذا لم تتعثر الأمة بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - وانتشر ضياء -

الاسلام على آفاق الدنيا .

ان أسباب النجاح مازالت بين أيدى المسلمين ، كما تركها الصحابة ـ القرآن والحديث ـ فالواجب افساح المجال لهذه المثل لتأخذ طريقها الى المجتمع ـ الاسلامى .[٤]

والصحابة رضوان الله عليهم ـ حملوا لواء الاسلام بكل الاخلاص ، ومستحيل أن يحيط الانسان بكل أبعاد هذا الفكر العظيم ـ الذى مازال فى ساحة الفكر الانسانى مشرقا مزهرا فى دنيا العالم . ولقد كان لهذا الأثر الذى تركه فيهم ـ معلم البشرية ـ يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " انى مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله ، وعترتى أهل البيت ، والصحابة من بعدى ، ما ان تمسكتم بنهجهم لن تضلوا أبدا وانهما لن يفترقا حتى يردا عىلى الحوض " .[٥]

فانتماء الناس للصحابة والتفافهم حولهم والأخذ عنهم ، أبقى على التراث الاسلامى وفكره محفوظا مصانا طوال التاريخ . والصحابة وجدت فى نفوسهم كل معانى الفكر الصافى : من فقه وتفسير وحديث ، وثقافات أخرى ، مما كان لها أثرها الفعال فى حياة الناس .

فالامام ـ على بن أبى طالب ـ والفترة التى عاشها بعد الرسول ـ عليه السلام ـ حتى توليه الخلافة ـ والمدرسة الفقهية والعلمية ، التى كانت مرجعا هاما فى اللغة ، والحديث والفقه والتفسير ، ومدى فكره واجتهاده ، وتأثر الصحابة والتابعين به ، بما ذلك الاصيلة للاعداد التى منحه اياه رسول الله ـ عليه السلام ـ وملازمته الدائمة منذ حداثة سنه حتى وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا مما لا يخفيه التاريخ .[٦]

ولقد كان الاعداد النبوى : ... ـ منصبا على جميع الجوانب العصية للصحابة مما جعل عندهم الاستعداد الفكرى والنفسى ، لأن يكونوا النهر المزود المعطى

العطاء السخى ، بعد غياب الرسول ـ عليه السلام ـ عن مسرح الحياة ، ودفعوا عجلة الاسلام الى الأمام فى فترة وجيزة من عمر الزمن ، ومع كل هذا فقد أضاع الناس الكثير من هذا العلم ، فى مجادلات عقيمة ، وحروب حزبية ، نشر سمومها المنافقون ، والحاقدون على الاسلام ـ من يهود وفرس ـ وأشعلوا نار الفتنة بين المسلمين ، وأصبحت نقطة سوداء فى جبين التاريخ الاسلامى الناصع كانت السبب فى بلبلة أفكار المسلمين [٧].

ولولا وجود فئة واعية ، عكفت نفسها على حفظ التراث الاسلامى وفكره فى مختلف المجالات .. لعم الظلام أرجاء الكون ولظلت البشرية تتخبط فى متاهات الجهل ، يتجلى هذا بوضوح فيما أخلفوه ، فى العقائد حول الله وذاته وصفاته ، والرسالات والوحى والملائكة ، والامامة والقضاء والقدر ، والبعث والنشر ، وكل الأمور التى لا دخل للعقل فيها من المغيبات . وذلك بقوة الحجة والبرهان الواضح ـ أما حول العبادات والشرائع ، والأحكام والمعاملات ، والشئون الدنيوية : فهذا مالا يخفى على أحد ، فقد تناولوها بفكرهم العظيم مطبقين فيها تعاليم الرسول الكريم ، هذا كله ليعلموا الأجيال الاسلامية بعدهم .. [٨]

XxxXxxXxxXxxXxxXxxXxxXxxXxxXxxX

:::::::::::::::

ـ

جيل أعز دين الله

على المدى الطويل من تاريخ البشرية ـ مرت فترات بعد وفاة الرسول ـ عليه السلام ـ منها مايتسم بالقوة ، والفتوحات . ومنها مايتسم بالعلم والمعرفة وسائر المعارف الانسانية .. ذلكم هو جيل الصحابة ومن بعدهم ، الذين اختارهم الله لاعزاز دينه ، ونصرة رسوله ، والزود عن حماه ـ هذا الجيل : كان أبر الناس قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ..[9] فالثلاثة مبادئ المذكورة (القلب ، العلم ، وعدم التكلف) ثلاثة أعياء هامة تم بها تكوينهم الروحي والعلمي ، فبصلاح القلب يصلح الانسان ـ ومر حديث رسول الله على القلب ـ . وبالعلم يقف الانسان على أمور دينه ودنياه ، وبه يتميز عن سائر المخلوقات (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) هذا الجيل استمد علمه العظيم من الكتاب والسنة ، والصحابة خيار هذه الأمة ، فلقد اجتمعوا على الهدى ودين الحق ، وابتعدوا عن الاختلاف والتفرق ، وكل مايذكر عنهم مما فيه نقص ـ فانه اذا قيس بما فى غيرهم من الأمة ـ كان قليلا من كثير ، واذا قيس مايوجد فى الأمة الى غيرها من الأمم ، كان قليلا من كثير ـ وانما يغلط من يغلط أن ينظر الى السواد القليل فى الثوب الأبيض ، ولا ينظر الى الثوب الأسود الذى فيه بياض ، وهذا من الجهل العظيم ..[10]

هذا جيل الصحابة ، والمسلمون عامة فرع منهم .. ولكن اتصال النسب لا يكفى وكذا اتصال الرابطة شكلا ومظهرا دون العمل والتطبيق أيضا لا جدوى منه ، فتتبع خطاهم وتطبيق نهجهم مما أمر به الاسلام ، ويكفى أن شهد القرآن بعدالتهم ، فقال سبحانه (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[11] . والوسط : هم الخيار العدول ، وقال :

سبحانه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم [١٢]) ووضح الرسول - صلى الله عليه وسلم - مكانتهم عند الله ، ودرجتهم العالية ، من ذلك قوله - عليه السلام - (لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ، وقال : الله ، الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه [١٣])

فهذه النصوص توضح مدى ما قام به الصحابة من نصرة الرسول - عليه السلام - وطبقوا ما جاء به وتصدوا لكل التيارات المعاندة للاسلام .. ومع كل هذا فقد تعرضوا للتجريح والتشهير ، مع أنهم كانوا باكورة الحياة الاسلامية التى استقبلت أشعة الدعوة ، فأضاءت كل دروب الحياة ، وضربوا أروع الأمثلة فى البذل والفداء [١٤]

فهم زرع الايمان ، وغرس النبوة ، وثمرة الدعوة ، ولولا ذلك لكانوا فى عقيدتهم كما كانوا عليه فى الجاهلية .. لا توحيد ، ولا تقوى ، ولا زهد ، ولا إيثار ولا كرم خلق ..

هذه كانت حياتهم ، عاشوا صابرين ، صابرين لنشر دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واتماما من بعده .. وأدوا ما عليهم حقا وصدقا ، وعدالتهم ثابتة بالنص القاطع ، وما قام بينهم من حروب واختلافات يعد دليلا على عدم عدالتهم ، ولا تصلح أساسا لاتهامهم ، وتجريح تاريخهم [١٥] ..

يقول سبحانه فى هذا الشأن (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون) [١٦]

الفصل الثالث

.. الصحابة أخذوا بالأسباب ..

لقد طبق الصحابة كل ما سمعوه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكريا وعمليا ، لأنهم آمنوا به عن عقيدة راسخة ، لا عن جبر واكراه (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)[١٧] .

ولقد بلغ عدد الآيات التى تقرر حرية الانسان وكسبه لعمله حوالى الستين آية ، وان الاسلام هو الدين الوحيد الذى استطاع بوضوح أن يضع النقط فوق الحروف حول مسألة حار فيها العقل البشرى ، ولم يصل فيها الى رأى قاطع .. الا الاسلام ، فقد وضحها ، وضرب لها الأمثلة الكثيرة .. هذه المسألة هى (القضاء والقدر) فلقد أقنع فيها الاسلام العقل والوجدان[١٨] .. وليس ذلك نقصا فيما سبق من الديانات التى بل حرفت من قبل أصحابها .

والمسلمون يؤمنون بقدر الله ، وأنه هو الذى سير الكون بتدبير الى غاية وأن كل ذرة فى السماء أو فى الأرض الا ويحيط بها علمه سبحانه ، وتجرى عليها مشيئته وقدرته .

والايمان بالقضاء والقدر لا ينافى الاجتهاد فى العمل ، والأخذ بالأسباب والله سبحانه قدر مقادير الخلائق ، وعلم ما هم عاملون ، وقدر أرزاقهم وآجالهم ، وكتب كل ذلك لديه ، يقول سبحانه (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير)[١٩] . ويقول عليه السلام - (ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من الجنة ، ومقعده من النار ، فقالوا يارسول الله :

يارسول الله : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له - أما من كان من أهل السعادة ، فميسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فميسر لعمل أهل الشقاوة)[٣٠]، ثم قرأ - عليه السلام - (فأما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)[٣١] .

إذًا فالأخذ بالأسباب لا ينافى القدر - بل هو من القدر أيضا ، سئل - صلى الله عليه وسلم - عن الأدوية ، والأسباب التى يتقى بها المكروه : (هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فأجاب : هى من قدر الله أيضا) وقال - عليه السلام - ما أنزل (ما أنزل الله من داء الا وأنزل له دواء[٣٢] ، وقال : ان الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام[٣٣]) . وقال - صلى الله عليه وسلم - (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، فان أصابك شيء ، فلا تقل لو انى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل .. فان لو تفتح عمل الشيطان)[٣٤] .

ولقد سار الصحابة - رضوان الله عليهم - على نهج الرسول وطبقوه كما رسمه لهم .. فلما انتشر الوباء فى بلاد الشام ، قرر عمر بمشاورة الصحابة العدول عن دخولها ، والرجوع بمن معه من المسلمين ، فقيل له : أتفر من قدر الله - ياأمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، أفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت ان نزلت بقعتين من الأرض ، احداهما مخصبة ، والأخرى مجدبة ، أليس ان رعيت المجدبة ، رعيتها بقدر الله ، وان رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله[٣٥] ..

فالله سبحانه ربط الأسباب بالمسببات فان استعملتها فى جهتها الصحيحة أتت بثمارها المطلوبة ، وخالد بن الوليد سيرته فى الحروب معروفة ، كان - يستعمل كل الطرق المؤدية الى النصر مع الحيطة والحذر ، ولا يترك نفسه للأعداء

معتمداً على قدر الله . هكذا علمهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى كان من أقوى الناس ايمانا بالله وقدره ، وكان أعدهم أخذا بالأسباب ، كما وضح فى حديثه السابق ، فقد أخذ الحذر ، وأعد الجيوش ، وبعث الطلائع ، والعيـون ، ولبس المغفر على رأسه ، وأقعد الرماة على فم الشعب ، وخندق حول المدينة ، وأذن فى الهجرة ، واستعمل الأدوية وطرق العلاج .. وما الى ذلك .

ومع وضوح هذه القضية فى الاسلام ، والرسول كمرشد للمسلمين ، أمر أصحابـه - سدا للذرائع - أن يغلقوا أبواب الجدل العقيم حول المسائل التى لا دخل للعقـل فيها [٢٦] ..

والصحابة - رضوان الله عليهم - ، فهموا هذا ، ولهذا لم يخوضوا فى مسألة القضاء والقدر ، تطبيقا لقول الرسول - عليه السلام - (اذا ذكر القدر فأمسكوا)[٢٧]

" القضاء والقدر .. فى نظر الاسلام "

الانسان جنس من الوجود ، تشاركه أجناس تقوم على خدمته .. وكلها تختلف فى الحس : فالحيوان احساسه أكثر من النبات ، والنبات فيه حركة عن الجماد وهو لا ينموا بعكس النبات والحيوان ، والكل بعكس الانسان المفكر ..

فالأشياء التى فيها جمادية وحيوانية ونباتية ، فهو مسير فيها كمثلها تماما . فلو رمى شخص نفسه من مرتفع : لسقط على الأرض كالحجر - لأن قانون الجاذبية يتحكم فيه ، وكذا طريقة النمو فلا دخل له فيها كالنبات ، وكذا الإحساس والحركة ، وإدارة أجهزة الجسم .. فلا أحد يستطيع منع نفسه من الرؤية أو السمع أو عدم هضم الطعام وجرى الدم فى الجسم ..الخ .. فأمثال هذه الأشياء : الإنسان مسير فيها [٢٨] —

ومن رحمة الله بالانسان ، أن جعله مسيرا فى هذه الأشياء ، ولم يتركه لعقله

لأنه لو حصل هذا .. لتعطلت أجهزته وتوقف نموه ، الى أن يصير له عقل يميز ، ليعرف كيف يدير أجهزة جسمه ، وكذا والانسان نائم .. فمن يدير تلك الأجهزة ؟ اذن هذه الأعباء تخرج من عملية التخيير أو الاختيار ، فهو مسير ..

أما مايدخل فى الاختيار وللعقل دخل فيه ، فهو مخير فى هذا ، وعليه يجوز التكليف من الله ، تفعل هذا أو لا تفعله - هنا يوجد الاختيار ، أما فاقد العقل ، والطفل فلا تكليف . والله سبحانه أرسل الرسل : لترشد فى الأوامر ، والنواهى التى أرادها الله ، فلو أن الله خلق الانسان صالحا للفعل فقط ، لما قال له ، لا تفعل .. وكذا العكس ، فالله جعل الانسان مختارا حيث أعطاه العقل لهذا الاختيار .[٢٩]

•• البـــاب الـــرابـع ••

•• الحـــديث •• يقود معركة الحيـــاة ••

:::::::-

•• الفصـل الثـــانـي •• و•• الفصـــل الثالث ••

المـــراجـــع : والتعليقات •

(١) سورة الأحزاب / ٣٣ ••
(٢) " " المـفـتـح ·/ ٢٩ •
(٣) " " الليل / ١٨ ، ٢١ •
(٤) الأستاذ أحمد البسيونى " الرجال أولا " مجلة الوعى الاسلامى ، عدد ٩٥٢ – ص٤ – سنة ١٩٧٧م – الكويت –
(٥) روى هذا الحديث ، باختلاف يسير فى الألفاظ : مسلم – الصحيح ، والحاكم فى – مستدرك الصحيحين ، وأحمد بن حنبل فى مسنده ، والمتقى فى – كنز العمال ، وغيرهم •
(٦) شرح نهج البلاغة : الخطبة القاصعة ، رقم ١٩٢ ، عن كتاب على بن أبـــى طالب •
(٧) السيد حسن الأمين " أعيان الشيعة " ج٣ ط٤ – ص ٦٣ ببيروت • – ١٩٦٠م • وعن الاستيعاب ، والاصابة ، وحلية الأوليا " ، وفى صحيح مسلم ج • وثل ذلك – الحرب بين عائشة وعلى ، ومعاوية وعلى •
(٨) العلامة أبو الحسن الندوى " السيرة النبوية " المكتبة العلمية – لاهور لكنو – الهند • وتاريخ الادب العربى • أحمد حسن الزيات
(٩) سنن الدارمى ، عن عبد الله بن مسعود ، ص٣٢٣ •
وه د• أحمد عمر هاشم – جريدة الندوة السعودية • ص٤ عدد٩/١١/١٩٧٩م •
(١٠) شيخ الاسلام ابن تيمية " منهاج السنة " ج٣ ص٢٣٤ ••
(١١) سورة البقرة / ١٤٣ •
(١٢) " " الفتح / ٢٩ •
(١٣) أخرجه البخارى ، ومسلم – باب فضائل الصحابة – •
(١٤) د• أحمد عمر هاشم " لا تسبوا أصحابى " جريدة الندوة – نفس العدد السابق •
(١٥) محمد عبد الحميد جعفر " أقوال الصحابة " بين مصادر التشريع الاسلامى

عن مجلة ـ المسلم المعاصر ـ عدد ١٧ ، ط/= ١٩٧٩م ، بيروت ، ص١٤٥

(١٦) سورة البقرة /١٤١ .

(١٧) " " /٢٥٦ .

(١٨) وكتب التوحيد شرحت ـ القضاء والقدر ـ شرحا وافيا ، وكذا الجبر ـ...

(١٩) سورة الحج /٧٠ ..

(٢٠) أخرجه البخارى ـ التفسير ، والترمذى ـ القدر .

(٢١) سورة الليل /١٠ .

(٢٢) أخرجه البخارى . الطب ...

(٢٣) " " "

(٢٤) " مسلم ـ فى صحيحه ..

(٢٥) الشيخ عبدالعزيز بن باز "حكم الاسلام" ص١٤ ، ١٨ مطبوعات الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة ـ مؤسسة مكة للطباعة ...
والأرض لووضعت فيها البذر بدون ماء ، ولم تتخذ لها كل الوسائل من حرث وغيره . فلا انبات .. ولايقال نتركها لقدر الله ، فالماء سببا في الانبات : فهناك ارتباط بين السبب والمسبب ..

(٢٦) د. حسين فوزى "الاسلام وحرية الارادة" مجلة ـ العربى ـ عدد ٢١٣ ، ١٩٧٦م ـ الكويت ـ ص٣٢ .

(٢٧) أخرجه مسلم ـ باب القدر .

والقضاء والقدر ، ولتقريبهما للذهن ، نأتى بهذا المثال : عندما ـ يسأل شخص عن آخر ، أهو كريم ، أم بخيل ؟ سؤال مكون من شطرين ـ كريم ، وبخيل ـ فلو أن كل التصرفات بخلا ، ما قلنا : أم هو كريم ، وكذا العكس وعلى هذا يأتى السؤال : الانسان مسير أم مخير ؟ فلو أن الانسان مجبر على كل أفعاله .. لما نشأت كلمة : أم مخير ، وهكذا ـ فالانسان يجد أفعالا لا دخل له فيها ولا اختيار فهو مسير فيها وأفعاله التى تقع على وفق ما يريد ، فهو مخير فيها ، مثل : أنه يريد أن يأكل ـ طعام كذا .. ويتعلم كذا .. ويمشى الى كذا .. الخ .

(٢٨) الشيخ محمد الشعراوى ـ وزير الأوقاف بمصر "محاضرة فى التلفزيون ـ المصرى ، برنامج "نور على نور" تقديم أحمد فراج ٥/ ١٩٧٤م .

(٢٩) وهناك سؤال : من الذى يمتنع عن صرف مرتبه فى أول كل شهر ، الا اذا ـ كان هناك عذر قاهرى ؟ ومن الذى لا يدخل لجنة الامتحان ، ويتأخر عن الموعد المقرر ؟ فلماذا لم يتدخل القدر هنا ؟ لكن لو قيل لك صل الفجر ، أو افعل الخير أو لا تسرق ـ تقول تدخل القدر وحصل الشئ ، ولو قلت أن الله كتب على هذا : ـ فمن الذى أدراك أو أخبرك أن الله كتب عليك هذا الشئ مثلا .
هذه أسئلة .. آثارها المسرفون على أنفسهم ـ مسير أم مخير ـ نحن نسأل : لماذا يعذبنا الله . ولم نسأل لماذا يثيبنا الله ؟ من هذا

كله .. يتضح أن المسلمين ابتعدوا عن منهج الرسول وصحابته ، ولم يفكروا الا فيما يجلب مصلحة ، أو يدفع ضررا ..
والمؤسف أنه ظهرت رؤوس بين المسلمين كأنها رؤوس الشياطين ، وجاء الموالى من فرس وعجم ، وغرب ، ولبسوا لباس الاسلام ، وحملوا اليه ما كان عندهم من شقاق ونفاق ، وأحدثوا فى الدين بدعة ـ الجبر والاختيار ـ فى العقائد ، وخالفوا الله ورسوله وصحابته والتابعين وخدعوا المسلمين ـ كما يقول " الشيخ محمد عبده ـ العروة الوثقى ـ ببهرج القول ، وزور الكلام حتى كان ما كان من تفرق المسلمين (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ) الأنعام / ١٥٩

.. الصحابة ، وسياسة الحكم ..

يقول عليه السلام (الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم من بعدى غرضا .. الخ الحديث .. وقال " لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " هذان الحديثان رواهما البخارى ومسلم فى ـ فضل الصحابة ، عن الرسول ـ عليه السلام وكأنه يرى من وراء الغيب ، ما سيصيب الأمة الاسلامية بعده من تشتت ومن خوضهم فى سيرة الصحابة ، ويفتح الثغرة للتشكيك فى صاحب الرسالة نفسه ، وقد حدث فعلا ـ فى غمرة اهتزاز العصبية الاسلامية ، وفى بحور التقصير التى أغرقت أجيالنا ، وأعيتنا الحيل فى حل مشاكلنا ، قام نفر يبحثون فى الماضى ولم ينظروا للمستقبل ـ بل أخذوا يفتشون فى الماضى و لعلهم ينالوا مجدا ولكنهم انحدروا للقاع ، ويحاولون تبرير انحدارهم ـ فى الوقت الذى نسوا فيه أمثالهم الذين أضاعوا الأمة أمام الصليبين والتتار ، والذين أضاعوا الأندلس .. وأتى جيل القرن العشرين ، الذى أضاع كل الأوطان وفرق الأديان ، ومرغ ـ الكرامة فى الوحل والتراب . هذا الجيل تطاول على القمم من تاريخنا محاولين من شأنه ، بعد فشلهم فى الحياة " بعض الكتاب الذين يريدون الظهور ، فيتجهوا لعصبيات بعض الصحابة محاولين الانتقاص من قيمتهم مقلدين فى ذلك المستشرقين ، الذين حاولوا تشويه التاريخ الاسلامى ، لينالوا من الاسلام .
لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشار لهذا واعتبره من علامات الساعة .. أن يسب آخر هذه الأمة أولها " ولهذا يقول ـ عليه السلام ـ الله الله فى أصحابى .. الخ الحديث ـ ولقد أشار الدكتور على مصطفى الفقير فى محاضرة له فى الجيش الأردنى " ان الصحابة بشر معرضون للاختلاف فيما بينهم فى الرأى والاجتهاد ، لاختلافهم فى

فهم النصوص من قرآن وسنة ، وقد يكون خلاف .. لكنه ليس قائم على الحقد والحسد ، بل حمية وغيرة على الدين ، فما جرى بينهم من اختلاف : غالى فيه المستشرقون ، لعدم ادراكهم المعانى اللغوية ، ولم يعلموا شيئا عن عصر الصحابة والتابعين (واذا كان قد صدر من احدهم ذنب ، فيكون قد تاب منه ، والنبى يشفع لهم وهم أحق الناس بالشفاعة . وأيضا هم مجتهدون ، ومثابون أخطأوا أو أصابوا ، وهم خير الخلق بعد الأنبياء " ، واختارهم الله لصحبة نبيه ، كما يقول د. محمد خليل هراس فى تحليله "لكتاب شرح العقيدة " لابن تيمية .



وتزرع المستشرقون بما حدث بين عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد عندما عزله الأول عن القيادة " لكن من الواجب - أن يدرس الأشخاص أولا حتى يدخلوا فى مقاييس الحكم ، ولا ينظر لأقوال الآخرين ، ولا بد للعقل أن يتطابق مع المنطق فى حكمه .. وهذا من ضمن أخطاء " بعض الكتاب المسلمين حيث يعقدوا بعض المقارانات ، بين الشخصيات الاسلامية العظيمة . وبين الشخصيات المعاصرة ، كما وقع فى الخطأ نفسه عباس العقاد ، فى " عبقرياته " محمد ، عمر ، وأبو بكر .. الخ فمن هم حتى ينبشوا قبور العظماء " ؟ فمن هو - نابليون - الكافر الذى يقاتل طمعا واستعمارا ؟ ، حتى يقارن بينه وبين شخصية - محمد عليه السلام - الذى يقاتل لاعلاء كلمة الله .. كى يعقد - العقاد - المقارنة بينهما ، كما فى كتابه " عبقرية محمد - ص٣٨ ، ٣٩ " دار الهلال مصر - وكذا خالد بن الوليد الذى يقاتل فى سبيل الله " و رومل - الذى - يقتل المسلمين العزل من السلاح) وانى أرى حسن النية لكن بطريق خبيث مع العلم أن محمد - عليه السلام - سبق نابليون بمئات السنين . ولقد تكلم د. على الفقير " حول عزل عمر ، لخالد - ليس هو الغيرة كما يقولون - لأن ذلك لا يستقيم مع قول الرسول - عليه السلام - عن عمر (لو كان نبى بعدى لكان عمر) وقوله (ماسلك ابن الخطاب واديا الا وسلك الشيطان واديا آخر) وعمر هو الرجل الذى وافق القرآن رأيه فى سبعة عشر موضعا - آية الحجاب ، وأسرى بدر .. الخ - وعمر كان اسلامه نصرا وهجرته فتحا ، وخلافته رحمة وعدلا .
اذن فالدافع ليس الغيرة والحسد ، لعزله خالد ، وليس خوفا منه على الخلافة ، لأنه اعتبرها تكليفا وليس تشريفا ، وهى عبئا ثقيلا يبتلى الله به عباده يؤيد هذا عندما عرضوا عليه أن يعهد بالخلافة لابنه ، قال : " ان كانت خيرا فيكفى آل الخطاب ما أصابهم ، وان كانت شرا - فيكفى أن يحاسب من آل الخطاب واحد " وليس من المعقول أن يطمع فى الخلافة من كان يجوع مثل ما يجوع الناس ، ويصفر لونه من قلة الطعام ، ومن كان يلبس الملابس المقطعة ، وهو يملك أموال الدنيا ، ويقول

لبطنه " قرقر ماشئت أن تقرقر فوالله لن تذوق اللحم حتى يأكله جياع المسلمين " فعمر ليس طالب دنيا ، حتى يغار من خالد . ولا يمكن أن يجازى المحسن بالاساءة ، والمجاهد الأبى بمنعه من القتال
يقول د. محمد سلام مدكور " مناهج الصحابة فى الاجتهاد " — ان الدافع لعزل خالد عن القيادة ، هو : حرص الخليفة على عقيدة المؤمنين وأن لا تسرى فى الجند عقيدة .. أنه اذا وجد خالد ، وجد النصر ، ويصيبهم ما أصاب الأمم الأخرى ، وهذا مخالف لعقيدة المؤمن (وما النصر الا من عند الله) فأراد عمر أن يزيل هذا الشعور الذى علق فى الأذهان ، وأن النصر يتحقق بمجموع الأمة لا بوجود شخص بعينه ، ولهذا قال عمر — لمن عارضوه : (انى لم أعزل خالدا عن سخط ولا خيانة ، ولكن الناس فخموه .. فخفت أن يوكلوا اليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، ولا يكونوا بعرض فتنة) ويقول عبد الستار فراج فى موضوعه " خالد فى اليرموك " ان الدرس كان قاسيا ، فوقتها كان المسلمون فى معركة متوقف عليها مصيرهم ، وانتصر المسلمون والنصر بيد الله لا بيد خالد .
زيادة على ماسبق : انى أستشعر أمرا آخر كان الدافع لعزل خالد — هو أن عمر كان يستشعر فى نفسه الغلظة والقوة ، وخالد عرف عنه ذلك أيضا فكان يجاهد جهادا متواصلا ، والجند ليسوا على درجة واحدة فى القوة وهو لا يسير بسير ضعفائهم ، فعندما تجتمع على الرجل قوتان ، لا بد أن يتعرض للارهاق .. لهذا أراد عمر أن لا تجتمع على الجيش الاسلامى شدتين ، فاستبدل شدة خالد . بلين عبيدة . الذى سماه الرسول " أمين هذه الأمة " الأمين على أرواحهم ، وأجسادهم ، فلا يثقل عليهم ، والأمين على دمائهم ، فلا يفرط فيها ، فناسب أن يكون أبا عبيدة — قائدا للجيش — كل هذه أمور تكفى لتبرير ما أقدم عليه عمر .
هذا من جهة عمر .. أما من جهة خالد سيف الله — بشهادة الرسول — " لا يسل الا فى الحق " والخلافة فى العهود الراشدة لا تسلط فيها ولا استبداد — " ويكفى عبارة خالد التى قالها — انى لا أحارب من أجل عمر ، ولكنى أحارب من أجل رب عمر " ولو شعر خالد بتجنى عمر عليه لقاضاه أمام القاضى .
ان البطل العظيم الذى عرف قدر نفسه ، لا يهمه أن يكون أميرا على الجيوش أو جنديا من الجنود ، مادام عمله خالصا لله . وخالد المسلم العربى لا يرضى الضيم ، ولا يخش الموت ، وهو الشجاع البطل ، لا يرضى بهذا الاجراء اذا كان بدافع الغيرة ، لا بدافع الدين .. اذن فعزل خالد لم يكن حقدا ، بل لمصلحة المسلمين — ولقد أوصى خالد لعمر جزء من ماله عند وفاته —
وعهد عمر كان عدلا — فلقد قالت له امرأة " ياعمر : عهدناك وأنت يقال

لك عمير ، ثم ما لبثت أن قالوا لك عمر .. ثم لم تلبث أن أصبحت أميرا للمؤمنين ، فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فبكى عمر ..

فعاتبها أحد الصحابة على جرأتها ، فقال عمر : اسكت ، أما تعرفها : انها خولة بنت ثعلبة ، التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، أفلا يسعنى أن أسمع الى نصيحتها .. ؟ »

وخالد - خاض المعارك ، ومات على فراشه ليرسخ فى الأذهان أن الموت لاعلاقة له بالحروب .. ويقول « لقد خضت ... ملئ بالطعنات .. وها أنذا أموت على فراشى ، كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » انه درس للجبناء ..

سيبقى القلم عاجزا عن ايفاء الصحابة حقهم ، ويكفى ما قاله - الرسول (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقال : الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم من بعدى غرضا .... الخ الحديث ..

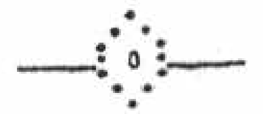
فما بعد الإيمان الا الكفر ، وما بعد الهدى الا الضلالة .. :

ولايحق للعميان أن يتكلموا فى عالم البصراء ، ولايحق للتائهين أن يتجنوا على عالم النور .. وهل أنهينا مشاكلنا ووضعنا لها حلا .. حتى نتفرغ لنبش قبور العظماء ؟ ...)

الباب الخامس

الكون ليس صدفة

- هل لهذا الكون .. اله .. ..؟
- نشأة العالم ... .
- نظرة للحقيقة .. ..
- الايمان بالله من خلال نظرة .. فى الكون
- الكفر .. لايولد حضارة .. .. ..



الكـون ليس صـدفـة

مشكلة عقلية .. شغلت الانسـان ، ومازالت تؤرق أفكاره .. وخاصـة الشباب .. وكثيرا مايجول هذا الخاطر فى العقول ..

وتتوق الى معـرفته ....

"هـل لهـذا الكـون .. إلـه .؟"

سئل عنه الآباء لإفهامه للأبناء ... وكبر الأبناء . ولم يجدوا الجواب الشافى لما فى الصدور ......

واشتغل الناس ـ خصوصا فى فترات الضعف والمرض والحرمان ..

فى الزمن القديم ، وبعد زمن آدم عليه السلام ـ كثر الناس وانتشروا فى ـ الأرض ، وتوالى نزول الأنبياء لهداية الناس ... ومن هنا وجد هذا السؤال ـ تبعا لما يدور فى فكرهم ، وهولابد لهذا الكون من اله .. هذا الاله ، تخيله بعضهم فـى ـ الشمس ، والقمر ، والنار ، فعبدوها .. والبعض الآخر : عبد الأصنام .. ومن الناس من سما بفكره ، وعبد الواحد القهار .. وفريق هوى للحضيض ، فأنكر وألحد .

ومن طبيعة الانسان : التطلع لمعرفة الكون وخالقه ـ ولا أحد يستطيع اغفال موقف الانسان من خالق الكون ـ فان لهذا أثر بالغ فى تفكيره وحياته ..

فالصغير يسأل أباه : فيقنعه باجابة لاتشفع .. واذاتوجه به الى أستاذه فلا يجد الاجابة التى تريح صدره وعقله !! واذاتوجهبه الى رجال الدين ، فقد يخاطبونه بآيات من الكتب السماوية ، ومن أقوال الرسل ، والنهاية يدورون فى حلقة مفرغة ويقللون من قيمة العلوم الحديثة ، وينكرون الأساليب العلمية واستخدامها ..

وتزداد حيرة الانسان ، وينصرف عن التفكير في هذا الموضوع .. لكن لفترة !!!

وانسان هذا العصر المثقف ، يسأل عن خالق هذا الكون ، سائرا مع التقدم الرهيب ، وما وصل اليه من أسرار الكائنات ، ولا يزال يكتشف من الأشياء ما يحير العقول ! .

والانسان بطبعه ميال للايمان بالله ، يدعوه هذا الاقتناع بأن يؤمن عن دليل ، والكتب السماوية تنادى بذلك . والرسول - عليه السلام - كان يخاطب الناس على قدر عقولهم .. فى زمن لم تكتشف فيه العلوم الكونية ، لكن اذا سأله الأعرابى عن الله ، تكلم معه على الأثر والمؤثر ، وعرف الأعرابى السليم الفطرة ، والذى لم يجلس الى أستاذ ، ولم يتتلمذ على فيلسوف " أن البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، أسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا تدل على اللطيف الخبير [١] . ! " ويرشده للنظر فى الملكوت ، فيقول : (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا .) [٢] فى الوقت نفسه كان الوحى ينزل ، والايمان قوى ولا مجال للشك [٣] .

ويأت القرن العشرين ، ويبتعد الزمن ، وتختلف الأفكار .. نتيجة الحضارة والعلوم الحديثة - فاذا سأل هذا السؤال : فلابد من اجابة تتناسب وهذه العقلية .

ولقد وجه هذا السؤال الى كثير من علماء الكون ، والفلك والطبيعة والأحياء والكيمياء والطب .. الخ [٤] . وأتت الاجابات قريبة لما فى الكتب السماوية التى بين أيديهم ، وتثبت ايمانهم بالله . وقد بينوا كيف تدلهم قوانين - الديناميكا - Dynamics - أن الكون له بداية ، ومن صفات هذا المبدئ العقل والارادة [٥] .. وله طبيعة تخالف طبيعة المادة التى خلقها . وبحكم العلم - لايمكن أن تكون تلك المادة أزلية - فكما لها بداية .. لها نهاية !! .

وعلى هذا : فالخالق غير مادى . (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)

وهو اللطيف الخبير[٦]) ورؤية الله لاتكون بالحواس ـ التى لاتدرك الا الماديات ـ ولأن الله ليس مادة ، ولايلمس بواسطة المعامل ، أوداخل أنابيب الاختبار ، لكن بطريق آخر : هو استخدام العناصر الغير مادية ، مثل : الروح ، والعقل ، والبصيرة والتفكر فى خلق السماوات والأرض (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ،والى الجبال كيف نصبت ،والى الأرض كيف سطحت[٧])

وجميع العلوم تشير الى أن هناك نظاما معجزا فى الكون ، وذلك عن طريق ـ القوانين الكونية التى لاتتغير ، مثل : الكسوف والخسوف ، فالعلماء يعرفونه قبل وقوعه بعشرات السنين ، وهذا لايكون عن طريق الصدفة ، يقول سبحانه : (أخلقوا من غير شيئ أم هم الخالقون[٨]) انه الخالق العظيم .

ولقد أجمع العلماء : أن الذرات التى تتكون منها الأجسام ، واحتمال ـ اجتماعها لتكون حامض ـ أميني ـ وهى المادة الأولية التى تدخل فى تركيب ـ البروتينات واللحوم ، فوجدوا أن ذلك يحتاج الى ملايين السنين ، والى مسافة لا يتسع لها هذا الكون ، وهذا كله لا يكفى لتركيب جزء واحد ضئيل[٩] . (فكيف بخلق السموات والأرض وما فيهما ؟) .

والتدين فطرى فى الناس يدفعهم للايمان باله قادر ، لذلك هم يلجأون اليه فى الأوقات العصيبة ، وقهرا عنهم ، ولو كانوا ملحدون ـ لأن الايمان هو الذى يفرق بين الحيوان والانسان .

" نشأة العالم "

قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة .. قال : وكان عرشه على الماء [١٠] ..)

وقال : "كان الله ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شئ - الذكر : اللوح المحفوظ - " [١١] .

ويقول - عليه السلام - (أول ماخلق الله - القلم ، فقال : أكتب ، فقال : رب ماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة) [١٢] .

طغت المادة على عقول الناس ، ودار في أذهان البعض أن الكون بدون خالق !

وفرضا لو سلم بهذا الرأى ، فكيف يفسر وجود هذا الكون ونشأته ؟ وهو موجود فعلا !

يقول علماء الطبيعة : هناك احتمالات أربعة : -

١ - اما أن يكون هذا العالم مجرد وهم وخيال ، وهذا متعارض مع وجوده ..

٢ - واما أن يكون نشأ من تلقاء نفسه .. من العدم !.

٣ - واما أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية !!.

٤ - واما أن يكون له خالق !!.

الرأى الأول : باطل .. لأن الكون موجود ، والناس يدركون مايحدث فيه .

وشدة في العناد منهم من قال : " ان الكون لا ظل له من الحقيقة ، وليس موجود وما ذلك الا صورة في الأذهان " [١٣] . وعلى هذا القول - أن العالم مركب من أوهام ، وكل ما فيه من شمس وقمر ومخلوقات ، والسيارات والمأكولات ، كلها خيالات .. وهذا الرأى غير قابل للمناقشة .

الرأى الثانى : لا يقل تفاهة عن سابقه ..

والرأى الثالث : القائل بأزلية الكون ، فهو مشترك مع الرأى الرابع : الذى يقول : يوجد خالق للكون أزلى : وعلى هذا .. فاما تنسب صفة الأزلية الى عالم ميت ، واما أن تنسب الى اله حى قادر ..

وقانون الحرارة .. يدل على أن الشئ يفقد حرارته تدريجيا حتى تصبح صفرا ، ويومها تنعدم الحياة .. والشمس والنجوم والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل على أن أساس هذا الكون مرتبط بزمان ، بدأ من لحظة معينة ، فهو اذن حادث .. ومعنى ذلك : أنه لا بد لخالق الكون أن يكون أزليا ليس له بداية ، عليم محيط بكل شئ ، ليس لقدرته حدود ، وهذا الكون : من صنع يديه [١٤] .

والأرض وملاءمتها للحياة ، تتخذ أشكالا وصورا عديدة ، من المستحيل أن تكون بالمصادفة . فالأرض عبارة عن كرة معلقة تدور فى الهواء ، ولدورانها يتتابع الليل والنهار [١٥] .

وحكمة الله البالغة أن الأرض تدور حول الشمس مرة كل عام ، وبذلك تتتابع فصول السنة ، ونتيجة لهذا تزداد مساحة الجزء الصالح لمعيشة الناس من سطح الأرض ، فأشعة الشمس تبعث الحياة فى كل جزء تصل اليه [١٦] لهذا فى القطب الشمالى والجنوبى : الحياة شبه معدومة .

وباختلاف الفصول تختلف أنواع النباتات اللازمة لحياة الانسان . ولو استمرت الأرض ساكنة لما وجدت عليها حياة .

ويحيط بالأرض غلاف جوى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة حتى ارتفاع ٥٠٠ خمسمائة ميل ، وهذا الغلاف كثيف لدرجة أنه يمنع وصول الشهب القاتلة للأرض ، والتى تهوى بسرعة رهيبة ، حوالى ـ ٣٠ ميل فى الثانية ـ وهذا الغلاف يحفظ درجة حرارة الأرض المناسبة للحياة . ويحمل بخار الماء من المحيطات ليوزعه على القارات (فيحى الأرض بعد موتها) [١٧] ..

والأرض سخرها الله وجعلها تحتوي على العناصر الكفيلة بحياة الانسان ، فلن يحتاج لغذائه ، أو علاجه من كوكب آخر[18] . هذا نظام العليم الخبير - " لم يخلقها عبثا .. للسكن صورها "[19] كل شئ فيها بميزان " والسماء رفعها ووضع الميزان " فلو أن الأرض قلت عن حجمها ، لعجزت عن احتفاظها بغلافها - المائي والجوي - ووصلت درجة حرارتها حد الموت !! . ولو زاد حجمها لزادت جاذبيتها للأجسام ، وزاد الضغط وانعدم الاتصال ، واختلت الحياة . ولو بعدت المسافة - بين الأرض والشمس ، لنقصت كمية الحرارة ، وطال فصل الشتاء ، وتجمدت الكائنات ولو حدث العكس : لحدث العكس ، وتضاعفت السرعة وقلت الفصول ، وانعدمت الحياة

ولو كانت الأرض في حجم الشمس : لأصبحت الجاذبية - ١٥٠ - ضعفا ، فما يزن رطلا ، يزن - ١٥٠ رطل - ويصبح حجم الانسان كحجم الفأر ، ويموت الفكر والعقل الذي منحه الله اياه[20] ..

اذن فلا يبقى الا أن تكون كما صورها الله سبحانه على وضعها الحالي ، مما يدل على أنها نشأت عن حكمة وتدبير !!: فأي مصادفة هذه التي تخلق الحياة بهذا النظام .[21] " انه الله " ..

.. نظـــرة للحقيقـة ..

العلوم الحديثة : أعطت أدلة قاطعة على وجود الله سبحانه منشئ الكون ومبدعه !! . فالبروتين ، مركب أساسي في الخلايا الحية المتكونة من : الكربون - الايدروجين - النيتروجين - الأوكسجين - الكبريت - ويبلغ عدد ذرات الجزء البروتيني الواحد - ٤٠ ألف ذرة - ولو توزعت عشوائيا لما استطاعت أن تكون خلية وأخذت زمنا يفوق عمر الأرض ملايين السنين . والفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة

أبدا . ولو حصل وتفاعلت الأشياء مصادفة .. لأنتج الجزء الواحد أكثر مايتسع له هذا الكون بملايين المرات . والبروتينات تتألف من الأحماض - الأمينية - ولو تألفت بغير طريقتها الآن لأصبحت سامة .[٣٢] والطرق التي تكون الذرات في جزء من البروتين يبلغ عددها (عشرة مضروبا في نفسه ثمانيون مرة - ١٠×٤٨ - مليون) والمعروف أن البروتين مادة كيماوية عديمة الحياة ، ثم يدب فيها السر العجيب الذي لا تدركه العقول .. انه الله الخالق ، بحكمته أغدق سر الحياة على هذا الجزيء .[٣٣]

ان الذين خاضوا بحور المعرفة اتجهوا الى فرع واحد ، وتركوا الباقي ، وكلمة - التطور - أسيء فهمها في كثير من المجالات ، وأصبح النطق بها مثار - التعجب ، وكان الواجب معرفة الفرق ، بين : التطور المادي - الميكانيكي - وبين التطور الخلقي - الابداعي - فمعرفة الفرق ستقود للحقيقة بدون شك .

فالمخلوقات لا تستطيع أن تطور نفسها .. وهذا واضح على صفحات الكون[٣٤] .. أما التطور يكون في الماديات التي صنعها الانسان .. يقال : قد تطورت وسائل المواصلات ، من قاطرات الى طائرات ، وهكذا . ولا يعد التلقيح الصناعي أيضا تطورا ، لأن التطور - هو أحد السنن الكونية : أما التلقيح - فهو قانون علمي ومادته من صنع الله سبحانه . خلقها كما خلق القوانين ، وما هو الا احدى الطرق التي يسلكها بعض الكائنات حفظا للبقاء والتكاثر ، أما نوعها فخاضع تماما لعملية الوراثة .. وليس للمصادفة . التي لا يمكن أن تستمر بهذه الدقة والتناسق ، منذ ملايين السنين - فالله مدبر الكون . والتطور نفسه محتاج الى من يبدعه !! .

والانسان بالنسبة للكون ذرة .. وهو له بداية ولكل بداية نهاية .[٣٥]

* الايمان بالله من خلال نظرة فى الكون *

قال عليه السلام ـ (تفكر ساعة ، خير من عبادة ستين سنة[٢٦])

النباتات على كثرتها وتنوعها ، لاتخرج عن سنة وجودها التى سنت لها ، من وجود تربة صالحة ، وكفاية فى الماء ومناخ طيب ، وهواء .. هذه الأشياء : التربة والماء والهواء والبذرة ـ كل هذه لا تستطيع أن توجد نفسها ، فكيف يمكن أن يقال : انها خلقت نفسها بنفسها ؟ .

وكذا سنة الخلق فى الحيوان . فعلى اختلاف أفرادها وأنواعها ، لا يوجد فيها من خلق نفسه ، وانما تبعا لسنة الله فيه .

والانسان الذى هو أرقى الحيوانات ، وجد نطفة من أبوين ، والنطفة استقرت فى رحم أعد لها ، ثم تطورت النطفة الى طفل صغير ، ونما حتى بلغ أشده ، ثم تكهل ومات ، هذا كله لا يملك من أمر نفسه شيئا . ولا يعقل أن يوجد الشئ نفسه .. حتى ولو كان فنجان من القهوة .. وهل يعقل فى دنيا العقلاء : أن ترى عمارة ضخمة ، أو رغيف خبز بدون موجد ؟ . ثم يقال ان البانى ، أو الخباز غير موجود !! .

كثير من الناس غرهم معرفتهم لبعض سنن الله فى الكون ، مثل : تكون السحب والأمطار ، والجاذبية ، والكهرباء .. غرهم ذلك فكفروا بالله .. مثلهم ، كمثل : من قدم له طبق فيه فاكهة ، وأكل وشبع ، ثم سأل عن صانعه ، فقيل له انه الله .. فآمن به لوجود أثر قدرته وعظمة صنعه ـ ثم فاتته مناسبة ما ، وزار البستان الذى فيه الثمر ، ورأى الشجر فعاد وأنكر أن هذا من صنع الله . لأنه رأى الشجر كيف يزرع ـ وتناسى أن الصانع هو الله سبحانه : واجد البذرة ، والفلاح ، والتراب والهواء ، ونسى أن الله الذى أوجد الحلاوة فى الثمر . فالذين قالوا بالطبيعة

لو أن الطبيعة نطقت ـ وقالت " أعبدوني ، لكثروا بها "[٣٧] .

" لو أمكن للكون أن يجد نفسه ، لكان يتمتع بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحالة . سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الاله ، وينتهى الأمر الى التسليم بوجود اله .. ولكنه اله عجيب : لأنه غيبى ومادى فى وقت واحد ـ والأفضل الايمان بهذا الاله الذى خلق العالم المادى ، وليس بجزء منه ، بل هو حاكمه ومدبره ، بدل الاتجاه الى شئ آخر "[٢٨] .

والملاحدة ـ الذين قالوا بالصدفة ، أو الضرورة ، فهذا مجانب للصواب ومضيعة للعقل . ومن مخجل القول من يظن أن الأشياء تكون نفسها ، بما عليه من جمال ، وابداع وتنسيق ، فمثلا : الذرة ـ تلاءمت وتناسقت بمرور ملايين السنين ، ويطللون الناس ـ بوجود تلك الأرقام الهائلة من الملايين ـ وأن الحياة وجدت على الأرض من خلية .. وليس وراء ذلك ارادة هادفة ولا تدبير . وانما هى صدف وموافقات ، بواسطتها نشأ الكون ، وأصبح كما نراه الآن .

ولقد أبطل العلماء هذه النظرية ، بكثير من الأدلة العقلية ، منها : كيف نشأ الكون ، وكيف خلق آدم ؟ . فلماذا الناس يهربون من الحقيقة ؟[٢٩] . وما هى الضرورة التى يقولون بها فى الوالدة التى تلد ، وكيف تدر اللبن لمولودها بمجرد أن تضعه ، وكيف كان المولود يتغذى فى بطنها بواسطة الحبل السرى ؟ . فلما ـ انفصلت عنه حملت له الغذاء فى ثديها ، وهدى الله ذلك المولود لمعرفة امتصاص ـ الثدى ليتغذى باللبن الى أن يصبح قادرا على أكل الصلب !! .

ألم يروا ذكور الحيوانات تأت اناثها ذات اللبن ، ليتغذى الانسان بلبنها وتوفر له اللحم والسمن ليستكمل غذاءه ، وتستمر الحياة . ألم ينظروا الى الحشرات وهى تحمل اللقاح الى شجر الفواكه ليكمل الثمر ، لتوفر للانسان فاكهة يتغذى ويتلذذ بطعمها[٣٠] !! . وكذا الرياح وهى تثير سحابا فتنزل الأمطار لتسقى النبات

بقدر ونظام ، فلا زيادة ، حتى لا يحدث الغرق ، ولا نقصان فتموت الحياة ؟ . فأين الضرورة فى هذا كله ؟ . انها عناية الله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . وبهذا يبطل من قالوا نظرية ـ بالصدفة ـ ووجب الايمان بالله الخالق العظيم . ويبطل أيضا الايمان بطبيعة صماء ، ميتة لا ارادة لها ..[31]

.. الكفر .. لا يولد حضارة ..

الواقع أن الانسان المرتبط بالدين ، هو الذى يحس نعمة الوجود بمعرفة أين مصدره ، والى أين يصير ؟ . والايمان بالحاضر ، والكفر بالغد ، والايمان بالجسد والمادة ، والكفر بالروح ، ليست وليدة للتقدم العلمى الحديث ، كما يظن بعض الناس ، بل هو العمى عن الحقيقة ، ولا يعقل أن يكون الكفر سببا فى الارتقاء العلمى .

وكل العبارات التى يتفوه بها الملحدون ، ماهى الاصدى لما كان يردده ـ الأعراب فى الجاهلية ، مثل : أبى جهل مع أنه كان عبقريا فى البحوث الكونية ، ويزعمون أن هذا تقدما ، ومن عداهم متخلفا ، وليس هذا غريبا ، فقد قاله الوثنيون : لمحمد منذ أربعة عشر قرنا . يقول سبحانه (وقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ، لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين)[32] .

" كثير من البحوث العلمية التى بحثت نشأة الحياة على الأرض ، سواء كانت بطرق معملية ، أو غيرها . لم تستطع أن تصل الى ايجاد أى مادة حية بحال من ـ الأحوال . ولم يستطيعوا انكار هذه الحقيقة .. وان جميع المحاولات التى أجريت لتوليد الحياة على الأرض ، من مواد غير عضوية ، سواء تحت ظروف طبيعية ، أو فى

المعمل قد باتت بالفعل [٣٣].. مثل طفل الأنابيب . وزراعة القلب والأعضاء .

ان مجموع التخيلات التى تسيطر على منكرى الألوهية ، وعدم الاعتراف - بالاحساس باسم العلم - كلها محض افتراضات . وأوهام - يريدون قلبها الى حقائق .. ليخلعوا من أعناق الناس كل شعائر الايمان [٣٤]!!.

فالتمسك بالدين وشرائع الله ، ارتقاء بالانسان وسمو بعقله ، وابعاده عن الحيوانية ، وعلامات المرور فى الطريق : ليست تقييدا لحرية السير ، بقدر ماهى حماية من أخطار الطريق . ومن ظن أن الاسلام يقيد العقل الانسانى ، فهو بعيد عن الصواب - فالانسان أكبر من أن يكون حفنة من تراب ، أو رغوة طفت على سطح الماء ثم تلاشت !! .

وحتى الآن لم يعرف الانسان عن طبيعته الأساسية وتصرفه الا القليل ، وما زال هناك كثير من الأسرار تحتاج الى آلاف السنين ليصل اليها - والله أعلم - فالعلم لا يستطيع أن يفسر ماهى حقيقة العقل ؟ وكيف يعمل مع المخ ؟ واكتشف - الكثير من الكون والعلوم ، ولكنه مع ذلك لم يستطع التغلب على الأمراض التى تفتك به .. فأين مكان الانسان فى نظام الكون ؟[٣٥] . انه ترك مشكلته الذاتية دون بحث ، وهى : أنه مكون من عنصرين :

" ١ - مادة . ، ٢ - روح " ويصاحبهما العقل فترة حياة الانسان ، ولو كان الانسان ماديا فقط فبالضرورة يكون كل شئ فيه محسوسا ، لكن الملاحظ - خلاف ذلك .. فالفكر الذى يعيش فى أعماق الانسان ، ويتحكم فى مشاعره - حزنه وفرحه وكل النشاطات - دون أن يدخل فى أى قياس كيميائى ، لقد أهمله الناس مع أنه أعظم منة فى الحياة [٣٦] .

وان الكثرة العظمى من علماء الكونيات ، يحبذون فكرة ميلاده العالم عن طريق - الصدفة العمياء - وأن روعة الكون وما فيه . من الذرة ، حتى المجرة ،

تمضى فى طريقها دون سيد يملك الزمام .

ونظرية : النشوء والارتقاء - ان صحت فى صورتها العلمية الشائعة - فهى لا تدل على أن الحياة وجدت بدون موجد ، كلا : بل هى تدل على أن الحياة بلغت على ماهى عليه الآن ، بعد ماصعدت فى سلم التطور ، من مرحلة الى أخرى . فأى خطأ فى هذا الاعتقاد ؟ .

ان ابن مسكويه ، وابن خلدون : سبقا الى تقرير ذلك ، لفهمهم قول الله سبحانه (الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة .)[٣٧]

ومن الانصاف بحث الدراسات الكونية ، والانسانية مرة أخرى : لأن بناءها على التفكير المادى ليس تفكيرا علميا[٣٨] ومرفوض ، والمعلوم عن الملحدين أنهم يلقوا اشاعاتهم فى ميدان العلم . . وهذا مايجب أن يدركه العقلاء ..

ولقد ضرب الله مثلا بسيطا للذين ينكرون اعجاز صنع الله ، ويقولون - بالصدفة - ضرب المثل " بالذباب " أضعف الكائنات ، ولا يستطيع أحد أن يجمع - المواد المركبة للذباب ، ويكون الخلايا وينسقها تنسيقا يجعل منها ذبابا كاملا ، ثم يبعث فيه الحياة لتقوم كل خلية بعملها فى الجسد .. طبعا من المستحيل ، فيضرب الله المثل ليظهر ضعف الانسان ، وضعف العقل ، يقول سبحانه (ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز)[٣٩] . مثل للاعجاز .. وكيف أودع الله فيها سرا من أسراره . وهل يستطيع الانسان أن يخلق عينا ويركبه ويجعل فيه الروح ويتحرك ، وهل هذه الأشياء من قبيل الصدفة ؟ أم بتدبير العزيز العليم ..

والحروف الهجائية " ٢٨ حرفا " فى اللغة العربية ، فلو أرسل شخص برقية

الى مكان آخر .. فهل تتطور صدفة ؟ فى أجهزة الارسال وتصل الى العنوان متغيرة ؟ . لكن الواقع يخالف ذلك ، ولم يحدث أن تغيرت . ومثلا : لو وضع قرد أمام - آلة كاتبة - وأخذ يضرب على الأحرف صدفة كما يشاء ، لتحرير موضوع - انشاء - مثل تلميذ فى مدرسة ابتدائية .. سيظل القرد يضرب مليون سنة دون توقف وحسب الصدفة .فلن يستطيع أن يكتب صفحة ذات معنى.!! هذا احتمال . هكذا يستحيل ظهور كائن حى مركب من خلايا " صدفة " وهذا مالا يقبله العلم الحديث أيضا - فخلق الكائنات صدفة مستحيل أ!.

ويوجه الله سبحانه الأنظار الى ذلك ، فيقول : (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب[٤١]) وأثبت - العلماء - بالحسابات الرياضية الدقيقة : أن الكون لايمكن أن ينشأ من محض الصدفة وانما هو مقصود . وان الحياة لايمكن أن تنشأ من مجرد التفاعلات الكيماوية مهما توافرت العناصر الأولية اللازمة لتكوينها ، فمثلا :

للحصول على جزء واحد من مادة لها خصائص البروتين .. لابد من تفاعلات كيميائية فى مكان لاتتسع له الكرة الأرضية على الاطلاق ، والمدة التى يتم فيها هذا التفاعل يفوق عمر الأرض أضعاف المرات !!.

وعلى هذين التقديرين : الزمنى والمكانى - اللازمين لنمو جزء واحد من - البروتين من تلقاء نفسه ، وهو من مكونات المادة الحية .. فكيف اذن بنمو تلك المادة ، وهي التى تتركب من جزيئات معقدة من البروتين مع عناصر جديدة تختلف بنسب معلومة . لكن الواقع والحاصل : أن البروتين موجود فعلا ولابد له من موجد ذلك الموجد هو الله[٤٢] .. ولايمكن تصوره بالصورة المفهومة . لكن بآثاره ، فمثلا - مادة الأليكترون - : العلماء يجزمون بوجودها ، مع عدم رؤيتها !!.

وأينشتاين الذى قلب نظرية ــ النسبية ــ يقول : " اننى أومن بالرب المتجلى فى نظام الكون ، ديانتى هى الاعجاب الثابت بالروح السامى اللانهائى ، الذى يتجلى فيما تدركه نفوسنا الضعيفة . ذلك الايمان العميق ، بوجود عقل ، قادر سرمدى وراء كون غير مفهوم ، ذلك فكرى عن فاطر الكون ".[٤٣]

وأيا كانت ــ نظرية : اينشتاين ــ بالنسبة لله ، فانها نظرة اقرار ، واكبار وتسبيح .. لا تلك النظرة التى تلوكها الألسنة باسم العلم !! .

وهنا يقف الاسلام ليقدم نظرة متكاملة ، لا تتنكر للوجدان ، والعوق الروحى وتقيم الكون على نظام متوازن من السنن ، يدل بدقته وجلاله على صنع الله الذى أتقن كل شئ فى الطبيعة واستمرار حياتها ، دون محاباه . (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا).[٤٤]

البـــاب الخــــامس

•• الكـــــون ليس صـــــدفـــــة ••

المـــــراجع : ـ والتعليقات •

(١) هو ـ قس بن ساعدة الأيادى ـ عن مجلة البلاغ الكويتية ، عدد ٥٣١ ـ نظرات في الكون ـ للأستاذ جلال الدين نورى ، ص١٤ ـ ١٩٨٠م ـ

(٢) رواه : أبو نعيم ـ فى الحلية ـ

(٣) يوسف القرضاوى " التدين غريزة فطرية " ص٩/ سنة ١٩٧٥م ـ الكويت ـ

(٤) موجه الأسئلة : " جون كلوفر " عالم أمريكى "

(٥) وقال بهذا ، علماء التوحيد ، ـ فاذا كان للكون بداية : فلا بد له من مبدئ ، ومنشئ بوجده ، واذا كان له بداية فلا بد له من نهاية ، قال ابن حجر : " ومن يقل بالطبع أو بالعلة •• فذاك كفر عند أهل الملة "

(٦) سورة الأنعام / ١٠٣ •

(٧) " " الغاشية / ١٧ •• والملاحظ ، أن الله سبحانه تدرج فى الرؤية ببصر الانسان تدريجيا من أعلى الى أسفل •

(٨) سورة الطور / ٣٥ •

(٩) د• جمال الفندى " الله يتجلى فى عصر العلم " المقدمة •

(١٠) أخرجه مسلم ـ ٨/ ٥١ " ••

(١١) أخرجه البخارى ، ج٩ ، ص١٥٢ •

(١٢) " " أبو داود ـ ج٣ / ٥٢٧ ، ٥٢٨ ـ وكذا : الترمذى ، وأحمد ـ ٣١٧/٥

(١٣) قال بهذا الرأى : " جيمس جينز ـ الله يتجلى فى عصر العلم ـ ١٩٦٨م القاهرة ـ ترجمة د• دمرداش عبد الحميد •

(١٤) فرانك البن " الله يتجلى فى عصر العلم " ص٨ ،

(١٥) لقد أفردت قسما خاصا ـ بالأرض ، فى باب " الاكتشافات الكونية "

(١٦) هذا مثل البيضة التى تنام عليها الدجاجة ، فبحرارة جسمها تبعث فى الجنين الحياة •• وبالهام من الله تقلب البيضة يوميا لتتساوى عليها الحرارة ، فلو لم تحركها لفسدت !!

(١٧) سورة الروم / ٢٤ •

(١٨) حنفى أحمد " التفسير العلمى للآيات الكونية " ص٢١٣ •

(١٩) _ أشعيا • الأنجيل " ٤٥ ، ١٨ _ والقرآن ، يقول : " وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه " الجاثية/١٣ •
(٢٠) ولو كان الأمر مصادفة •• لتعرضت النظريات للخطأ ، ولما استطاع علماء الفلك التنبؤ بحالة الجو : لكنها محكومة بقانون ثابت •
(٢١) " الله يتجلى في عصر العلم " ص٤٤ •
(٢٢) تشارلز يوجين جاى _ عالم سويسرى _ نفس المصدر •
(٢٣) العالم الانجليزى • ج ب • ليتز •• نفس المصدر السابق ••
(٢٤) فالى الآن القرد لم ينقلب الى غزال ، والفأر لم يتطور الى قط ، فمنذ خلق الله الكون والكائنات على ما هي : لم تتغير طباعها مهما أجرى عليها من وسائل التعليم ، أو استؤنس المتوحش منها !!.
ويذكر أن رجلا استأنس ذئبا صغيرا ، وأرضعه لبن شاته حتى كبر • ويوما أتى الرجل فوجد الذئب أكل الشاة •• فصور هذه الحادثة شعرا _ أبى العلاء المعرى _ قال ٪:
بقرت شويهتي وفجعت قلبي ×× وكنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا ×× من أنباك أن أباك ذيب
اذا كانت الطباع طباع سوء ×× فلا أدب يفيد ولا أديب
حتى النحل في بنائه خليته _ الشكل السداسي _ لم يتغير منذ أن عرف النحل حتى الآن • انها حكمة الخالق •
(٢٥) ادوارد لوثر كيسيل ، أخصائي علم الحيوان والحشرات _ جامعة كا _ كاليفورنيا _ ١٩٦٧م / ترجمة د• دمرداش عبد الحميد _ القاهرة _
(٢٦) أخرجه أبو داود ، والنسائي _ باب العبادات •
(٢٧) أوبارين " المؤتمر الدولي الأول لعلوم البحار " نيويورك _ أغسطس ١٩٥٩م _ ترجمة وتعليق _ أنو عبد العليم _ أستاذ علوم البحار _ كلية العلوم _ القاهرة _
(٢٨) نفس المصدر السابق •
(٢٩) أبو بكر الجزائرى " عقيدة المؤمن " ص٣٧ • وشهاب الدين الندوى _ الهند _ " الاسلام والعلم الحديث " مجلة _ البلاغ الكويتية _ عدد ٤٣٦ ، ص٤٢ _ ١٩٧٨م •
(٣٠) الشيخ الغزالي " خلق المسلم " ط٤ _ دار الكتب الحديثة _ القاهرة ١٩٦٠م ، ص٤٤ •
(٣١) د• أحمد العسال " التدين غريزة فطرية " مكتبة المنار _ الكويت ص٨ •
(٣٢) سورة النحل / ٦٨ •
(٣٣) الكسندر أوبارين " المؤتمر الدولى الأول لعلوم البحار " • والشيخ الغزالي " من : الا الله / " مجلة الوعي الاسلامي _ عدد ١٤٠ / ١٩٧٦م الكويت ، ص٦٥ •
(٣٤) رائد الفضا • الأمريكي _ دون ايسل _ وزميله ، المشتركين في " رحلة

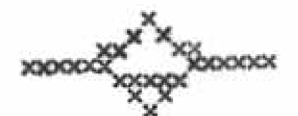
أبولو ـ ١٩٦٨م " وداروا حول الأرض ـ ١١ يوما ـ انتابه احساس غريب ، وهو يتطلع الى الكون الواسع فى مركبته ، وقال : " لقد راعنى ـ منظر الأرض من تحتنا كانت كرة هائلة ، لكننا لم ننظر عليها حياة وكنا كالغرباء عنها ، وأحسست بقيمة الانسان ذو العقل الذى نقلنا الى هذا الفراغ اللانهائى ، وشعرت بأننا لسنا وحدنا فى هذا الكون ، بالرغم من اتساع الفراغ حولنا ، والشمس ترسل أشعتها علينا فنشعر أننا قريبين من الله ، لقد رأيناه فى كل شئ حولنا ، فى النجوم ، والأرض والنيازك ، والقمر ـ هذا كله لم يفارقنا لحظة وهى معلقة فى هذا الفراغ الرهيب ، منذ ملايين السنين ، ولا أحد يمسكها ولا ـ تتزحزح من مكانها الذى تدور فيه ، فمن الذى يمسكها ؟ . ونحن فى مركبة صغيرة عبارة عن ذرة ، وفى الأرض آلاف العلماء يراقبوننا لو غفل أحدهم لحظة لتحطمت سفينتنا "" انه الايمان الذى يقود اليه العلم ، والله لايرى بالعين المبصرة ، لكن يرى بعين البصيرة ، وذلك بخلاف من قال ـ فتشت عن الله فلم أجده ، انه الملحد جاجارين " رائد الفضاء السوفيتى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة / ٣٢ . لقد نشرت هذا ـ الخبر مجلة البلاغ ، عدد ٥٣١ ، ص٢٩ ـ ١٩٨٠م . الكويت ـ .

والالحاد يقوم على شفا جرف هار ، يقولوا كيف شاؤا ، لكن لا يعرضوا العلم فى الطريق ، فهم غرباء فى هذا الميدان . ونظرة بسيطة لما ـ يقوله العلماء : عن الخلية فى الجسم ـ تيقربهم من الايمان .

" فالخلية الحية عبارة عن دولة كبيرة ، مشتملة على مدن ومراكز ، وشبكة مواصلات سلكية ولاسلكية معقدة التركيب ، وشوارع وقرى وأنهار كل هذه الوحدات تتبادل السلع فيما بينها على هيئة مواد خام ، ومواد مصنعة وغازات وطاقة ، كل هذا يجرى داخل الخلية ، التى لا ترى بالعين " وسمعت حديثا فى (الاذاعة المصرية) للأستاذ صبرى سلامة فى برنامج صباحى مدته خمس دقائق .. يقول : " لقد كبر أحد العلماء الخلية ـ مثل حجم الانسان العادى . فوجدها مخلوقا كاملا تماما ـ كالانسان مكون من خلايا وأمعاء وقلب ورئة ودم فمن الصانع ؟ ومن الموجد لها من العدم ؟ أهو الله أم " الصدفة " ؟ .. انه الله . " الذى خلق كل شئ عنده بمقدار " .. أن ضوء عظمة الله يشرق فى الأفئدة المؤمنة التى ترى روائع خلقه وملكوته الضخم ، وارادته التى ليس لها حد ، وقدرته الغالبة . ولا جدوى من السؤال والبحث عن كنه الذات الالهية .. ويقول عليه السلام (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته .. فتهلكوا .) رواه أبو نعيم فى الحلية .

(٣٥) د . ـ ج ب راين ـ جامعة ديوك ـ أمريكا ، فى كتابه " العقل وسطوته "
(٣٦) راين ، فى كتابه " الانسان ذلك المجهول "

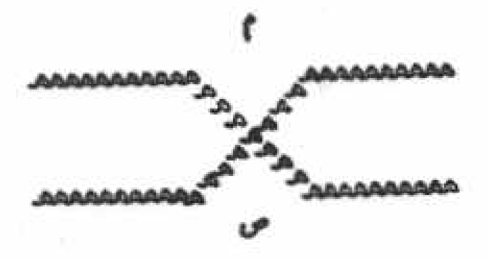
(٣٧) سورة السجدة / ٧
(٣٨) الشيخ الغزالي " ركائز الايمان "
(٣٩) سورة الحج / ٧٤ .
(٤٠) د. صادق جلال " الله والانسان في الفكر المعاصر " ندوة ألقاها في الجامعة الأمريكية - بيروت . نشرتها " جريدة النهار البيروتية ١٩٦٧م .
(٤١) سورة ق / ٦
(٤٢) العالم البيولوجي " لبيير لو كنت " مصير الانسان .
(٤٣) رشدى الولايتى " البرت اينشتاين " البلاغ . عدد ٣٧٦ - ١٩٧٦م الكويت . ص٦٤ .
(٤٤) سور فاطر / ٤٢ .



الباب السادس

" الحديث .. والاعجاز العلمي "

- كيف نمأ الكون .. ..
- يوم .. كألف سنة !! .. ..
- الطاقة الذرية .. ..
- قدرة الله تتراءى في بديع صنعه .. ..
- رحلة داخل العقل .. ..
- الرسول " عليه السلام " .. والكون .. ..



" نشأة الكـــون " *

عمران بن حصين ، يروى : أن أناسا من أهل اليمن ، قالوا : يارسول اللـــه ، جئنا لنتفقه فى الدين ، ونسأل عن أول هذا الأمر ، ماكان ؟ ، قال : " كان الله ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شئ "[١] .

يتساءل الكثير من الناس .. ماهو هذا الشئ الرهيب المسمى بالكون ؟ وهـــل له بداية أو نهاية ، من حيث الزمن ؟ ولماذا الزمن يطول ويقصر فى بعض الأماكن ؟ وما أثر ذلك على الانسان ، وهل الحياة أزلية ، وماذا يقول العلماء فى هذا الشأن ؟

هناك أدلة كثيرة أثبتها العلم ، تدل على أن للكون بداية ونهاية ، مـــن حيث الزمان ، وهذه حقيقة علمية ، أثبتتها قوانين " الديناميكا الحرارية " ـ أثبتوا أنه لا يزيد عمر الكون المقدر بتلك الطرق .. على عشرة آلاف مليون سنـــة !!

أما عن الكيفية التى نشأ بها الكون ، فحتى الآن لم يصلوا فيها الى رأى قاطع ، وبعض النظريات الأخرى ، تقول : ان خلق الكون ـ عملية مستمرة منذ الأزل : فالغاز الكونى ، أو الأيدروجين ، يظهر باستمرار فى الفضاء ، ومنه تتكون السدم والمجرات ، التى تختفى نتيجة السرعة الهائلة ، ثم توجد أخرى بدلا منها ، وهكذا ومن جهة الحياة ، وكيف بدأت ؟ ....

فهذه أكبر المشكلات التى واجهت العلم ، لدرجة أن بعضهم : افترض أنها أتت من كوكب آخر منقولة مع الأشعة الكونية ، وبهذا يكون انتقل (لغز الحياة) مـــن الأرض الى السماء ، فزادوا الأمر تعقيدا !! .

ونظرية أخرى تقول : ان الخلية الحية الأولى ، نشأت تحت ظروف الأرض الملائمة

من بين الملايين الملايين من التفاعلات الكيميائية ، التى كانت تحدث بتأثير ضوء الشمس وحرارتها ، وكانت تتكرر آلاف ملايين المرات ، خلال جزء من مليون جزء من الثانية الواحدة[٢] !!. وعلى هذا النحو ظهرت جزئيات لها بعض خواص الحياة ، من حيث التكاثر بالانقسام ، والتغذية ، ثم تغذت هذه الجزئيات على ما كان موجودا فى مياه البحار من مواد عضوية .

والتساؤل ليس فى أى شكل .. كان ذلك المولود ؟ الذى بدأت به قصة الحياة على الأرض .. لكن الواجب الذى يجب أن يعرف : إن هذه المخلوقات لم توجد نفسها ، وعلى الفرض أن هذه الخلايا تولدت نتيجة الانقسام السريع ، وتحت مناخ معين ، الى آلاف الملايين خلال الجزء من الثانية .. فكيف وجد هذا المناخ ؟ . وكيف وجدت البحار والشمس .. الخ ؟.

فعلى هذا يقول العلماء ، : بلا شك أن المجموعة الشمسية ستلقى نهايتها - المحتومة ، وستتمدد ويكبر حجمها ، وتغطى الآفاق ، وسط غازات حامية مستعرة[٣] ، والقرآن يقول (فارتقب يوم تأت السماء بدخان مبين)[٤] . ويقول سبحانه (وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر)[٥] . ووسط تلك النار الحامية ينصهر الرصاص ، والزنك ، وتتحول المحيطات الى سحب مركومة ، عالقة فى السماء ، يقول سبحانه (واذا البحار سجرت)[٦] . ويقول (واذا البحار فجرت)[٧] . ومعنى سجرت : أحميت ، وارتفعت حرارتها ، ومعنى فجرت : أى فتح بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا . .

وقد يحدث تجدد الشمس خلال أى فترة تمتد من اليوم ، الى : خمسين ألف مليون سنة ، وبعد هذه الفترة الرهيبة من التطور فى حياة الشمس ، تنكمش تدريجيا ، وينزل من السماء ماء ليغرق الأرض فى بحر واحد متفجر .

ويعتقد بعض العلماء : أنه ربما لن يبقى الجنس البشرى حيا حتى - يصطلى -

بنار الشمس المستعرة ، لأن متوسط عمر كل أنواع الأحياء التى سكنت الأرض قديما مثل : الدناصير ، لا يزيد عمرها عن مليون سنة ، وربما قضى الانسان على نفسه قبل ذلك بكثير ، بسبب تفجير مادة الأرض نفسها ، عن طريق التفاعلات النووية التى التى يجربها ٠/٠

•• وان يوما • كألف سنة ••

والزمن المقدر بتلك الملايين من السنين ـ نسبى ـ بالنسبة للانسان ، بدليل ما ينتاب الانسان من سرور ، فالوقت يمضى سريعا بالنسبة له ولا يشعر به .

أما عندما يكون حزينا ، أو مريضا ، أو منتظرا لشىء هام ، فالوقت يمضى بطيئا مريرا حزينا !! فتكون الدقيقة : مقدار يوم .

والحقيقة أن الزمن لا يتغير كما يعتقد ويتوهم ، بل هو ـ نسبى ـ والعلم يذهب الى أبعد من ذلك ، لأن قياس الزمن وتقديره بواسطة الآلات والأجهزة ، هو أيضا أمر نسبى ، فاليوم مثلا : ٢٤ ساعة ، وهو الذى تدور فيه الأرض دورة كاملة حول نفسها ، وللأرض دورتان : (مرة حول نفسها يوميا ، والأخرى حول الشمس سنويا ومقدارها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع) ، فلو أن عمر شخص مثلا ٢٦ سنة فيكون معنى هذا أنه عاش على الأرض فترة من الزمن ، أكملت الأرض فيها دورتها ٢٦ مرة ، هذه هى السنين المعروفة .

وهناك كواكب أخرى غير الأرض تختلف طولا وقصرا حسب سرعة دورانها حول الشمس وبعدها عنها[٨] .

وكوكب "عطارد" يكمل دورته كل ـ ٨٨ يوم ـ من أيام الأرض ، فلو عاش شخص عليه لأصبح عمره قصيرا بالنسبة لغيره من سكان الأرض ، ولو عاش شخص فوق كوكب ـ

" المشترى " الذى يكمل دورته حول الشمس فى - احدى عشرة سنة ، وتسعة شهور - من سنى الأرض ، اذن لأصبح عمر الانسان طويلا بالنسبة لغيره من سكان الأرض [٩] .

ويقوم العلماء الآن باجراء التجارب ، للتخلص من عامل الزمن ، ويطول عمر الانسان بهذه الطريقة ، فلو ولد طفلان فى لحظة : أحدهما على الأرض والآخر على المشترى ، فعندما يكون سن طفل الأرض سنة ، يكون طفل المشترى شهر واحد ..

والأعجب من هذا كوكب - زحل - فالسنة هناك - ٢٩٫٥ سنة - وكوكب - بولوتو - فسنته - ٢٥٠ سنة - فالذى عمره على الأرض - ٦٠ سنة - يكون عمره على - بلوتو - ثلاثة شهور [١٠] .

والشمس تجرى كما يجرى أى نجم فى - المجرة - بسرعة قدرها - ١٢ ميل فى الثانية - والمجرة أكبر مما يتصوره العقل البشرى ، ونظرا لعظمها فى الحجم ، فحتى الآن أتمت - ٢٠ دورة فقط - منذ وجدت من بلايين السنين ، مع أن سرعتها فى الثانية الواحدة - ١٥٠ ميل - وعلى هذا فان يوم المجرة يعادل - ٢٠٠ مليون سنة - من سنى الأرض . والعجيب أن المجرة - بالنسبة للكون عبارة عن هباءة صغيرة من ذرات الغبار التى يراها الانسان فى شعاع الشمس الساقط من النافذة داخل حجرة مظلمة [١١] . وقد يبدوا هذا الكلام عجيبا ، أو غريبا أو صعب الفهم ، لكن يقرب - للأذهان الحقيقة العلمية ، وهى : نسبية الزمن - بالنسبة للكواكب الذى يعيش عليها الانسان [١٢] .

ولقد سبق الرسول - صلى الله عليه وسلم - العلماء ، والعلم الحديث ، ووضح النسبية [١٣] ، وكذا القرآن ذكر ذلك ، على لسانه عليه السلام منذ - ١٤٠٢ سنة ، وهو رسالة السماء الى أهل الأرض ، والرسول أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة . فأنى له بمعرفة أسرار الكون ، مالم يكن القرآن من عند الله)) .

وبهذا ينتفى القول : بأن القرآن من كلام محمد (ولو كان من عند غير الله

لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[١٤]

والرسول - عليه السلام - أوتى جوامع الكلم ، فيقول موضحا - نسبية الزمن - بالسنين ، عندما سئل عن السموات والأرض ، فقال : (كثافة الأرض مسيرة - خمسمائة عام ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام ، وكثفهما خمسمائة عام ، وان مابين السماء الدنيا والسماء خمسمائة عام ، وكثف السماء خمسمائة عام ثم كل سماء مثل ذلك .. حتى تبلغ السماء السابعة ، ثم مابين السماء السابعة الى العرش مسيرة مابين ذلك كله[١٥] . وبالعملية الحسابية وضرب كل رقم فى نفسه ، يصبح الحاصل ملايين الملايين من السنين .

ولقد أشار الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ، لنسبية الزمن ، بقوله : (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون[١٦]) وقال سبحانه (ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون[١٧]) أى أن اليوم الواحد فى تلك الرحلة السماوية يساوى ألف سنة أرضية[١٨] ..

وهذا يوم آخر يعادل خمسين ألف سنة ، يقول سبحانه :(تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة[١٩]) لكن المفسرين - حسب ظنهم - قالوا : " إنه يوم القيامة ، وسيكون طويلا بنفس هذا المقدار . أو أكثر .. أما بالنسبة للمؤمن فسيكون قصيراً[٢٠] - يوضح ذلك ، قوله - عليه السلام - (أما المؤمن فسيكون - عليه أخف من صلاة مكتوبة فى الدنيا .) أى أن الزمن نسبى ، والرسول - عليه السلام - كان يعرف هذا ، وإلا لما ذكر الحديث .

ومن أروع التعبيرات التى أتى بها القرآن ، لتدل على نسبية الزمن - يقول سبحانه :(قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين[٢١]) فالناس الذين يبعثهم الله يوم القيامة للحساب ، يسألون عن السنين التى عاشوها على الأرض ، فيقولون : - إنهم مكثوا يوما ، أوجزء يوم . إنها كانت

أياما قصيرة الأجل ، انتهت سريعا [٢٢] .

" ان القوانين الطبيعية تثبت بقاء العمل الأخلاقى ، فلا يستوى الشر بالخير والجزاء من جنس العمل " [٢٣] .

" الطــاقـة الــذريـة "

انها أول وحدة فى الكون ، تكلم عنها السلف الصالح من المسلمين ، وذكرها القرآن الكريم والرسول - عليه السلام - انها الابتكار الجديد الذى يرعب العالم انها " الذرة " يقول عليه السلام - " لا يؤمن أحدكم وفى قلبه وزن ذرة من كبر ، أو شر " وقال (فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة) [٢٤] .

وهذا من معجزاته - عليه السلام - وكأنه كان ينظر المستقبل ، فما هى الذرة؟ من ألوف السنين .. ومن قبل أن يملك الانسان معامل للطبيعة ، والكيمياء . كان كل مايشغل الانسان : اكتشاف سر المادة وتكوينها ، وكان يحاول أن يفض ألغازها وأسرارها ، بعقله المجرد بالنظر والتأمل . ووجد هذا مخطوطا بين طيات كتب القدامى . ومنذ حوالى ألف سنة ، يقول اكتشف العلماء " أنه " لو فلقت الذرة - لوجد فى داخلها نظاما شمسيا " وقالوا : الذرة فيها الشمس ، وان شقت الذرة فسيكون فيها عالما يموج بالحركة [٢٥] "

ورهبان - البوذية - يرددون فى تعاليمهم منذ أربعة آلاف سنة .. (ان المادة تنقسم لأصغر جزء فيها ، وذلك الجزء الأصغر هو وحدة قائمة بذاتها ، وتحتوى تلك الوحدة على نظام من - الداهرمات - يتراوح عددها من - ٨ : ١٢ - داهرما ، وهذه الداهرمات ، تولد لتفنى سريعا ، ويبقى تأثير الواحد لفترة قصيرة ثم يعقبه غيره) هذا ماقاله الأقدمون .

والعجيب أن هذه الأقوال تطابق أحدث ما توصل له العلماء في هذا العصر ـ مستخدمين أحدث المختبرات ، وأعقد الوسائل .. وكيف وصل هؤلاء بالهامهم ، الى قلب الحقيقة : بدون وسائل وبلا مقدمات ، وبدون مختبرات ؟ .

والقرآن أشار لها بايجاز ، وأن لها مثقال ، وأن هناك ماهو أصغر منها ، وقبولها التقسيم ، يقول سبحانه (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين)[٢٦] . ونفس الاشارة تتكرر فى قوله تعالى (ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين)[٢٧] .

والذرة ـ بعض العلماء قالوا بعدم تقسيمها ، لكن بعض فلاسفة الاسلام أنكروا توقف التقسيم أو التجزئة ، بأنه " لا جزء الا وله جزء ، ولا بعض الا وله بعض ، ولا نصف الا وله نصف ، وأن الجزء يجوز تجزئته دائما "[٢٨] . والذرة تقبل التجزئة وتسمى وتسمى ـ الجوهر الفرد ـ .

والذرة فى العلم الحديث ، أشبه بالنظام الشمسى ، فى أنها تتألف من نواة كبيرة نسبيا يدور حولها ـ اليكترونات ـ دقيقة جدا ، وبين الاثنين فضاء هائل . والشحنات السالبة المحاطة بالاليكترون تتجه الى النواة ونتيجة للحرارة الشديدة فى باطن الشمس تنفلق النواة ، فتتحول الى أيدروجين ، ثم الى بلازما أولية ، ثم الى ذرات جديدة التى تعطى طاقة أكثر من بلايين القنابل الهيدروجينية ..[٢٩]

والطاقة التى تأتى من الشمس على شكل ضوء واشعاعات حرارية ، منها الضار والنافع . هذه الأشعة حينما تصل الى الطبقات العليا من الجو ، وتحولها الى طبقة كهربائية . هذه الطبقة التى تشبه القبة الواقية ، تمتص هذه الأشعة وتحمى البشر منها ، يقول سبحانه (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)[٣٠] .

والأرض تقذف باستمرار وفى كل لحظة بسيالات وزوابع وسحب وفتافيت الذرات ـ

قادمة من الشمس ، وتتوزع على المجال المغناطيسي حول الأرض وبهذا تتحكم فـــي الطقس وفي المناخ وتسبب الأعاصير والرياح كما أنها تؤثر في أمزجة الناس .

وحديثا وبعد آلاف السنين ، كشف العلم أن نواة الذرة تتألف من محتويات - قابلة للتقسيم من ٨ : ١٢ جسيما ، كما قال البوذيون ، ولا يعلم أحد حتى الآن كيف عرفوا ذلك [٣١] ..

ونتيجة لتشبع الجو بكل هذه الأشياء تحدث كوارث ، كالتي حدثت لقوم عـــاد ، وثمود ، وذكرها القرآن - وهي نوع من الانفجارات الذرية وصفها العلماء : أنها تبدأ بصيحة (أن أرسلنا عليها صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) تماما نفس الوصف الذي وصفه الناس الذين رأوا قنبلة - هيروشيما - وناجازاكي حيث قالوا : زلزال يقلب الأرض ، وحرارة شديدة ، واعصار مدمر ، وضوء يعمي الأبصار ، والموت يأخذ الناس أخذ الصاعقة فيقول سبحانه (فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) [٣٣] . ولقد عبر القرآن بدقة عندما وصف ماحدث لقوم لوط ، أولا : أمر الله لوطا أن يرحـــل مبتعدا نصف يوم سيرا مما يدل على أن الكارثة هي كارثة طبيعية لا نجاة منها - لأحد بمعجزة أو بغيرها ، وانما هو الابتعاد . ثم جعل الله ميقاتا لنبيه لوط - ومن معه ، وهو الخروج ليلا ، لأن الكارثة ستحدث صباحا ، فيكون قد قطع المســافة المطلوبة وابتعد عن الزلزال ، وعليهم ألا ينظروا خلفهم . لأن وهج الانفجار سر سوف يعمي بصر من ينظر .. يقول سبحانه (فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع - أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وأمضوا حيث تأمرون) [٣٤] .

والتفاعلات الكيماوية ، والمخلفات التي وجدت في تربة (هيروشيما) مثلهـــا تماما نفس المخلفات التي وجدت في المكان عاش فيه قوم لوط .. [٣٥] .

٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢٢

* أرقام تكشفها حقائق *

من أرض الحقيقة في التجربة المرة . لعله يلقى الضوء على القوة الرهيبة لشئ أصاب البشرية الذليلة التائهة ، في عصر العلم والحضارة - انه شئ لا ينسى مع الخراب والدمار ، وما فعلته - القنبلة الذرية - لقد عرفها علماء الاسلام ، واحتووا معناها .

وبالحساب والأرقام ، وضح العلماء الآثار السيئة - : من فيزيائية ، وبيولوجية ، وطبية ، ووراثية ، واجتماعية .. الخ .

فريق من علماء اليابان قام بتلك الدراسة ، وقدمها لمجلس السلام العالمى - جنيف - ففى يوم ١٩٤٥/٨/٦م أسقطت أمريكا على - هيروشيما - وناجازاكى - قنبلتين ، قوة انفجار احداهما - ٢٢ طن ، و- ٣٥٪ من طاقتها تحول الى حرارة - اشعاعية ، و ٥٠٪ تحول الى انفجار - حرارته وصلت الى عدة ملايين من الدرجات المئوية بعد لحظة الانفجار ، نار الانفجار ، عبارة عن كرات أصبح قطر الواحدة - ٢٨٠م في ثانية - وبعد ثلاث ثوانى . انطلقت الأشعة تحت الحمراء لها من القوة الهائلة لدرجة أنها أحرقت كل المناطق العارية من جسم الانسان .. حتى من كان على بعد - عشرين كم - كما أحرقت المصانع والأخشاب ، وصارت فحما في نطاق هذه المسافة . والناس الذين كانوا على بعد - ٥ر٣ كم - من مركز الانفجار ، فقد احترقوا حتى الموت .. ولشدة الحرارة نتج عنها دخان هائل حار ، نشأ عنه بخار ارتفع الى درجات الجو العليا ، وتحول الى أمطار غزيرة ، مليئة بالاشعاع - القاتل .. وضغط الانفجار كان يزيد عن ملايين المليارات تسبب في تمدد الهواء المحيط بالمركز ، في صورة زوابع عاصفة تشبه الحائط العريض الطائر في الهواء

علاوة على صوت أقوى من الرعد ، وسرعة البرق ، ونتج عن ذلك كله الدمار الذى لايتصوره عقل !!.

وفى الاتجاه المعاكس للضغط ، وعلى جانبى الموجة ، حدث تفريغ هائل للهواء فقل الضغط العادى للجو ، تسبب عنه عواصف قاتلة ، وارتدت مرة أخرى فى اتجاه معاكس مع صدمة صوتية ثم سكون ، لطرفة عين ، فريح أسود ، بعدها حصل الدمار - الشامل لمدينة بأكملها بها - ٥١٠٠٠ - عمارة سكنية كل ذلك حدث فى لحظـــات بالاضافة الى عدد الضحايا - ٢٨٠٠٠٠ للقنبلة الواحدة . أما أعراضها على الفرد تقاعد كامل يعقبه قيئ ، مصحوبا بالدم ، وعطش عديد متواصل لو شرب ماء المدينة بأكملها لا يروى ظمأه ، واسهال وتبول متواصل ، ثم الموت . زد على ذلك الأضرار الاجتماعية ، والنفسية ، من جنون وانتحار ، وغيرها .[٣٨]

والقرآن يصور هذا بقوله سبحانه (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانـــوا كهشيم المحتظر)[٣٩] .... فهل من مدكر !!. .

" قدرة الله .. تتراءى فى بديع صنعه !! "

يعلم الله المشاكل الطبيعية التى تواجه الانسان ، وتعوقه من الوصول لهدفه مثل السل ، وفقدان البصر ، والصمم ، وفقدان الأعضاء . فأنعم عليه بنعم : أهمها نعمة العقل .. ليقوم بالتغلب على هذه المشاكل ، واخترع مايساعد ذوى العاهات السالفة الذكر ، فقام بصنع أجهزة لمن فقدوا أيديهم وأرجلهم . تساعدهم على - الحركة عن طريق المقدرة العقلية ، وقام بتركيب - كاميرا تليفزيونية - فى

الدماغ تقوم بنقل الاشارات لمساعدة فاقدى البصر القراءة بها قليلا • ويحاولون تصميم جهاز يقوم بتحويل الضوء الى ذبذبات يفسرها العقل !!.

لكن المشكلة فى هذه الأجهزة التى يحملها الانسان ، من أجل شيء واحد فقده الجسم !. فهل أدرك الانسان النعمة التي منحها له الخالق سبحانه وتعالى : فى قطعة صغيرة مكونة من لحم ودم وماء ، وتتحرك بسرعة عجيبة هنا وهناك دون عناء •• مع جمال المنظر وهندسة الصانع • والفرق شاسع • بين ماخلقه الله : وبين صناعة الانسان • الذى مازال يحبو فوق الأشواك !!.

ولقد ألهم الله الانسان ليتعلم من مخلوقاته •• فالخفاش يطير ليلا بدون أن يرى ، ويهتدى بطريق الذبذبات ـ فاخترع اللاسلكى ـ والانسان يحاول صنع : قلوب وكلى ، و ••• أشياء تكلف الملايين ، ولاتعطي النتيجة كما خلق الله !!.

وقدرة الله تتجلى فى عظيم صنعه وخلقه ، يقول سبحانه : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون [٤٢]) فالله يضرب المثل : ليحث المؤمن وينبهه لقدرته •• فضرب المثل : بأضعف شيء ـ العنكبوت ـ والعلماء هم الذين يدركون تلك القدرة • كما ضرب المثل قبلا ـ بالذباب ـ فى سورة الحج • لاستخدام العقل ومعرفة أسرار الخلق ، وقدرة الخالق فى أصغر الأشياء وأبعدها عن الذهن ، لكن لو أطلع الانسان على سر العنكبوت لأصابته الدهشة ، والله لن يضرب المثل إلا بشيء فيه اعجاز ••

فلقد قرر العلم الحديث : (أن العنكبوت ينسج خيوطا دقيقة جدا • كل خيط مؤلف من أربعة خيوط ، وكل واحدة من هذه الخيوط الأربعة مؤلفة من ألف خيط ، وكل خيط من الألف يخرج من قناة خاصة فى جسم العنكبوت ، وبالأرقام نجد أن لو ضربنا ٤×١٠٠٠ = ٤٠٠٠ خيط ولو ضممت أربعة بلايين من نسيج العنكبوت ، لم تكن

أغلظ من شعرة فى لحية الانسان "[٤٣] .

انه منتهى الوهن والضعف ، ثم عظمة قدرة الله سبحانه ، وكم من بلايين - الحشرات والمخلوقات ، التى لا يحركها عد . أمثال العنكبوت .

ولقد كبر العلماء "ميكروب" على شعرة من شعر الانسان . [illegible] تحت المجهر ، فكانت الشعرة مثل الشجرة الهائلة بالنسبة للميكروب تمتد الى عنان السماء ، فاذا كان هذا الميكروب المتناهى فى الصغر ، لا يعرف مدى ضخامة الانسان وهو على شعرة واحدة من ملايين الشعر فى جسمه ، وكأنه وسط دنيا وعالم آخر مثل عالمنا .[٤٤] وهذا مما جعل " اينشتاين " صاحب نظرية النسبة ، يقول : " ان ايمانى العميق بوجود قدرة عاقلة [illegible] مهيمنة ، تتراءى لنا حينما ينظر الانسان فى هذا الكون المعجز للأفهام ، ان هذا عندى هو الله "[٤٥] .

والانسان لو تمعن قليلا فى الكون حوله . لرأى الله الذى خلق كل شيء ، - والعبرة ليست بالرؤية البصرية المحسوسة . ولكن بالنفس التى تعرف عليها تلك العظمة ويكفى النظر للكائنات الحية التى لا ترى الا بالمجهر ، وكيف جهزها الله بجوارح وأعضاء تحير العقول .[٤٦] وكثير من العلماء أكدوا أن العلم قرين الايمان[٤٧]

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx
xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx
xxxxxxxx

" رحلة .. داخل العقل "

عظمة القدرة الالهية تتجلى فى - قطعة لحم - موجودة فى أعلى جسم الانسان وبدونها يتخلخل نظام العالم ، وتضطرب الأمور ، وتنعدم الحياة .

حظيت بشئ " الله ، ووضع فيها كثيرا من الأسرار العجيبة ، وجعلها محور التكليف .. انه عالم جديد .. انه - العقل - به نسمع ونرى وندرك الأشياء ، ونأكل ونشرب ، وأخيرا نعبد الله !!.

والعقل يولد نظيفا مع الانسان لا شئ " فيه اطلاقا - لا علم ولا تكنولوجيا - وهذا دليل قاطع على أن الله هو الذى أوجد فيه كل هذه المعلومات " وعلم آدم - الأسماء كلها " فالعقل لا يعرف شيئا بدون مرشد وهادى . وما هو الا عبارة عن - واسطة أو أداة يحفظ فيها الانسان تجاربه ومعارفه ، وتذكرها عند اللزوم.[٤٨] - ويستحيل تقدم الانسان فى دروب الحياة حضاريا وعلميا عندما لا يستوعب العقل المعلومات . ولولاه لظل الانسان ينافس القردة والحيوان فى الغابات .. ولتوقفت الحضارة والاكتشافات.[٤٩]

ومنذ آلاف السنين ، والانسان يحمل هذه القطعة فوق رأسه ، ولا يدرك الا قليلا عن نظامها المعجز ، وماهى الا قطعة لحم : منظم لحرارة الدم ، وأما القلب فهو صاحب التفكير والعواطف "[٥٠]

ووقفت بعض آراء الفلاسفة . حائلا دون اكتشاف المخ - لاعتقادهم أنه : مركز الروح ، وهى من الأسرار ولا يجب الخوض فيها .

وبالتقدم العلمى انهزمت كل الأفكار السابقة ، وأصبح " المخ " هو الذى بيده زمام الأمر فى كل ذرة فى جسم الانسان ، ومصدرا لكل طاقته وفكره وعبقريته

وبواسطته ساد الكون ، وتخطى حدود الزمن بابتكاراته وانجازاته !!.

ومن العجيب أن المخ يزن واحد ونصف كيلو جرام ـ ١,٥ كجـ ومحبوس وسط قفص من عظم رقيق ، لكنه شديد المتانة ، اذ يتحمل أكثر من ـ ٨٠٠ كج ـ ومع صغره فهو يحتوى على أكثر من ، ـ ١٠٠ بليون خلية ـ تتصل ببعضها بواسطة توصيلات تفوق ـ ١٠٠ بليون توصيلة ـ .

وبزيادة البحث والدراسة عن المخ توصل العلماء لعلاج بعض الأمراض العصبية والنفسية ، وابتكار علاج للآلام ، وللمتخلفين عقليا ، ورفع مستوى الذكاء البشرى

واذا كان المخ البشرى هو الذى ابتكر " العقل الالكترونى " وهو من صنعه ويقوم بآلاف العمليات الحسابية المعقدة فى جزء من الثانية مع تخزين للمعلومات [51] وبالمقارنة بين العقلين ، يتضح أن :

المخ يقوم بعمليات أشد تعقيدا ـ فعليه تنظيم ضربات القلب ، وسرعة التنفس وتنظيم درجة حرارة الجسم ، ويهيمن على غرائز الانسان ، ..... يحدث ذلك كله : بغير جهد واضح يحس به الشخص نفسه .

والمخ ، دائم الصلة بمن حوله ، علاوة على هذا .. قدرته على اصلاح نفسه ، واذا فسد جزء قام الآخر بعمله ، كما أنه لا يتوقف أبدا سواء فى النوم أو فى اليقظة طوال الحياة ، وقدرته على استرجاع الزمن الضائع !! .

أما ـ العقل الالكترونى ـ فهو بخلاف ذلك تماما .

" والآن يقوم العلماء " بالتحكم فى تقوية الذاكرة ، حيث اكتشفوا أن بها امكانيات هائلة للكشف عن أى ميكروب يهاجم جسم الانسان [52] ، ويحاولون علاج المخ من النوبات العصبية وغيرها ، ويجعلونه هادئا مع اعادة الذاكرة لمن فقدوها [53]

انه العقل البشرى .. المدينة التى لا تنام أبدا ، وعلاج هذه المدينة ـ ذكر الله .. (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [54] .

الوجود : بجماده ، ونباته وحيوانه . خاضع لله مسبح بحمده !! .

والانسان منه الطائع والعاصي، بدليل قوله سبحانه : (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض . والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر - والدواب) - كل هذه الأجناس ساجدة لله سبحانه بالاجماع . لكن الانسان ليس داخل في هذا الاجماع ، ولهذا أتبع سبحانه بقوله ﴿ وكثير من الناس ، وكثير حق عليه - العذاب)[٥٥] .

فالوجود كله منسجم مع الكون لخضوعه لله ، وعلى هذا فالوجود يحب الانسان الخاضع لله أيضا ، وينسجم معه . ماعدا الانسان العاصي ولا غرابة في فرح الكون بمن ينسجم معه ، وذلك هو ماحصل مع محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد جـــاء ليعيد انسجام الانسان مع الكون كبقية الأجناس التي خلقها الله ، والتي تفرح - بهداية الانسان ..

والوجود يسبح . لكن بألفاظ تختلف عما ألفه البشر ، يقول سبحانه (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)[٥٦] . وكلمة .. وان من شيء ، تشير الى كل شيء في الوجود ، وقد يكون التسبيح حقيقيا بدليل قوله سبحانه (لكـــن لا تفقهون تسبيحهم) فكل أجناس الوجود مشتركة مع الانسان . والآية التي قالـــها سبحانه في شأن داود (ياجبال أوبي معه)[٥٧] . أي سبحي معه - والله هو العلـــيم بمنطق مخلوقاته ، ولو لم يعلم الانسان ذلك ، بدليل - نملة سليمان ، وهدهده - فالهدهد حزين : لأنه وجد قوما يسجدون للشمس من دون الله .. والسماء تبكي -، حينما تكلم الله على قوم فرعون ، وبعد اخراجهم من النعيم الذي كانوا فيـــه ،

فقال سبحانه (فما بكت عليهم السماء والأرض)[٥٨] . وما دامت تبكى - فهى تفرح أيضا . فما المانع اذن أن ينسجم الكون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم / فالله خالق محمد وخالق الكون ، وقادر على تسخيره له - وعروجه - الى السموات العلى .. [٥٩] فالله سبحانه يقول (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا)[٦٠] .

ولقد دهش الناس لما سمعوا ذلك - حادث الاسراء - ولم يصدقوه ، واتهموا الاسلام بأنه مناقض للعقل . لكن هناك قضية تؤيد - حادث الاسراء - ولم يعترض عليها أحد - عدوا كان أو حبيبا - وكان أملهم أن يمسكوا أى خطأ على كذب محمد - عليه السلام - وهو حادث الفيل (ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ... الخ السورة)[٦١] .

قال المفسرون : أن ألم ترى بمعنى : ألم تعلم ، لأن العلم اذا كان بواسطة الإخبار من الله ، فيجب أن يستقبله المؤمن استقباله لما يرى ويحدث ..[٦٢]

والقضية تعرض . أن الله أرسل طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل . . وهاجم المستشرقون الاسلام من هذه الثغرة ، واحتار علماء المسلمين . وماذا يقولون عن الطير الأبابيل ؟ وحاولوا تأويل كل ما يقف فيه العقل تأويلا يرضى العقل ، حتى - يبعدوا التهمة عن الاسلام ، فقالوا عن الطير : انها جراثيم ، ليقربوا المسألة للعقل . ولا حاجة للتأويل فى تلك .. فالحقيقة ثابتة مع التاريخ . والدين يناقش بالعقل ، فهو الأساس فى الايمان بالله سبحانه ، ولا دخل للعقل فى كل الجزئيات فلو كانت المسألة : ميكروب كما قيل ، أو طيرا يحمل حجارة فيها ميكروب . ففى المسألة قرائن تخالف ذلك .

فحادثة الفيل حدثت عام مولده - عليه السلام - ، والرسول بعث على رأس - الأربعين ، ومما لا شك فيه أن قوما ممن عاصروا رسالته - صلى الله عليه وسلم -

كان منهم البعض فى سن الستين ، أو السبعين ، أو الثمانين • اذن فعام الفيل حدث وهم فى سن العشرين ، أو الثلاثين ، أو الأربعين • وقد شاهدوا الحدث ، وطبعا لم يعرفوا شيئا أسمه - الميكروب - ولا أسمه فلو كان هناك تعارض بين : أى جزء من جزئيات القرآن ، أو بين ما قاله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، حول هذا : طير ، وأبابيل ، وترمى بحجارة من سجيل ، وتجعلهم كعصف مأكول •• كان من الميسور أن يكذبوا الأمر • لكن لم يحدث هذا ، والمسألة حدثت كما رأوها وفهموها • فالطير على حقيقته - لأن الله قادر ولا يعجزه شئ ، وحتى اذا كان ميكروبا : فما ذلك الطير القاتل ، والميكروب الموجه ، الذى لا يعرف الا أعداء الكعبة ؟ حيث أن أصحابها لم يمسسهم سوء[63] • ولقاء : فجعلهم كعصف مأكول•• للترتيب والتعقيب ، والميكروب اذا دخل جسما فلا بد له من فترة طويلة ليتفاعل مع الجسم ليفتك به • ثم ينتن ثم يتمزق وينتف ، وهذا يأخذ فترة طويلة • لكن الذى حدث - أنه فتك بهم ، وفورا صاروا كعصف مأكول •• انها قدرة الله ، وما دامت قدرة الله ، فيجب رفع القوانين ولا مقارنة بفعله سبحانه - فعل ربك - بعقول البشر • وليس هذا انكارا للعقل وانما هى الثقة فى القائل - سواء قبل العقل أم لم يقبل •• انه الايمان •

قال بعض العارفين : " العقل كالمطية • يوصلك الى باب السلطان ، ولكن لا يدخل معك عليه "[64] فالرسول - صلى الله عليه وسلم - عرج به الى السماء •• والأدلة مطروحة ، ولا مقارنة بين فعل الله - وفعل البشر •

والكون فرح بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وتكيف معه حتى صعد الى طبقات الكون ، وقابل من قابل ثم رجع •• وهذه معجزة ، وغير خاضعة لناموس الكون : لأنها فعل خالق الكون • وخالق القانون الكونى ، وهنا بخلاف الانسان •

فلو أن شخصا يحسن التصويب - ومعه قوس • وصوب السهم للهدف ، فهو مختار بين أن

يطلق السهم ويصيب الهدف ، أو . لا ، لكن عندما ينطلق السهم من القوس فلا يستطيع التحكم فيه بعد خروجه . وليس فى يده أن يقول .. لا تصيب الهدف !! فقد خرج القانون من يده .

لكن المعجزة . خرق لهذا القانون ، لأن الذى فعلها هو خالق الكون ، والقانون . ومعجزة الاسراء كانت كونية وأصبحت خبرا منقولا بالتواتر عن الصادقين ، ولا يمكن تواطؤهم على الكذب ، والقرآن أقوى وثيقة لاثبات ذلك .

وعندما كان ينزل الوحى على الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحول الى طبيعة تتناسب مع الملك الذى يكلمه ، والملك ليس بشر ، ومحمد بشر . لذلك عندما كان ينزل الوحى عليه ، يتفصد عرقا فى الليل الشديد البرد . وهذه شهادة من كانوا يرونه ، ومعنى هذا : أنه يعالج انفصالا من البشرية ، مع تفاعل كيميائى وعضوى فى نفسه ، فيتحول الى روحانية تكون أهلا للتلقى[٦٥] . لهذا عندما يتحدث عليه السلام - عن الكون والحياة فانما يتحدث بوحى من الله . ولو كانت هناك حقيقة قرآنية ، وحقيقة علمية ، فلابد أن يلتقيا لأن قائل القرآن هو خالق الكون

والكون كان كله قريبا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - .. فجمع له أصحاب من جميع الأجناس البشرية ، وعلى اختلاف طبقاتهم . ولقد طوى له الزمان والمكان فى - الاسراء والمعراج - والتقى بجميع الأنبياء ، وشهد ما يرتبط بالماضى ، والمستقبل ، وبهذا كان خاتم الأنبياء والمرسلين ، يعتبر " الانسان الكونى "

والقرآن أعطى صورة من لقاء الانسان بالكون ، فأخبر عن بدء الحياة ومسارها وأنه خلق السموات والأرض - وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ويوم القيامة تجد كل نفس ماعملت ، يتمثل ذلك فى قوله سبحانه (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا .. الآية)[٦٦]

ويؤكد الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه النظرة ، نظرة انسجام المؤمن

مع الكون فينبهه اليها : فى العبادات والمعاملات ، وما الى ذلك . ففى الوضوء بالماء : يتذكر هذه النعمة ، وكيف أنزلها الله عن طريق الأمطار ، والبحار ، والعيون[٦٧] .. ، وعندما يجمع المسلم الماء فى يده ، فكأنه يجمع الطبيعة الطاهرة ويصافح الكون بوجهه ويناجيه بقوله - انه طاهر . فكن طاهرا - ويقول - عليه السلام - (من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره[٦٨]) وفى الصوم : يرتبط الانسان بحركة الشمس ، سحورا وامساكا ، وصوما وافطارا وعبادة ولا دخل لأحد فى ذلك . والزكاة والحج : فكلها تعامل مع خلق الله[٦٩] .

والرسول كان ينظر للكون نظرة حب واعجاب . بكمال صنع الله وبديع اتقانه فهو بشر من خلق الله فى هذا الكون المسبح بحمده ، ويقول - عليه السلام - (أيها الناس انى تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لم تضلوا : كتاب الله وسنتى[٧٠]) والرسول - صلى الله عليه وسلم - لم تمر عليه لحظة أو حدث فى الزمان ، و الا ويحدث فيه ذكر الله وكأنه قطعة من هذا الكون ، ولم يترك للمسلم أيضا ساعة من نهار أو ليل الا وشرع له فيها عبادة توثق صلته بالكون[٧١] . فعند النوم كان يستقبل القبلة مستيمنا متطهرا واضعا يده اليمنى تحت خده ، داعيا الله بقوله (باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسى فارحمها ، وان أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[٧٢] . وكان يدعو عند الأرق ، وعند الرؤيا المفزعة . والأمور كثيرة فى هذا الشأن من أرادها فلينتظرها فى مواطنها[٧٣] ..

هذا كله يدل على أنه عليه السلام . كان مرتبطا بالكون الذى خلقه الله - لأجل الانسان - المسبح بحمده - وابن آدم أولى بالتسبيح - " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " ..

:::::::::
:::::::

الباب السادس

الحديث .. والاعجاز العلمي

المراجع :- والتعليقات .

(*) عظمة الكون تدل على عظمة الخالق .
وحدة الله تترا ءى في وحدة خلقه !!
وقدرة الله تترا ءى في بديع صنعه !!
الشمس المشرقة ، تغمر الناس بالدفء والمتعة . والنبتة الخضراء ، تبعث فيهم الأمل والرجاء . والقمر يجعلهم يعيشون في عالم الفكر ، ومرأى الطفل البريء يثير في النفوس محبة الانسان ، والظلمة الحالكة تبعث في الضمائر الشعور بالحاجة الى رب الكائنات . ومنظر البائس الفقير ، يحيي في النفس حرارة الوفاء للانسان . وصمت الليل البهيم يبعث في القلوب الايمان بالاله الحق . نعم : ان كل ما في الكون يثير الفكر ، ويغذي العقل ، ويحرك الوجدان ، فهلموا جميعا . الى صفحات الكون ، لنقرأ عليه جلال الخالق العظيم ، وندخل ميدان الفكر ، وآيات الجلال ، وكل ما يعرض للعين في أديم السماء وعلى بساط الأرض . فالكون واضح في دلالته على وجود الاله رب الكائنات ، والكون سهل الفهم حين يفصح عن ارادة الله وحكمته وقدرته . والانسان يحترم نفسه عندما يفكر في هذا الكون البديع الصنع ، ويجهد عقله من أجل رفعة أمته ، ويبذل قصارى جهده ، من اجل اسعادها . وهذه حالة لا يعيشها الا المفكرون الذين يطمحون الى اعادة أمتهم لتحتل مركز الصدارة والمجد بين أمم الأرض ، ويعملون على بناء حضارة نظيفة تتلألأ في هذا الكون . يجب احترام المفكر الذي يردد سبحان الله العظيم عن ارادة ووعي .
فمع الحياة ، والكون ، والانسان ، وقراءة على صفحات الكون . في تلك الأطروحة .

(١) أخرجه البخاري - بدء الخلق .
(٢) دائما الملحدون يذكرون هذه الأرقام الهائلة من الأعداد . كي يوهموا الناس بصحة أقوالهم وينسبوها للعلم كما أشرت لذلك من قبل في - ص ٥ وانهم يقولون - نظرية . كذا - والنظرية : قانون يحتمل الصواب والخطأ وليس الزام تصديقها .

(٣) حنفى أحمد " التفسير العلمى للآيات الكونية " دار المعارف ـ مصر ـ
(٤) سورة الدخان / ١٠ .
(٥) سورة القيامة / ١٠ .
(٦) " " التكوير / ٦
(٧) " " الانفطار / ٢
(٨) د. جمال الفندى " الكون بين العلم والايمان " طبعة ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . مصر ، ص٩٨ .
(٩) د. أحمد ذكى " الأزل والأبد تحديا للانسان " مجلة ـ العربى ، عدد٢٠٣ ص٨ ، سنة ١٩٧٥م ـ الكويت .
(١٠) عمع أبجمن ـ للأستاذ نواب صديق حسن خان .
(١١) " الأزل والأبد تحديا للانسان " .
(١٢) لكن هل المناخ على هذه الكواكب صالح لحياة الانسان ؟ الذى يفكر هذه الأيام باقتحام التجربة ، واختراق حاجز الزمن ، وتعرضت له فى ـ الأطباق الطائرة ـ ولعل أصحابها أيضا يبحثون عن الزمن ، ويفكر العلماء " باطلاق سفن فضا " لهذه الكواكب تخلصا من عامل الزمن ، وبذلك ربما تطيل أعمارهم الى آلاف أو ملايين السنين .. ربما . انها أوهام العلم . وربما يصبح الحلم حقيقة ، فقديما كنا نرى القمر والصعود اليه يعد من المعجزات . والآن فالانسان غزا الكواكب الأخرى بعد ماصعد الى القمر وما كنا نراه خرافة أصبح الآن حقيقة .
(١٣) فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " أخرجه مسلم ـ باب الزكاة ، وكذا النسائى ـ وأخرجه أحمد بن حنبل ـ ج٢ .
(١٤) سورة النسا " / ٨٢ .
(١٥) عن البزار وأبو زر ، مرفوعا ـ عن كتاب : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمى ، باب " خلق الكون " ـ المدينة المنورة .
(١٦) سورة الحج / ٤٧ .
(١٧) " " السجدة / ٥ .
(١٨) وقد يكون العدد ، لا مفهوم له ، فيحتمل الزيادة . وانما ذكر الألف السنة : تمثيلا وتقريبا للأذهان بدليل زيادة نسبة اليوم ، فى الآيات الأخرى ـ ٥٠ ألف سنة ـ .
(١٩) سورة المعارج / ٤ .
(٢٠) وعلى تفسيرهم يكون الزمن نسبيا أيضا ، والحديث يؤيد ذلك .
(٢١) سورة المؤمنون / ١١٣ .
(٢٢) شهاب الدين الندوى ـ الهند ـ " الاسلام والعلم الحديث " مجلة البلاغ عدد ٤٣٦ ، ١٩٧٨م ـ الكويت ، ص٢٩ .
(٢٣) انى اتخيل يوم القيامة . هو اليوم الذى سيخلصنا الله فيه من عامل الزمن ، فستتبدل الأرض غير الأرض والسموات . وستختفى الشمس ، وتنعدم

الحرارة والبرودة وتنمحي الفصول الموسمية (الشتاء - الربيع - الخريف - الصيف) ان المنظر الذى تصوره الآية ليوم القيامة ، في الجنة (لاترى فيها شمسا ولازمهريرا)والشمس هي الحق تدل على عامل الزمن والآية تنفى وجود شمس ، وبذلك لاتوجد أيام ولاليل ، وبهذا يتحقق قوله سبحانه (خالدين فيها أبدا)(وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ~~لا ماشاء ربك~~ .. مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك) الا هود ١٠٨/ انه تصور وتحليل ، يحتمل الصواب والخطأ . فالحياة والآخرة من الأمور السمعية ، نتصورها ولا نعرف شيئا عن قواعدها ، بدليل الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ابراهيم ٤٨/ . فلا ندرى الى اى صورة ستتبدل . وأما عن الانتقال من حياة الى أخرى ، فمن الممكن - تصوره كما يتصور انتقال الجنين من بطن أمه الى نور الدنيا ولو أن أحدا حاول أن يكلم الجنين فى بطن أمه عن ماهو كائن على الأرض ، لما استطاع أن يفهم شيئا . وكذا الذين فى العالم الآخر الآن - أى الذين ماتوا لا يستطيعون اخبار أهل الدنيا عما هو كائن فى عالم الآخرة وأيضا من المستحيل إن يعود الطفل لبطن أمه مرة اخرى بعد أن خرج منها . الى العالم الفسيح ، والذى يموت لا يمكن أن يعود للدنيا مرة أخرى .

(٢٤) الحديثان أخرجهما البخارى / الايمان والتوحيد .
(٢٥) عز الدين الخطيب " هدى الاسلام " ، عدد ٢٢ ، ص٣٩ - ١٩٧٧م .
(٢٦) سورة يونس / ٦١ .
(٢٧) " " سبأ / ٣ .. ولقد درسنا فى - التوحيد - بأن المادة تتجزأ الى أجزاء حتى تصل الى جزء لا يقبل التجزئة ، ويسمى " الجوهر الفرد " وهو الذرة فى العصر الحديث .
(٢٨) ابراهيم النظام ، وتبعه فى هذا الرأى : الفارابى ، وابن سينا ، والكندى .
(٢٩) هومى بها بها - هندى - عن كتاب " صدمة المستقبل " تأليف ألفين - توفلر ، ط٤ - أمريكا ، ١٩٧٠م - ترجمة - محمود السمرة .
(٣٠) سورة الأنبياء / ٣٢ .
(٣١) د. مصطفى محمود " العلم والاختراع " العربى ، عدد ١٩٥ ، ص١٠٧ - ١٩٧٥م
(٣٢) سورة القمر / ٣١ .
(٣٣) " " الذاريات / ٤٤ .
(٣٤) " " الحجر /٦٥ .
(٣٥) م. أحمد عبد الوهاب " أساسيات العلوم الذرية الحديثة فى التراث - الاسلامى " القاهرة - مصر -

*الذرة والبشرية ـ المسكينة *

ولقد استخدمت البشرية ـ الذرة ـ في غير صالحها ، والعالم الآن يغلى كالمرجل هو على شفا هوة ، لايدرى متى ستنزل به الطامة !! من أخيه الانسان . ولقد ذكرت الذرة في القرآن في أكثر من موضع .. وان كان المفسرون : حملوا المعنى على يوم القيامة ـ وعلى كلا الحالين فالمعنى واحد ـ يقول سبحانه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة ٧٨ .. وفي الحاضر تلعب الذرة دورا خطيرا . وبما أنها سلاح ذوحدين : اماسعادة ، واما دمار ، وبعد جهود مضنية ، استطاع الانسان تحليل الذرة ـ وتوصل الى قوة هائلة . تفوق التصور ، ونرى أثرها واضحا مازال في اليابان ـ حيث أهلكت الحرث والنسل وما بقى كان معوها !! والعلم يدمر نفسه بنفسه ..

والذرة جزء صغير لايرى بالعين المجردة ، ولايشتعل الاتحت قوة هائلة ، وهو مايسمي بالتحطيم ، وعندما تشتعل تتفاعل مع ذرات الهواء المحيطة ويشتعل الاوكسجين هو اشتعال الاوكسجين رهيب .. فتحدث خلخلة رهيبة في الهواء ويصطدم ببعضه ، فيحدث الرعد الذي يصم الآذان .. والمعروف أن الضغط الهوائي على (١ سم² = ٢ كج) وتنهار المباني وتتمذق الاجسام لعدم توازن الضغط .. فأصبح هشيما تذروه الرياح " الكهف ـ

ولولا لطف الله ـ لتواصل الاشتعال : لكن الهواء يعالج بعضه بعضا . بتكوين تكتل رهيب على هيئة مثلثات من جميع الجهات ، ويصفع تلك الموجة الخارجة على الطبيعة . محدا من هذا الخطر الداهم .

والانسان سيهلك نفسه عاجلا أو آجلا .. لتوصله الى الأسلحة الفتاكة مثل ـ القنبلة الهيدروجينية ـ وهي أقوى مئات المرات من الذرية .

والأمل ـ أن يستخدم هذا العلم في خدمة البشرية ، التي لاتزال تعاني الجهل والفقر والمرض .. وأن تستخدم المخترعات الحديثة للأخذ بأيدى المشردين في الشوارع من جراء الحروب ..

ماذا يحدث لو أصلح الأرض ، وفجر الأنهار وبنى المساكن !! انه أمل .. " ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ماشاء ركبك " الانفطار ! أيها الانسان مادمت لاترع حق الله .. فلن تستحق الحياة ـ فهل تحب أن تعيش ؟ ...

(٣٦) ترجمة : هشام أبو عودة ـ مجلة الفيصل ـ عدد ١٦ ، ص ١١٥ ، ١٩٧٨م ـ السعودية
(٣٧) نفس المصدر .
(٣٨) عبد اللطيف أبو السعود " مولد طاقة جديدة " المجلة العربية ، عدد ١١ ص ٧٢ ، / ١٩٨٠م السعودية ..
(٣٩) سورة القمر / ٣١ ..
(٤٠) د. أحمد زكى " الأزل والأبد تحدى للانسان " مجلة ـ العربي ـ عدد ٢٠٣ /٧٨

سنة ١٩٧٥م الكويت ، ص ١٠

(٤١) ولقد بلغ العلم في السنوات الأخيرة مبلغا كبيرا في التقدم ، فقد فقد ابتكر العلماء • جهاز تسجيل ، يسجل عليه كل ما يراد حفظه في المخ • فلو أراد البعض حفظ كتاب في الهندسة ، أو الطب مثلا •• يسجله على هذا الجهاز ثم يوصل الجهاز بدماغ الانسان • وفي دقائق يستوعب العقل كل الكتاب !! •

وطبعا هذا جميل : لكن المساوئ المترتبة على ذلك أفدح ضررا ، فهي تدمر العقل وتحمل خلاياه فوق طاقتها ، ثم بعد ذلك الصرع والجنون • هكذا قرر الباحثون والعلماء • _ وسبحان الله القائل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها •)

ولقد ذكر _ د• أحمد ذكي _ في نفس الموضوع " الأزل والأبد تحديا _ للانسان " قال : " ا الانسان قد يصل الى ادراك بعض الحقائق الكونية الخاضعة للقوانين _ ومعرفة أسرارها وسننها الطبيعية ، وقد يظل البعض مجهولا •• ولا يستطيع أن يتناوله العلم ، مثل _ الروح _ وهي موجودة في الانسان ، وكذا خلايا جسمه وأعضائه ، كالقلب والمعدة والعين ، وحتى الآن لم يستطع أن يخلق خلية ، وما زال العلم في هذا الشأن محض _ افتراضات • ومنذ قرون مضى كانت مخترعات كثيرة تعد من نسج الخيال ، وكذا الظاهرات الروحية والنفسية موضع ملاحظة العلماء • وحتى الآن لم تخضع لسلطان العلم •• وتقدم العلم في سباق رهيب مع الزمن ، لكن لا يزال قاصرا حتى عن انبات شجرة ، ووضع ثمرة وخلق حياة •• (وتلك _ الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) العنكبوت / ٤٣

(٤٢) سورة العنكبوت / ٤١ ••

(٤٣) الأستاذ • يوسف مروة " العلوم الطبيعية في القرآن " ط ١ _ ١٩٧٠م ص ٧٣ ، بيروت •

(٤٤) وربما نكون أيضا بالنسبة لمخلوقات أخرى : كالميكروب ، •• والتي تغزو الكوكب الأرضي ، على هيئة الأطباق الطائرة ، ومن الجائز لضخامتها لا تستطيع رؤيتها ••

(٤٥) ~~اينشتاين اينشتاين~~ _ اينشتاين •• حينما سئل : وهو في جامعة " برنستون " _ أحمد جمال " محاضرات في الثقافة الاسلامية " ص ٧٩ _ ٨٠ / ١٩٧٠م ، دار الفكر _ بيروت ••

(٤٦) لينه _ عالم فيزيائي ، و ب • رياتستف ، في كتابه : " أصوات لا تسمع " تحت عنوان _ العلم يؤيد الايمان _ ص ٣٠٩ ، ترجمة : د• سيد رمضان _ سنة ١٩٧٢م الكويت ••

(٤٧) مثل : ديكارت في نظرية _ الشك _ • وهربرت سبنسر • ونيوتن • وغيرهم

(٤٨) د• فخري الدباغ " الذاكرة " مجلة _ العربي _ عدد ١٨٥ ، ص ٤٦ _ ١٩٧٤م

(٤٩) وحكمة الله أن جعل عقول البشر متفاوتة فلو تساووا في الذكاء • لاختل

نظام الحياة ، ولما وجد العامل والفلاح ، والصانع ولقد حبب الله كل فى عمله يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - كل ميسر لما خلق لـه - كما أن للتذكر دائما أضراره وللنسيان أيضا محاسنه !! .

(٥٠) قال بهذا الرأى : أرسطو ، وتلا ميذه - مجلة الدوحة - ص٨٨ - عدد ٢٨ ١٩٧٧م - قطـر .

(٥١) د. عادل ناشد " المخ " الـدوحة - نفس العدد السابق .

(٥٢) جيرالد أولمان - نفس المصدر السابق .

(٥٣) لكن هل يستطيع العلماء التوصل لذلك ، ويصبح الناس كلهم سالمين من الأمراض ، وبدل إن يكونوا أشرارا .. وفى رأيى أنه ستنشأ مشكلة أخرى هى اختفاء الثائرون والمبدعون ، والمفكرون . ولذلك من المستحيـل تغيير العقل البشرى الذى خلقه الله وهو الذى وضع فيه غريزة الخيـر والشر ليتصارعا من أجل مصلحة الانسانية نفسها ، ويقوم بتشكيل هـذه الأمور حسب رغبة البشر ، فاذا استعملت العمليات الجراحية والعقاقير للسيطرة على العقل البشرى . فهذا مما يضر بالانسانية كلها .

(٥٤) سورة الرعد / ٢٨ .

(٥٥) " " الحج / ١٨ .

(٥٦) " " الاسراء / ٤٤ .

(٥٧) " " سبأ / ١٠ .

(٥٨) " " الدخان / ٢٩ .

(٥٩) الشيخ محمد الشعراوى " القضاء والقدر " ط٢ ، دار الشروق - ١٩٧٥م - القاهرة ص٨١ ، ٨٢ .

(٦٠) سورة الاسراء / ١ .

(٦١) " " الفيل / كلها .

(٦٢) والله يقول : ألم تر ، وكأن محمدا موجود فى ذاك الوقت ، فخاطبـه بالرؤية ، وهذا يدل أيضا على علاقة محمد - عليه السلام - ببيت اللـه الحرام ومحافظة الله عليه .

(٦٣) مختصر " سيرة الرسول " - للشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب - المطبعة السلفية - ١٩٧٩م - لاهور - ص٩٤ ، ٩٥ .

(٦٤) د. حسين فوزى " الاسلام وحرية الارادة " - مجلة - العربى - عدد ٢١٣ ، ص٢٥ - ١٩٧٦م - الكويت .

(٦٥) ولا مقارنة بين اسراء الرسول - عليه السلام - وعروجه الى السماء ، وبين ما يحدث اليوم من انطلاق الانسان للفضاء ، والصعود على بعض الكواكب ويشك بعض الناس فى حدوث ذلك للرسول ، وكيف يحدث له ذلك بدون استعداد وأجهزة وما الى ذلك ، ولقد وضحت فى المتن كيف يمكن ذلك وأن ذلـك على الله يسير ولقد تكلم المهندس سعيد شعبان ، فى مقاله " الحياة فى الفضاء " .

واشارة موجزة لانسان ذلك العصر ، وما يقوم به العلم مع

رواد الفضاء – وتعرضهم لاجهادات نفسية وبدنية ، واتباع أساليب ونظم دقيقة ، واختيارهم من بين الآلاف وحسب اللياقة البدنية والجسمية – والعلمية ، والخبرة في قيادة السفينة الفضائية وتشغيلها .

وأول رحلة فضاء كانت عام / ١٩٦١م ، ومدتها – ١٠٨ – دقيقة ، ثم امتدت الى شهور . ومع كل الاحتياطات والقياسات . فقد ظهر ضعف الانسان . علاوة على الجهود ، والبحوث ، والحسابات ، والتكاليف ، وسهر الليالي والشهور ، من أجل الوصول الى كوكب صغير يبعد عن الأرض آلاف الأميال بالاضافة الى الأخطار والمتاعب التي يتعرض لها الرواد . فهم لو سلموا من الموت تقابلهم مشكلة الطعام والنظافة ، وطبيعة الفضاء مخيفة ، وعدم وجود الأوكسجين اللازم للتنفس ، والاجهاد العصبي والبدني نتيجة للسرعة الهائلة ، والاشعاعات الكونية والشهب ، والتخلص من فضلات الجسم لكن الرسول – عليه السلام – لم يتعرض لهذا كله ، وصعد السبع الطباق ، وفي أقل من دقائق – على اختلاف الروايات .

والاسراء حدث فعلا ولا سبيل لتكذيبه ، والعرب كانت خالية الذهن عن هذا الشيء الغريب عليهم ، ولا تعرف ماهو الاسراء والمعراج – فكيف لمحمد أن يأت لهم بخبر خارج عن طاقتهم العقلية لو لم يكن هذا الخبر صحيحا ؟ . فهو لا يريدهم أن يكذبوه ولا يريد أن يقحم نفسه في خبر يزيدهم تكذيبا على تكذيب !! . لو لم يكن ذلك حدث فعلا

(٦٥) حقيقـــة هـــامة

ويقول الشيخ الشعراوي في كتابه " اعجاز القرآن " يعتقد كثير من الناس : أن القمر من السماء ، وصعود الانسان عليه قد ذكره القرآن في قوله تعالى " يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان " الرحمن /٣٣ . قالوا : ان السلطان هو سلطان العلم . لكن في الواقع أن القمر من ضواحي الأرض وليس من السماء ، ويبعد عن الأرض بمقدار – ثانيتين ضوئيتين – والشمس تبعد – ثمان دقائق – وهناك كواكب تبعد بالسنين ، والآلاف ، والملايين ١٠٠ الخ من السنوات الضوئية ، فأين السماء وأقطار الأرض ؟ ولو كان السلطان هو العلم كما فسروه ، لما قال الله سبحانه بعدها " يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران " وهذا تحدى للجن والانس على السواء . اذن فالنظرية غير صحيحة وأن كلمة – الا بسلطان – آتية لتبعد شبهة ، وقضية من قضايا الدين ، وتنفي التعارض أيضا .. فلقد أسرى الله بعبده ، وعرج به ، فلو كانت – الا بسلطان – لم تأت هنا ، لقال قائل : لا ، أن محمدا لم يعرج به الى السماء ، لأن قوله تعالى " فانفذوا لا تنفذون " فيها تحدى ، فأتى بلفظة – الا بسلطان – أي باذن منه تعالى ، فهو الذي يخضع القوانين وهو الذي يخرج محمدا من أقطار السموات والأرض ولهذا يلاحظ : أن تفسير القرآن . بجره الى العلم ، خطأ . لكن جر العلم

الى القرآن أصح ، مادامت الحقائق العلمية تؤيد ذلك . بالاضافة الى قواعد ضبط التفسير ، منها : فهم اللغة العربية . وتحرى المعانى والألفاظ . واعجازها البيانى .

(٦٥) د. محمد سعيد البوطى " تفسير القرآن ليس بجره للعلم " مجلة العربى - عدد ٢٤٦ ، ص٥٦ - ١٩٧٩م - الكويت .

(٦٦) سورة النبأ / ٦ : ١٧ .

(٦٧) وأن الله سبحانه أنزله على هيئة نقط منتشرا على جميع الأرض ، ليسقى به الحرث والمرتفعات ، ولم ينزله مجتمعا فتفسد الأرض ، وتتهدم المبانى وتنقلع الأشجار ثم تغرق المناطق مع وجود مناطق أخرى محرومة من الماء . انه عدل الله .

(٦٨) أخرجه أبو داود - الوضوء .

(٦٩) د. عبد العزيز كامل " نظرة الرسول للكون" .

(٧٠) أخرجه البخارى - الأحكام ، وابن القيم - زاد المعاد - ج٢ ص٤ .

(٧١) نفس المصدر .

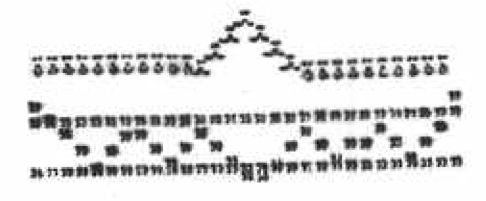
(٧٢) أخرجه الستة ، عن أبى هريرة - الأدعية .

(٧٣) فى كتب الأدعية ، والأحاديث ، وكان عليه السلام - يدعو الله فى كل شأن من شئونه ، مثل : الاستيقاظ من النوم ، وحدوث النعمة ، والخروج من المنزل ، والطعام والشراب ، وعند الكرب والضيق ، والذهاب الى المسجد ، وأحداث الكون من : رعد وبرق ، ورؤية الهلال ، وهبوب الرياح ... الخ .

الباب السابع

الانسان والكائنات الأخرى

* * انه عالم مذهل !! .. ..
* * هل نحن وحدنا في هذا الكون ؟ .. ..
* * آراء العلماء في هذه المخلوقات .. ..
* * من أين تأت .. هذه المخلوقات .. ..
* * الانسان ورحلة عبر الزمن .. ..



"إنه عالم .. مذهل !!"

وجاء عصر الفضاء ، واتجهت أنظار العالم والعلماء الى كل مايتعلق بالكون والفضاء .. وأطلق الانسان لفكره العنان حول وجود عوالم أخرى أكثر حضارة تعيش على كواكب أخرى ..

وتساءل الانسان : هل له شبيه ؟ . ومازال يخمن .. وهو بطبعه ميال للاكتشاف ولهذا جاس الغابات الكثيفة . فى المناطق الحارة ، وغاص فى أعماق البحار ، والمحيطات المظلمة . ولاقى الانسان من الصعاب أشدها فى سبيل الوصول الى أطراف الأرض . كما تسلق قمم الجبال ، وحلق فى الجو ، ونزل الى أعماق المناجم وبذل الجهد والمال فى سبيل الكشف عن كل شبر من كوكبه الذى يعيش عليه ..

نتج عن ذلك كله ، هذه الحضارة التى ينعم بها الآن .

والآن يولى وجهه شطر الكون الفسيح : ليكشف معالمه ، استجابة لقوله تعالى (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)[١] . فقام بدراسة الأرض ، وقام بدراسة السماء ، استجابة لقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)[٢] وقوله (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)[٣] وقوله (ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين)[٤] . ويقول ـ عليه السلام ـ (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)[٥] وقوله (كان الله ولم يكن شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب فى الذكر كل شئ)[٦] . هذه اشارات من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجها نظر المسلمين لاكتشاف مافى الكون .

فكل الآيات والأحاديث ، تهيب بالمسلم أن ينظر فى ملكوت السموات والأرض

وان كان الانسان اتخذ أول خطوة لاكتشاف الكون ، وفعلا هبط على سطح القمـر ، وأمكنه جمع عينات من سطحه . لكن الأهم والأساس : هو العيش على القمر ، وبناء مستعمرات . لينطلق الانسان من هناك الى الكواكب الأخرى ، وعلى كل : فـان الانسان استطاع الاتصال بالعولم الأخرى ، محاولا التقاط اشارات مرسلة من الخارج أو بالعكس . ولم يحظ برد من أى عالم خارجي رغم مايدور أحيانا عن بعض الاشارات المبهمة . وربما تكون هناك مدنيات ، تفوق الأرض[٧]..

والعلماء يحاولون الاتصال بالعوالم الأخرى ، متأكدين من وجودها . لأن الله سبحانه أشار لذلك بقوله : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٨]. وقوله سبحانه (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير)[٩] . والآية تشير الى وجود مخلوقات أخرى ، بدليل ـ وما بث فيهما من دابة ـ والدابة : تعنى كل مايدب وهو المعنى ، ثم اذا شاء سبحانه أن تلتقى هذه المخلوقات ـ وهو من الممكن ـ سهل لها ذلك ، اما بسفن الفضاء ، أو على متن الأثير[١٠]. وكلمة بث : تشير الى أن الحياة ظاهرة كونيـة لا تقتصر على الأرض وحدها ، وأما ـ الجمع : سيتم كما ذكر بسلطان العلم . بشكل أو بآخر عندما يشاء الله ، وليس هو يوم القيامة ، كما قال المفسرون ، بـل ـ الاجتماع لا تتحقق فائدته الا فى الدنيا ، وبطبيعة الحال كل العالم سيجتمع يوم القيامة ، وعلى هذا يتضح المقصود . ويقول سبحانه فى آية أخرى (ولله يسجـد مافى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون)[١١]. والآية تؤيد ماسبق .

" هل نحن وحدنا ... فى هذا الكون ؟!! "

سؤال : دار فى ذهن الكثير من علماء " الكوكب الأرضي الذى يدور حول الشمس " ومن المستحيل من الناحية العلمية أن تكون الأرض مع كل خاصياتها ، وحيدة فى أصلها وذاتها ، يقول سبحانه (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)[١٢] .

والعلماء " وشاهدى العيان يقولون " لسنا وحدنا فى هذا الكون .. فقد رأوا - أطباقا طائرة - تحمل الى الأرض - عمالقة لا يخترقهم الرصاص . ففى عام ١٩٧٧م ، وأمام ذهول العالم ، أعلن : أمين عام الأمم المتحدة فى رسالة وجهها الى .. القوى الخارج أرضية - قال : " باسم الأمم المتحدة التى تضم - ١٤٧ دولة - والتى تمثل سكان كوكب الأرض ، أحييكم " .

وحملت هذه الرسالة سفينتى فضاء " ، أطلقتهما " ناسا " الأمريكية فى نفس الوقت لعلها فى يوم ما . تصل الى العالم الآخر عبر الكون .. وهذا النداء " . أكد ما كان يردده علماء " الفضاء " والفيزياء " ، منذ - ١٥ عاما - لسنا وحدنا فى هذا الكون !! . ومن سنة ١٩٦٤م ، ومراكز الرصد تحاول أن تلتقط النداءات الموجهه من قبل هذا - العالم المتفوق حضاريا عن الأرض ..[١٣] وقال بعض علماء " الفلك[١٤] . " لقد رأيت بعض الأطباق الطائرة - ١٩٦٠م - فى الوقت الذى كنت استعد فيه لمراقبة كوكب المشترى وفجأة رأيت فى السماء " : أربعة أجسام بيضاوية الشكل متجهة نحو الشرق ، فصعقت لهذا المنظر ، وركضت الى غرفتى ، وأخذت المجهر لأراقبهم ، وأثناء " مراقبتى رأيتها تسير على خط كوكب الزهرة ، مقتربة من - المشترى - ثم غابت راسمة زاوية ٤٥ درجة وكانت تتقارب وتتباعد بانتظام ، مع محور مضىء لأصفر اللون ، واننى لم أر فى حياتى مثل هذا العمل . وانى متأكد من أنه ليس . نجم . كما يعتقد

بدليل انحرافه بزاوية ٤٥ درجة ، واضاءة محوره بلون أصفر[15] .. "

ثم يقول آخر : " ثم يقول آخر : " عندما كنت خارجا من عملى ١٩٥٤م ، صرخ أحد زملائى مشيرا نحو جسم فى الفضاء ، عبارة عن كتلة خضراء مشعة ، مالبث أن غابت وراء الجبال ، وبعد لحظات عادت ، لتطير بسرعة خيالية ، ونتيجة للسرعة تحولت الى جسم يشبه السيجار ، للاحتكاك العديد بالهواء ، ثم مالبث أن توقف فجأة !! .

ولاحظنا أثناء مروره فوق المدينة ، كانت الأنوار تنطفىء ، وتشتعل بعد مروره ، وأصيبت الحيوانات بالذعر ، ثم طال الجسم الى خمسين متر تقريبا !! ..
فما هذه المخلوقات ... ؟[16]

.. آراء العلماء ..

منهم من يقول : " ان هذه الظاهرة تكمن فى اللامعقول ـ أى غريبة وتشبه ـ الخيال ـ فوجود مثل هذه الأجسام ، يوضح لعلماء الأرض أنهم أمام تحد حضارى ـ غريب "[17] .

والعلماء فى حيرة أمام هذه الظواهر ، ولم يتمكنوا حتى هذه اللحظة من كشف السر . لأن هذه الأجسام تطير بسرعة أضعاف سرعة الصوت وبوضوح كامل وهدوء . وتدور حول نفسها بنفس السرعة . ثم تختفى .. وأحيانا تلقى أضواء تخترق أجسام ركابها ، وقد شوهدت هذه الأجسام تسبح فى الفضاء ، ولا يؤثر فيها الرصاص[18] !! .

والكون ملىء بملايين الملايين من المخلوقات التى تفوق ذكاء الانسان ،[19] ..

بدليل التقريرات ، التى بلغت ـ ١٣٦٨٨ ـ تقريرا فى الولايات المتحدة ، وحدثت حوادث منها اختفاء العديد من البشر على مرأى الآخرين ، وأشهر الشهود هو ـ المرشح ـ كارتر ـ أمريكا[20] . والتقريرات فى ـ تشيلى ـ تقول " انها أكثر المناطق

زيارة وتعرضا للأضرار . بسبب " الأطباق الطائرة " فهي تخطف الناس ، وتفقدهم جميع حواسهم ، فلا يستطيعوا الاجابة بشيء .. مع اصابة المزروعات والحيوانات مع استحالة العلاج . وأن هذه المخلوقات طويلة ورفيعة - ٢٫٣٠ - متر ، ورأسه على شكل الكمثرى ، وفي كندا وايطاليا أصبحت أمرا عاديا لكثرة حدوثها[٢١] . وفي فرنسا ارتفع عدد التقارير الى - ٨٠٠ - حالة سنة ١٩٧٧م معظمها شكاوى من المواطنين الذين تضرروا من هذه الأجسام المجهولة . وأهم التقارير ، أن طيارا بطائرته - قادما من باريس ، شاهد هذا الشيء ، وفي نفس الوقت سمع قائد طائرة - اير فرانس - يكلم برج المراقبة عن هذا الجسم ، وطلب الاذن أن يقترب منه بسرعة - ٤٥٠ كم - والجسم لم يتحرك منذ - ١٥ دقيقة - وفجأة هوى الجسم للأرض بسرعة . ومفها قائد الطائرة لأنها أضعاف سرعة طائرته ، وعلى مرأى من موظفي الرادار على الأرض . وسجلت الحادث وزارة الدفاع الفرنسية[٢٢] .

هذه حقائق تثبت أن الانسان ليس وحده في هذا الكون ، وأنها ذو ذكاء خارق ، ومعرفتها واجب على انسانى وكذا معرفة الكون وما يجري فيه[٢٣] وبعض الباحثين .. يقول .. أنها أوهام نفسية !! . لكن كيف هذا الوهم الجماعي ، كيف يظهر على شاشات السينما وشاشات الرادار ؟ وكيف تفسر ظاهرة احتراق المزارع أثر اقتراب الطبق الطائر ، وكذا ظهور آثار واضحة لسيقان ركابه[٢٤] .

ان هذه الظواهر قد تحدت كافة قوانين - الفيزيا - وأمام هذه الحقائق ، يتضح أن الانسان هو قمة - التطور البيولوجي - في الأرض التي هي بمثابة غبارة غير مرئية في هذا الكون الرهيب[٢٥] ..

ويرى آخرون " أنها ماهي الا ظاهرة خارقة للطبيعة ، وأن لها - بعد تردد - مغاير لحواسنا ، وأنها غير مقيدة بزمان ، فهي لها خواص الأشباح والأجسام ذات الطبيعة الشفافة ، والمرونة لدى علماء " الباراسيكولوجي[٢٦] " .

والتفسير الراجح ، أنها : وسائل انتقال متطورة قادمة من خارج المجموعة الشمسية وبداخلها مخلوقات من هذه الكواكب البعيدة ، أكثر تطورا فنيا وجسمانيا ويتمتعون ببعض الظواهر الخارقة .. والمهم أننا ظهورها بهذه الغزارة لا يجب أن يفهم على إنه وهمى لا يمكن الاعتراف به ..[٣٢]

وقامت آلاف الجمعيات التى تؤمن بهذه المخلوقات .. مكونة أعضاء لها فى جميع أنحاء العالم ، وعلماء الفلك يقولون : « المعروف إن الكون تتناثر فيه آلاف ـ الملايين من المجرات ، وكل مجرة تضم بداخلها ملايين النجوم ، والنجم مثل الشمس والشمس يدور حولها تسعة كواكب ، منها الأرض ، والنجوم الأخرى تدور حولهـــا كواكب أيضا ، ومن الممكن إن تكون هناك حضارات أكثر تقدما من الأرض »[٣٨] ، كما يوجد حوالى ـ ٦٤ مليون كوكب صالح للحياة فى كل مجرة من الملايين المنتشرة فـــى الكون ، ومن الصعب الاتصال بتلك المخلوقات التى تبعد عن الأرض بسنوات ضوئيـة وهذه عقبة تواجه العلماء ، فلو فرض وأن نجما يبعد خمس سنوات ضوئية ، فـان ـ المسافة تساوى ـ ٢٥ ألف بليون ميل ذهابا ، ومثلها عودة !! ، وهذا يستغرق ـ مئات السنين ، وهناك من يبعد بمئات وآلاف السنين الضوئية .. انه كون رهيب .. يقول سبحانه (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)[٢٩] ، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب فى الذكر كل شيء)[٣٠]

.. رأى علماء الاسلام ..

ان فى الكون مخلوقات أخرى لم يعلمها الانسان ..

« الاسلام لا ينكر العلم والبحث عن الكائنات ، والتى لا شك فى وجودها ، مما تؤيده الأدلة المادية والقواعد العلمية ، بوجود كائنات حية فى كواكب السماء ،

المزدحمة بالنجوم الصالحة للحياة مثل الأرض ..

والقرآن وجه نظر المسلمين لهذه المخلوقات وأنهم يتكلمون[٣١] بدليل قوله سبحانه: (وقل ربي يعلم القول في السماء والأرض)[٣٢]

وأكد عدد من علماء الأزهر: " أنه توجد كائنات حية في الكواكب الأخرى ، والقرآن الكريم أشار لهذا ، بدليل قوله سبحانه: (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد • لايسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب • دحورا ولهم عذاب واصب • الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)[٣٣] فهذه اشارة الى أن الله قد حفظ أسرار ملائكته وملكوته • بهذا الحرس من الشهب وغيرها التي يقذفها على شياطين الأرض بسبب تجسسهم على الملائكة ..

والعلم يقول: " ان الشهب والنيازك أجسام حجرية أومعدنية تسبح في الفضاء وحين تدخل جاذبية الأرض تسقط وتحترق ، وأكد رجال الفضاء برؤيتهم لأجسام ضوئية تتابعهم في الفضاء .. "[٣٤]

ودليل آخر في قوله تعالى: (ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير)[٣٥] ويقول سبحانه (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق • أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد)[٣٦]

انها علامات لاثبات اعجاز القرآن[٣٧] .. وصدق الله سبحانه القائل: (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) ..

" من أين تأتي .. هذه المخلوقات "

مما يحير سكان الأرض . أنهم لايعرفون مصدرا للكائنات الغريبة التي تغزوهم ويعتقدون أنه ربما أتت من مجرات شمسية بعيدة . لكن كيف تغلبت على مشكلة الزمن؟ وماهو نوع الطاقة التى تستخدمها حتى يتاح لها أن تقطع هذه المسافات الخيالية. ثم تعود ثانية من حيث أتت . هذه المسافات التى تبلغ آلاف السنين الضوئية .؟ وربما تكون قادمة من كواكب أخرى مختلفة ؟؟ .

تساؤلات . لم تجد الجواب الشافى . لكن العلماء يقولون : -

" لوفرضنا أن الجنس البشرى هو النوع الذى يعقل ، أو الوحيد فى هذا الكون ، وأن الأرض هى التى تطورت عليها الحياة ..

وكان من السائد قديما : أن الأرض مركز الكون ، وأنها ثابتة ومسطحة . وهكذا كانت هذه النظريات التى أثبت العلم خطأها ..

هذا من ناحية - ومن الناحية الأخرى : أثبتت الدراسات العلمية والفلكية - أن الكواكب التى تقوم عليها حياة من نوع آخر . داخل مجرتنا الشمسية فقط ، تقدر - بثمانية آلاف مليون كوكب -[٣٨] ولعل بعضها يسبق الأرض حضاريا وعلميا بملايين السنين وإذا كان من الصعب تصور السرعة التى تسير بها هذه المركبات لتصل للأرض . نتيجة لقصور السرعة التى تتحرك بها مركبات الانسان الفضائية ، وعدم الكفاية العلمية فان هذا لا يعنى عدم قدرة المخلوقات الأخرى للوصول للأرض[٣٩] .

" وهناك احتمال كبير فى وجود شبكة اتصالات بين المجرات ، وتبدو الأرض ، بالنسبة لهم - كالقبائل التى تسكن الأدغال النائية المعزولة ، والتى لم تسمع بعد عن التليفون[٤٠] " فلا عجب اذا أتت كواكب أخرى لتتفاوض مع سكان الأرض .

ان العلم يتقدم بشكل مذهل .. فمنذ قرن كان الوضع يختلف عن الآن ، فلا تليفزيون ، ولا طائرات ، ولاصواريخ ، ولاعقول اليكترونية .. الخ .. هذه الاكتشافات المتطورة يوما بعد يوم . وماذا ستكون الدنيا بعد سنة ٢١٨٠م ..[٤١]

ومعنى هذا أن أى مخلوق سابق فى التقدم بألف سنة مثلا . سيقوم بانتاج أشياء لا يمكن أن يفهمها الانسان الآن !! .

الذى يقلق الانسان تلك المخلوقات القادمة من المستقبل عبر الزمن . والاحتمال المخيف أن تكون هذه الأطباق قادمة لاستكشاف الأرض ، هروبا من كوكبهم الذى تطرق له الخلل والخراب ، ويبحثون عن وطن جديد .. وبهذا تنتهى حياة الأرض .

ان المشاهدات تكفى دليلا على وجود الحياة على الكواكب الأخرى واحتمال الانتقال فيما بينها وتمر بالأرض عبر رحلتها[٤٢] .

وبعض العلماء يقولون " ربما هذه المخلوقات من مجموعتنا الشمسية ، وربما لها قواعد فى قاع المحيطات أو فى باطن الأرض ، أو من الجائز أن الأطباق تستخدم ثروة الأرض المعدنية فى التزود بالوقود . من أى مادة لم تكتشف وغير معروفة لذا ان الانسان يخطأ لو تصور نفسه هو الذكى وأن الآخرين هم أقل ذكاء . فيجب أن يخضعوا لنفس الواقع والمنطق ، وهذا هو عين الخطأ "[٤٣] .

" الانسان .. ورحلة عبر الزمن "

قال الله سبحانه (ويخلق مالا تعلمون "[٤٤]) ولعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما أشار للكون ، وأراد أن يقرب فهمه لأذهان الصحابة .. فذات يوم وهو جالس معهم فى بطحاء مكة ، اذ مرت سحابة ، فنظروا اليها ، فقال - صلى الله عليه وسلم (هل تدرون ما اسم هذه ؟ قالوا نعم : هذه السحاب ، قال : والمزن ، قالوا :

والمزن ، قال : والعنان ، قالوا : والعنان ، ثم قال : هل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا : لا ، قال : فان بعد ما بينهما ، اما واحدة ، واما اثنتان ، واما ثلاث وسبعون سنة[٤٥] .. وبعد السماء التى فوقها كذلك ، وكذلك حتى عدهن سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء وسماء ثم العرش فوق ذلك[٤٦] ..)

وفى حديث آخر : يوضح إن العدد لا مفهوم له . محتمل للزيادة ، فيقول ـ عليه السلام ـ : (كثف الأرض مسيرة خمسمائة عام ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام ، وكثفهما خمسمائة عام ، وأن ما بين السماء الدنيا والسماء خمسمائة عام ، وكثف السماء خمسمائة عام ، ثم كل سماء مثل ذلك حتى بلغ السماء السابعة ، ثم ما بين السماء السابعة الى العرش مسيرة ما بين ذلك كله)[٤٧] .

هذا تصور الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للكون ووضع له الحساب والمعايير ، ويأتى العلم الحديث . مؤيدا ومتفقا مع خبر الرسول ـ عليه السلام ـ . ومن الملاحظ فى إخبار الأولين واعتقادهم فى وجود مخلوقات غريبة فى الكون خلاف الانسان مما نخرت به مؤلفاتهم[٤٨] .

وابتدأ الانسان يعمل حسابه لاتقاء شرها ، والعلم يؤكد ذلك ـ لثقته فى قدرة الله التى لا تقتصر على خلق الأرض وخلق الانسان فقط ، فالاكتشافات تشير الى أرقام تقدر بالبلايين من النجوم تفوق حجم الشمس ملايين المرات ، ولبعدها تبدو كرأس الدبوس ، وقدر هذا البعد بملايين السنين الضوئية ، والقرآن يصور هذا بقوله :(فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)[٤٩] . فلا الشموس ولا الكواكب اصطدمت يوما ، ولا حدث فيها اختلال (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)[٥٠] . فاذا كانت هذه قدرة الله التى أحكمت هذا الكون .. فهى قادرة أيضا على وجود مخلوقات أخرى أكثر ذكاء على كواكب

أخرى وعدم رؤيتها لا ينفى وجودها ، بل هو قصور الوسائل العلمية للانسان [٥١]..

ولعل هذه المخلوقات لم تتصل بالأرض لأسبقيتهم فى الزمن تقدما وحضارة .

وأن سكان الأرض فى نظرهم مثل الحشرات ، فعاملوهم بعدم اهتمام ، معاملة الانسان للحشرات ، يبيدها ويدوس عليها ولا يشعر بها ، ولعل تلك المخلوقات ترقب الأرض ، وتشمئز مما يحدث عليها من مهازل ..

وبالعقول الاليكترونية وجدوا فى الفضاء المحيط بالأرض ، حوالى — مائتا ألف حضارة مثل حضارة الانسان على الأقل [٥٢] — فسبحان القائل ويخلق مالا تعلمون .

ان سكان الأرض لديهم وقت كافى لتدبر معانى القرآن ، وحديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — والاعتراف بوجود مخلوقات أخرى ، وليس من الضرورى أن تشبه ما على الأرض .. واذا كانت بعض السفن هبطت على المريخ ، مثلا : ولم تجد هناك حياة فربما هبطت فى مناطق صحراوية ، وأن مايراه الانسان منه لا يزيد عن جزء من عشرة ملايين من مساحته . مثل مالو نزل زائر على الأرض فى احدى صحرائها . [٥٣]

واستدل العلماء بوجود الحياة على الكواكب الأخرى : بالتحليلات الكيميائية وأن الكون متحد كيميائيا ، بدليل : إن العظم البشرى مكون من مواد ، مثل : — الكالسيوم ، والحديد ، والكربون ، .. الخ . هذه المواد نفسها موجودة فى — الذرات التى تتكون منها النجوم ، حتى التى تبعد بمئات السنين الضوئية فى أعماق الزمن . [٥٤] اذن فلا بد من وجود مايشبه الانسان على الكواكب الأخرى . لتشابه مادة التكوين .. هذه الحياة سر من أسرار الكون الذى لم يُسبر غوره حتى الآن ... [٥٥] .

الباب السابع

الانسان .. والكائنات الأخرى

.... المراجع :ـ والتعليقات .

(١) سورة العنكبوت/٢٠ ..
(٢) " " يونس/١٠١ ..
(٣) " " الأنبيا" /٣٢ ..
(٤) " " الجاثية /٣ ..
(٥) أخرجه مسلم ، فى صحيحه ، عن عبد الله بن عمر ..
(٦) " " " ، والبخارى ـ باب بدء الخلق . عن عبد الله بن حصين ..
(٧) عز الدين بليق " دعوة الى التأمل فى عظمة الكون " المجلة العربية ـ عدد٩ ص٧٨و٢٩ ـ ١٩٧٩م السعودية ..
(٨) سورة فصلت/٥٣ ..
(٩) " " الشورى/٢٩ ..
(١٠) ومهما يكن فالانسان ضئيل أمام عظمة الكون الواسع ، والآفاق التى تنتظره وهو ما زال يعيش فى الكهوف بالنسبة للحضارات الأخرى ، وصراعه مع الكون وتقدمه فى شتى فروع المعرفة . جعله يفهم الوجود فهما يقارب الحقيقة .
(١١) سورة النحل /٤٨ .
(١٢) " " يونس/١٠١ .
(١٣) رغيد الصماع " عمالقة لايخترقهم الرصاص " مجلة المستقبل ـ عدد ٤٦ ، ١٩٧٨م ـ باريس ، ص ٤٣ .
(١٤) لم يذكر اسمه للتليفزيون الفرنسى ، المصدر السابق .
(١٥) " عمالقة لايخترقهم الرصاص " " " " "
(١٦) " " " " " " " " " "
(١٧) البروفسور / جان غوبى ، وأدمون كمبانياك " مدرسة البوليتكنيك " مجلة المستقبل ـ ص٤٤ ، العدد السابق .
(١٨) وبهذا أصبح العلماء " فى بحر من الضياع ، وأظن أنه أمام العلماء مئات السنين لاكتشاف هذه المخلوقات ، وعليهم أخذ الأمر بجدية ، وليس بسخرية ، فأمامهم خفايا يجب اكتشافها ، يقول سبحانه " قل انظروا ماذا فى السموات والأرض " يونس ـ ويقول : " فاذا انشقت

السماء فكانت وردة كالدهان" الرحمن . فالله يطالبنا بالتأمل ومحاولة معرفة الكون وخفاياه . وفي نظري أن هذا من صميم دعوة الاسلام بدليل لفظة - ماذا - في الآية .. فهي تعبير لهذا .. واني أعترض على من يتكر تلك المخلوقات ، فهي حقيقة ، ووجود ماليس مستحيلا ، ولا يتعارض مع قدرة الله .. وسيأتي اليوم الذي يكشف فيه العلم ذلك ..

(١٩) د. عبد القوى زكي عياد " هذه الأرض .. هل يوجد غيرها في هذا الكون ؟ " مجلة العربي - عدد ٢٠٢ ، ١٩٧٥م الكويت ، ص ١١٢ ..

(٢٠) بحث بعنوان : " الخوارق " مجلة اليمامة - عدد ٥٧٢ ، ١٩٧٩م ، ص٤١ السعودية ..

(٢١) السيحى / روسو ، عالم وفيلسوف فرنسي . أجرى معه التحقيق : المذيع الفرنسي / جان بوريه - ١٩٧٢م فرنسا ..

(٢٢) م. سعد شعبان . عضو لجنة الفضاء - باريس : القاهرة ، مقال بعنوان : " الأطباق الطائرة " مجلة العربي - عدد٢٢٢ - ١٩٧٧م ص١١٢ .

(٢٣) غاليه - وزير فرنسا مجلة المستقبل . عدد ٤٦

(٢٤) هل هناك كواكب أخرى ؟) مجلة اليمامة - عدد ٥٧٢ ، ص ٤٤ ...

(٢٥) بوهير / رئيس المجلس العلمي الفرنسي . المستقبل ، العدد السابق ..

(٢٦) جون كيل - مجلة العربي - عدد ١٩٦ ..

(٢٧) رالف بلوم " ما بعد الأرض " أميريكا / ١٩٧٠م . آخر الكتاب ..

☆ واني أرى : أن هذه المخلوقات ربما تكون من عناصر - الجن - أخذت في الظهور على على حقيقتها ليراها الانسان ، وهم لهم قدرة عجيبة على التشكل بأشكال مختلفة ، وفعل الخوارق . وقد ذكرها القرآن في قصة سليمان وسورة الفلق ، وذكرها الرسول في أحاديث كثيرة : عند النوم والأكل ، وأنها مرافقة للانسان . وذكرتها في أماكنها ، .

ومن الملاحظ : أن هذه المخلوقات تظهر في مناطق غير اسلامية ، ومن رأوها غير مسلمين ، وغير معترفين بوجود الجن ، ولعل هذا يجعلهم يعيدوا الحساب مرة أخرى في الاعتراف بها ، لأن الاسلام يقول الحقيقة يقول سبحانه (وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) الأحقاف/٢٩ . وأفردت سورة في القرآن باسم الجن . وان غدا لناظره قريب ...

(٢٨) د. عبد القوى زكي عياد " رحلة بيونير /١٠/ تكشف الحجاب " العربي - عدد ١٩٦م ص٢٧ ** ومؤتمر تبادل المعلومات ، حول الأطباق الطائرة " أمريكا /١٩٤٧م - عن جريدة " الأخبار " المصرية ، عدد ١٩٧٩/٦/١٦م .

(٢٩) سورة الذاريات/٤٧ [illegible]

☆ ولو تصورنا الكون ، بالبداية والنهاية : فما هي هذه النهاية ، وما بعدها هل يكون ماء ، أو ظلمات وهواء ... الخ . التصورات العقلية .. وأين وعلى أي شيء ترتكز هذه الأشياء ؟ وعلى هذا فالكون غير محدود ..

(٣٠) البخاري – بدء الخلق ..
(٣١) الشيخ جاد الحق . مفتي الديار المصرية ، والكاتب الاسلامي / عبد الرزاق نوفل ، جريدة – الأخبار – ١٩٧٩/٦/١٦م القاهرة .
(٣٢) سورة الأنبياء / ٤ .
(٣٣) " " الصافات / ١٠:٦ ..
(٣٤) سير برنارد لوفال / مدير المرصد اللاسلكي – جوردن – انجلترا .
(٣٥) سورة الشورى / ٣٩ .
(٣٦) " " فصلت / ٥٣ .
(٣٧) الشيخ المنشاوي عبود . عضو لجنة الفتوى بالأزهر ، ود. عبد العزيز غنام / عميد كلية الدعوة .. وقد تعرضت للآية قبل ذلك ..
(٣٨) م . محسن حمزة " أسرار الكون والحياة " تونس ١٩٧٢م ، ص ٣٤ .
(٣٩) د. جيمس ماكدونالد .
(٤٠) فبريد هويل .
(٤١) بالأمس رأيت برنامج في التلفزيون لعالم باكستاني ، نفذ نظرية – استخدام الضوء في الطاقة – بدل الكهرباء ، وصنع مروحة ، وجرس ومحسن للمياه ، ويريد تنفيذ اضاءة المدن بالكهرباء ، وري الأراضي ، رأيت نموذج لهذا بعيني ، وسيلغي البترول المرتفع الثمن حاليا ، وستصبح الحياة رخيصة . لأن الضوء حق مباح لكل المخلوقات ، وان كل خطوة – نخطوها نحو التقدم ، لدلالة واضحة على عظيم صنع الله وقدرته .
(٤٢) مستر . أونني / رئيس الابحاث العلمية . فرنسا – ١٩٧٣م ، ود. هينيك – مؤتمر تبادل المعلومات حول الأطباق الطائرة .
(٤٣) د. أحمد ذكي " مجرات السماء منها الأرض وبها ١٠٠ ألف مليون نجم " العربي – عدد ٢٠٣ ، ١٩٧٥م – الكويت ، ص ٨ .
(٤٤) سورة النحل / ٨ .
(٤٥) شك من الراوي .
(٤٦) أخرجه الترمذي ، وأبي داود . عن العباس . ومن الملاحظ أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يتبع أبسط الأساليب في تصوير الكون لأصحابه بعبارات وأرقام حسابية سهلة ، وعلى قدر ما تطيقه عقولهم . فلو قال مثل ما يذكره العلماء الآن لحدثهم .. وفي تلك الفترة كان انشغالهم بارساء قواعد الدين هو الأهم ، وما يخبرهم به الرسول فيه – الكفاية . وهكذا ترك التفصيل للعقل فيما بعد ، فقد أعطى جوامع الكلم ومخاطبة الناس على قدر عقولهم ، يقول عليه السلام (ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا .
(٤٧) للبزار عن أبي ذر – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للهيثمي ، باب بدء الخلق . ولعل الرسول ، ص – يهدف للسنين الضوئية ، .
(٤٨) كما في كتب ابن النديم ، ورحلات – ابن بطوطة – وندوة المجالس ومنتخب

النفائس ـ للمشورى ، وبعض مؤلفات ابن خلدون وكذا كتب ـ ألف ليلة
(٤٩) سورة الواقعة /٧٥ .
(٥٠) " " يس/٤٠ .
(٥١) كالجراثيم . فهي موجودة ـ لكن لاترى بالعين المجردة ..
(٥٢) كارل سيجان " الاتصال الكوني " . وهو عالم متخصص في البحث عن الحياة في الفضاء ، جامعة كورنيل ـ نيويورك ـ ١٩٧٤م ، ترجمة : محمد الحديدي السعودية ١٩٧٨م .
(٥٣) " الاتصال الكوني " ص٨٥ .
(٥٤) جول فيرن " من الأرض الى القمر " ١٩٠٠م فرنسا . و ـ أدموند هالى مجلة الفيصل ـ عدد ٣ ، ص٨٤ . السعودية ١٩٧٨م .
(٥٥) الاتصال الكوني ـ .. و ، د. عبد العليم خضر " من آيات الله في الآفاق " جريدة المدينة ، السعودية ـ عدد ٤٨٤٤ ص٦ .. / ١٩٨٠م
ولقد تصور : علماء الاسلام ، ومفكروه عن الكون وما فيه من رهبة ـ فأبو العلاء المعري ، يقول منذ ألف سنة :

« خالق لايعك فيه قديم وزمان على الأنام تقادم
جائز أن يكون آدم هـــذا قبله آدم على اثر آدم
لست أنفي عن قدرة اللـــه أشباح ضياء بغير لحم ودم
ويصبح الأقوام مثل أعمى فهلموا في حندس نتصادم »

واذا كانت الأرض هي مهد الانسان ، فانه لايبقى في المهد الى الأبد !!
ومن الممكن مغادرتها الى الفضاء الآخر عما قريب . لاكتشاف الكون بعقله الجبار الذي وهبه الله اياه .. ومن وقت قريب تصور الناس الصعود على القمر ضرب من الخيال . وألفت القصص والأفلام ، متصورين ما فيه . وأصبح الحلم حقيقة ...

الباب الثامن

الأسلوب العلمي .. والقانون الوضعي

* العقل .. قاصر .. ..
* أمور استحسنها العقل، وقبحها الشرع !! .. ..
* وثنية حديثة باسم العلم .. ..
* ضعف الطالب والمطلوب .. ..
* الدين .. والعقل .. ..
* العقيدة تدفع المؤمن لمعرفة الكون .. ..

* العقل .. قاصر - !! *

قال بعض الحكماء : " العقل مطية يوصلك الى باب السلطان ، ولايدخل معك - عليه " ..

بلا شك أن للعقل دور كبير فى مشكلات الحياة ... ولا أحد ينكره !!.

كما أن أى انسان . أيا كان دينه - لاينكر أن الأديان السماوية ، رفضت دور العقل فى صنع حياتها وتقنين شرائعها . !!

ومن الواجب استغلال ذلك العقل فى كل ما أمر الله ، والبعد عن التصورات الفاسدة ، ووضع الأمور موضعها الصحيح . قبل أن يفوت الأوان ، ويصبح نور المصباح بديلا عن الشمس .. وحتى لايصبح الفكر الاسلامى يناقض بعضه بعضا !! ويتجه العقل لعبادة العقل ، وبهذا يحطم ذاته ، وينتهى دوره فى الحياة ..

والاسلام . ماوقف يوما ضد العقل ، بل احترمه . مادام يؤدى رسالته ، ومن يفهم خلاف ذلك فهو يقرأ الاسلام - بعين واحدة ، ويتهم الاسلام بالسلبية دون دليل لأنهم لم يعرفوا الأصل الاسلامى من - قرآن وسنة - وحكموا العقل فيما يقولون - من طابع التحدى - يصيبون مرة ويخطئون عشرات ، وبهذا يدخل العقل مرحلة القصور والضعف أمام حكم الله ..

والدين - عقيدة وشرعا - ليس نظرية فلسفية أو فكرية . ولو ترك العقل يفعل كل شئ ، لأصبح لدى المسلمين بدلا من دين واحد : هو الاسلام - ألف دين ودين .. كما هو الحال فى أوروبا ، وكما هو المدلول الحقيقى لكلمة الملاحدة فى العالم كله - ان الدين شئ شخصى بين العبد وربه .. وهذه العبارة . تعنى أن لكل شخص دينه الخاص . الذى يتفق مع مزاجه الخاص .. والاسلام ليس هكذا ..!!

والمتتبع للتاريخ البشرى عبر الأزمنة الطويلة .. لم يجد أى قانون وضعه الانسان الا وأتى قانون آخر يناقضه ، بل المقنن نفسه يضع قانونا اليوم ،وغدا يلغيه لعدم صلاحيته !! ويأت كل عالم وفيلسوف ، لينقض كلام الآخر .. لهذا فلا احتكام للعقل ونظرياته[٢] ...

أليس العقل الذى أثمر نتائج « الطب - فى القرون الوسطى . التى كانت تقول « ان الشياطين تسكن فى جسم الانسان ، ولا تخرج منه الا بالضرب ؟ » ..

وأليس العقل الذى أنكر - الاسراء بمحمد (ص) - واليوم يصدق هبوط الانسان على المريخ ؟ ..

الرأى المحض لا يمكن أن يقدم على النص الالهى الصريح الدلالة ... العقل يرمى بصاحبه الى التهلكة . انه يتعاطى المخدرات ، ويشرب الخمور مدمرا صحته وخلقه . والشذوذ الجنسى الذى أباحته أوروبا ، مع الخيانة الزوجية ... أليس هذا من نتاج العقل الذى بلغ أوج التقدم فى صنع[٣] الذرة الذى دمر بها نفسه ؟ .. ويكفى ماعند العقل البشرى الآن مايدمر قدر مساحة الأرض عشرات المرات . أطلق المركبات الفضائية ، ويملك من الأموال أرقاما خيالية . عشرها يكفى لتحويل - الصحراء الى جنات ، وتنتج الغذاء لملا يين الأفواه الجائعة ، والأجساد العارية والأجسام العليلة ، وكافية لفتح المدارس لنشر العلم والسلام بين الجهال !!. انه غرور الانسان بعقله ، وابتعاده عن الدين[٤] .

الواجب ابعاد العقل عن الأمور التى لادخل له فيها ، ولايتحرك الا بأمر الكتاب والسنة ..

ومن البديهى أن حركات التجديد فى الاسلام - على عكس الديانات الأخرى - هى الحركات التى دعت الفكر والعقل الى العمل ورفعت من شأنه[٥] - . يلاحظ هذا الفكر البناء فى : آراء[٦] مفكرى الاسلام الذين التزموا بالشرع على مر العصور .

والقانون الوضعي .. الذى يجارى الأفكار السياسية ، والاقتصادية ، ......
والاجتماعية المنهارة .. وأصدر فتاوى بجواز عرى المرأة ، واباحة الربا ومصادقة
الفتى للفتاة ، والاختلاط المريب باسم العلم ، فهذا مالا يقره المنهج الالهى ..

والعقل الذى وضع القوانين الوضعية : لن يحمى الانسان من أهوال العصر ،
وما فيه من جرائم القتل والسرقة ، ونهب الأموال ، والاعتداء على الحرمات !!.
لم يعد هناك شك فى أن القوانين الوضعية لا تكفل حماية الفرد ، ولا تفى بمتطلبات
الجماعية . من هنا كان الرجوع الى التشريع الالهى أقوم السبيل ، ولا عبرة
بقول المرجفين الذين يهربون لعجزهم من الالتزام بأحكام النصوص[٧] .

" أمـــور استحسنها العقـل .. وقبحها الشرع "

كانت العبادة فى العهود القديمة ـ وثنية لتجسيدهم الاله .. وظل الحال على
ذلك قرونا ، ورسخت هذه العقيدة فى أذهان الناس .. من عبادة الأصنام ، وتقديس
الأشخاص . ..

وجاء الدين الاسلامى وحرم هذا كله وحاربه . لكن ظلت هذه الأفكار فى عقول
الناس وسرعان ماحلت الصور والتماثيل مكان الأصنام ، وتقديس الأولياء مكان ــ
الملوك والسلاطين[٨] . وما ذلك الا تهاونا من الرؤساء ورجال الدين ، خوفا علـــى
سلطانهم . والديانات أكدت أنه لا واسطة بين العبد وربه ، لكن العامة تفضـــل
توسيط الأفراد ، وتحولوا من دعاء الرب الى دعاء الأنبياء ، ثم الأحفاد ، ثـم
الأولياء يطلبون شفاعتهم وقت المحن . وتسربت هذه الأفكار جيلا بعد جيل . وما
ذلك الا دليلا على قصور العقل البشرى ، وخلطه الصحيح بالباطل وأدخل فى الدين

ماليس منه . وظلوا متمسكين بما كانوا عليه من وثنية قبل الاسلام[٩] .. ففى الهند المسلمة ، وباكستان : مازالوا متمسكين ببعض العادات القديمة ، مثل : تقديس الأولياء ، والتمسح بالقبور ، والاعتقاد فى المشايخ ، وكراهة الزواج من الأرملة

وفى أفريقيا قبل الاسلام . كانوا يحرمون زبح الديكة ، وأكل لحمها . واستمرت بعد الاسلام تحرمها ، ولكن على أساس آخر هو ـ أن الديكة توقظ النيام لآداء صلاة الفجر .

والمسيحيون وجدوا متنفسا فى تقديس تماثيل مريم والمسيح . والشعوب الاسلامية وجدت محاولتها ، فى تقديس الأولياء ، ونسبوا اليهم المعجزات . حتى يبرروا هذا التقديس .

والاسلام لا يعترف أصلا بالواسطة ، ولا هذا التقديس ، واستنكر على كل من يفعل ذلك بدليل : حديث عدى بن حاتم الطائى الذى كان قد تنصر فى الجاهلية ، ثم أسلم وسمع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ قول الله سبحانه فى شأن أهل الكتاب من يهود ونصارى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)[١٠] . فأنكر عدى أن يكونوا عبدوا رهبانهم ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم (أليسوا يحلون لكم الحرام ، فتحلونه ؟ ويحرمون عليكم الحلال فتحرمونه ؟ فقال بلى ، قال : فتلك عبادتهم)[١١] . فتلك مظاهر الشرك نتيجة الابتعاد عن الكتاب والسنة مع مادسه خصوم الاسلام لافساد عقائد المسلمين .

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يدع لنفسه القدرة على خرق قوانين الطبيعة ، ولا ادعى علم الغيب ، والصحابة لم ينسبوا له من المعجزات غير ما نص عليه القرآن وكانوا يكتفون ببيان فضل الله عليه ، وأنه بشر كريم يوحى اليه ومع هذا فقد نسبت العامة للأولياء من المعجزات ، مالم يقم النبى بمثله ..[١٢]

وأخبره الله أن يقول لقومه : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب)[١٣] ويقول سبحانه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير)[١٤] .

ومع هذا كله فقد تغاضى العلماء ورجال الدين ، وغضوا الطرف عن أقوال العامة من المعجزات والكرمات للأولياء ما يفوق الوصف[١٥] .

هذه المعجزات وجدت مكانها فى صفحات الكتب ، وخطب الوعاظ ، وأذهان العامة وأوجدت هوة سحيقة وأضفت على البشر انفصالا بينهم وبين الله سبحانه ، وكان للاسرائليات دخل كبير ، وبعض المفسرين نقل الكثير منها على ما فيها من بعد عن الحقيقة ، ولو كان مخلا بعصمة الأنبياء ، وأدخلوا القصص الخيالية بقصد الترهيب والترغيب ، وهذا كله من الأمور التى قبحها الشرع ، واستحسنها العقل[١٦] .

وأراد بعض الناس أن يتخذوا دليلا لاثبات دعاواهم ـ حول المعجزة ـ بآيات من القرآن الكريم ، وصرفوها عن معناها الحقيقى ، منها قوله سبحانه (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون)[١٧] . وهذا لفظ أورده الله سبحانه وصفا للمتقين المقربين ، دون أن يذكر شيئا عن قدرات لهم خارقة للعادة . وتخيلوا السند الآخر فى القرآن ، فقالوا عن الرزق الذى بعثه الله لمريم فى المحراب : (فلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)[١٨] ورأينا صاحب سليمان ، الذى أتى بعرش ملكة سبأ ، وكثير من هذا القبيل من الكرامات التى أجازوها لهم مما يضيق المقام عن حصره ..

" وثنيـة حديثة .. باسم العـلم "

يقول ـ عليه السلام ـ (العلماء أمناء الله على خلقه)[19] .

الناس دائما يرجعون الى عاداتهم الوثنية القديمة لدياناتهم ، وأرادوا الابقاء عليها ، فأدخلوا عليها سمات الاسلام ، وقرنوا أعيادهم بمناسبات ـ اسلامية مثل : عيد النيروز ـ زعموا أنه ذكرى اليوم الذى اختار النبى فيـه ـ عليا " رض" ـ خليفة له .

وكان العرب فى جاهليتهم يقدسون آثار أبطالهم وما يخلفونه بعد موتهـم . فلما جاء الاسلام . حولوا هذا التوقير الى آثار النبى والأولياء من بعده ـ صلى الله عليه وسلم ـ . كما يحكى : أنه فى الهند شعرات من شعر رأس الـرسول ـ عليه السلام تتحرك وتتكاثر من تلقاء نفسها !! . وأصبح الناس يقدسون الأحجار ، والأماكن التى ولد فيها الرسول ، وقبور الأولياء . كما حدث فى العصر العباسى وعبدوا الأفاعى والأحجار ، وذبحوا الذبائح والقرابين ، وقدموا البخور للتماثيل[20]

وفى العصر الحديث قامت ـ الحركة الوهابية ـ ضد هذا الفكر المخل بالقـيم والفكر الاسلامى . داعية الى اتباع سنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن هذه أفكار مدسوسة على الاسلام ، ووثنية تعبد من دون الله[21] ..

ومن الواجب أن يلاحظ : أن الانسان مادة ، وروح ، وكلاهما محتاج للغذاء ، والعقل يقوم بالبحث عن غذاء الاثنين معا ـ والروح حياة الجسد ، وسر من أسرار الله ، فغذاؤها الدين الذى وضعه الله لهداية النفس .

والعلم البشرى مهما كان لا يستطيع أن يقود البشرية الى الخير كله لقصور العقل الموصل للعلم ، الذى هو محض افتراضات قابلة للصحة والبطلان .. وينبهـر

الناس أمام التقدم العلمي . ويتجهوا لعبادته .. منخدعين بما فيه ، و مغترين بما وصلوا اليه . وأصبحت الدنيا رهن اشارتهم وانغمروا فى الشهوات ، ونسوا الله ، وابتدأ الانهيار الروحى والتزعزع العقائدى .

لكن أول مايجب الانتباه اليه : هو أن العلم الحديث ليس علما تفسيريا .. - بل وضعيا - والواقع أنه جزء من حقيقة الوجود ، ما فى ذلك شك ، وليس كل - حقائق الوجود .

والخطأ الذى وقع فيه العلم الحديث : أنه يكشف عن قسم صغير ، ثم يفسر به الوجود وتاريخه[٣٢] .

" وعندما انطلق العلم ليبنى الحاضر ، لم يكن يتبع أى نظام يمشى عليه ، وانما حسب الظروف والأشخاص الذين يستخدمونه ودرجة نبوغهم وعقولهم ، والاتجاه الذى يميلون اليه ، من رغبة لفعل هذا ، وترك ذاك . ومن هنا لا ينتظر أن يكون متكاملا فى أى فرع[٣٣] " .

ولهذا لم يستطع العلم أن يحل كل المشاكل التى وقع فيها العالم الآن ، من فقر ومرض وحروب ..الخ مايجره الى الهاوية .

والناس أصبحوا يحفرون قبورهم بأيديهم . لأن معظم النظريات العلمية ، سريعا ما تبدل وتحل محلها الأخرى ، زيادة على ذلك : المشاكل الغارقون فيها ، وسريعا مايستسلم الانسان لرغبته ولو كانت الحقيقة عكس ذلك[٣٤] .

والعقل البشرى ليس آليا ، فيستخدم المنطق والقدرة على الحكم ، وأنه ذو مشاعر يتذوق بها الأشياء ، ويبكى ويضحك . فالمنطق عنده يوضح صحة البرهان ، لكن الفكر هو الذى يبدأ فى التساؤل .. وهو الذى يستطيع اختراع النظريات ، ويقيم الدليل عليها ، ومع كل ذلك كثيرا مايقع فى الخطأ . تبعا لانفعالاته ورغباته المطلوقة ، ولا دين يحكمها . وحكمة الله فى تدبيره أن لاحياة للانسان بدون -

هذه الانفعالات ، وهذا احساس فطرى .

وهنا يتضح معنى : حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجها نظر العلما وأن لا يأخذوا الناس الى الضياع الروحى ، فيقول : (العلماء أمناء الله على خلقه)[٢٥] . وعليهم تحصيل العلم بطريقى البصر والبصيرة معا . أما بالبصر : فهو التعلم بالحواس ، أما بالبصيرة : فهو النور الروحى ، الذى يفرغه الله فى قلوب عباده فيكشف لهم ما يعلمون . يقول سبحانه (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب)[٢٦] .

ويقول ـ عليه السلام ـ (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما العلم بالتعلم . الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو أحق الناس بها)[٢٧] .

وكل الشرائع تنص على حاجة الانسان للشرع . وان العقل له علوم وطرق خاصة ممكن أن يسلكها بسهولة ، ولا تكون الا فى الماديات ، أى ـ فى العلوم المادية فقط " وهناك بعض المواطن فى الشريعة لم يحط الانسان بها علما ... مثل ـ القرآن الذى ما زال معظمه ، بل كله موضع عجز الانسان فى حقائق الكون وأسراره "[٢٨] يقول سبحانه (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[٢٩] . وتأكيدا لقصور العلم ، وأنه وحده لا يكفى لحاجات الانسان : هو وجود العوامل الفسيولوجية والنفسية ، وما الى ذلك من حزن ، وغضب وفرح وسرور . فعندما يضيع الأمل تضيع معه الحياة " ولا فائدة فى الدنيا لمن ملكها كلها ، اذا فقد روحه "[٣٠] .

فالايمان بالله جزء هاما فى العلاج الروحى للانسان . ومهما تقدم العلم فلا يستطيع أن يحمى البشرية مما فيها من اضطراب ، ولا يشفى القلوب المحطمة ، يقول سبحانه (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله قليلا ما تذكرون)[٣١] . وكان عليه السلام يلجأ الى الله فى كل الأوقات ..

داعيا الله سبحانه . ملتمسا منه الرجاء ، يقول عليه السلام - (اللهم برحمتك أستغيث - وقوله - ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى)[٣٢] . بل كان يدعوا الله فى كل لحظة من شئون حياته .

" ضعف الطالب والمطلوب "

ومهما تقدم الانسان فى العلم فلن يستطيع خلق جناح بعوضة ، أو ذبابة ، وما ذلك الا دلالة على الضعف الشديد ، والافتقار الى الله . لأنه هو الذى علمه كل شئ . والله سبحانه لم يتحد عباده لعلمه بضعفهم ، ولهذا يريد منهم الالتجاء اليه والاستعانة به . لأنه هو الذى يهئ الأسباب ويجعلها صالحة ، أو يجعلها تتعطل - أى ربط الأسباب بالمسببات - اذ فلا قيود ولا حدود لقدرته تعالى .

هذه بعض القضايا التى تجرى فى الكون ، مثل : وقف احراق النار لابراهيم وسلبها خاصيتها ، ورزق مريم الولد بدون الأب ، وهى قضية طرحها الله سبحانه ، وأعطاها للبشر ليزداد الذين آمنوا ايمانا ، يقول للمؤمن : " اذا ضاعت الأسباب فلا تيأس فأنا الذى خلقت الأسباب وأنا القادر على ايجادها ، فان عزت فلا تيأس فيأوى المؤمن الى ركن شديد " ومن هذا يعرف أن أسلوب العلم البشرى قاصر فالله لم يطلب من خلقه - أن يخلقوا كونا كالذى خلقه ، ولا أن يخلقوا مجموعة شمسية من المجرات الموجودة فى الكون ، أو يخلق انسان مثلهم . كل هذا لم يكن . بل تحداهم أن يخلقوا ذبابا - (يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)[٣٣] .

والعجيب أن الانسان وصل الى المريخ ، بل وصل الى أبعد الكواكب الموجودة فى مجرته الشمسية ، ووصل الى أغرب المخترعات العجيبة ، لكنه عاجز عن أن يخلق ذبابة حتى الآن . وهذا طلب ضعيف بالنسبة الى قدرة الله سبحانه الذى خلق ملايين الكائنات . وأقرب مثل على هذا « الماء » الذى خلق منه كل شىء حى . يقول سبحانه (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون)[٣٤]

فالمطر ينزل ليسقى الدنيا كلها وما فيها . من طير وزرع وانسان ، الذى يعجز عن الاتيان بقطرة منه ، مع أن عناصر تكوين الماء موجودة فى الكون أمام العلماء ، والمساحة الشاسعة من الصحراء محتاجة الى قطرة ماء . فهل استطاعوا شدها بالماء ؟[٣٥].

وقضية أخرى أشد تعقيدا ، ولم يستطع أحد أن ينجو منها ، يقول سبحانه وتعالى (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)[٣٦] . ويقول – صلى الله عليه وسلم (اللهم بك نموت وبك نحيا .. وفى رواية أخرى باسمك نحيا وبك نموت)[٣٧] ويقول – (ان الموت أدنى للانسان من شراك نعله)[٣٨] .

تقولون فى العلم ، ان الموت يحدث بسبب جراثيم كذا ، وأمراض كذا ، اذن شيدوا برجا وضعوا فيه انسانا ، وأبعدوه عن كل المخاطر التى تخطر فى رأيكم وفى علمكم والتى تكون سببا فى الموت – فلا يحارب ولا يمشى فى أمكنة الحوادث ، ولا يستنشق هواء ملوثا ، ولا طعاما فاسدا ، وقدموا له كل ما توصل له العلم من أحدث الوسائل الصحية ، فهل تستطيعوا أن تكتبوا لذلك الانسان الخلود ؟ . والجواب طبعا : مستحيل ، لأن الله هو الذى يحى ويميت ، والأسباب لا تفعل بنفسها ولكن بارادة الله سبحانه ، وهل يستطيع العلم أن يعلم شيئا عن قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت)[٣٩] .

فهذه تحديات للعلم دالة على قصوره ، وما زالت قائمة حتى الآن وإلى أن تقوم الساعة !! .

وأساس الحياة البشرية لم يتغير ، ولم يستطع أحد أن يبدله . ولا ينكر ما قدمه العلم للبشرية من رفاهية وسهولة ، ولكنه لا يعطي مقومات الحياة . والعلم اذا استطاع أن يكتشف بعض الكائنات ، فهذا شيء عظيم . لكنه لا يستطيع أن يغير مقومات الحياة على الأرض . من هواء وماء ، وطعام ، ضروريات ثلاثة لحياة الانسان عليها . فالهواء ضروري فلا حياة بدونه ولو لدقيقة ، وكذا الطعام والشراب .. لهذا فان الله أخرج الهواء من قدرة البشر حتى لا يتحكم الناس فيه ويهلك بعضهم بعضا ، فجعله متساويا بينهم مباحا للجميع[٤٠] . ثم يأتي الماء في المرتبة الثانية ، فلا أحد يستطيع منعه الا بحقه . والطعام يأتي في المرتبة الثالثة . حيث من الممكن أن يعيش الانسان بدونه لمدة طويلة ..

ونظرا لأن الكمية التي يحتاج اليها الجسم من الطعام قليلة نسبيا ، يرى ذلك واضحا في قوله – عليه السلام – ومحذرا أمته من ملء بطونهم ، يقول : (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن آدم من لقيمات يقمن صلبه . فاذا كان ولا بد فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه[٤١] ..) لأنه كلما زادت كمية الطعام في الجسم فسدت الصحة . يؤكد ذلك قوله عليه السلام : (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل بلاء .) ولهذا فالعالم لم ينقذ البشرية مما هي فيه[٤٢] .

" الدين .. والعقل "

الانسان ضعيف . وهذا شئ فطرى يشعر به .. فعند الشدائد يجد فى نفسه الرغبة الجامحة لقوة كبيرة يحتمى فيها من المخاوف .. فيلجأ لله سبحانه - لحاجته اليه . يستمد منه العون والرشد .

والانسان بما وهبه الله من عقل ، وما يتميز به من احساس ، يرغب دائما فى الرفعة وطلب المعرفة ، ولا يقف ذلك عند حد .. ولهذا فاحتياجه لمن ينظم له أموره هذه ضرورى ، وهذا المنظم الذى يتلائم مع فطرته هو : الدين . فهو محتاج اليه أكثر من احتياجه للماء والطعام .. ومن يدعى خلاف ذلك فدعواه باطلة . بدليل أن الأمم التى فقدت هداية السماء لم تنفعها العقول البشرية ، فضلت وهلكت وسلطها الله على نفسها فأهلكتها ، يقول سبحانه (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)[٤٣]

فالعقول آلة ادراك ، كحاسة العين . والعين لاتبصر الا فى النور ، والعقل لا يدرك الا على ضوء الشرع الالهى ، والا تكن مغالطة لمن يعتقد خلاف ذلك .

والعلم لم يتوصل للمعلومات الا بالشرع ، فما عند الناس من معارف وعلوم وفنون ، وأخلاق وآداب ، فهى بلا شك مأخوذة من الشرع . اما بالنص اللفظى ، أو الاستنباط ، ثم العلم المادى مقصورا على نفع الانسان فى - الجانب المادى ، أما الجانب الروحى : فلم يخدمه العلم بشئ ..

ان العلوم المادية لم تتجاوز الكشف عن بعض ظواهر الكون ، يقول سبحانه (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا)[٤٤] . فكيف تستطيع خدمة الروح ، ولم تكسر

حجاب المادة ، ولم تعرف العلل الكونية ./[45]

والعقل نفسه يقدم الدليل على وجوب الايمان بالله سبحانه ، فيتساءل : أليس الكون بما فيه من سماء ومخلوقات وبديع صنع ... ومن خلق الأرزاق ، وهدى الانسان الى طلبها ، والحصول عليها ، واستمرار نوعها ؟.. فالعقل يقول : ابحثوا عن الموجد والمبدع .. (أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)[46] . ان العقلاء يقولون جميع الكائنات التى تخضع للحس والمشاهدة . مادة ، والمادة ميتة ، والميت لا يخلق الحى ، فكيف يهب الحياة وهو ميت ؟[47].

وعلى هذا فالتدين ضرورى لكل البشر ، وقد توجد جماعات بدون علوم وفلسفات لكن لم يعرف اطلاقا جماعة بدون دين .)) [48] .

" وأحيانا يتلاشى من الأذهان كل ماهو مرغوب محبوب ، وأحيانا يبتعد العقل عن العلم والصناعة ، لكن من المستحيل أن ينسى الانسان التدين .. ويبقى هذا دليلا ناطقا على بطلان الالحاد ، الذى يهدف الى حصر الفكر فى حيز غير طيب على الأرض ."[49]

ومادام العقل يحس بالجمال والقبح ، فى هذا الكون الذى أحكمت نشأته . سيبقى التدين .. وحتى من قالوا بالمادة : لم يستطيعوا الفرار من التدين ، فقالوا : بقوة خفية أسموها ـ الطبيعة[50] ـ . فالعقل لايعرف الحقيقة ، وان لمس ظاهرها (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[51] .

وتتيجة لما سبق . من قصور العقل ـ كانت الحاجة ماسة لارسال الرسل لهداية الانسان الى ماوراء العقل . وأيضا رفع الله العذاب والتكليف عن الذين لم يبعث لهم رسول ، والا لكانوا مكلفين متروكين لعقولهم ، لما قال سبحانه : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[52] . وأيضا لو كان العقل هو المسيطر .. لعبد الناس اله واحدا ، لكن بعضهم عبد الشمس ، والآخر عبد الحجر ، والقمر ... الخ ..

والتدين يحكم سلطان الشهوة فى العقل ، والا أصبح العقل نارا مهلكة ، موصلا صاحبه للشك والحيرة . لأن الأمم فى عرفها وتقاليدها مختلفة .. فما هو مباح فى أمة ، محرم فى أخرى .. من هنا كان التدين منظما وموحدا لحياة المجتمعات وموجها لهم للخير والحق[٥٣] .. (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية . لأن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون)[٥٤] .

" العقيدة تدفع المؤمن .. لمعرفة الكون "

فى أول سورة فى القرآن ، يقول سبحانه (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)[٥٥] .

فالعقيدة تدفع المؤمن للايمان بخالق الكون ، والايمان هذا فطرى فى الناس يقول عليه السلام ـ (ما من مولود يولد ، الا على الفطرة)[٥٦] .

والانسان اذا أراد التغلب على مشاكل الحياة ، وينسجم مع الكون الذى يعيش فيه لابد له من الايمان بخالق هذا الكون ، بذاته وبصفاته ، والايمان باليوم الآخر وما فيه ، والايمان بالرسل الذين بلغوه هذه الأمانة ..

والواقع والمشاهد يكذب استغنا ء الانسان عن الدين والعقيدة ، أيا كانت هذه العقيدة . حتى من يدعى هذه الأيام أن العلم يغنى الانسان عن التدين ، وقالوا : " ان الانسان لم يخلقه اله ، بل هو الذى خلق الاله "[٥٧] . فالواقع يكذب هؤلاء ، وما فى عباراتهم من تضليل واهدار لعقل الانسان . فالوثنيون هم الذين خلقوا آلهتهم بأيديهم ، وصنعوها من الأحجار ، وعبدوها بأهوائهم ، ويلجأون ـ اليها ، مثل : خوفهم من مظاهر الكون ، من رعد وبرق وفيضان ، وعواصف وزلازل ،

ثم من مرض وفقر .. الخ .

لكن الاله الذى خلق السموات والأرض وما فيها الانسان ، وكرمه على سائر المخلوقات الأرضية . بارسال الرسل ، هو ذلك الاله الذى يجب أن يعبده بحق .. حتى من قالوا بالاستغنا عن الايمان ، مازالوا يخافون المرض ، ومظاهر الكون وتهز مشاعرهم أسراره ، لكنه عناد الانسان (كلا ان الانسان ليطغى إن رآه استغنى)[٥٨]

ان جميع الوسائل التى يملكها الانسان ، لم تدفع عنه غول الطبيعة ، وما يعانيه من ضياع روحانى يزداد يوما بعد يوم[٥٩] .. زد على ذلك وبا الكوليرا ، والسرطان ، والجنون ، وغير ذلك من أمراض التى تفتك بملايين البشر .. وحتى الآن لم يستطع العلم حل هذه المشاكل[٦٠] .. وكذا المجاعات والفيضانات التى تجرف ملايين البشر وبيوتهم سنويا . هل استطاع العلم أن يضع حدا لها ، اذا كانت كما يقول أنها أشيا طبيعية ؟؟ . بل ازدادت مصائبه ، وتمزقت شخصيته ، وفقد طعم الحياة ولذة الوجود ، وصار أسيرا لشهواته كاذبا ، خائنا ، مجرما ، منافقا ، فسا المجتمع الذى يعيش فيه[٦١] ..

والحقيقة العلمية الثابتة بقوانين الشرع " ان الانسان دائما فى حاجة للايمان ، وأن الدين ضرورة فى حياته ونفسه ، ولم توجد أمة على ظهر الأرض بلا عقيدة[٦٢] " . يقول سبحانه (وان من أمة الا خلا فيها نذير)[٦٣] . والنذير هنا : نبى أو رسول .

" من عاش فى هذا الكون خلوا من العقيدة ، كان فيه كالريشة الطائرة فى مهب الريح بغير قرار "

ان للعقيدة أثر فى السلوك الانسانى ، والتقدم الحضارى ، زيادة على دورها فى علاقة المؤمن بربه . وجعلت الانسان يشعر بأخيه الانسان . وكلمات الله أيقظت العقل والقلب الى الذكر والبحث ، فى كل دروب الحياة ، والنظر فى الكون[٦٤] ..

الباب الثامن

الأسلوب العلمي .. والقانون الوضعي

المراجع .. والتعليقات :

(١) الشيخ محمد عبده " العروة الوثقى " ط١ ، دار العروبة ، القاهرة ،
ص٤٩ ـ ١٩٥٧م .

(٢) د. زكي نجيب محمود " تجديد الفكر العربي " .
والملاحظ : أن الحواس أيضا قاصرة وما هي الا مطية للعقل ، يعتمد عليها .

(٣) يوسف القرضاوي " الاسلام بين شبهات الضالين " مكتبة المنار ، ص٩ .

(٤) تحت عنوان " وجهة نظر " عصر الذرة والفضا " ـ مجلة البلاغ ، عدد ٥٢٢ ـ
١٩٧٩م الكويت ، ص٤٢ .

(٥) فتحي عثمان " آراء تقدمية في الفكر الاسلامي " .

(٦) نرى ذلك واضحا في كتابات ـ ابن حزم ـ الذي التزم الدلالة الظاهرية ،
ومع ذلك ظهرت له آراء غاية في الدقة والاستقامة ، وهكذا كان ـ
ابن تيمية ـ ووصل الأمر الى ـ أبو الأعلى المودودي ـ في باكستان ،
و ـ أبي الحسن الندوي ـ في الهند ، و ـ السيد قطب ـ في مصر وغيرهم .

(٧) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي " القول السديد في مقاصد التوحيد " ط٣ ،
ص٩ ـ مؤسسة النور للطباعة والنشر ـ الرياض ، السعودية / ١٩٦٤م .

(٨) مثل النظام الشيوعي ، الذي لا مكان للدين في فكره ، ووضعهم رؤساء
الدولة في مكان التقديس ، ووصفهم بالخالدين ، واقامة التماثيل لهم
في كل مكان ، وتحولت قبورهم الى مزارات مقدسة ، تؤمها الملايين من
أجل القاء نظرة ، وجعلت مؤلفاتهم بمثابة الكتب المقدسة ، مثل ـ ماركس
ماركس ولينين ، والميثاق .. الخ .

(٩) حسين أحمد أمين " أولياء الله " مجلة العربي ، عدد ٢٢٦ ـ ١٩٧٧م ص١٣٩

(١٠) سورة التوبة / ٣١ .

(١١) أخرجه أحمد بن حنبل ـ والترمذي .

(١٢) د. محمود الشريف " بين العقيدة والتطور " مجلة الفيصل ـ عدد٢٢ ،
ص٣١ ـ ١٩٧٩م ـ السعودية . و عقيدة المؤمن ـ لأبي بكر الجزائري .

(١٣) سورة الأنعام /٥٠ .
(١٤) " " الأعراف/١٨٨ .
(١٥) ولست أنكر الولاية والأوليا* . ولا أنكر الكرامة ، ولا نعمة الله على بعض عباده ، لكنه لم يعط غيبه لأحد . لست أنكر هذا كله ، لكن تقديس الأوليا* هذا ما أعترض عليه ، بدليل ما ذكر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فانما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله) البخارى .
فلا تقديس الا لله سبحانه .. لكن بعض الفقها* غضوا الطرف وتجاهلوا عن ما يفعله العامة . بل لقد أيد ثلاثة ، يعدوا من فطاحل المفكرين فى الاسلام ، هم : ١ - ابن سينا ، فى كتابه " الاشارات " وال ٢ - الغزالى ، فى كتابه " الأحيا* ، ٣ - ابن خلدون ، فى " المقدمة " وان كان البعض ، كالمعتزلة والحنابلة والوهابيين ، قد حاربوا هذه البدعة مستندين لقولة عمر للحجر الأسود : " والله انى لأعلم أنك لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك " هذا مما ذكر فى تاريخ الطبرى .
ولقد تغالى بعض الناس فى الحديث عن كرامات الأوليا* ، وذكروا عنهم كرامات تفوق معجزات الرسول "ص" فقام بعض العلما* والفقها* ونسبوا للنبى معجزات تفوق كرامات هؤلا* الأوليا* ، وأصبح الأمر كأنه مضاربة فى سوق ، ولم يراعوا العقل ولا المنطق فيما نسبوا عنه "ص" أنه : أطعم جيشا بأكمله من صفحة تمر " وسقى الجيش كله من كوب وضع فيه أصبعه " الخ ..
وهكذا كلما تكلم الفقها* عن كرامة للأوليا* ، بادرت العامة فنسبت للنبى معجزة تفوقها روعة ، ومن أمثلة ذلك . ما ورد فى " تاريخ الخميس للديار بكرى ، ٢ / ٥٨ ، عن أسما* بنت عميس ، زوجة جعفر بن أبى طالب من طريقين : أن النبى "ص" : كان يوحى اليه فى خيبر ، ورأسه فى حجر على ، فلم يصل " على " العصر حتى غربت الشمس ، فقال له الرسول "ص" : أصليت يا على ؟ قال : لا . فقال النبى "ص" اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس " ، قالت أسما* : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، وهذا حديث ثابت الرواية عن ثقات وانى أتساءل ، أى عقل هذا ؟ الذى يفترى ويكذب على الرسول "ص" - ويحمله فوق طاقة البشر ، ولو كان هكذا حال الرسل جميعا .. لخرجوا عن بشريتهم ، ولما تعرضوا من أقوامهم للعذاب وتحمل المشاق . بل نجد أنهم أهينوا ، وجاعوا وقطعوا الشهور سيرا على الأقدام ، ولم يطيروا فى الهوا* ، انهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق " ان هذه الأفكار تهدم الاسلام ، وتضر ولا تنفعه ، وكان من السهل على الرسول "ص" : أن يشير بأصبعه على إعدائه فيهلكوا .. لكن التاريخ يروى خلاف ذلك . ومن هنا يناقض فكر المسلمين بعضه بعضا . فأيهما -

تصدق أيها العقلاء !!.

ولم يقتصر الأمر على الرسول " ص " بل تعداه لصحابته ، فليس من الذوق أن يترك كبار الصحابة بدون معجزات أيضا ، وذلك تمهيدا لتقديس الأولياء بعد ذلك . فيروى : " أن على بن أبى طالب ، تناول باب حصن خيبر وكان من حديد ، وقلعة وترس به عن نفسه ، فلم يزل يقاتل ، وهو فى يده ، وحمله على ظهره ، وجعله قنطرة حتى دخل المسلمون الحصن ، ولما انتهت الحرب ، ألقى الباب على بعد ثمانين ذراعا " ولزيادة التأكيد مما ذكره ، د. رمزى نعناعة ، فى كتابه " بدع التفسير فى الماضى والحاضر " - مما روى عن أبى رافع ، وكذا أيضا فى " المواهب اللدنية " أن عليا " قلع باب خيبر ، ولم يحركه سبعون رجلا " ومن هذا القبيل ، ما ذكر فى " شرح المواقف " وكذا فى " رسالة الخضيرى " فلو كان عليا تأتى على يديه المعجزات ، وخرج عن بشريته ، لتغير الوضع فيما حدث بينه وبين عائشة ، وبين معاوية ، ولما مات مقتولا !!.

انهم بشر ، أخذوا بالأسباب وتركوا الأمور الخارجة عن ارادتهم لله سبحانه .

(١٦) من هؤلاء المفسرين : أبو اسحاق بن ابراهيم الثعلبى النيسابورى - م ٤٣٧ هـ - فى كتابه " الكشف والبيان عن تفسير القرآن " هذا التفسير مخطوط ، ومنه أربعة أجزاء - فى مكتبة الأزهر ، من أول القرآن الى آخر سورة الفرقان ، وأيضا - علاء الدين بن خليل الشيحى البغدادى - المعروف بالخازن - م ٧٤١ هـ - فى كتابه " الباب التأويل فى معانى التنزيل " .

(١٧) سورة يونس / ٦٢ ، و ٦٣ .

(١٨) " " آل عمران / ٣٧ .

(١٩) أخرجه الشهاب .

(٢٠) حسين أحمد أمين " أولياء الله - العربى - عدد ٢٢٦ ، ص ١٣٥ - ١٩٧٧م

(٢١) " كتاب التوحيد " للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ص ٣٤ ، مطبعة دار الأصفهانى - جدة / ١٩٧٠م .

(٢٢) سعد الدين العثمانى ، " العلم الحديث " مجلة العلم - ص ١٩ - تونس ١٩٧٢م

(٢٣) الكسيس كاريل " الانسان ذلك المجهول " و حيد الدين خان " الاسلام يتحدى " مؤسسة العلوم - تونس ١٩٧٤م .

(٢٤) قانقربوش " ليس بالعلم وحده " مجلة العلم - تونس ١٩٧٣م .

(٢٥) بحثت عنه فى - المعجم المفهرس للحديث النبوى - فلم أجده لكنى وجدت حديثا بلفظ آخر هو " ان شهداء الله فى الأرض أمناء الله - رواه أحمد ابن حنبل ، ج ٤ .

(٢٦) سورة البقرة / ٢٦٩ .

(٢٧) أخرجه البخارى - باب العلم .

(٢٨) وابن أولت ، متخصص فى علم الكيميا ٔ - جامعة أمريكا - نيويورك - " الله يتجلى فى عصر العلم " ترجمة - د٠ عبد المجيد سرحان ٠ ص١٣١
(٢٩) سورة النسا ٔ / ٨٠ .
(٣٠) كان د٠ لبول أرنست أدولف - وهو من أعضا ٔ جمعية الجراحين ، بأمريكا جا ٔته مريضة كبيرة السن ، كسرت بعض عظامها ، وبعد تماثلها للشفا ٔ السريع ، جا ٔت ابنتها لزيارتها ، وأخبرتها بشفا ٔ أمها والآن من الممكن خروجها ٠ وانتحت البنت بأمها جانبا ، وأخبرتها أنها وزوجها اتفقا أن يأخذا الأم الى أحد ملاجى ٔ العجزة ، لعدم استطاعتهما - مصاحبتها للمنزل معهم ٠ وكان صدمة قوية للأم أثرت فى حالتها النفسية وبعد ساعات استدعى الطبيب لاسعاف الأم ، وحزن جدا فقد وجدها تحتضر ثم أسلمت الروح ، وبعد فحصها قال : " انها لم تمت بسبب كسر عظامها ، وانما ماتت من انكسار قلبها "
(٣١) سورة النمل / ٦٣ .
(٣٢) م٠ م ٠ صديقى " الأسس الاسلامية للعلم " ص٩ - عن المسلم المعاصر - عدد ١٧ / ١٩٧٩م - بيروت ٠
(٣٣) سورة الحج / ٧٣ .
(٣٤) " " الواقعة / ٦٨ ، ٦٩ .
(٣٥) الشيخ الشعراوى " معجزة القرآن " ص١٢٦ .
(٣٦) سورة النسا ٔ / ٧٨ .
(٣٧) رواه أبو داود - الأدب .
(٣٨) أخرجه البخارى - المدينة .
(٣٩) سورة لقمان / ١٣٤ .
(٤٠) الـ " معجزة القرآن " ص١٢٨ .
(٤١) أخرجه ابن ماجه - الأطعمة ، والترمذى - الزهد .
(٤٢) أعتقد أنه مستحيل ٠٠ وقضية الشرق الأوسط ، والشعوب الفقيرة ، مثل : أنجولا ، وفلسطين ، وبنجلاديش ، وغيرهم كثير ، ليست بخافية على أحد ، ولا منقذ لهم الا تشريعات الاسلام العادلة ، ليعيش الانسان فى طمأنينة فى ظل عدل الله - وما قدر الله حق قدره .
ويستخلص مما سبق : قصور العقل البشرى ، وانه لا غنى للانسان عن الدين وحاجته الماسة الى قانون يضبطه ، ويعدل من غرائزه ٠ قانون لا يعتمد على العقل البشرى اطلاقا ، ولا دخل لأهل الأرض فيه .
(٤٣) سورة الأحقاف / ٢٦ .
(٤٤) " " الروم / ٧ .
(٤٥) أبو بكر الجزائرى " عقيدة المؤمن " ص٣٠ .
(٤٦) سورة الطور / ٣٥ .
(٤٧) "عقيدة المؤمن " ص٣٤ .

(٤٨) هنرى برجسون " أضواء على الحركات الهدامة " عدد ١ مكتبة المنار ـ الكويت ، ص٥ .
(٤٩) أرنست رينان " تاريخ الأديان " .
(٥٠) محمد فريد وجدى ، فى دائرة معارفه ـ تحت لفظة " دين " طبع فى مصر / ١٩٦٠م دار الكتب المصرية .
(٥١) سورة الإسراء / ٨٥ .
(٥٢) " " " " / ١٥ .
(٥٣) الشيخ حسيم جوزو ـ يوغسلافيا " خطأ العلم " مجلة البلاغ ، عدد ٥٢٧ ـ ١٩٨٠م ، ص٣٦ . والأستاذ محمد المتولى القطامى " دين ودنيا " منبر الإسلام ، عدد ١١ ، ص١٣٦ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة .
(٥٤) سورة الأنعام / ٦٣ .
(٥٥) " " البقرة / ١ ، ٢ ، ٣ .
(٥٦) لمخرجه البخارى ـ باب الجنائز ، وأبو داود ـ فى السنن .
(٥٧) عبارة من قاموس ـ الشيوعية الماركسية ـ عن كتاب " عقيدة المؤمن "
(٥٨) سورة العلق / ٧ .
(٥٩) أحمد عبد الله المضراد " الدين والحياة " مجلة البلاغ ، عدد ٤٩٨ ، ١٩٧٩م ، ص٢٩ ـ الكويت .
(٦٠) لم يحدث يوما أن استغنى ـ العلم عن الدين ـ وأفردت له بابا خاصا فى الخاتمة ، وفى الباب العاشر أيضا .
(٦١) "عقيدة المؤمن " ص٣٤ .
٦٢) قال بزماك ، المؤرخ الاغريقى .. مقررا الحقيقة ، التى قررها القرآن " وجدت فى التاريخ مدن بلا حصون ، ولكنه لم أجد مدن بلا معابد ..
(٦٣) سورة فاطر / ٢٤ .
(٦٤) د. محمود بن الشريف " بين العقيدة والتدلور " مجلة الفيصل ـ عدد٢٢ ، ص٣٩ / ١٩٧٩م ـ السعودية ، وعباس العقاد " عبقرية محمد " .

الباب التاسع

الحديث ... والاكتشافات الطبية

* عطاء متجدد .. ..
* القلب .. ..
* النوم على الجانب الأيمن .. ..
* الطعام .. ورحلة داخل الجسم .. .. ..
* الصلاة .. وهضم الطعام .. ..
* كلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا .. ..
* طعاما طيبا .. ..
* النظافة .. ..
* أطعمة محرمة .. ..
* كذب بطن أخيك .. اسقه عسلا .. .. ..
* التمر .. ..

"عطاء متجدد"

ليس أعلم بالكون من خالقه سبحانه وتعالى . والله أنزل القرآن على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وقام بتبليغه بالحرف، حتى ولو كان النازل من القرآن فيه عتاب له - عليه السلام - بدليل : قل هو الله أحد - قل يا أيها الكافرون - يا أيها النبي اتق الله ، واتق الله وتخفى ما فى نفسك ، فقد حكاها بلفظها وحروفها كما نزلت [1] ..

والرسول - صلى الله عليه وسلم - حكى عن الكون أشياء . لم يدركها العلماء الا هذه الأيام ، وحكى عن الانسان وطبيعته ، ورسم له الطريق الصحى السليم ، كأعظم طبيب ماهر فى هذا العصر . بل فاق ذلك كله .. لأن ما زال عطاؤه متجددا ، مع أنه لم يمارس شيئا من هذا بالتعليم " انما علمه شديد القوى [2] " .

وكيف يتكلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء : طبية ، أو علمية ويقحم نفسه فى نظريات ، وعلوم من الممكن فيما بعد تتعرض للخطأ ؟ وحوله أعداء يتلقفون ، ويتلمسون له أى خطأ ، وخاصة أهل الكتاب . من يهود ونصارى ، زيادة على الكفار ، وما يهدفون له من تحطيم دعوته وتكذيبه .

وتمضى السنون والقرون ولم يأت ما يناقض القرآن فيما قال ، ولن يأتى ..

لأنه لو فرغ القرآن من تجدد اعجازه فى أى قرن سيستقبل القرون القادمة دون - اعجاز .. وتنتهى معه رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن القرآن هو معجزته الباقية ، ويعطى لكل جيل قدر طاقته ، ولكل فرد قدر فهمه ، عطاء غير مجزوز .



ووقت نزول القرآن . لم يتعرض الرسول لتفسيره الا بقدر ما تتطلبه الشريعة فى - افعل ، ولا تفعل - وما يخص مصالح الناس ، وقليل ما تعرض للكون وما يتصل بقوانينه

وكانت اجابته على قدر السؤال . والمسلمون وقتها لم يكن لديهم الوقت الكافى والاستعداد لفهم حقائق الكون ، وبمرور الزمن ظهرت حقائق علمية حديثة ، لم تعارض ما أتى به القرآن[٣] ..

وكل الحقائق العلمية التى تحدث عنها العلماء فى السنوات الأخيرة ، أشار لها القرآن ، فى قوله سبحانه (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٤] . والمفسرون قالوا ان حرف ـ س ـ معناه المستقبل ، والمستقبل لا ينتهى[٥] .. الاحين يأذن الله بنهايته

والله أخبر عن حقائق سيعرفها كل جيل على حدة . لكن ليس معنى هذا : أن يفسر القرآن على أنه كتاب جاء بعلوم الدنيا . من هندسة ، وطب ، وزراعة ، وجغرافيا ، وفلك .. الخ . بل كتاب عبادة ومنهج هداية . يقول سبحانه (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين[٦]) .

والحقائق التى تكلم عنها القرآن ، موجها نظر الناس لاكتشافها ، والانتفاع بها عندما يحين الزمن المناسب لكل جيل ، مثل الشمس ، ودوران الأرض ، وجاذبيتها والليل والنهار ، وعلم الأجنة والأرحام ، وكل ما يتصل بالنوع البشرى فالناس ينتفعون بذلك كله . سواء عرفوا الجاذبية أم لا .. أو عرفوا شيئا عن الطفل فى الرحم ، أم لا . ومع ذلك يواصلون الانجاب[٧] .

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أحاديث كثيرة فى شتى المجالات .. وعلى سبيل المثال ، لا الحصر . ~~يتعرض البحث لقليل منها~~ : ها يأتى : ـ

.. القلب ..

جسم الانسان وحده ، ملكوت كبير . فيه من الأجزاء ما لا يعرف عنه غير اسمه

فقط .. والقلب من الأجزاء التى تتوقف عليها حياة كل كائن حى ..

ولقد ذكرت لفظة ـ قلب ـ فى القرآن كثيرا ، منها قوله سبحانه : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)[8] . ويقول ـ عليه السلام ـ (ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله . واذا فسدت فسد الجسد كله ..... ألا وهى القلب)[9] .

قديما تكلم عنه الشعراء . واقترن فى ذهن البشرية بالحب والعواطف .. لكن فى السنوات الأخيرة ظفر ذلك العضو المسكين باهتمام أطباء الجسد البشرى وأصبح يسمى " مرض العصر " والسبب كثرة الأعباء الملقاة على عاتقه ، لاتصاله بكل شرايين الجسم ، وأوردته . وباعتباره أكثر أعضاء الجسم حساسية وتأثرا بكل ـ ظروف الحياة ..[10]



ومنذ زمن طويل عرف الانسان ـ القلب : على أنه سر الحياة . به الحياة والموت وحتى الآن فان أول ما يفعل الطبيب نحو المريض ، سماع دقات قلبه ، حاكيا حاله ، أى أصبح الكشف عن مكنون القلب ، هو نقطة الأساس فى الطب ، وهكذا اهتدى الطب الى بعض ما أشار اليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتقريره حول تلك ـ المضغة ـ التى ان صلحت صلح معها الجسد ، وان فسدت فسد معها الجسد .

والحديث يهدف الى حقيقة هامة فهى ربط البدن بالنفس ، وتوافر صفاء القلب متوقف على الهدوء والطمأنينة ، والطاقة الروحية للانسان فى قلبه متمثلة فى الدين والايمان ، ومن غيرهما يهلك الانسان نفسه ، ويفسد قلبه ، ولا يحول بين ذلك كله الاضوء الايمان ..[11] (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)



واذا كان ـ مرض القلب ـ مرض العصر مصدره جرثومة شيطانية تصيب القلب ، ولا دواء يقضى عليها سوى الايمان !! . فان عددا غير قليل من علماء ومفكرى العالم فى الدول المتقدمة ، نبهوا الى خطورة الالحاد ، ومقاومته ، والتخلص من نزعة عدم التدين ، وحجب نور الايمان عن القلب .

واذا كان صلاح حال الانسان ، مسألة تتعلق بالقلب ، فصلاح حال العالم كذلك متعلق بالقلب .

وبالقلب يرى الانسان الله سبحانه .. وبما أن رؤية الله بالعين فى الدنيا[١٢] مستحيلة .. لكنها ممكنة عن طريق القلب ، ولا يسمع لقول من قال : لماذا لم نر الله جهرة ؟ . لكن ليس كل ما فى الدنيا يرى بالعين أيضا ، مثل : " المجال المغناطيسى " وكذلك " الأشعة السينية " و " الأشعة تحت الحمراء " " وكذا .. " الغازات ، والهواء " ، والموجودات فيما وراء " الكون المرئى " كل ذلك لا يرى بالعين . وعدم رؤيتها لا يدل على عدم وجودها ، لكن بما تحدثه من أثر ، مثل موجات الراديو ، والتليفزيون ، وبالمثل . الله جلت قدرته يتجلى فيما صنع فى هذا الكون[١٣] ..

" النوم .. على الجانب الأيمن "

النوم من الأشياء الهامة للانسان ، ولصحته ، وبدونه لا يستقيم حاله ، يقول سبحانه (وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا)[١٤] . ويقول ـ عليه السلام ـ (اذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه ثلاث مرات ، وليقل : باسمك ربى وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسى فارحمها ، وان أرسلتها فاحفظها ، بما تحفظ به عبادك الصالحين)[١٥] . وفى رواية أخرى : (اذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل . اللهم انى أسلمت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك باسمك ربى وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، ان أمسكت نفسى فأرحمها ، وان أرسلتها فاحفظها ، بما تحفظ به عبادك الصالحين)[١٦] .

وفى الحديث احتياط وأخذ بالأسباب ، والتسليم المطلق لله سبحانه ، والحى

المميت ، منح الحركة ، ثم قهر الناس بالنوم والموت . فباسمه الرقاد والصحيان وطلب المغفرة .. [١٧] هذا قول الرسول .. فما قول العلم والطب الحديث : يقول :

ان الاضطجاع ، أو الاستلقاء على الفراش ، يكون على أربعة أوضاع :

١ ـ النوم على البطن : يصيب الانسان بضيق فى التنفس ، لعدم استطاعة الصدر التمدد ، أو التقلص ، عند الشهيق أو الزفير ، فيكون التنفس صعبا بسبب ثقل كتلة الظهر العظمية ، فتمنع ذلك ، بالاضافة الى جانب الضغط المباشر على الأحشاء .

٢ ـ النوم على الظهر : يسبب هذا الوضع التنفس من الفم ، لأنه ينفتح عند الاستلقاء على الظهر ، باسترخاء الفك الأسفل ، والتنفس من الفم غير صحى ، ويمكن تشبيهه بمن يشرب من أنفه . أما التنفس من الأنف هو الأسلم ، وهو الشئ الطبيعى لما فى الأنف من خياشيم وشعيرات تلتقط الغبار مع تسخينها للهواء بما يعادل حرارة الجسم حتى لا تضر الرئة ، والمتنفسون من أنوفهم أقل تعرضا للكثير من الأمراض المعدية ، والتنفس من الفم يصيب اللثة بالجفاف ، والتهاب الحلقوم مع تعرض الأسنان للمرض . الى آخر مايقوله الأطباء .

٣ ـ النوم على الجانب الأيسر : أثبتت التجارب أن مرور الطعام من المعدة الى الأمعاء يتم فى مدة تتراوح ، ما بين ساعتين ونصف ، والأربع ساعات ، اذا كان النائم على جنبه الأيمن . وهذه المدة تنخفض الى النصف اذا كان النوم على ـ الجانب الأيسر . بالاضافة الى ضغط الرئة اليمنى على القلب ، وتقلل من حركته . وعلم التشريح يوضح أن الرئة اليمنى أكبر من اليسرى . ثم الكبد أيضا يكون معلقا وهو أثقل الأحشاء ، وهذا فيه من الضرر مافيه ..

٤ ـ النوم على الجانب الأيمن : هو الصحيح ، فيأخذ الطعام مدة أطول فى الأمعاء مما يفيد الجسم ، ثم القلب يأخذ حرية الحركة ، مع استقرار الكبد ـ

مستريحا[١٨] .

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يدخل كلية الطب ولم ير علم التشريح ، ثم مع ذلك يعلم الأمة . ما أثبتت التجارب الحديثة صحته . علاوة على الجانب الأخلاقي والأدبي في هيئة النائم ، كي لا يزعج من حوله بشخيره وغطيطه . وذلك بسبب نومه على الظهر ، حيث أن اللهاة تقفل الخيشوم وتعيق مجرى التنفس ، فيكثر لذلك الشخير المزعج[١٩] .

لهذا أيضا كان - عليه السلام - يحب التيامن في كل شيء .

" الطعـــام .. ورحـــلة داخـــل الجســم "

لو لم يكن في بديع صنع الانسان ، سوى أنه يأكل الطعام والشراب ، في مدخل واحد . ثم يخرج كلاهما من مخرج منفصل عن الآخر : لكفى ذلك عجبا !! . والأعجب مايفعله الجسم بالطعام والشراب . من اختيار مايتناسب معه ، ثم يرمي بالنفاية .. فتبارك القائل (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[٢٠] . ويقول - عليه السلام - (اللهم اني أعوذ بك .... " ... و" من نفس لا تشبع)[٢١] . ويقول (اياكم والبطنة في الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم .. الخ الحديث)[٢٢] .

ولو فكر الانسان وهو يأكل ، كيف يأخذ الطعام طريقه داخل الجسم . مبتدئا من الفم ، حتى خروجه من الجسم .. انها معجزة تتجدد كل يوم في خلق الله . وكذا التنسيق المدهش بين عضلات الشفات والخدين ، والفكين واللسان . حين مضغ الطعام وكأن هناك اشارات كهربائية كل ذلك يتم والانسان لا يشعر بتلك الماكينة الضخمة التي تقوم بهرس الطعام طيلة (٦٠ : ٩٠ : ١٠٠ سنة تقريبا) بدون أن تتألم أو يصيبها العطل . انها تطحن الأطنان مع الزمن ، انها - الأسنان -[٢٣] .

ومن نعم الله على الانسان أن لا يسمع ذلك الهدير المزعج الذى يصم الآذان لأن الله جعل الأذن لا تلتقط الا موجات وذبذبات صوتية معينة [٢٤] ..

وبعد أن يدخل الطعام الفم ، يتعامل معه اللسان ، المكون من ثلاث عضلات ، ليركبه على الأضراس لطحنه ، والغدد اللعابية تقوم بالافراز لعجنه ليسهل بلعه وبعد أن يتجه للحلقوم تصبح العملية غير ارادية ..يتحكم فيها المخ فقط !! .

وأثناء اغلاق الممرات الهوائية ، يرتخى البلعوم وتمر كتلة الطعام متجهة للمرئ ، ثم المعدة التى تخزن الطعام وتهضمه ، ودفعه جزئيا الى الاثنى عشر ، ثم الأمعاء الدقيقة لزيادة هضمه . والمعدة لا تمتص الطعام . لكنها تمتاز بفرز مادة مخاطية على الطعام تعمل على تأليف طبقة واقية ، حتى لا تهضم المعدة نفسها

وتقوم بعض الخلايا بافراز محلول حامض - الكلوردريك - لتعقيم الطعام وقتل ما به من جراثيم ، وتحويل مادة الحديد الموجودة فى بعض الأطعمة الى مركب يسهل امتصاصه .. والنصف الأسفل من المعدة مبطن من الداخل بخلايا تفرز مادة قلوية تنعط الجزء العلوى منها ، وبه عضلات لدفع الطعام - للاثنى عشر - ليهضمه . وبعد وصول الطعام للأمعاء .. يأتى دور المخ ، فيرسل اشارات للمعدة بالتوقف عن - انتاج الحامض ، ثم يقفلها حتى لا ترسل طعاما آخر ..

من هنا يلاحظ : أن المعدة متوقفة على المخ ، الذى يرسل لها اشارات كهربية من خلال شبكة الأعصاب لتستعد عند تناول الطعام لمجرد شمه ، ثم تذوقه على اللسان [٢٥]

ولارتباط المعدة بالمخ . فان لها تأثيرا كبيرا على التفكير والنشاط - الجسمى - ولذلك أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعدم ملئها بالطعام ، وحذر من ذلك بقوله : (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل بلاء) [٢٦] . وقال - عليه السلام - (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ، وان كان ولا بد : فثلث - لطعامك ، وثلث لشرابك ، وثلث للهواء) [٢٧] . وقال - عليه السلام (نحن قوم لا نأكل

حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع[٢٨]) وهذه اشارة من الرسول - عليه السلام - أن لايكون عقل الانسان فى معدته . ومن الحكم النادرة ، المشيرة الى أن كثرة الأكل مضرة بالانسان ، ومضيعة للعقل ، ومهلكة للصحة .. قول الامام على - رضى - : " من أكل كثيرا شرب كثيرا ، ومن شرب كثيرا نام كثيرا ، ومن نام كثيرا . فاته خير كثير . " والمشاهدة والتجربة تدلان على ذلك .

والاحصائيات تشير الى أن الانسان العادى يتناول فى حياته - ٥٠ طنا - من الأكل ، و - ٥٠ ألف لتر من السوائل . !!

والتقارير الطبية . تشير : أن الانسان الجائع يستفيد من الطعام - عشرات المرات ممالو تناوله على شبع . لأن المعدة عند خلوها من الطعام تقوم - بتخيير وتنظيف الخلايا التى فسدت من الأطعمة السابقة ، والتى يتضرر منها الجسم فيرفضها . وعند خلوها تتسع لديها الفرصة لتنظيم نفسها ، واستقبال الطعام الجديد ولهذا تجدد خلاياها دائما .[٢٩]

.. الصلاة .. وهضم الطعام ..

دائما الاسلام يبحث عن سعادة الفرد وانسجامه مع الحياة .. حتى فى العبادة يدعوه لنما . عقله وجسمه وروحه ، ليصبح انسانا كاملا بعيدا عن الأمراض والضعف ، متمثلا لقوله - صلى الله عليه وسلم - (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير) .[٣٠]

ولما كانت الصلاة عماد الدين ، وركنا من أركان الاسلام ، وما فيها من طاعة وخشوع . كانت من العبادات المبكرة فى التشريع . ولأهميتها فى حياة المسلم . حث عليها قبل البلوغ ، لما فيها من مغزى وفائدة عظيمة للجسم قبل نموه كاملا .

فقد أثبت العلم الحديث في التشريح والطب ـ أن العمود الفقرى عند الركوع ـ والسجود ، كل فقرة من فقراته تطرق الجزء الأسفل من قاعدته على الحوض واحتكاكه به وبعد العمود الفقرى ، ورجوعه يعطى لمسات حرارية لهذه المنطقة ويحافظ عليها وخاصة من التسوس .

هذا شىء . والشىء الأهم : أن الجهاز الهضمى أثناء فرز الطعام . يتجمع أثناء الركوع والسجود ، وتأخذ وضعها الطبيعى بانتظام رتيب مما يجعل عملية الفرز تسير بدقة متناهية . فلا يتسرب أى شىء من الغذاء النافع للجسم[٣١] ..

" كلوا واشربوا ولا تسرفوا "

الجسم محتاج فى بنائه للطعام ، وهذا شىء لا حرج فيه ، لكن من الواجب أن لا يقتصر البعض على نوع واحد من الأغذية ، لفترة طويلة ، لأن فى هذا ضرر على على صحته .

والهدف من الطعام الحفاظ على الحياة . والهدف من لذة الطعام وطيب مذاقه : تنبيه العصارات الهضمية . مما جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوصى بأكل الطيب ، وما تميل اليه النفس ، والابتعاد عما تعافه[٣٢] ..

والرسول نهى على الذين يسرفون فى الأكل ، فقال (المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء)[٣٣] .. ويقول سبحانه : (والذين كفروا يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)[٣٤] . وعلة النهى ، هى لابعاد المؤمن عن الانهماك فى الطيبات المباحة ، فيتعود عليها فيضر صحته وثانيا تأثيرها على عبادته ، ثالثا على عمله . ثم أن الاسراف فى الأكل يسبب قسوة القلب ، والشره والانقياد للشهوات . زيادة على السمنة والوزن الثقيل ، وضررهما لا يخفى على



أحد .. [٣٥] قال عمر بن الخطاب : (أياكم والبطنة فى الطعام والشراب فانها مفسدة للجسم ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم القصد فيهما ، فانه أصلح للجسد وأبعد عن السرف ، وأن الله ليبغض الحبر الثمين ، وان الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه ..) [٣٦]

والاسراف فى الطعام يورث الأمراض بالديدان ، والسكر ، والسل الرئوى ، والبنكرياس المزمن ، ولا يمكن التلذذ والمتعة بشئ ، دون دفع الثمن - وقد يكون الثمن سهلا ، ولا عاقبة فى ذلك ، الا التلذذ فى الطعام ، فان ثمنه باهظا ، فمزيد من الطعام .. مزيد من مرض القلب ، ثم حياة الانسان .. ويقول - عليه السلام - (ان من الاسراف أن تأكل كل ما اشتهيت) [٣٧] .



فعلى المؤمن الاعتدال - وخير الأمور الوسط - ولا يطاوع نفسه هواها ، فالنفس أمارة بالسوء ، ويمنعها من الطعام فترة ، من وقت لآخر ، وليس ذلك تحريما - للطيبات ، ومنعا للمؤمن من التمتع بها ، ولكن ترويضا للنفس على مواجهة تقلبات الزمن ، فيتعود فى حياته ، على السراء والضراء ، وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - " ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه " [٣٨] .

" طعاما طيبا "

والاسلام لم يقتصر على ذكر ماحرم من الأطعمة : - كالميتة والدم ولحم - الخنزير - لكنه نظم الحلال أيضا وبينه ، موجها نظر المؤمن الى الأغذية التى تنفع بدنه ، وتقوى صحته ، وتنشط عقله ، ليسير فى الحياة كما أمر الله ..

ومن الأديان الأخرى : مايحرم بعض الأطعمة الهامة التى يعتمد عليها الجسم اعتمادا كبيرا .

فالبوذية : تحرم أكل اللحوم اطلاقا .. بحجة أن فى الذبح عنفا وقسوة .

وقد أثبتت التجارب العلمية . أن الانسان لوعاش على النباتات وحدها .
أصيب بالهزال ، وضعف البنية ، وفقر الدم والأنيميا Anemie – حتى سموا بالشعوب الصفراء . وقد بدأت اليابان ، والصين ، بمحاربة هذا التقليد حرصا على صحة أبنائها – فقاموا بدون هدى من عقيدة . بأكل ما هب ودب ، من كلاب وثعابين ، وسمك بدون طهى ، وهذه لها مضارها أكثر من نفعها .

والهندية : تحرم لحم البقر ، لتقديسهم اياها . وديانات أخرى تصوم عن أكل الحيوانات ومشتقاتها لمدة تسعين يوما كل عام ، وهذه مدة كافية للاصابة بفقر الدم ..[39]

والاسلام فى حله وتحريمه لبعض الأطعمة . يهدف إلى: أن الله وحده هو الخالق ولا يشاركه فى التقديس شئ ، والله سبحانه لم يحرم طعاما على المسلم . الا ليجنبه الأمراض والضرر . والأطعمة فى حد ذاتها لا تقدس ، والحيوانات سخرها الله لافادة الانسان من ركوب وخلافه ، وهذه مهمتها، لكن بدون تعذيب أو مشقة ، وسخرها الله لطعام الانسان أيضا[40] . لكن بالطريقة الشرعية وعدم التجنى عليها ، كما أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – ونهى (عن صبر البهائم[41]) كما نهى عن قتل الحيوان – للتسلية والرياضة ، فقال (لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا)[42] . ويقول (ان الله كتب الاحسان على كل شئ ، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته)[43] .

وبهذه النظرة الاجمالية يحلل الاسلام للناس كل طعام فيه فائدة لأجسامهم . ولا ضرر يصيبهم ، وتستسيغه نفوسهم ، يقول سبحانه (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا)[44] ..

وبما أن الطعام مفيد للانسان وعليه تدور حياته ، يحبب الرسول – عليه

السلام ـ زيادة على هذا ، المؤمن فى البحث والسعى على طعامه ، وأنه مثاب على هذا فيقول : (ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة)[٤٥] .

والله سبحانه يحب عبده القوى ، وفضله على العبد الضعيف ، يقول سبحانه (وزادكم فى الخلق بسطة ـ وقال ـ ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم)[٤٦] ..

والاسلام يصنع بطريقة لطيفة ، ليس فيها غصب ولا اجبار : أنواعا معينة من الأطعمة لما فيها من القيمة الغذائية والصحية ـ منها اللحوم ومشتقاتها ، سواء لحم البر أو البحر ، ثم العسل واللبن والتمر .

وأبحاث الأطباء وجدت : أن بروتينات النبات ، لا تولد الأحماض الأمينية التى تبنى لأنسجة الجسم . ومن الملاحظ أن الاسلام أمر بالاعتدال فى المأكولات ـ كما ذكر آنفا ـ فالاكثار من اللحم مثلا : يزيد فى الانسان نوع من التوحش ، والعنف ، ويزيد نسبة ـ الكولسترول ـ فى الدم ، بسبب الدهن . ومن هنا يتعرض الانسان للذبحة الصدرية ، وتصلب الشرايين[٤٧] ..

لكن الله جلت حكمته . لم يترك عباده هكذا ـ ونفس الانسان دائما أمارة بالسوء ـ ومن الجائز ، بل كثيرا ما يحدث . وتحت مغريات البطن وشهوة الطعام . فيأكل الانسان ويملأ معدته . ويصاب بالمرض .. لذلك وضع الله جهاز تحكم صغير ، لا يقل شأنا عن ـ القلب ـ لما له من تأثير هام على سائر أجزاء الجسم ، انه ـ البنكرياس ـ وضعه الله فى مكان أمين داخل أحشاء البطن ، وحماه من الخلف بالعمود الفقرى ، ومن الأمام بالمعدة ، وحباه الله بأنسجة كثيرة ، حتى اذا تلف منه جزء قام الباقى بالعمل[٤٨] .

وبقاء القادر سبحانه أن يجعل من ـ البنكرياس ـ مثلا على قدرته . فان فيه خلايا تفرز " الأنسولين " للتحكم فى مستوى السكر فى الدم ، ويفرز عصارات أخرى

لهضم المواد الغذائية[٤٩] ..

واذا مرض البنكرياس تعرض صاحبه لمرض السكر ، كما أن له تأثيرا على العينين لدرجة العمى ، والالتهابات الجلدية ، والرئتين والكبد والطحال .. الخ لدرجة أنه أحيانا يمنع صاحبه من التحرك[٥٠] . فسبحان المبدع ....

" النظافة "

من أجل حياة موفورة القوة والنشاط . اهتم الاسلام بـ " النظافة " لأنها الأساس فى المحافظة على الصحة والمظهر الذى يليق بالمسلم ، فى ملبسه وشكله ، يقول سبحانه (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد .. الى قوله .. قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)[٥١] ويقول سبحانه .. (يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر)[٥٢] .. ويقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين)[٥٣] .. ويقول - عليه السلام - (الطهور شطر الايمان)[٥٤] ويقول (لو أن نهرا بباب أحدكم فيغتسل منه خمس مرات يوميا . فهل يبقى من درنه شىء ؟ . قالوا : لا ، قال : هكذا الوضوء .. الخ الحديث)[٥٥] ..

ويوجد باب كامل فى الفقه - خاص بالطهارة - ومن المعلوم أن الطهارة هى النظافة وأنه لا تقبل الصلاة بدون طهارة . فالاسلام جعل النظافة وسيلة لها سواء كانت - حسية أو معنوية ، والآيات وردت فى هذا الصدد تربو عن العشرين ، وكذا الأحاديث التى تحث على الطهارة . وكان حرصه - عليه السلام - شديدا لصون الماء عن كل ما يدنسه . لأنه حياة كل شىء . ويقول عليه السلام (اتقوا الملاعن الثلاث . التبرز فى الماء ، وعلى قارعة الطريق ، وفى الظل)[٥٦] .. ومن الأحاديث الملهمة قوله

ـ عليه السلام ـ (اذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يديه قبل أن يدخلهما الانا • فانه لا يدرى أين باتت يده ـ [57]) • كما يأمر ـ عليه السلام ـ أذا أتى أحد الخلاء • لقضا • حاجته أن لا يمس سوءته بيمينه • لأن اليمنى أكثر استخداما من اليسرى • فالطعام والشراب والمصافحة • تكون باليمين • فتبقى نظيفة ولا تنتقل العدوى للآخرين عن طريق الاختلاط واللمس • كما نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحتى لا تنتقل العدوى من شخص لآخر أثنا • الشرب • فيرشد الى من شرب من الانا • أن لا يتنفس فيه • فيقول (اذا شربت فنح الما • عن وجهك [58]) والتيمم أمر تعبدى • لكن لشئ آخر أهم هو أن تستمر العلاقة بين الانسان والنظافة مستمرة • ولتبقى فى صورة الطهارة • وكما أشار ـ عليه السلام ـ أيضا بعدم استخدام المناشف • بعد غسل اليد بالما • قبل الطعام • حتى لا تتعرض للتلوث بالجراثيم المنتشرة فى المناشف • ولربما استعملها شخص آخر مصاب [59] ...

هذا ما قاله ـ عليه السلام ـ أما ما قاله العلم الحديث .. فقد أذيع أن مرض البرقان الذى يصيب الكبد والمعدة ينشأ من تلوث الأيدى القذرة بالبكتريا ـ المعوية • وذلك لعدم غسلها بالما • .. [60]

وأن الذين يستعملون المناشف الورقية فقط • فى المطاعم وغيرها يعتبر من أكثر الوسائل نقلا لأنواع الأمراض المعدية • وأنواع البكتريا التى تصيب الناس بالعدوى • وأجرى فحص طبى لتلك المناشف فوجدوا أن ـ ١٦ ألفا ـ من أنواع البكتريا المعوية التى تسبب الالتهابات المختلفة • وأمراض الدوسنتاريا والتيفود والزكام ومرض السل • والكبد الناشئ من الدوسنتاريا • التى تخلف ـ الأميبا ـ فى الأمعاء الغليظة • ثم اصابة الكبد بعد ذلك [61] ..

كما أن حمامات السباحة العامة • وأماكن الجلوس فى الحدائق العامة التى توجد فيها الناذورات • من بول وغائط • أثبت الفحص الطبى .. أن بها ..

جراثيم قاتلة . لهذا نبه ـ عليه السلام ـ بل حرم قضاء الحاجة فى هذه الأماكن فقال : ـ اتقوا الملاعن الثلاث .. الخ ..

وبهذا يتبين أن الاختبارات الصحية والعلمية .. من تعاليم الاسلام ، وأن النظافة بالماء هى الأسلم ، لأنه يقطع عين النجاسة . (أما استعمال الورق ـ والنشاف ، فلا فائدة منه سواء كان عقب الطعام أو للتخلص من الفضلات ...[٦٢]

ومن صميم رسالة الاسلام ، ودعوته لصحة الأبدان وجمالها ونضرتها . وأن ـ المسلم الحق من تعهد نفسه بالنظافة ، وصحة الجسد وطهارته ليست صلاحا ماديـــا فقط : لكن لها أثر عميق فى تمكين الانسان من النهوض بأعباء الحياة ، ومـــا أحوجها الى الجسم الجلد القوى الصبور .

فالطهارة أساس العبادة ـ وخمس مرات يوميا ، فى الأحوال العادية . تغســل الأعضاء [illegible] المتعرضة للغبار والتى تكثر افرازاتها . وبهذا ربط الاسلام ـ بين الانسان والأحوال المادية . فلو كان الانسان روحا ، ما احتاج الى الطهارة لكنه يعيش على الأرض ويتغذى منها ، ويترك فضلات معدته فيها ، وأخيرا يـــدفن تحتها ..[٦٣]

ومن الجائز أن يتكاسل عن الغسل ما لم يكن مفروضا . لهذا أمر ـ عليه السلام بالغسل كل أسبوع ، فقال (غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم . وسواك ويمس من الطيب)[٦٤] . ويقول : على المؤمن أن يغتسل كل سبعة أيام ـ ويقول اغتســلوا يوم الجمعة واغسلوا رؤسكم .

وأنقى للمرء أن يتخلص من فضلاته ، وروائحه ، وخامة الفم بعد الطعام وقبله حيث أن الفم منبع جميع الأمراض المعدية . التى تنتقل الى كل الجسم . وعناية الدين بتطهير الفم ، وتجلية الأسنان ، من الوصايا الهامة فى " الطب الحديث "[٦٥] ولقد وضح ـ عليه السلام ـ ذلك فى قوله (انه ليس شئ أشد على الملكين من أن

يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو ﷺ قائم يصلى) وقال (لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل على فى قرآن أو وحى) [٦٦] .. وهذا سر مبالغة الاسلام فى تطهير الفم . وان الجراثيم تجد فى الفم القذر مرتعا خصبا لها ، فقال - صلى الله عليه وسلم - (من بات وفى يده ريح غمر ، فأصابه شئ ، فلا يلومن الا نفسه) [٦٧]

وقد أسقط الاسلام سنة الجماعة فى المسجد . لمن تناول الأطعمة ذات الرائحة الكريهة ، مثل : الثوم ، والبصل ، احتراما لشعور الآخرين .. [٦٨]

وعناية الاسلام بالنظافة ، وحرصه على قوة المسلم الأدبية والمادية ، فيصبح فتيا نشيطا - فالأيدى المرتعشة ، والأجسام الهزيلة لا تقدم خيرا - فالعقل السليم فى الجسم السليم .

وعنى بمحاربة المرض ومنع انتشاره ، والتداوى بالأدوية ، وأن لا يترك الانسان نفسه فريسة سهلة لجراثيم المرض . والبعد عن مزالق الشهوة . كلها أمور وضعها الاسلام ، يقول عليه السلام : (تداووا عباد الله فان لكل داء دواء ، فاذا أصيب دواء الداء . برأ باذن الله) [٦٩] .

ومنعا لانتشار العدوى عن طريق الجراثيم يقول - عليه السلام - (من غسل سخيمته على طريق من طرق المسلمين ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [٧٠]

والحديث يشير إلى أحدث طرق الوقاية من الأمراض - المتوطنة - المنتشرة خاصة بين الفقراء ، وغير المتعلمين .. يقول - عليه السلام - : (لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم) [٧١] ..

وكذا نظام - الحجر الصحى - خوفا من انتقال الأمراض وانتشارها ، أشار له الاسلام فى حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - (ما من عبد يكون فى بلد فيه الطاعون ، فيمكث فيه لا يخرج ، صابرا محتسبا . يعلم أنه لا يصيبه الا ما كتب الله له ، الا كان له مثل أجر شهيد) [٧٢] .

ومن قبل عاب المستشرقون على المسلمين تناولهم الأطعمة بأيديهم .. والآن صرحت الدوائر الطبية بما يتفق والنظام الاسلامى !! .

فاليد : تتحسس حرارة الطعام ، قبل أن يدخل الفم ، فلا يتضرر الحلق ولا المعدة ، وأن الملاعق : كثيرا ما تحمل جراثيم وعدوى . خاصة فى المطاعم العامة ، وكثيرا ما تتعرض للصدأ ، وغير ذلك ..[٧٣]

وبعد تناول الطعام باليد يرشد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الانسان أن يلعق يده بعد الطعام ، فيقول : (اذا أكل أحدكم طعاما ما ، فلا يمسح يده ، حتى يلعقها ، أو يلعقها)[٧٤] ..

والعلم الحديث يقول : وضع الأصبع فى الفم ، وعليه أثر الطعام يزيد فـى اللعاب ، الذى فيه مادة ـ ليسبن ـ تساعد على سرعة الهضم . ويؤكد ذلك أيضا قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ (فى سؤر المؤمن شفا*)[٧٥] ..

" أطعمـــة ... محــرمــة "

يقول ـ عليه السلام ـ (لم يجعل الله شفا* أمتى فيما حرم عليها) ولـقد حرم الاسلام المسكرات ، وكل ما يخل بعقل الانسان . حفاظا على صحته وأمن وسلامة مجتمعه ، يقول سبحانه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب ـ والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)[٧٦] . وقال ـ عليه السـلام (الخمر أم الكبائر) وقال (كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام)[٧٧] ..

ولعل نظرة قصيرة لبعض الاحصائيات وفى الصحف ، توضح ما تسببه المشروبات فى المجتمع الانسانى .

ففى أمريكا : أكثر من تسعة ملايين من مدمنى الخمر ، ويتعاطى الصبية ـ

بنين وبنات ـ بما قيمته ـ ٦٠ مليون دولار سنويا ـ وأن ـ ٤٠ مليون دولار ـ تنفق يوميا لمعالجة المرضى من المدمنين ، و ـ ٥٠ مليون دولار تضيع يوميا بسبب الغياب عن العمل ، من جراء العمال المدمنين ، و ـ ٣٠ شخص ـ يموتون يوميا بسبب ذلك . بالاضافة الى الأمراض والاضطرابات العصبية ، والغيبوبة ، وحوادث السيارات .. [٧٨]

هذا فى الولايات المتحدة والتى بلغت أوج عظمتها فى المدنية والحضارة .. فما حال الدول الأخرى . التى لم تقدم أى احصائيات حول هذا الأمر ؟ .

أما الأمراض التى يتعرض لها المدمن . فلا تحصى ، وخاصة تأثر عقله وانحلال حركته ، وتلعثمه فى الكلام وعدم تركيز عينيه على الأشياء ، مع اختلال توازنه ، ولا يدرك كل مايقال له ، وهذه من أبرز صفات المجنون !! . ثم بعدها يضيع المجتمع ـ علاوة عن حوادث القتل والمرور وما الى ذلك .. [٧٩]

أما الدورة الدموية .. وما يتبعها من تسارع نبضات القلب ، وانخفاض الضغط ثم التهاب فى المعدة والأمعاء . نتيجة الأحماض ، وانتفاخ البطن ، والقرحة بعد ذلك . مع تضخم الكبد . ويختل عمل البنكرياس ، فلا يفرز الخمائر الهاضمة للطعام وخاصة المواد الدهنية ، كما تتأثر الغدة التى تفرز الأنسولين فى الدم ، ويصاب المدمن بمرض البول السكرى .



ثم الأفعال التى يأتى بها السكير ، وما يفعله فيمن حوله ، ولا يفرق بين ـ أهل بيته وبين الآخرين . مع تدمير كل ما يعترض طريقه ، ومحاولة الانتحار ليتخلص من الوساوس الغريبة التى تطارده . وبعد فترة يصاب المريض بنوبات صرع ومرض عقلى والنتيجة : الموت المحقق .

ان المشروبات الروحية : تدمر كل ذرة فى كيان الانسان ، وتنخر فيه كالسوس والاسلام لا يرضى للانسان الذى كرمه الله . أن يصبح مسخا مشوها بهذه الصورة . . لهذا .. حرم الاسلام الخمـــر .. [٨٠]

وأشياء أخرى قد تخفى على الانسان العادى : علة تحريمها ، ولا يذكر سبب التحريم فيكتشفه الانسان بنفسه ، وأحيانا يشير للعلة من طرف بعيد ، مثل : الكلب والخنزير . جعلهما الاسلام من النجاسات المغلظة ، وعلى المسلم الاحتراس منهما . يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (اذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب)[٨١] . وفى لحم الخنزير ، يقول سبحانه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به)[٨٢] . حتى أن بعض المذاهب الفقهية ، اعتبرت ظل كليهما نجسا ، وذلك زيادة فى الاحتياط[٨٣] ..

وأخيرا يأت العلم الحديث ، ليقرر أن فى هذه المخلوقات أضرارا جسيمة تلحق بمن يأكل منها ، أو يستأنسها .

واذا كانت الكلاب تلعب دورا هاما فى حياة الانسان منذ القدم ، لكنها مع هذا لا يسلم الانسان من ضررها ، فهى تنقل الجراثيم المحتوية على مرض الكلب . وهو مرض خطير خبيث ، مع أنواع أخرى من الطفيليات الخطيرة ، التى تصيب الانسان والحيوان على السواء ، مثل : الدودة الشريطية ، وبويضات هذه الدودة بالذات لا تعلق الا بشعر الخنزير والكلب . وكذا اللعاب ، وبهذا تنتقل العدوى عن طريق اللمس ، أو التدليل ..

فمن علم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا .... مع أنه لم يكن باحثا ولا طبيبا فى علم الخلايا ، وأن فى هذه المخلوقات بويضات اذا انتقلت ستفقس داخل جسم الانسان ، وتمعد مباشرة للمخ ، أو الكبد ، أو الرئة ... ومستحيل منها الشفاء . كما يقول الأطباء . علاوة على أن جرثومة ـ الفيروس ـ تصيب الكلاب خاصة ، والقطط ، فى جهازها العصبى ولعابها . فاذا عض الحيوان المصاب : انسانا . . انتقلت له العدوى عن طريق الجرح أو العض ، وعلامات الاصابة .. ارتفاع فى درجة الحرارة ثم تشنج ، يعقبه الموت[٨٤] ..

" كذب بطن أخيك .. اسقه عسلا "

صيدلية الهية كبيرة . كتب عليها " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس " ...

يقول سبحانه :(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون [٨٥]) ويقول عليه السلام :(عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل [٨٦]) . فالقرآن شفاء . " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) [٨٧] .. والعسل شفاء . " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس " [٨٨] .

جاء رجل الى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال : ان أخى يشكو ألما فى بطنه ، قال : اسقه عسلا . فسقاه . ثم جاء الى النبى مرة أخرى ، وقال : مازال أخى يشكو ، قال : اسقه عسلا . فسقاه . ثم جاء مرة ثالثة ، فقال : مازال يشكو يا رسول الله .. فقال : صدق الله وكذب بطن أخيك .. فسقاه . فشفاه الله [٨٩])

يعتبر عسل النحل . مادة غذائية قيمة ، وذات أهمية خاصة . استخدم فى الطب القديم والحديث لغذاء الانسان ، والقضاء على الأمراض . وحصر فوائده ليس فى الامكان .

والفارق بينه وبين - عسل السكر - أنه لا يصاب بالتخمر الذى ينتج عنه - ثانى أكسيد الكربون - أما - عسل النحل - فان سكره لا يخضع لهذا التخمر .. وهذا له صلة قوية بفائدته الطبية ، وعلى سبيل المثال . لا الحصر : افادته العظيمة للجهاز التنفسى . فالله سبحانه - بطن جهاز التنفس بغشاء مخاطى . والعسل ينفيه

هذا الغذاء ، فيزيل ما عليه من بلغم . كما أن فيه فيتامين - ا ، ب ، ج - المقاوم للأمراض ، ويحافظ على الأنسجة الحية ، وخاصة . الأسنان ، ولين العظام ، وللنساء أثناء الحمل والرضاعة . لما فيه من الكالسيوم ، والبوتاسيوم ، وللكالسيوم دخل عظيم فى بناء الهيكل العظمى ، ثم فيه من المواد الزلالية المكونة للبروتينات التى تقوم ببناء الخلايا ..[٩٠]

انها قدرة عظيمة . أودعها الله فى حشرة صغيرة ، وسمى سورة فى القرآن - باسمها ، ويقول - عليه السلام - (مثل المؤمن ، كمثل النحلة ، تأكل طيبا وتخرج طيبا) فالاخلاص والتعاون والنظام ، وتمثيل حياة كاملة ، لهذه الحشرة .

ويأتى العلم الحديث . مقرا ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلقد وجد العلماء أن عسل النحل عبارة عن - صيدلية مجنحة - فقد أجريت الفحوص على - المصابين بأزمات قلبية بعد تعاطيهم العسل فتحسنت حالتهم ، ورجع تركيب دمهم طبيعيا[٩١] .. وقد لوحظ أن العسل غذاء هام للرضيع عندما لا يكفيه لبن الأم[٩٢] ...

وخواص العسل العلاجية . أصبحت فى عداد المواد الطبية الحديثة . وباختصار فان عسل النحل يشفى من سبعين مرضا ذكر بعضها الأطباء[٩٣] .. منها :

١ - غذاء كامل . ٢- علاج للأمراض الشائعة ، ٣- علاج للجروح والدمامل .
٤ - أمراض الجهاز التنفسى . ٥- أمراض القلب وتصلب الشرايين ، وضغط الدم .
٦ - القرحة المعدية . ٧- الكبد والطحال . ٨- العيون والجلد .
٩ - البول . ١٠- أمراض النساء . ١١- تسوس العظام .
١٢ - الجهاز العصبى . ١٣ - قاتل للجراثيم ..[٩٤]

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما قال : (عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن وقال " ان فى شئ من أدويتكم من خير ، ففى شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعة بنار ، فوافق الداء ، وما أحب أن أكتوى ، وقال : من لعق ثلاث -

غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء)[٩٥] ..

* التمـــــــــــــر *

التمر لا يقل أهمية عن العسل . كان غذاء مريم وهى فى المخاض ، يدل على ذلك قوله تعالى (وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[٩٦] .

وتغذى به الرسول - عليه السلام - طيلة حياته ، وخاصة فى صومه وحروبه ، وكذا الصحابة من بعده .

والله أطعم منه مريم ، ولو وجد الله طعاما خيرا منه لأطعمها .

والعلم الحديث يقول : " التمر كالمنجم . لكثرة مايحويه من مواد معدنيـــة ، وهو أغنى الفواكه بالمواد السكرية ، والبروتينية ، والدهنية . وعدد كبير مـــن الفيتامينات ، وباختصار فان فيه : ا - مواد كربوهيدراتية - نشوية وسكرية ٨٧٪ ب - بروتينية . ج - دهنية . د - معدنية : صوديوم - كالسيوم - بوتاسيوم - مغنسيوم - نحاس - منجنيز .... الخ .

وأما خصائصه فمنها : محافظته على العين ، ويمنع العمى الليلى ، ويزيد من مقاومة الجسم للأمراض ، وعدم تحقق الجلد . وهو سريع الهضم بخلاف اللحم . وثلاث تمرات منه ، تمد هذا الجسم بالطاقة طول اليوم ، مثل كيلو لحم[٩٧] ..

من هنا أوصى الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصائمين أن يفطروا على تمر فقال (العجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السم) وقال (لا يجوع أهل بيت عندهم التمر) (وقال بيت لا تمر فيه جياع أهله ..)[٩٨] ..

كما يمنع تكون الحصى فى الكلى ، والكساح عند الأطفال ، وتصلب الشرايين ، وتوتر الأعصاب ، وأمراض القلب . يقول - عليه السلام - (أطعموا نساءكم التمر

فانه من كان طعامها ، خرج ولدها حليما) ويؤيده هذا الحديث أيضا (كان - الرسول - يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا من تمر)[99] ..

وقد أثبتت التجارب العلمية ، أن البلح يحتوى على مواد تساعد المرأة .. على الولادة السهلة ، وسرعة التخلص من الدم ، والمشيمة ، والسوائل الأخرى.

ولعله الآن .. قد تكون ظهرت الحكمة من اختيار - التمر - طعاما لمريم ، وتنبيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكل الناس على أهمية تناوله ، وخاصة الحوامل والأطفال .

وكثيرا ما كان يخلو بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الطعام . ماعدا الأسودين : التمر ، والماء[100]...

الباب التاسع

الحديث ... والاكتشافات الطبية

المراجع .. والتعليقات :

(١) أرقام الآيات حسب ذكرها : سورة الصمد ١/ ، سورة الكافرون ١/ ، وسورة الأحزاب ١/ ، ٣٢ ..

(٢) محمد حسن الزيات " تاريخ الأدب العربي " ط ٢٤ – ص ٨٦ القاهرة .

(٣) ألاحظ في كتابات كثيرة – ربط القرآن والحديث . بالنظريات العلمية – والتقدم العلمي ، والمعروف أن النظريات العلمية : غير ثابتة ، ومعرضة للصواب والخطأ . أما محاولة اقحام القرآن في العلوم الحديثة لايخدم الاسلام .. ومن الملاحظ أن القرآن يؤيد النظريات العلمية وان لم يتعرض لها . وواجبنا أن نتخذ العلم دليلا على صحة القرآن ، وليس العكس ، لانه لو حدث ذلك : فسنقع في خطأ عظيم لو كذبت النظرية .

(٤) سورة فصلت /٥٣ .

(٥) تفسير الكشاف – للزمخشري (م . ٥٣٨ هـ)

(٦) سورة البقرة ٢/ .

(٧) ومن الملاحظ أن الرسول لم يتعرض لتفسير الكونيات والأشياء المستغلقة على الذهن في ذلك العصر . كي يترك فرصة للعقل البشري ليتكيف مع هذه العلوم حسب احتياجاته . ومن الجائز أن تحرف بعض الأحاديث ، ويكذب فيها فتخالف الواقع ويسند ذلك للرسول كذبا وبهتانا ، والله عصم رسله من ذلك .

(٨) سورة الرعد / ٢٨ .

(٩) أخرجه البخاري – الايمان .

(١٠) مثل الطعام والشراب ، والهواء والروائح ، والأصوات والضوضاء ، – والعمل والحركة ، والزمان ، والمكان ، والحزن والفرح ، والضحك والبكاء . اى كل ما يعرض للانسان في اليقظة والنوم .

(١١) الشيخ كامل الخضري " الحياة والموت " مجلة منبر الاسلام [illegible]

(١٢) وكل شخص ينظر للقلب من الزاوية التي تخصه . فالطبيب يراه مجرد جهاز للدورة الدموية ، وعند المراهقين ـ قلب على شجرة يخترقه سهم .. وعند الشعراء " .. الهيام بالحبيب ، وعند المتصوفين : العشق المطلق . الخ فالقلب في عذاب لكثرة ما عليه من أعباء " .

فيا من تشغلكم أمراض القلب النفسية ، ويا من ترسمونه مصابا بسهم على جذع شجرة ، ويا من ترصون حوله الأغاني المجروحة .. لقد ظلمتم أنفسكم وظلمتم القلب ـ ونسيتم : الاطمئنان ، الذي هو أفضل محتوى للقلب .. انه الايمان ، نبع الصفا والمودة . (ان الله لاينظر الى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر الى قلوبكم) البخاري ـ حجة الوداع .

(١٣) الشيخ محمد أنيس عبادة " قلب المؤمن " ـ منبر الاسلام ـ عدد ١١ ص ٧٢ .
(١٤) سورة النبأ / ٩ ، ١٠ .
(١٥) أخرجه الستة ـ عن أبي هريرة .
(١٦) " " ابن حنبل ـ كتاب الأدعية .
(١٧) الشيخ عبد اللطيف مشتهري " مع الله " ـ الوعي الاسلامي ـ عدد ١٣٠ ، ص ٤٢ ـ ١٩٧٥م ـ الكويت .
(١٨) د. ظافر أحمد العطار " اضطجع على جنبك الأيمن " العربي ، عدد ٢٠٥ ، ص ٥٩ ـ ١٩٧٥م .
(١٩) غالينة بواسير ـ طبيب بريطاني ـ ١٩٧٥م .
(٢٠) سورة الذاريات / ٢١ .
(٢١) أخرجه مسلم ـ باب الذكر ، والنسائي ـ الاستعاذة .
(٢٢) والحديث الآخر لأبي نعيم في الدر المنثور .
(٢٣) د. محمد عبد الواسع ـ جريدة عكاظ ـ ص ٢ ـ ١٤ صفر / ١٤٠٠هـ ـ السعودية
(٢٤) الأستاذ / قدر ياتستف " أصوات لا تسمع " ترجمة / د. سعيد رمضان ـ الكويت . ١٩٧٢م
(٢٥) جريدة عكاظ ـ المصدر السابق .
(٢٦) بحثت عنه في بعض المعاجم ، وخاصة ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .
(٢٧) أخرجه ابن ماجه ـ الأطعمة .
(٢٨) رواه أبو نعيم في الحلية ، والطبراني في ـ الأوسط ـ .
(٢٩) د. أحمد ذكي " الخلية هي التي تصنع الحياة في الانسان " العربي ـ عدد ١٨١ ، ص ٥٤ ـ ١٩٧٣م .
(٣٠) أخرجه ابن ماجه ـ الزهد ، ومسلم ـ القدر .
(٣١) الشيخ مصطفى العالم " التربية الاسلامية " محاضرة ألقاها في مقر رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، عام / ١٣٩١هـ ـ ٥/٢/١٩٧٢م .

* ولقد هداني تفكيري . أنه لماذا كان الرسول " ص " يطلب من أمته ، ويوصي باطالة الدعاء " في السجود ، لتخلص الروح لبارئها وتبتعد عن

مشكلات الجسد ، وتصفوا لله . ولعلى أكون مقاربا للصواب فى أن ـ الجانب الآخر من الاطالة فى السجود ، فيها لمحة طبية ـ سبقت العلم الحديث ، ومغذى هام فى حديث الرسول " ص " . يوضحه التطويل فــى ـ السجود ، وأهميته الصحية أيضا ، وتنشيط افرازات المعدة . فيقول ـ عليه السلام ـ : " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا مــن الدعاء " والاكثار من الدعاء " معناه اطالة السجود . بالاضافة الــى دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الاكثار من النوافل ، وسجود التلاوة والشكر على النعماء " والضراء " ، وصلاة الاستخارة ، وقضاء الحاجة .. الخ وهى عبادة ذو منفعتين . خضوع وطاعة ، وصحة وعافية ، والحكمة تقول : " صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان " وفى كل ذلك ما يعود على المسلم بالخير .. والصلاة وما فيها تمنح المسلم قوة ، وحيوية . تؤهله لانجاب الأطفال ، مهما طعن فى السن ، والحكمة تقول : " حفظناها فى الصغر ، فحفظها الله علينا فى الكبر "

فالقلب أثناء " الصلاة ـ من سجود وركوع ـ يرسل الدم الى أعلى بصعوبة ، لكن أثناء " السجود يتساوى الجسم مع القلب وهنا يسهل توزيع الدم عــلى جميع الجسم .

(٣٢) د. أحمد حمدى الخياط " فن الصحة " مجلة العلم ، عدد ٣١ ، ص٤٩ ـ ١٩٧٤م تونس .

(٣٣) أخرجه البخارى ، ومسلم ـ الأطعمة .

(٣٤) سورة محمد / ١٢ .

(٣٥) ابن الجوزية " الطب النبوى " مستفاد من أحاديث السنة فى الأطعمــة وآدابها .

(٣٦) أخرجه أبو نعيم ، فى الدر المنثور .

(٣٧) " " ابن ماجه ، وابن مردويه ، والبيهقى ، عن أنس ـ فى الدر المنثور وأشار اليه المنذر ـ فى الترغيب والترهيب .

(٣٨) د. موفق المالكى " أمراض الجهاز الهضمى " عن مجلة العلم ـ ص٥٩ .

(٣٩) د. أحمد شوقى الفنجرى " التغذية فى الاسلام " مجلة الوعى الاسلامى ـ عدد ١٣٥ ، ص٩ ـ ١٩٧٦م . الكويت ـ

(٤٠) " التغذية فى الاسلام " ص١٩ .

(٤١) أى تمسك هدفا حتى تموت ـ لذلك عندما فتح العرب ، أسبانيا .. أوقفــوا ـ لعبة " مصارعة الثيران " لما فيها من قسوة .

(٤٢) أخرجه مسلم ـ الرحمة ـ

(٤٣) " " أبو داود وغيره ـ الذبائح والبخارى .

(٤٤) سورة الأعراف / ٣٢ .

(٤٥) أخرجه أحمد بن حنبل ـ الصدقة .

(٤٦) سورة البقرة / ٢٤٧ .

(٤٧) " التغذية فى الاسلام " المصدر السابق .
(٤٨) د. ذكي عبد القادر " كهوف علمية " مجلة العربى .
(٤٩) وصفه ابن سينا ـ فى كتابه " القانون " وصفا مستفيضا .
(٥٠) د. محمد أبو شوك " البنكرياس " ، مجلة الوعى الاسلامى ، عدد ١٥٢ ، ص٩٥ ـ ١٩٧٧م ـ الكويت .
(٥١) سورة الأعراف / ٣١ ، ٣٢ .
(٥٢) " " المدثر / ١ ، ٣ .
(٥٣) " " المائدة / ٦ .
(٥٤) أخرجه الدارمى ـ الوضوء .
(٥٥) " " البخارى ـ " " " .
(٥٦) " " أبو داود ، وابن ماجه ـ الطهارة .
(٥٧) " " الترمذى ـ الطهارة . وكذا أحمد بن حنبل .
(٥٨) " " أحمد بن حنبل ، ج٣ .
(٥٩) أحمد جمال " مفتريات على الاسلام " ص٣٤ ـ دار الفكر ـ ١٩٧٢م ـ بيروت
(٦٠) مقال ، ترجمة الأستاذ أحمد على ، هـ عن مجلة التضامن الاسلامى ـ نقلته عن جريدة ـ راديانس ، الانجليزية ـ تصدر فى الهند ، عدد مارس / ١٩٧١م . الهند .
(٦١) د. فوهتر ـ مجلة : هوبرن آند سهن ـ الألمانية هامبورج ـ ٢ مارس ١٩٧١م
(٦٢) مجلة سارترنا الألمانية ، قسم الأمراض الباطنية وتحقيق تمت به ، فى مستشفى " خيبر " بباكستان مع الأطباء : ناصر ، ومكرم شاه ، وغيرهم ..
(٦٣) الشيخ محمد الغزالى " خلق المسلم " ط ٤ ، دار الكتب الحديثة / ١٩٦٠م القاهرة ، ص١٨٤ .
(٦٤) أخرجه البخارى ، ومسلم ـ الجمعة ، وابن ماجه ـ الطهارة .
(٦٥) د. رونالد " مرض الأسنان " مجلة ـ أمراض الأطفال ـ عدد ٥٩ ، مارس ١٩٧٣م . أمريكا ، ترجمة : ظافر العطار ، تونس / ١٩٧٤م
(٦٦) أحمد بن حنبل ـ السواك .
(٦٧) أخرجه الترمذى وأبو داود وابن ماجه ـ الأطعمة ..
(٦٨) الشيخ الغزالى " خلق المسلم " ص١٨٧
(٦٩) أخرجه مسلم ـ الأدوية ، ومعنى ، أصيب : وجد .
(٧٠) البيهقى ، والترمذى ـ الطهارة .
(٧١) أخرجه البخارى ـ الوضوء .
(٧٢) " " " ـ الأدوية ، ومسلم ـ القدر .
(٧٣) الحكمة تقول " الوقاية خير من العلاج " .
(٧٤) أخرجه البخارى ـ الأطعمة
(٧٥) ربما هذا الحديث ، يكون موضوعا حاولت العثور عليه ..

(٧٦) سورة المائدة /٩٠ .
(٧٧) أخرجه أبو داود ـ الأشربة .
(٧٨) احصاء قام به ـ المعهد الوطني لدراسة أخطار الخمور ـ أمريكا/١٩٧٥م
(٧٩) تكفي المشاهدة للجرائد اليومية والصحف .
و .. عبد الحميد الوسلاتي " الخمر وجسم الانسان " مجلة العلم ، عدد ١٩ ، ص ٦٦ ـ ١٩٧٢م تونس .
(٨٠) يوسف زعبلاوي " الادمان والموت المبكر " العربي ، عدد ٢٣٠ ، ص١٣٤ ، ١٩٧٨م
(٨١) أخرجه البخاري ـ الوضوء ، ومسلم ـ الطهارة .
(٨٢) سورة المائدة /٣ .
(٨٣) مثل المذهب الحنبلي .
(٨٤) أسامة محمد أحمد " ممنوع لمس الكلاب " مجلة اليمامة السعودية ، عدد ٥٤٤ ، ص٦٦ ـ ١٩٧٩م .
(٨٥) سورة النحل / ٦٩ .
(٨٦) أخرجه ابن ماجه ـ الأدوية .
(٨٧) سورة الاسراء / ٨٢ .
(٨٨) " " النحل / ٦٩ .
(٨٩) أخرجه البخاري ـ الأطعمة .
(٩٠) الشيخ عبد الحمد كشك ـ في خطبة الجمعة ، بمسجد حدائق القبة ، الزيتون القاهرة ـ ١٩٧٠م . ود. نزار الدقر " العسل غذاء ودواء " جريدة اللواء ـ ١٩٧٨/٨/١٦م . الأردن ، ص٦ .
(٩١) الأستاذ / غولمب ، ترجمة : د. بشير قصاص ، دراسات وأبحاث ـ جريدة اللواء ، العدد السابق ص١٥ .
(٩٢) وتغذيته بالبن الصناعي من أشد الأضرار ، فهي تصيبه بتوتر الأعصاب والبكاء المستمر ، وسؤال بسيط للأطباء . يوضح الحقيقة . لكن الشركات ـ الغير مسلمة ـ تقوم باعلانات مغرية لجذب الناس .. وهذا للملاحظة فقط ..
(٩٣) من أبحاث " المعهد الطبي " د. بايوفالون . موسكو ـ ١٩٧٨م .
(٩٤) د. لوتنجر " مجلة نيويورك الطبية " ، مارس ١٩٧٤م ، ص١٥٣ ، ترجمة : د. ظافر العطار ـ مجلة العلم ـ عدد ٣١ ـ تونس .
(٩٥) أخرجه البخاري ـ الأدوية ـ
(٩٦) سورة مريم / ٢٤ .
(٩٧) الأستاذ / أجود الحراكي " التمر " مجلة الفيصل ـ السعودية ـ
(٩٨) أخرجه ابن حنبل ، ج٦ ـ والحديث الثاني ، أخرجه مسلم ـ الأشربة .
(٩٩) " " " ج ٢ ـ وأبي داود ـ الامارة .
(١٠٠) د. سعيد رضا " الاسلام والطب الحديث " ص ٨٠ ـ المكتبة العلمية ـ لاهور ـ باكستان .

الباب العاشر

الحديث .. والاكتشافات العلمية

* كيف خلق آدم ..؟ .. ..
* الماء المهين .. والجنين .. ..
* الظلمات الثلاث .. والجنين .. ..
* طفل الأنابيب .. ..
* الخلايا .. والصفات الوراثية .. ..
* الدم .. ورحلة داخل الجسم .. ..
* الانسان .. والموت .. ..
* وهم اسمه .. الخلود .. ..

* كيف خلق آدم .....؟ *

من الأمور الهامة والخطيرة ..... التى شغلت الفكر البشرى . لمحاولة الوصول الى الحقيقة ، وعرضت البحوث والنظريات ، والفرضيات . لكيفية نشوء آدم .. وما أصله ؟ .

اختلف العلماء ، فمنهم من قالوا : " ان أصل المخلوقات شيئا واحدا . ومعنى هذا : يكون الحديد ، هو الذهب ـ وهو التراب ـ وهو الزرع .

ومنهم من قالوا : بأنه كان خلية ، ثم تطورت ، حتى وصلت الى ماهو عليه الآن[١] .. نظريات .. قال بها العقل البشرى .. محتملة للصواب والخطأ .. كما أن كل النظريات . . هذا هو رأى العلم الحديث ..

أما الانسان فى نظر الاسلام ، فهو ذلك الكائن الحى ، المنتصب القامة ، ذو العقل والتفكير ، والأخلاق الفاضلة ، والعواطف الجياشة ، والمنطق السليم .

ابتدأ الله خلقه من طين ، ثم جعل ذريته من سلالة من ماء مهين ، خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء ، وأهبطه الى الأرض بحكمته ليعيش عليها ويعمر الكون ، بعد أن هيأ الله له أسباب المعيشة عليها . هذا هو الانسان فى نظر الاسلام ، وعقيدة المسلم هذه مستمدا من أدلة الوحى والقرآن وكيف خلق الله الانسان . يقول الله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين)[٢] . ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها ، من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض . فجاء منهم الأبيض ، والأحمر ، والأسود ، وبين ذلك . والسهل والحزن وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، وبين ذلك)[٣] .

أما الانسان فى منصب أصل النشوء والارتقاء ، فهو : " عبارة عن خلية .. هذه الخلية هى أصل الحيوانات ومنشؤها حتى الآن ، وذلك أن الخلية تطورت فنشأت الحيوانات الرخوة ، ثم الحيوانات القشرية ، ثم الفقريات ، ثم الأسماك فالزواحف ، ثم الطيور ، ثم الثدييات ، فالانسان[٤] ..

وفى العصر الحديث ، قالوا : ان الانسان متطور عن أصل هو - القرد[٥] -

ومن الآراء من يقول : " ان التطور هذا ليس ذاتيا ، بل بعقل الله وخلقه وان يد الله الهادية ، هى التى فعلت هذا التصور ، حتى وصل الى أحسن تقويم بهداية الله وقدرته[٦] "

وبعض المفكرين ، لا يؤمنون بقول السابقين ، ويقولون : " ان كل حيوان خلقه الله خلقا خاصا ، قائما بذاته غير منبثق عن حيوان أدنى منه . وان الانسان - خلقه الله كذلك[٧] " ..

ومن قال ان الانسان متولد من قردة ، فهو رأى داخل فى الجنون ، قاله رجل على تاريخ الانسانية[٨] ..

" ولقد عثر عاملان من عمال المناجم فى رومانيا ، على هيكل عظمى بدون رأس . لانسان يجلس القرفصا " ، بداخل كتلة فحمية ، على عمق - ٦٩٠ قدما - من سطح الأرض وقدر العلماء عمر هذا الهيكل - ١١ مليون - من السنين[٩] " . وهذا يبطل كل - النظريات القائلة : بأن الانسان نشأ عن أصل آخر - .

يوضح ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (خلق الله آدم على صورته[١٠] وطوله ستون ذراعا ، ثم قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة . فاستمع ما يحيونك ، فانها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : عليك السلام ورحمة الله ، فزادوه - رحمة الله - فكل من يدخل الجنة على صورة آدم .. فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن)[١١] - أى يتناقص فى الطول والعرض - وقال - صلى

الله عليه وسلم ـ (خير يوم طلعت فيه الشمس ، يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة)[١٢] ..

فهذا قول الله ، وهذه أحاديث رسوله ، تشير اشارة واضحة بخلق آدم خلقا مباشرا . خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وخلق منه حواء ، وبتناسلهما جعل الله ذريتهما فى أوج كمالها وجمالها . عاقلة فصيحة ، وسخر لهم ما فى الأرض جميعا وأكرم آدميتهم . هذا هو الانسان الذى كرمه الله فى عقيدة المؤمنين[١٣] ..

وأما الانسان فى معتقد الكافرين : فهو متحول عن خلية أتت من بعض الكواكب الى الأرض . ثم نمت فيها وذلك بحكم انقسام الخلايا ... الخ[١٣] . واستحسنوا فى زعمهم . عملية النشوء والارتقاء ، ووصلوا الى ما وصلوا اليه فى نظريتهم .....



وسنة الله فى خلقه ، وايجاد الكائنات تختلف عما يقولون . فالانسان أيضا وجد خلية ، وتطور الى مراحل .. فهو وجد خلية فى نطفة الرجل ، وماء المرأة . ثم يتدرج من حال الى حال الى أن يصبح جنينا متكاملا فى بطن أمه[١٤] . وذلك مصداقا لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه ، ٤٠ يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك .. الخ الحديث)[١٥] .

فسنة الله فى الخلق ثابتة ، وسنته أيضا فى نقل النوع ثابتة ، وسنته فى البقاء للأصلح ظاهرة فى كثير من الكائنات ، ولكنها من خلقه وتدبيره وخاضعة لمشيته وارادته[١٦] . تماما كما خلق عيسى ، وشق البحر لموسى ، وسلامة ابراهيم من الاحراق ، فالطبيعة لا تفعل بنفسها[١٧] ..

فآدم خلقه الله سبحانه خلقا مباشرا ، وخلق منه حواء .

واذا كانت نظرية النشوء والارتقاء . مطردة فى كل شئ .. فعن أى شئ ترقت الابل والبقر والغنم ، وكل ذوات الأربع[١٨] .. ؟

ثم مضت قرون طويلة على هذه الأنعام والحيوانات ، ولم تترق الى ما هو أكمل

والكمال لا حدود له - فبقى الكلب كلبا ، والفرس فرسا ..

وأيضا لو كان الانسان متحولا عن قرد . فلماذا بقى القرد الأول وانقرض النوع الثانى الذى كان واسطة ، ولم يظهر له أثر حتى الآن ؟

فلو كانت الطبيعة مطردة : لانقرض القرد الأول ، وبقى النوع الثانى . لأنه أكمل منه وأصلح .. والبقاء للأصلح - كما فى نظرهم - فلماذا حدث الاختلال ، - واختلت النظرية [١٩] ؟

ولقد وضح الله سبحانه : المادة التى خلق منها آدم ، فى كثير من الآيات ، فيقول سبحانه (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) [٢٠] . ويقول سبحانه (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون - واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) [٢١] . ويقول سبحانه (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا) [٢٢] .

اتفق المفسرون - أنه لا تعارض بين هذه النصوص .

فالمادة الأولى لخلق آدم - عليه السلام - هى التراب . فلما عجن بالماء صار طينا ويمضى فترة على الطين اسود وصار حمأ مسنونا . قال ابن عباس فى شرحه للآية " هو التراب المبتل المنتن ، ولما جف هذا الحمأ المسنون ، صار صلصالا كالفخار " .

وعلى هذا يتضح الفرق الشاسع ، بين ما يقولون ، وبين هذا الانسان الممسوح الجميل ، المفكر ، الشاكر لأنعم الله . وعلى هذا أيضا فعملية خلق الانسان ، لا يستطيع العلم البشرى أن يصل فيها الى نتيجة . لأن الله سبحانه يقول :(ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) [٢٣] .

فالانسان لم يحضر تجربة الخلق ، ولم يشاهدها بالعين ، ولن يستطيع تجربتها ولكن بالأذن سمعها ، وهو أمر غيبى . ولو حاول الانسان أن يعرف كيف خلق ، فسيكون شغل نفسه بعلم لا ينفعه - و.. لأن هذا ليس خاضع للتجربة ولن يستطيع أن يدلل عليه

علميا .. [٢٤]

ولا يستطيع أن يمسك الروح داخل المعمل . مثل المادة . وكما مر، أن المادة التى خلق منها آدم ، هى : " التراب ، الطين ، الحمأ ، الصلصال ، الفخار " كلها أطوار الخلق ، وليس تناقض فى الخلق ، أو فى مادته . بل هى المراحل التى مر بها الجسد البشرى . حتى نفخ فيه الروح ، ومن قال بغير ذلك فليس بصحيح - لأنهم لم يشهدوا عملية الخلق .

فالله خلق الانسان من التراب الذى إذا أضيف اليه الماء صار طينا فاذا ترك تفاعل فيصبح حمأ مسنونا .

والواقع يؤيد أن مقومات حياة الانسان من الأرض ، والطين . فلقد حلل العلماء جسد الانسان فوجدوه مكونا من - ١٦ عنصرا ، أولها الأوكسجين ، وآخرها المنجنيز - وهى نفس العناصر التى تتكون منها الأرض . وهذا أول اعجاز للقرآن ، ودليلا على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - [٢٥]

ولقد جعل الله من الموت دليلا على قضية الخلق . فالموت عكس الحياة ونقيض لها . فأول شئ يحدث للانسان عند موته ، خروج الروح أولا - وهى آخر شئ دخل فى الانسان عند خلقه . ثم تبدأ عملية التحليل وهى عكس عملية الخلق : يتصلب - الجسد ، هذا هو الصلصال ، ثم يتعفن فيصبح رمة ، وهذا هو الحمأ المسنون ، ثم يتبخر الماء من الجسد ويصبح الطين ترابا ، ويعود الى الأرض .. اذن مراحل الافناء عكس مراحل الخلق[٢٦] . يقول سبحانه (ونفخت فيه من روحى)[٢٧] . ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (فيرسل اليه الملك ، فينفخ فيه الروح)[٢٨] . والنفخ معناه : النفس الخارج من النافخ الى المنفوخ فيه ، فتبدأ الحياة . وكذا تنتهى بخروج النفس ..[٢٩]

فهذه هى بداية خلق الانسان ، ونهايته مدعمة بالأدلة النقلية والعقليـة

من القرآن والسنة . فلو جاء مفصلا فى ذاك الوقت . لكفر عدد من المؤمنين . وانصرف الآخرون لأن ذلك لا يستطيع العقل فهمه . ولاستمرار الاعجاز فى القرآن أتى بنهاية النظريات وتحداهم بالعلم الذى يفهمونه ، ويطبقونه .

« الماء المهين »

ثم إن الانسان فى صراع دائم بينه وبين الكون الذى يعيش فيه ، وبينه وبين نفسه ، وسر وجوده . ومنذ وجده الله فى الكون . وهو يحاول فك لغز واحد من أسرار هذا الكون . فمرة يفلح ، وعشرات المرات لا .

وفى أحلك ظلمات الحياة يأتى الاسلام لينير الطريق للحيارى والمتعطشين للمعرفة . فتفتح الآفاق أمام العقل ومهد له الطريق أمام النظريات العلمية التى استعصت عليه قرونا طويلة . واعجاز قدرة الله لا يقف عند حد .

ونظرة قصيرة ، لقوله سبحانه (وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون) [٣٠].

والمعروف أن الماء يتخلل جميع الأنسجة الحية فى جميع المخلوقات ، ولا حياة لأى خلية بدونه . ومن الممكن القول بأن الانسان عبارة عن برميل صغير من الماء مع عناصر أخرى . حيث نسبة السوائل فيه ٦٥٪ ، وجميع التفاعلات الكيميائية ، والحيوية ، لا تتم الا فى وسط سائل .

ومن يتصور جسم الانسان بدون ماء يجده عباره عن قطعة صلبة لا حياة فيها . حللها العلماء : فوجدوا فيها من الحديد ما يساوى مسمار صغير ، ورأس عود ثقاب ، وكمية من الكالسيوم ، تكفى لدهن مترا ن من حائط ، وعناصر أخرى : كالصوديوم ، والبوتاسيوم ، والفسفور . ومن عجيب قدرة الله . أن هذه المواد موجودة فى التراب ـ ولو اشتريت من السوق ، لا تزيد عن دولار . هذه هى قيمة الانسان الذى

يمشى على الأرض مرحا . لكن المعجز هى قدرة الله سبحانه فى تركيب هذه العناصر مع بعضها . يقول سبحانه (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة)[٣١] . ويقول سبحانه (الله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا)[٣٢] .. ويقول ـ عليه السلام ـ



(وكل الله بالرحم ملكا ، فيقول : أى ربى نطفة . أى ربى علقة . أى ربى مضغة . فاذا أراد الله أن يقضى خلقها ، قال يا ربى : أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد . فما الرزق . فما الأجل . فيكتب كذلك فى بطن أمه)[٣٣] . فو

ويقول ـ عليه السلام ـ (خلقتم من سبع ورزقتم من سبع) والآيات والأحاديث . اشتملت على علم كامل ، هو علم ـ الأجنة ـ وبعد عنا . طويل . استطاع العلم الحديث أن يكشف أسرار الرحلة التكوينية ـ للجنين داخل الرحم[٣٤] . ويقول ـ عليه السلام ـ : (ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح . ويؤمر بأربع كلمات . يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ، فوالله الذى لا اله غيره . ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .. وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[٣٥] .



فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم قال ان الجنين يتشكل فى بطن أمه ، فما هو الجنين ، عند علماء الاسلام . يوضح ذلك قوله سبحانه (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم . ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)[٣٦] . واشارة الآية واضحة فى أن مصدر الذرية من ظهر الانسان . وترائب المرأة (يخرج من بين الصلب والترائب)[٣٧] .

والجنين يكون فى بطن أمه سابحا فى لجة من ماء مختلط بالدم لتغذيته ، وهـذا معنى قوله عليه السلام (ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه ... الخ الحديث ..

والجنين فى بطن أمه له وضع معين ، وضحه علماء الاسلام قبل علم الأشعة فقالوا : يكون جالسا على رجليه ، ضاما فخذيه الى صدره واضعا كفيـه على وركيه ورأسه على ركبتيه ، وعينيه على ظهر كفيه ، وأنفه بين ركبتيه ، ووجهه الى ظهر أمه ، وكأنه منتظرا أمرا يرد اليه)[38].

والمفسرون قالوا : " ان الجنين يعيش فى ظلمات ثلاث - وسيأتى هذا فى فصله ومن حكمة الله أنه أوجد العظام أولا كأساس للبنيان ، وجعلها قوية وأخذت أشكالا متعددة وغير متساوية لتزيد من صلابتها ، منها الصغير والكبير والمستدير ، والمجوف والعريض ."[39]

ولما كان العبد محتاجا للحركة ، لم يجعلها الله عظما واحدا ثم بعد ذلك كسا العظام لحما ، يوضح ذلك قوله - عليه السلام - (خلق الانسان على ثلاثمائة وستون مفصلا)[40].

والعلم الحديث يقول : " مائتان وثمان وأربعين عظما ، لكنه ترك مفاصـل اليد والأصابع ، وعظام الرأس ومفاصل الأسنان - لو حسبت كلها فسيصل العدد الى مثل ما قال - عليه السلام -[41].

ووقت نزول القرآن ، لم يكن العلم البشرى يعرف عن الأجنة شيئا ، اللهـم الا بعض الخاصة الذين كانت لهم صلة بعلم الفراعنة فى - مصر - حيث وجدت فى بعض آثارهم ، على ورق البردى ، تشريح لرحم المرأة ، ونظرية أرسطو التى تقول " ان الجنين نقطة دم متجمدة فى رحم المرأة " .

وظل الانسان على هذا الاعتقاد ، حتى بعد القرن ، السابع عشر ، الى أن أكتشفت البويضة فى المرأة ، والحيوان المنوى فى الرجل ، الذى لا يزيد حجمه عن

: ٤ أجزاء من المليون من المليمتر ـ والقرآن يشير لهذه الحقيقة ، فيقول ..
(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق). ويتجه جيش من الملايين من تلك الحيوانات الى هدف واحد هو : البويضة فى الرحم ، وينجح واحد ويتحد بهـا ، وينصرف الباقى حزينا . وتتكون خلية مكونة حياة .. من نطفة أمشاج ..[٤٢]

هذه الحقائق لم يعرفها الانسان الا بعد ألفسنة من نزول القرآن ، الذى ـ بين حقيقة خلق الجنين (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)[٤٣] . انه وصف يثير العجب .

والنطفة خلية حساسة دقيقة . أقل شىء يؤذيها ، فلا بد هه أن تكون فى مكان أمين ، والرحم خلقه الله ، أقل الأجزاء حركة فى الجسم ، ومحاط بعظام الحوض . (ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم)[٤٤] .

والنطفة هى الشىء الوحيد الذى أخذ صفة ـ خلق ـ تختلف عن كل مراحل الخلق فهى تتكون من خليتين كانتا منفصلتين . ثم تتكاثر بشكل مدهش وبعد أيام قلائل . تكبر وتصبح قادرة على التعلق بجدار الرحم ، تتغذى بدم الأم . ثم تكون غشاء ممضوغا ، وتظهر الأعضاء ، وتتكون العضلات بعد العظام ..[٤٥]

والمرحلة التى وضع فيها الخالق سبحانه : سر الحياة فى النطفة . ومرحلة خلق النطفة ، وبث الحياة فيها ، تختلف عن مراحل الخلق الأخرى ، لهذا وصف القرآن مراحل الخلق كلها بلفظ ـ خلقنا ـ الا النطفة ، فقال سبحانه (ثم جعلناه نطفة) ولم يقل (ثم خلقناه نطفة)انه اعجاز متناهى الدقة والاحكام .

ولقد اكتشف العلماء أن أجنة الانسان والحيوان والطيور . كلها متساوية فى الخلق . من أول النطفة الى كسوة العظام باللحم ، ولا يمكن لأحد غير الله أن ـ يعلم نوع الجنين فى هذه المرحلة ، ان كان حصانا أو قردا .

ويحاول العلماء : التحكم فى نوع الجنين حسب رغبة الانسان . ذكرا يحب ،

أو أنثى ، والتكهن به قبل ولادته [٤٦] .. وبعض علماء الاسلام وضع نظرية تتضمن ذلك قال : " ان ماء الرجل ، اذا سبق ماء الأنثى ، كان المولود ذكرا .. واذا سبق ماء الأنثى كان المولود أنثى [٤٧] .. والعرب ذكروا ذلك في شعرهم : من أن المرأة اذا حملت مكرهة : كان المولود ذكرا ، وبطلا عجاعا [٤٨] .

" الظلمات الثلاث ... والجنين "

لم يكن لمحمد - عليه السلام - أن يخاطر ويقتحم قضية غيبية .. ويقولها فى القرآن ، وهى قضية : يمكن أن تهدم الايمان والدين من أساسها ، والقرآن كلام الله لايتغير ولايتبدل الى يوم القيامة .

فماذا يمكن مع التقدم العلمى للانسان ، ويكتشف أن القرآن غير صحيح ؟ . وكيف يمكن أن يستمر ، ؟ ولماذا يخاطر محمد - عليه السلام - فى شئ غيبى غير معروف ، - مثل علم الأجنة - وهو البدوى الأمى الذى لا يعرف القراءة والكتابة !! ولم يطلب أحد منه أن يتحدث عن هذه الأشياء أو أمثالها ، أو المجادلة فيها .. لكن القائل هو الله ، والعلم لم يستطع أن يكتشف خلاف ذلك [٤٩] ..

ووقت نزول القرآن ، لم يكن العلم البشرى يعرف عن الأجنة شيئا ، اللهم الا بعض العامة ، كما ذكر قبلا ، واذا أتى القرآن بقضية علمية - فلا يمكن أن تناقض العلم ، اذا لم تؤيده ، وعظمة دلالة قدرة الله واعجازه فى القرآن ، يوضح ذلك قوله سبحانه (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث [٥٠]) ..

قال المفسرون ..." ان الظلمات الثلاث هى :

١ - ظلمة البطن ، ٢ - ظلمة الرحم ، ٣ - ظلمة المشيمة [٥١] .

والمعنى صحيح ..

لكن المدقق فى الآية ، يجد : أنها حددت الظلمات الثلاث . فى داخل الرحم محيطة بالجنين .. والعلم الحديث حددها : فى ثلاثة أغطية . أيضا ، وأنها ليست أربعة ، أو خمسة :

١ ـ غطاء الامنيوس : يحيط بالجنين مباشرة ، وهو كيس رقيق به سائل يزداد مع نمو الجنين ، ويتغذى منه ، ويقيه الصدمات المفاجئة ، والحركات العنيفة ، التى تتعرض لها الأم . كما يسمح للجنين بحرية الحركة ، والاحتفاظ بدرجة حرارة ثابتة ـ تكييف ـ بالاضافة لتسهيل الولادة وقتل الميكروبات الموجودة فى المهبل [٥٢]

٢ ـ غطاء الكوريون : عبارة عن نسيج به زغبات ، تنقل الأغذية ، والأوكسجين من الأم الى الجنين ، كما يقوم بعملية اخراج فضلات الجنين الى دم الأم ، ويمنع أى سموم وميكروبات ضارة وهو فى بطن الأم . ومن لطف الله الحكيم : أن افرازات الجنين من سموم وغيرها . يتقبلها جسم الأم ، وتخرجها بعملية معقدة عن طريق البول .

٣ ـ غطاء الساقط : يحيط بالجنين من جميع الجوانب ، ويسمى ـ المشيمة ـ وهى ذات أغشية متعددة الفوائد . تدفع كل مايضر الجنين . ولا توصل له الا كل ـ ماينفعه ، وهبه الله قدرة هائلة مع أنه غطاء رقيق جدا ، يفصل بين دم الجنين ودم الأم ، مع التحكم فى اختيار نوع الغذاء . انه حارس مخلص . لا ينام لمدة تسعة شهور ، ذو عقل كبير يختار كل ماهو صالح للجنين .. عليه : التنفس ، الهضم اخراج الفضلات ، ارسال الهرمونات ، وينمى الثدى لافراز اللبن ، ويعده للجنين لحين خروجه . [٥٣]

ومن المقرر علميا . أن سلامة الجنين متوقفة على سلامة المشيمة . وأن أكثر حالات الاجهاض راجعة الى خلل فى المشيمة .. [٥٤]

ورأى آخر يقول : ان الظلمات الثلاث ، فى الحيوان المنوى نفسه ، فتلك الحيوانات على رأسها طواقى تشبه ـ اللبدة ـ على رأس الانسان ، مهمتها خزن الخمائر الهادمة لجدار البويضة ، هذه الطاقية لا تنفصل الا اذا ارتكزت على جدار البويضة ، وينهدم غطاؤها أول مرة فى سلسلة أحداث مثيرة ، تتم خلال دقائق ، يفرز كليهما بروتينات معقدة لتمزيق الغشاء فى مكان محدد .



ومرة أخرى تجرى سلسلة ... من التفاعلات الكيماوية ، ليرتبط كلا منهما بالآخر ، ويسبحان فى لباس واحد ، مصداقا لقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) [55] ، مكونان خلية واحدة ، منتجة أجيال من وراء أجيال ، لكن العملية تبدأ بداية أخرى مثيرة ، فالبويضة التى تريد تلقيحا ، تفرز مادة خاصة ، وكأنها كلمة سر ـ تنادى بها الحيوانات المنوية التائهة بطريقة خاصة [56] .

ولقد عزل العلماء بعض هذه المواد ـ كلمة السر ـ وجدوها تختلف بين الأنواع الأخرى ، فكلمة السر ـ فى بويضة أنثى الانسان ، تعطى اشاراتها فقط للحيوان المنوى لذكر الانسان ، دون غيره من الحيوانات الأخرى .. كالفرس ، والبقر ، والقردة مثلا ، فسبحان من ألهمها طريقها ـ والا أصبح الانسان خليطا مشوها من مخلوقات أخرى .

ويفضل هذا النداء الصامت ، تسعى الملايين من الحيوانات المنوية الى بويضتها تطوف بها فارزة مادة لفتح الطريق الممتلئة بالخلايا التى تعترض طريقها ، وينجو واحد من هذه الملايين ، وينفذ برأسه مرتكزا على سور عروسه ، وكأنه يقبلها قبلة بعدها ستنشأ حياة ، وتستجيب البويضة لهذا اللمس ، ويقال أنها تفرز له كلمة سر ـ أخرى يتأثر بها ، بدليل ما يطرأ عليه من تغيرات فسيولوجية ، فيتخلى عن طاقيته ، ويمزقها فارزا مادة ليحطم غلافا ثانيا فى البويضة ، والى هنا يكون قد وصل الى رداء آخر من أردية العروس ، وفى النهاية يرسل الحيوان المنوى من

غمائه الذى كان مختفيا تحت الطاقية بروزا دقيقا وكأنه يمد عنقيه أثناء القبلة ونفس الشيء يحدث فى البويضة ليتقابلا مع هزة نشوة نتيجة لتفاعلات كيماوية تتم سريعا ، لتقفل العروس الباب فى وجه ملايين العرسان ، التى تتصارع حول أسوارها ..[٥٧]

والواقع أن هذا التنظيم الرائع الذى يتجلى للعلماء ، ويرقبون هذا الصراع على الحياة ، تدعو الى التأمل والخشوع والعبرة والاكبار لله سبحانه ، فللبويضة رداء ، من فوق رداء ، من فوق رداء ، اذن ، فهناك أردية ثلاث ، هى : بالنسبة لتفكير العلماء ، ظلمات ثلاث ، ولماذا قال سبحانه (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث) هل هى تعنى جهل الانسان ، وعدم معرفة العقل البشرى بما هو كائن فى هذه الخلايا من نظم ؟ وتكون الظلمات الثلاث ، بمعنى : الجهل أم هى على حقيقتها من ظلمة ؟ لأن كل غطاء للبويضة أو الحيوان المنوى له جدار ، وللجدار ظلمة ، وعند التقائهما يكون الحيوان داخل البويضة محاطا بهذه الأغطية

ومن قدرة الله أن المواد التى تتركب منها الحيوانات المنوية فى جميع الأجناس متماثلة ، لكن الشكل يختلف ، فلا تشابه بين القرد والانسان ..الخ ..[٥٨]

وعندما تقفل البويضة الباب بعد عبورها بدخول الحيوان المنوى فيها تسارع ببناء سور مانعة أى دخيل آخر ، وهذا البناء المعقد يتم فى فترة من ٥ : ١٠ ثوان فقط .. أما كيفية بناء بهذه السرعة ، فهذا سر لم يتوصل له العلم حتى الآن .. وكل مايعرفه هو : تغيرات فسيولوجية ، وكيمائية ، وكهربية ..[٥٩]

" طفـــل الأنــابيب "

يقول سبحانه (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء * يهب لمن يشاء * اناثا ويهب لمن يشاء الذكور)[٦٠] وقال سبحانه (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام)[٦١].

العلماء * يبحثون فى معرفة حقيقة الجنين ، هل هو ذكر أم أنثى ؟ ويزيدون على ذلك أن العلم استطاع أن يخلق • مايطلقون عليه ـ طفلا صناعيا ـ والأمر فى عداد الحقيقة العلمية • وفى الوقت نفسه ليس حقيقة علمية ، وهل استطاعوا معرفة نوع الجنين ؟ وهل هذا يتناقض مع المغيبات الخمسة : التى منها " ويعلم مافى الأرحام " ؟

قال بعض المفسرين : أن ـ ما ـ تعنى ذكرا أم أنثى ...[٦٢]

والبعض الآخر صرفها الى معنى آخر ، هو : أن ـ ما ـ فى قوله تعالى " ويعلم مافى الأرحام " معناها : شقى • أم سعيد • طويل أم قصير • أبيض أم أسود ـ عمره • رزقه • اسمه • ... وهكذا .. كل ما يتصل بالمخلوق الذى سيأتى الى الدنيا ، ـ واستدلوا بقوله سبحانه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء * .. الى قوله .. قال كذلك الله يفعل ما يشاء *)[٦٣].

فالله أخبر زكريا ـ عليه السلام ـ بابنه قبل أن يولد ، وأخبره باسمه ، وهذا الاسم لم يكن معروفا للناس فى ذاك الزمن ، وأخبره أنه سيكون نبيا ، وهذا كله قبل أن يولد ، بل قبل أن يوجد فى بطن أمه • وأتت البشارة • فلو كانت " ما " من المغيبات الخمسة • لما أخبر الله زكريا بيحيى)[٦٤]. ؟

هذا بعض تفسير كلمة " ما " فمن الممكن أن تكون ليست دلالة على الذكر والأنثى وعلم العلماء محدود ، فلا يحدد فقط بذكر أم أنثى • والله سبحانه ليس

بل قال " ما في الأرحام " وحقيقة الذكر والأنثى · ليست حقيقة علمية ، لماذا ؟
لأنه لا يوجد نوع ثالث ، والمولود اما : ذكر ، أو أنثى ، لا زيادة ·· فلو فرض
بعض أنه سيرزق بولد فسيكون افتراضه ٥٠٪ أو بنت سيكون افتراضه ٥٠٪ أيضـا –
ويأتي المولود حسب الاحتمال ، فليس معنى هذا أنك تعلم الغيب ، أبدا ·· لأن
التخمين أو الظن · في شيئين لا ثالث لهما ·

لكن لو كان هناك أجناس أخرى كثيرة لاحتمل الأمر شيئا أكثر دقة في العلم[٦٥]

وأما الطفل الصناعي فقد كثر حوله الجدل ، فالبعض اذا أراد أن يصنع بشرا ·
فالمفروض أن يأتي بالمادة الحية أولا ، ولكن حينما يأخذ ماخلق الله وييسر له
عملية الخلق بما أعطاه الله من علم ، لا يمكن أن يقال أنه صنع " طفل صناعي "
لأنه أخذ من الحيوان المنوي وهو خلق الله ، وهيأ له الظروف ليتم ما أراده الله
فيما خلقه للأنثى · اذن لم يفعل شيئا ·· والشيء الآخر ، أن المادة والرحـم
الذي نما فيه الطفل · من خلق الله سبحانه ، والانسان اذا عالج عقما واستخدم
ما وهبه الله من علم لاستمرار الحياة على الأرض ، فهذا أيضا ليس غريبا · وانما
الغريب منعها من الموت · أو ايجاد خلية ·[٦٦]

ولم يتناول أي نص قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – أو بعده ، علم –
تكوين الأجنة في بطون الأمهات – والله سبحانه وضح تلك المراحل · والعلم حـتى
الآن لم يستطع أن يأتي بما يناقض ·· ولن يستطع ·

والأديان لها رأي – في طفل الأنابيب :

الدين الاسلامي : لا يتعارض مع العلم ، بل يشجع عليه ·· لكنه وضع شروطـا
أهمها أن تكون البويضة ، والحيوان المنوي من زوجين ··[٦٧]

أما الكنيسة : فاعتبرته مثل التلقيح الصناعي · وهو ضد الأخلاق والطبيعة
ووقفت ضد التقدم العلمي ، وكفرت كل من قام بهذا العمل ·

أما الأطباء : يخشون عند انتقال النطفة الى الأنبوبة ، بعيدة عن الرحم ، أن تتأثر بعوامل خارجية ، مما يؤثر على الجنين ، ويصاب بتشوهات خلقية وعيوب لكن الشئ الأهم : عندما يكبر الطفل ، ويخرج للمجتمع فى المستقبل ، فقد يتعرض لمشاكل نفسية رهيبة ، لم تلاحظ الآن .. من أبوه ..؟ من أمه ..؟ وأنه جاء بطريق غير طبيعى وعلماء النفس لا يدرون الى أى حد تصل هذه التأثرات؟ ولربما تتغير بعض العوامل الوراثية ، يحاول الباحثون تغييرها فى الأنبوبة)) ، واذا اتجه العلم لهذا العمل ، فسيكون دمار البشرية المحقق .. فمن الجائز على هذا الفرض تغيير الجنس البشرى بتغيير علم الوراثة ، ومن المحتمل أن يكون الانسان طويلا جدا وكثير التناسل ، أو صغيرا جدا ، وبهذا تذهب بهجة الحياة [٦٨] ..

" الخـــلايــا .. والصفـــات الوراثيـــة "

اكتشف العلماء فى الانسان خلايا أكثر تعقيدا ، وأعظم غرابة ، تهدى العقل الى الخالق العظيم سبحانه ، منها : الخلايا الوراثية - التى تنقل صفات الانسان .. أتى رجل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - طالبا اقامة الحد على زوجته ، فسأله الرسول - صلى الله عليه وسلم - لماذا ؟ فقال الرجل : لأنها أنجبت لى غلاما لونه أسود ، ولونه يخالف كلينا ، فطمأن الرسول الرجل ، وقال : (لعل ابنك هذا نزعه عرق) [٦٩] .

وكانت الاشارة لميلاد علم عظيم " علم الوراثة " الذى أعيا العلماء ، واكتووا بنار البحث ، وسط المعامل والمختبرات ، وما زالوا على الطريق .

بشارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - واضحة - لعلم الوراثة - والعلماء اكتشفوه حديثا ، بعد أبحاث عشرات السنين ، وصلوا الى تركيب جرثومة من داخل -

معدة الانسان ، فى خلية نباتية ، لينشأ مخلوق جديد غير معروف .

والنتيجة عند العلماء ذو حدين : اما : نفع البشرية ـ للتخلص من أمراض ال الوراثة .. أو : تدمير البشرية ، اذ ربما يهرب أحد هذه المخلوقات . من المختبر وهى تتكاثر بصورة تفوق الخيال ، وبهذا تكون نهاية الجنس البشرى .[٧٠]

"والمادة الوراثية موجودة فى كل خلية من الانسان بنسبة : ستة أجزاء من المليون من جزء من المليون من الجرام الواحد ... فاذا كان سكان العالم أربعة بلايين ، فان كمية مادة الوراثة فيهم ، عبارة عن ثلاثة أجزاء من مائة جزء من الجرام الواحد" .[٧١]

واستطاع العلم الحديث أن يكشف بعض الصفات الوراثية فى الانسان ، مثل : الطول والقصر ، والجمال والقبح ، وما الى ذلك ، وكل شخص يختلف عن الآخر فى صفة .. وسبب هذا وجود مادة فى الخلية ، عليها خيوط دقيقة تحمل فيها صفات الوراثة . منذ سيدنا آدم حتى اليوم ـ فسبحان الله الذى ألهم رسوله لذلك عندما قال : " لعله نزعه عرق " .



انه شئ يفوق الخيال . أن ثلاثة أجزاء من المائة جزء من الجرام تحمل صفة الوراثة لأربعة بلايين آدمى . ولو أجريت احصائية لعدد السكان منذ خلق الله الأرض ومن عليها حتى اليوم . مع مبالغة فى العدد . لكان وزن كمية صفة الوراثة لا تزيد عن جرام واحد . اعجاز لايقدر عليه الا خالق الكون سبحانه . الذى وهبها هذا السر .

وتنقلت عبر التاريخ هذه الصفات الانسانية . بخيرها وشرها ، وفكرها وستظل تضيف جديدا حتى نهاية الحياة .

" والشئ الأغرب أن مادة ـ الوراثة ـ هى التى تصنع البروتينات المغذية للجسم ، من بين الأحماض ـ الأمينية ـ تحت عدة عمليات معقدة ، والعلم عاجز حتى

الآن عن اكتشاف السر[٧٢] « فسبحان الله الذى يعلم السر وأخفى ..

ويقوم العلماء الآن بمحاولة اضافة بعض صفات الوراثة لبعضها . ليتخلصوا من الأمراض الوراثية ، والتشوهات الخلقية والسرطانية ، وايجاد انسان خال من العيوب . متتبعين قاعدة ـ من قدر على التغيير للأسوأ قادر على التغيير للأحسن والتجربة الآن تقوم على تقسيم الجنس لانتاج مخلوق جديد . ربما فيه دمار العالم أو صالحه . وذلك بأخذ صفات من نبات مثلا . واضافته الى صفات الانسان ، وتقوم ـ الخلايا بالانقسام ، ولم تعرف النتيجة حتى الآن ـ فربما يصبح الانسان مثل الجبل ، أو مثل الحشرة الصغيرة ، أو تنبت على رأسه شجرة تفاح يتغذى منها ، أو تمساح ، أو أسد .. الله أعلم !! ..

ان هذا التصور يزعج العالم . لو أخطأ العلماء .. لكن ليس من المؤكد .. ـ ان كل ما توصل اليه العلماء ليس الا كشفا عن حقائق قد أوجدها الخالق سبحانه ، وحسب ارادته لها ، وهذه حكمته فى خلقه ..[٧٣]

ويقوم العلماء باستغلال الميكروب أو الخلايا . وفيها الخير والشر كما فى حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والانسان بطبعه مولع بالمعرفة ، والعلم والتجربة الآن فى صالح البشرية لمعالجة التشوهات الخلقية الوراثية . بنزع الجراثيم الفاسدة فى الجسم ووضع جرثومة مماثلة سليمة ، فمثلا : مرض السكر . فالبنكرياس لا ينتج الكمية الكافية للجسم من الأنسولين . فلو زرع الميكروب الصالح لقام بمهمته ، فى تغذية الجسم بما يحتاجه من الأنسولين . ومع ذلك يتخوف العلماء من هذا المولود . فمن الممكن أن يتخذ العلماء من الصفات الوراثية ـ الشريرة ـ فتكون بمثابة القنبلة الذرية وتصبح جيما يقهر الانسان ، ويقضى عليه حياته ، ولعل الانسان يدرك آخر الأمر أن العلم سلاح ذو حدين .. ولا ملجأ الا لخالق الانسان .[٧٤]

وكما يقول الشاعر :

العلم أعظم نعمة لكنه ... قد يستحيل لنقمة وبلاء

والعلم إن اضل السبيل ... فأهله شر على الدنيا من الجهلاء

" الخليـــة فى الانســـان "

ولقد أثيرت بعض الشبهات . فى أن الخلية تنموا بتطور عضوى من طور الى آخر حسب قوانين طبيعية ، وأن عملية نمو الخلية فى الانسان ، لا تعتمد على التدخل المباشر ، والمستمر من الله سبحانه ..

هذا مايقوله بعض العلماء . ويستدلون على قولهم . بأنهم يستطيعون التنبؤ بمراحل نمو الخلية ، ومن الممكن تعويقها بتعريضها للأشعة[٧٥] . لكن يكفى من يقول بهذا الرأى أن يتحقق ويبحث فى قوله سبحانه (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)[٧٦] وأنه لاخلاف بين علم الخلايا ، ووصف القرآن لتطور الخلية ، والله واضع هذه القوانين بحكمته ورحمته .

ولو تذكر الانسان نفسه وهو نطفة ، لا يملك ولا يملك له أبواه نفعا ولا ضرا . لتأكد من مشيئة البارى[٧٧] .. قال الله سبحانه (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)[٧٨] .

قال ابن الخطيب فى تفسيرها : " لو تأملتم فى أنفسكم لوجدتم العجب العجاب مثلا : كيف أنشأ الله الانسان من طين ، ثم كيف خلقه من نطفة فى قرار مكين . بل أنظر الى النطفة نفسها ، وكيف يتكون منها الجنين .. الخ .. ما مر ذكره من هذه الخلايا التى خلقها الله فى الانسان : ما ينتج الشعر ، ومنها ما ينتج الأظافر ومنها ما ينتج العظام ، ومنها ما ينتج الدم ، وهكذا .. ومتى نضجت هذه الخلايا ، واكتمل نموها ، تخصص كل منها فى تكوين نوع واحد من الأنسجة والأعضاء . ومن

هذه الخلايا ينتج الجهاز العصبى • الذى يتوقف عليه ايصال الرسائل من الحواس والأعضاء المختلفة الى المخ ، ومن المخ تنتقل الرسائل التى هى بمثابة أوامر وأحكام — الى العضلات والأطراف التى تتحرك بموجبها " تبعا للظروف المحيطة بالانسان " الى الغدد الحية فتفرز سائلا معينا ، وفقا للحالة التى يجابهها الشخص ((كالدموع ، واللعاب ، مثال ذلك : اذا أبصر انسان لصا أمامه ، بيده خنجر ، فان الجهاز العصبى يوجه الى المخ اشارة بذلك الخطر المحدق فتتلقى الجوارح من المخ .. • اشارة بما يجب اتباعه ..[٧٩]

وقد يستغرق هذا كله جزءا من مائة من الثانية ، فى علاقة المخ بالحواس ، وذلك بواسطة ذبذبات يعجز اللسان عن وصفها .. هذا وقد دل الفحص " الميكروسكوب " على أن عدد الخيوط العصبية فى المخ يتجاوز — عشرة آلاف مليون — كل واحد منها تدب فيه الحياة ، ويحمل وظيفة عضوية يؤديها على أكمل وجه ..[٨٠]

ولو تأمل الانسان حواسه ، لأخذته الدهشة ، فمثلا : حاسة " اللمس " وكيف تستطيع بها أن تفرق بين الخشن والناعم ، والبارد والحار ... الخ

وحاسة الشم — وكيف تستطيع بواسطتها معرفة الذكى الرائحة من الردئ؟ • وحاسة التذوق — وحاسة البصر ، وكذلك السمع • وتحويل المسموعات الى مفهومات ، وهكذا سائر الأعضاء ، وهبها الله سبحانه مزايا يضيق الخاطر عن حصر فوائدها ، وهل يستطيع العلم أن يستعيض عن أحدها ، لو سلبت بعض هذه الحواس من جسمه ؟ أو على الأقل يعرف سر تركيبها • لو تأمل الانسان ذلك كله لما وسعه الا أن يقول : سبحان القائل " وفى أنفسكم أفلا تبصرون)[٨١] .

ان الاسلام يحترم الدراسات التجريبية ، والتى يتميز بها هذا العصر ، ولو بصر الانسان وتابع التأمل فى نفسه • وساقه التأمل الى كيفية دوران أجهزته وتحرك أعضائه ، وجسمه وما فيه من ابداع لخر ساجدا لله ..القادر[٨٢] .

" الــــدم .. ورحــلة داخل الجسم "

صوت العلم يتحدث عن عمل ـ الدم ـ فى الجسد ، وكيف يدور من منبعه الى مصبه ، ليمد كل ذرة فى جسد الكائن بالحياة والحرارة .

ان الانسان لا يستطيع أن يفهم الكائن الحى ، بدراسة جمانه الميت . لأن أنسجة الموتى قد حرمت دمها الجارى ، وعمل وظائفه . وفى الجسم الحى يجرى الدم فى كل مكان ، وكل الخلايا الحية تعتمد فى حياتها اعتمادا مطلقا على الوسط الذى تكون مغمورة فيه بالدم الذى يتألف من ـ ٢٥ : ٣٠ ـ ألف بليون خلية حمراء ، و ٥٠ بليون خلية بيضاء . وهذه الخلايا كلها معلقة فى سائل ، ويحمل الدم لكل نسيج ـ من أنسجة الجسم غذاءه المناسب ، ويقوم فى الوقت نفسه مقام الأنابيب التى تلقى فيها الفضلات المتخلفة عن الأنسجة ، ويحتوى كذلك على مواد كيميائية ، وخلايا قادرة على ترميم الأعضاء كلما دعت الضرورة . انها وظيفة مدهشة عجيبة . فان ـ الدم يعمل عمل السيل الذى يحمل فى عبابه من الطمى والحجر ما يكون سببا فى اصلاح ما على شواطئه من عمران ، وكما أن فى الدم أجسام مضادة للجراثيم ، تظهر عند وجود أى خطر لحماية نفسها ، يضاف الى ذلك أن المصل الموجود فى الدم يحتوى على خيوط تلتصق ببعضها عند الجروح..[٨٣]

والقرآن الكريم ذكر ـ الدم ـ فى آيات متعددة لأهميته ، ولما فيه من منافع ومفاسد .. فقد حرم الاسلام ـ الدم المسفوح ـ من الحيوانات وغيرها أو الانسان وأدخله فى عداد النجاسات ، ولا يحل أكله . لماذا ؟

وأخيرا يأتى العلم الحديث ، فيقول : " ان الدم يحتوى على جراثيم وميكروبات وحيوانات . فعندما ينزف الدم ، تخرج هذه المخلوقات معه فتموت ويصيبها العفن

والأمراض ، ولذلك حرمه الاسلام ، بدليل قوله سبحانه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير)[٨٤] . ويحدد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدم الحلال فى قوله (أحلت لنا ميتتان حلالان ودمان حلالان . السمك والجراد ، والكبد والطحال)[٨٥] .

ومن باهر قدرة الله سبحانه : أن قلب عبده المؤمن ، أقوى من الجبل ، فى قول - عليه السلام - (ان قلوب العباد ، بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء)[٨٦] . ومع صغر حجم القلب الذى ذكره الله ، ورسوله - الا أن له شأن عظيم فى تركيب الجسم . كالقائد فى جنده .

والعلم الحديث فى تشريحه للقلب . وجده الملتقى للدم كله ، حيث يتصل بكل الشرايين التى توصله لكل ذرة فى الجسم - حظها وقوتها من الحياة . وهو مركز - الادراك والعقيدة فى الانسان - كما كان يعتقد قبلا - وموطن التوحيد ولا سيطرة لأحد عليه ، ويتميز قلب المؤمن بكشفه الحجب من وراء مسافات بعيدة ، وقد أكرم الله به بعض عباده المؤمنين ، فنظروا بنور الله ، قال - صلى الله عليه وسلم - (ان من أمتى محدثين ومعلمين ومتكلمين ، وان عمر منهم)[٨٧] .

فتقوى الله مفتاح القلوب . فكشف الله لعمر حالة جيش المسلمين ، والعدو يراوغه ، وأوشك على الهزيمة .. وعمر يخطب الناس فى المدينة ، فألقى الله فى روعه ما كشف له حال الجيش ، فنادى عمر قائده على البعد - ياسارية الجبل -[٨٨] . فسمعه ونفذ أمره وانتصر .

والصديق - أبو بكر - رض - أحس بنور الايمان بما فى بطن زوجته ، وأنها ستكون أنثى .. وقد كان . وقد أمر النبى - عليه السلام - أصحابه .. أن يستفتوا قلوبهم (فالبر ما اطمئن اليه القلب)[٨٩] . وأن قلب المؤمن لا يكذبه فهو يحس به نور الله ..[٩٠]

وهذا الالهام ليس علما بالغيب ، وانما بصيرة ، أضاء الله بها قلوب -

أصحابها بالطاعة ، كاحساس الرؤيا الصادقة .

والقلب مستودع الخواطر ، لتحريك ارادة العبد . ولقد نبه الرسول الى كسر شهوة القلب بالجوع ، فقال : (ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا عليه مجاريه بالجوع)[٩١] .

من هنا كان القلب منبع استجلاب الرحمة من الله . لكن هذه ليست وظيفة القلب فقط . ان له وظيفة آخرى كبرى . هى نبض الحياة . هى توزيع الدم فى كل خلية فى الجسم . وبغيره تتوقف الحياة .

والحديد ـ الذى يجرى فى الدم جزء أساسى لتكوين المادة الحمراء ، وفى نقصه خطورة .. ولعل هذه واحدة من فوائد الحديد ، بدليل قوله سبحانه (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)[٩٢] . كيف لا : والانسان الضعيف لا قوة عنده ولا بأس لينصر الله ويدافع عن رسالة السماء ..[٩٣]

ولأهمية الدم فى استمرار الحياة ـ حرم سفكه صيانة لها ، يقول سبحانه .. (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم)[٩٤] . وقال (أتجعلوا فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)[٩٥] .. وتكرر هذا فى سورة البقرة : ثلاث مرات ، ثم المائدة ، والأنعام ، وهذا التحريم لحكمة . لأن الدم ينقل الغذاء الصالح لجميع أجزاء الجسم ، وكذا أيضا يخرج الافرازات الفاسدة التى اذا بقيت تسمم الجسم ، كالجهاز البولى .. زد على هذا كثرة الجراثيم التى تعيش فى كفاح مع الكرات البيضاء ، وقدرتها على اهلاك تلك الجراثيم ..[٩٦]

وباختصار فان الدم ذلك السائل الذى يجرى فى أوعية المخلوقات ، يسير بقدر معلوم الى قدر معلوم ، ويجدد خلاياه تلقائيا كلما شاخت . حتى يبقى شابا دائما فى قوته وقدرته ، تجرى معه الحياة (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين)[٩٧] ..

هذا هو الدم .. السائل فى كل فلذة ـ من النسيج الحى ـ التى لو وضعها فى قارورة لاحتاجت الى مقدار من السائل يعادل حجمها ألفى مرة . كي لاتقتلها فضلاتها فى بضعة أيام .

وعلى هذا لو أن الدم البشرى أحيل الى عجينة ، وزرع زرعا صناعيا لتطلب ـ ٢٢٥٠٠٠ لتر ـ من السوائل المغذية ، ونظرا للكمال الخارق الذى امتازت به الأنسجة المسئولة عن دورة الدم فى الجسم ، وعن ثروته من المواد الغذائية ، ... وعن طرد الفضلات منه على الدوام . لكن حكمة الخالق سبحانه جعلته يحيا فى ـ سبعة لترات ـ من السوائل بدلا من ـ ٢٢٥٠٠٠ لتر ـ .

ويسرى الدم بسرعة فى الأنسجة ـ لحكمة الهية ، وذلك لمنع الدم من التأثر بما يلقى فيه من فضلات ، وكل عضو يقدر الدم اللازم له وسرعة جريانه فيه .. وذلك بمعونة الأعصاب التى تسيطر على أوعيته الدموية[٩٨] .. فالمخ والأعصاب يتطلب كل منهما ضغطا خاصا للدم الجارى فيه .

ويتوقف سلوك الفرد ، ونوع فكره على حالة دورته الدموية . والدورة الدموية كما هو معروف . تكون بواسطة ـ القلب ـ[٩٩] .

ان الكفر قد يجد متسعا فى البلاد التى لم تستضئ بنور العلم . فالايمان ، والعلم قرينين لا ينفكان . قال سبحانه (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)[١٠٠] . وقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)[١٠١] .

* الانســــان .. والمــوت *

جسد الانسان آلة عظيمة من أدق وأروع ماخلق الله . وقد صاغه الله صياغة متقنة ليكون التأمل فيها مثار عبرة وايمان . فالحياة تنساب فى الجسم فتملؤه نضارة ، ونشاطا ، واذا انسلخت منه تهدم وانهار .

والله سبحانه أوجد هذه المعامل . التى لا تكف عن العمل ليلا ونهارا لامداد الجسم بكل مقومات الحياة ، وتصنع كل أسرار الخلايا ، وأدق أسرار الخلق فى الوراثة والسلوك .

هذه المعامل ، لو اختل توازنها ، أو توقف عملها ، وجب اسعافها بما يسمى - الدواء - والانسان عاش فترة طويلة يستمد دواءه من الطبيعة ، من نبات وحيوان ومعادن - ولم يقف عاجزا أمام المرض ليقهره ..

والاسلام العظيم لفت نظر المسلمين لذلك . وأول من طبق الدواء ، الذى يتفق وطبيعة الانسان - لا سحر ولا شعوذة - وسما بفكره ليعيش فى الواقع والحقيقة . مع تحديد الدواء النافع ، يقول - عليه السلام - (ماأنزل الله من داء ، الا وأنزل له دواء)[١٠٢] . وقال (ان الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بحرام)[١٠٣] .

وسما الانسان بنفسه عاليا فى الفضاء الكونى كالعملاق ، حتى وصل الى أفلاك السماء .. بالتجربة والتأمل - والآن يحاول أن ينأى بنفسه بعيدا عن . * الموت * ويخاف من ذلك المجهول الذى أعجزه وأقعده ، ولم يتوصل حتى الآن .. الى مايبعث فى نفسه الاطمئنان : من علاج أو دواء ، لاطالة عمره وابقاء شبابه .. لكن لماذا ؟ .

أن نظرة الانسان للموت نظرة سطحية . والحقيقة أن فى الموت : حياة ، يقول سبحانه (الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)[١٠٤] . ويقول - صلى الله عليه وسلم (لا يتمنين أحدكم الموت ، من ضر أصابه فان كان : فليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى ما كانت الوفاة خيرا لى)[١٠٥] . وكما نهى الرسول - عليه السلام - أن ندعو بالموت ونكره الحياة . ويقول (ان للموت سكرات ، فعندما أتته الوفاة . يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ، ويقول ، لا اله الا الله ان للموت سكرات ، ثم نصب يديه فجعل يقول - فى الرفيق الأعلى حتى قبض)[١٠٦] ..

ان النظرة السطحية وجهل الانسان بحقيقة الموت ، هو الذى يجعله يعيش معذبا فى هذه الحياة " ان الموت مزرعة الحياة وحقلها ، ولولا الموت لما كانت الحياة ، والله سبحانه قدم الموت على الحياة " : أشبه بتقديم السبب على المسبب .

والموت من خواص : الحيوان والنبات . وقد وضع الله فى طبيعة أكثر الحيوان والنبات ، كثرة الذرية بشكل مفرط جدا . لبقاء النوع ، ولو تركت تلك الذرية ، حينا من الدهر .. لأمتلأ وجه الأرض بالحيوان ، ولم تعد تصلح لشئ آخر[١٠٧] .. فمثلا النخل : - وكذا - الذرة - وما فيهما من لقاح ، مما ينتشر فى الهواء ، ويقع على الأرض ، فلو صادف صالحا وأثمر كله ، لم تسعه الأرض ..

والسمك - لو أن كل بيضة ، صار سمكا ، لأصبح البحر كله قطعة واحدة . !! .

ولو لم يقتل الناس الحشرات ، مثل : البعوض ، والبق ، والنمل ، والجراد .... الخ .. لأصبحت الأرض مغلفة بطبقة ، وامتنعت عليها الحياة . فلقد سلط الله عليها عوامل طبيعية لتهلكها .. ويجعلها غذاء لحشرات وحيوانات أخرى .

والميكروبات : لو استمرت على التوالد خمسة أيام متتالية .. لملأت المحيط كله الى - كيلو متر .

ويقول العلماء ان وباء - الكولبرا - الذى يتضاعف كل عشرين دقيقة . لو

أستمر يوما بلا عائق ، لبلغ وزنه ـ ١٣٦٦ طنا ـ .

بعض المحار ـ والقواقع البحرية ـ تبيض الواحدة ٦٠ مليون بيضة ، فلو بقيت لسنتين . لزادت عن مساحة الأرض .

الذبابة : تبيض الواحدة أسبوعيا ١٥٠ بيضة ـ فلو عاشت .. ما عاش سواها على الأرض .[١٠٨]

هذا قانون الحياة .. الذى يتساءل الانسان دائما عن علته . لماذا الموت والحياة ؟ . ولا يتصور أن الأرض تتحمل عبء المخلوقات منذ نشأتها بدون موت !!.
لا شك أنها كانت ستصل الى درجة الاختناق ..[١٠٩]

" وهـــم اسمـــه .. الخـــلود "

والانسان لم يقتنع ، ونسى أدلة الموت ، وذهب يتلمس شتى الطرق للابقاء على حياته . ويحلم بشىء اسمه " الخلود " يجب أن يكون غابا عملاقا ، ولا يريد أن ـ تجود الحياة بمثله أو بغيره .. فهل أدرك سر الحياة ؟ .

والانسان المخلوق الوحيد على الأرض الذى يعرف " النقيضين " الخير والشر ، وأدرك الفرق بين : الفضيلة والرزيلة ، والصحة والمرض ، والموت والحياة ..
وأكثر ما يؤلمه ، هو سيره نحو شيخوخة مؤكدة . نهايتها الموت المؤكد .
وحاول أن يبعد هذا الشبح ، لكن ذهبت محاولته أدراج الرياح أمام هذا الموت ـ الراسخ .

ونتيجة للتقدم العلمى ، وبحث الانسان وتجاربه المستمرة : رأى بعض ـ الخلايا والبكتريا والأميبا ، وبعض الديدان .. الخ ـ تعيش مادتها الحية أقرب الى الخلود الذى يطمع فيه الانسان . وذلك نتيجة لانقسامها المستمر ..[١١٠]

والأمل يراود العلماء : فى مواطلة - الخلايا - انقسامها ، فلو حصل .. سيبقى الانسان شابا !! ولو توقف الانقسام .. ستأتى الشيخوخة[١١١] .

لكن هناك مشكلة تثير الرعب والفزع ، فلو واصلت الخلايا انقسامها . سيصبح الانسان مخلوقا سرطانيا . فالانسان يبدأ كيانه بخلية واحدة - ملقحة من الحيوان المنوى والبويضة - ويؤدى الانقسام المستمر ، أن تصبح اثنين : أربعة : ثمانية : فمائة : ألف : مليون : فآلاف البلايين .. الخ . ومن هذه الخلايا يتشكل الانسان ويخرج المولود الجديد الى الدنيا ، وينمو ويصبح شابا ذو نضارة وحيوية . ثم يتوقف الانقسام وتشيخ الخلايا ، وينالها الضعف والوهن ، يقول سبحانه (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة)[١١٢] .

ومن حكمة الله أن خلايا الانسان لا تستمر فى الانقسام ، والا أصبح مثل الجبل ، ويستمر حتى تضيق به الأرض ، ويهيم على وجهه لا يأويه سكن ولا يتسع له ملبس . لكن بالتوقف يبلغ الانسان أطواله المناسبة ، ثم يدخل مرحلة البلوغ ، وكأن هذه المرحلة جاءت فاصلة بين عالمين : عالم الخلايا الجسدية ، وعالم الخلايا الجنسية ، التى تأخذ مبدأ المبادرة ، ويتكون المنى الذى يخرج من بين الصلب والترائب[١١٣] ..

والخلايا الحية موقوتة ، وكأنها تحمل فى طياتها ساعة " بيولوجية " موقوتة تفرغ بعد وقت معين . وتنفجر ولا يمكن اصلاحها ، أو اعادتها للعمل مرة أخرى .

ويقوم العلماء الآن ، باجراء التجارب على الخلايا الانسانية وزراعتها فى مختابير . مع تهيئة كل السبل المناسبة لمعيشتها ، وكم من السنين ستبقى حية .. فلاحظوا أنها تواصل انقسامها الى خمسين انقساما .. وتوقفت ، وبدأت الشيخوخة وماتت ، ولم تنفع معها أى محاولة للابقاء على حياتها .!! .

ثم أخذوا خلايا من شاب . فكان انقسامها أقل من الجنين ، وهكذا فعلوا مع

شيخ عجوز . فلم تعمر الا قليلا وماتت[١١٤] .

فالضعف والقوة والشيخوخة . كما حدد الله فى كتابه ـ موقوتة بعدد من الانقسام .. ثم تنتهى ، وكأن شيئا يدور فى داخلها بحقات زمنية محددة .

فالانسان مثل المدينة الكبيرة . تدب فيها الحياة على جميع أشكالها ، وذلك الى زمن محدد ، ثم يدلرأ عليها القدم ، وتتمزق مبانيها وشوارعها ، وتضيع بهجتها وتصبح بعد ذلك فى خبر كان ... [١١٥] فى الوقت الذى قام الناس فيه ببناء مدينة أخرى حديثة الطراز ـ هكذا الانسان . يموت القديم ، ليعيش الجديد .. ممثلا فى خلاياه الجنسية ، وتتمزق منه على هيئة المنى بالتقاء ـ ذكر وأنثى ـ لتبدأ حياة جديدة ، بانقسام جديد ، وهكذا منذ وجد آدم حتى اليوم والى أن يشاء الله .

وقبل أن ينتهى الجسد ، تنفصل خلاياه الجنسية لتتحد بغيرها ، ولتكون امتدادا لجسدين فانيين ، فى جنين قادم جديد ، حاملا كل الصفات الوراثية .

ولعل هذا يقرب فهم المعنى من حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (تناكحوا تناسلوا ، فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة)[١١٦] . وقال (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ـ)[١١٧] .

فكل الأنواع تحمل بين جنباتها عناصر : الموت والحياة . وكلاهما مكمل للآخر والنقيض دائما يجعل للحياة معنى . والموت صعب على النفس البشرية . لكن بدونه لا تعرف الحياة ، فمثله كمثل تعاقب الليل والنهار (قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ..الخ الآية)[١١٨] . فلو كانت الحياة سرمدية ، لما عرف شىء اسمه الزمن ، ولأصبح الانسان مثل الميكروب فى مستنقع عفن ..[١١٩]

ومن الاعجاز الرائع قوله سبحانه (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)[١٢٠] ..

البـــاب العـــاشـر

الحـــــديث ٠٠ والاكتشـــافات العلمية

المـراجـــع ٠٠ والتعليقات :-

(١) ومنهم- دارون - وفكرته عن الطريقة التى تكونت بها الأحياء ٠ وفى رأيى لأنه مؤمن بالله ٠ لأنه يقول : هل الأحياء وجدت على صورتها - الحالية ، أو هى سلالات لمخلوقات أخرى ؟ وليس فى النظرية ما يشير من قريب أو بعيد الى أن العالم قد وجد من غير خالق ونظريته - محتملة للصواب والخطأ ٠ ثم أنها لا تضر قضية الايمان ٠

(٢) سورة المؤمنون / ١٣ ٠

(٣) فى رواية أحمد بن حنبل ، ج٣ - ٥٣٥، وأبى داود ، ج٥ ، والترمذى ٠

(٤) وتنسب هذه الفكرة الى : فلاسفة الاغريق : أرسطو وغيره ٠

(٥) وهذه النظرية ٠ قال بها دارون - ولى رأى بسيط : لماذا حتى الآن لم نر القردة تحولت الى انسان ٠ ولو كانوا كما يزعمون لاختفى نوعها ٠ لكن المشاهدة تنفى ذلك ، فما زالت القردة تقفز على فروع الأشجار : ثم لا ندرى بعد ذلك الى أى شئ يرتقى الانسان ٠٠ الى حمار ، أم شجرة ؟ لكن الله سبحانه خلق الانسان فى أحسن صورة (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) الانفطار / ٨ ٠ والطبيعة لا تأثير لها فى أى شئ ، ودارون نفسه يقول : ان شرحه لنظريته ليس نهائيا ، وقد سبق إن ما قاله غير صحيح ٠

(٦) والقائل بهذا الرأى ، جورج كوفية ، وبعض المفكرين المعاصرين منهم ٠ - مصطفى الحديدى " دراسة قرآنية " عدد ٤١٨ ، ١٩٧٧م - الكويت ص٣٩ ٠

(٧) هذا هو الحق الذى يقره الاسلام ، وجميع الأديان السماوية والذين قالوا بغير ذلك ٠٠ فقد قال الله فيهم (أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) وأيضا نرى آثار الفراعنة منذ آلاف السنين كما نحن عليه الآن ، نفس الشكل ونفس الوجوه ونفس الطول وما الى ذلك ٠

(٨) فون باير ، مؤسس علم الأجنة ٠ ودوفرى ، وجوهانز ٠

(٩) جريدة الشعب المصرية - نشرت هذا الخبر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٥م - القاهرة

(١٠) أى على صورة آدم التى خلقه الله عليها .
(١١) البخارى ـ الاستئذان .
(١٢) أخرجه مسلم ـ ٧٣ .
(١٣) وتصورهم هذا : هو البديل لهم عن الايمان بأن الله هو الخالق ، فقالوا بالطبيعة ولم يعترفوا بوجود اله . لأن هذا معتقدهم .
(١٤) أبوبكر الجزائرى " عقيدة المؤمن " ص ١٣ : ١٥ ..
(١٥) أخرجه البخارى ـ باب الخلق ، وتعرضت لشرحه فى فصل الأجنة ـ ، وكذا الشيخان ـ اللؤلؤ والمرجان / ٣ .
(١٦) والسنن الطبيعية ليست مطردة ، فالنواة تلقى فى الأرض مع تهيئة كل ظروف الانبات ، لكن أحيانا تتخلف .
(١٧) وأما مايسميه الملحدون ، بالقوانين الطبيعية ، ويتخذون منه دليلا على كفرهم بالله ، ماهو الاسنة الله فى الكون لا تتغير ولا تتبدل (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فاطر / ٤٣ .
(١٨) ولقد عبر سبحانه بقوله (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم) الزمر / ٦ . والله عبر بلفظ الانزال كما قال فى الثمار (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) ـ
(١٩) قصة الانسان " بين داروين والجبر " عن ـ عقيدة المؤمن ـ ص ١٩٣ .... فأى انسان تحبون ، أيها العاقلون " الذى خلقه الله سبحانه بيده ، وكرمه ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء .. أم الذى خلق فى صورة ـ قذرة ، من خلايا ثم تدرج فى ملايين السنين الى قرد ، وأخبر عن خلقه شرار الناس ، وكبار الملاحدة ؟! أيها العقلاء ـ أى الانسانين نعترف به ؟ .
(٢٠) سورة المؤمنون / ١٢ .
(٢١) " " الحجر / ٣٣ .
(٢٢) " " فاطر / ١١ .
(٢٣) " " الكهف / ٥٩ .
(٢٤) والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أجمل صورة الخلق لصحابته ، ولم يتعرض للتفصيل لأن هذا التفصيل فوق مقدور عقولهم فى ذاك الوقت ولو وجد الرسول ـ عليه السلام ـ أن فى معرفتهم بهذه الأشياء فيها فائدة لهم لبلغهم اياها . ولقد سأله الصحابة كثيرا عن أمور سيترتب عليها مجادلات لا فائدة منها ، والاضاعة الوقت وتشتيت الفكر ، وستعرضهم للشك لأنها فوق مقدور الأفهام ، منها : يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج ـ فنزلت الآية ـ لصرفهم عن السؤال . ولعدم ادراكهم علم الجغرافيا ودوران الأرض وكرويتها ، وكيف يبدأ الهلال دقيقا ثم يزيد حجمه . الى أن يعود كما بدأ ـ وهكذا .. ويقول ـ عليه السلام ـ فى هذا الصدد . (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تدركه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة) . مسلم ـ الفتن .

(٢٥) (٢٥) الاستاذ فتحي رضوان " خلاقة الانسان " مجلة البلاغ ، عدد ٣٨٨ ، / ١٩٧٧م ، ص ٤٠ ، الكويت .
(٢٦) الشيخ محمد الشعراوي " معجزة القرآن " عدد ١٥٤ مؤسسة الأخبار ص ١١٩ – القاهرة .
(٢٧) سورة الحجر / ٢٩ .
(٢٨) البخاري – الخلق .. وبقية الحديث ، في أول الموضوع ..
(٢٩) وأبسط مثل على ذلك : حينما تشك في موت أحد فتقول انه فقد النفس – فيتأكد لدينا أنه مات ..
(٣٠) سورة الأنبياء / ٣٠ ..
(٣١) " " الحج / ٥ ..
(٣٢) " " فاطر / ١١
(٣٣) البخاري – القدر ..
(٣٤) عبد الرحمن الصفوري " نزهة المجالس ومنتخب النفائس " . ثم ان أول شئ يخلق في الانسان : هو القلب – لأنه أشرف الأعضاء .. ولحكمة عجيبة أن كل شئ في جسم الانسان مزدوج ، ماعدا القلب . لأن الازدواج لمساعدة كل منهما الآخر في المنافع المحسوسة .. لكن الاجتهاد مثلا : يكون بالقلب وقد يختلف القلبان على شئ فيرى أحدهما ما لا يرى الآخر فيقع التناقض .
(٣٥) أخرجه ، البخاري ، ومسلم – القدر .
(٣٦) سورة الأعراف / ١٧٢ .
(٣٧) سورة الطارق / ٢ .
(٣٨) الامام الرازي في تفسيره – للآية " ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين .
(٣٩) والمهندسون المهرة ، يصممون أعمدة المباني والأحياء التي تحمل أثقالا كبيرة ، يصممونها على هيئة – مثلثات ، أو مثلثات ، مثلا مما يزيد في صلابتها .
(٤٠) أخرجه أبو داود – الأدب .
(٤١) الشيخ الطنطاوي " تفسير الجواهر " في تفسيره للآية ، وكذا " نزهة المجالس .
(٤٢) د. أحمد عوفي " طفل الأنابيب " مجلة الوعي الاسلامي – عدد ١٦٧ ص ٧٨ – ١٩٧٨م – الكويت .
(٤٣) سورة الانسان / ٢ .
(٤٤) " " المرسلات / ٢٠ : ٢٣ .
(٤٥) وهذا أمر منطقي . لأن العضلات هي التي تربط العظام ولا عمل للعضلات الا بوجود العظام ، والله سبحانه الخالق الحكيم ، يقول في وصف رائع واعجاز بليغ . موضحا رحلة الخلق والتكوين " ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ... !

الخ الآية من سورة المؤمنون / ١٣ ، ١٤ .

(٤٦) جريدة الأهرام المصرية ، عدد صادر بتاريخ ١٩٧٨/٦/٧م . القاهرة ، " أنظر علم الوراثة " .

(٤٧) ا" نزهة المجالس " ص ٣٧ .

(٤٨) الهزلي ابن كبير " ديوان الحماسة " لأبي تمام .. واني أرى هذا بعيدا عن الصحة ، بدليل قوله تعالى (يخلق مايشاء " يهب لمن يشاء " اناثا ويهب لمن يشاء " الذكور .. الآية) الشورى / ٤٩ . واذا كان العلماء " يقومون الآن بتلقيح بويضة بحيوان منوى خارج الرحم في أنبوبة . مع تهيئة الجو المناسب ، وبعد أيام يدخلونها الرحم فتعلق بجداره ، ويتكون الجنين . فان هذا لن يخرج عن منهج الله . والانسان لم يأت بجديد . فهو لم يخلق النطفة .. بل هو تحايل علمي . كما يحدث في تلقيح الأشجار والنباتات و. وما الي ذلك . والحقيقة أن الله هو الخالق ، ووضحت هذا في قسم - طفل الأنابيب - يقول سبحانه (قل سيروا في الأرض - فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ" النشأة الآخرة) العنكبوت/٢٠

(٤٩) الشيخ الشعراوى " معجزة القرآن " ص ٩٥ .

(٥٠) سورة الزمر / ٦ .

(٥١) ابن كثير ، والألوسي ، في تفسيرهما للآية .

(٥٢) د. محمد على البار " مجلة - اقرأ - " عدد ٣٢٩ ، ص ٤٨ - ١٩٧٩م السعودية

(٥٣) هذه هي الظلمات الثلاث - مؤكدة اعجاز القرآن ، آخرها - المشيمة - التي تشمئز منها النفس عند رؤيتها ، وترمى بعد الولادة ، وكانت قبل لحظات حياة الجنين متوقفة عليها ، والتي كانت مصدرا لتغذيته . سبحان من قدر ،

(٥٤) " مجلة اقرأ " نفس المصدر .

(٥٥) سورة البقرة / ١٨٧ .

(٥٦) د. عبد المحسن صالح " لغز أسرار الحياة " مجلة العربي - عدد ٢٤٦ ، ص ٥٢ ، ١٩٧٩م - الكويت .

(٥٧) " لغز أسرار الحياة " المصدر السابق ص ٤٨ .

(٥٨) وهذا دليل على فشل نظرية التطور ، وعدم صحتها .

(٥٩) " لغز أسرار الحياة " المصدر السابق .

ومن الغريب أن الحيوان المنوى عند دخوله البويضة ، يكون كالقذيفة المنطلقة بسرعة ، وكأنه يعلن عن قدوم مخلوق جديد ، أيا كان شكله أو نوعه بين المخلوقات ، ووراء ذلك كله أسرار سواها الخالق سبحانه ليسير كل شئ بحساب وقدر .. ولعلي أكون على صواب ، اذا قلت : أن هذه هي - الظلمات الثلاث - مرة أخرى في أدق تعبيراتها ، ونظرة للتعبير - اللغوى في قوله سبحانه : " في بطون أمهاتكم " فحرف " في " يفيد - الظرفية أى في داخل الرحم .

(٦٠) سورة الشورى / ٤٩ .

(٦١) سورة لقمان / ٣٤ .
(٦٢) ابن كثير ، وأبو اسحاق النيسابوري (م - ٤٣٧هـ) في كتابه " الكشف والبيان في تفسير القرآن " دار الكتب المصرية - مخطوط باليد
(٦٣) سورة آل عمران / ٣٨ ، ٤٠ .
(٦٤) " معجزة القرآن " ص ١٠٢ .
(٦٥) نفس المصدر ص ١٠٣ .
(٦٦) د. أحمد شوقي " موقف القرآن من طفل الأنابيب " الوعي الاسلامي - ص ٨٢ - ١٩٧٨م - الكويت .
(٦٧) نفس المصدر ص ٨٣ .
(٦٨) والقضية الآن مطروحة أمام الجميع ، ولا بد من الحذر في هذا الأمر حتى لاتختلط الأنساب ، ويكثر العبث ، والأمر متروك لرجال الفقه والدين .
(٦٩) أخرجه النسائي ، والبخاري - الطلاق - .
(٧٠) جيمس واطسون - أمريكي حائز على جائزة نوبل - مجلة تايم الأمريكية ١٩٧٧م - تحت عنوان " الوراثة " .
(٧١) تيودس دوبز هانكي - مجلة العربي - عدد ٢٢٦ ، ص ٦٢ ، ١٩٧٧م .
(٧٢) د. محمد ذكي البهي ، كلية طب لندن " المخلوق الجديد - العربي - العدد السابق .
(٧٣) د. جميل محفوظ " الوراثة طاقة معجزة " المجلة العربية - عدد ٩ ، ص ١٢٣ ، ١٩٧٩م - السعودية .
(٧٤) د. حسان حتحوت " العلم يتقدم " العربي - عدد ٢٢٨ ، ص ٣٦ - ١٩٧٧م .
(٧٥) ندوة بعنوان " الله والانسان " في الفكر المعاصر " الجامعة الأمركية - بيروت ١٩٦٧م ، واشترك فيها عدد من العلماء من مختلف الطوائف الدينية ، وعلق على الندوة .. د. صادق جلال العظمة . في جريدة النهار البيروتية ، أغسطس ١٩٦٨م ، مثيرا تساؤلات وشبهات حول الاسلام وموقفه من العلم ، وقد ذكرت منها هذه الشبهه .
(٧٦) سورة المؤمنون / ١٢ ، ١٤ .
(٧٧) يوسف مروة " العلوم الطبيعية في القرآن " ص ٧٢ ، بيروت ١٩٦٩م .
(٧٨) سورة الزاريات / ٢١ .
(٧٩) محمد أبو الغيض " الاسلام والحضارة " مجلة منبر الاسلام - عدد ١١ - ٧١م
(٨٠) المصدر السابق ص ٩٤ - القاهـرة ، والشيخ الغزالي " ركائز الايمان "
(٨١) ومع وجود البراهين والأدلة على إن الدين الاسلامي حق ، وأن تعاليمه هي المنقذة للبشرية .. نجد من آن لآخر . شخصا مهزوز الرأى ، يقول بما لا يعرف ، ويظنه العامة أنه رجل عبقري ، عندما يعلن كفره بالله و . واليوم الآخر ، وما أكثر هؤلاء الناس ، وخاصة في تلك الأيام العجاف حيث ضعفت العقيدة .

(٨٢) ألكسيس كارل ، فى كتابه " الانسان ذلك المجهول " ص٦٥ .
(٨٣) د. عبد الحميد كامل " وفى أنفسكم أفلا تبصرون " مجلة منبر الاسلام ص١٣٦ . عدد ١١ ، ١٩٧١م ــ القاهرة .
(٨٤) سورة المائدة / ٣ .
(٨٥) أخرجه البخارى ــ الأطعمة .
(٨٦) " " الترمذى ــ القدر .
(٨٧) البخارى ــ فضائل الصحابة .
(٨٨) هو : سارية بن زنيم .
(٨٩) رواه أحمد بن حنبل ــ ج ٤ .
(٩٠) الشيخ محمد أنيس عبادة " قلب المؤمن " مجلة العربى ــ عدد ٢٣٥ ، ص٧٧ ، ١٩٧٨م ــ الكويت .
(٩١) البخارى ــ بدء الخلق .
(٩٢) سورة الحديد / ٢٥ .
(٩٣) " قلب المؤمن " المصدر السابق .
(٩٤) سورة البقرة / ٨٤ .
(٩٥) سورة البقرة / ٤٠ .
(٩٦) وفى العصر الحديث فتحت بنوك فى المستشفيات تسمى ــ بنك الدم ــ ليتبرع بعض الناس بدمائهم لمن فقدوا كميات من دمهم فى الحوادث ، وللمصابين بفقر الدم . . الخ . وفى ذلك أيضا فائدة عظيمة للانسان المتبرع بدمه حيث يخرج من جسمه كمية من الدم المخزون الذى ظل فترة طويلة فى جسمه على أن التبرع بالدم مفيد جدا للمصابين بأمراض الضغط ، وتصلب ــ الشرايين ، وأمراض القلب . وعلى هذا يستبدل الجسم دما جديدا بسرعة عجيبة ، لمجرد أن يشرب الانسان كوبا من الشربات ، وقطعة من البسكوت ولقد سبق الرسول ــ ص ــ العلم الحديث ، بهذا حيث كان من وقت لآخر يأمر أصحابه بعملية الحجامة ــ يقول ــ عليه السلام ــ (ان كان فى شئ من أدويتكم من خير ففى شرطة محجم أو شربة عسل ، أو لذعة بنار ، وما أحب أن أكتوى) البخارى ــ الطب .
(٩٧) سورة لقمان / ١١ .
(٩٨) أليكسيس كارل " الانسان ذلك المجهول " بتصرف من كتاب " ركائز الايمان ص٦٨ .
(٩٩) " وفى أنفسكم أفلا تبصرون " .
(١٠٠) سورة الحج / ٨ .
(١٠١) " " العنكبوت / ٤٣ .ورحلة الدم رحلة طويلة لكنها تتم فى ثوانى فى
(٢) كل الجسم ، فعندما يعود الدم من العضلات الى القلب ، يدفعه الى شبكة الشعيرات الدموية فى الرئتين لتأخذ الكرات الحمراء حظها من الأوكسجين فى الوقت نفسه يخرج ثانى أكسيد الكربون ، مع التنفس

وتتم تنقية الدم فى الكلى من بول وأملاح وفى الدم علاوة على هذا ، خواص عجيبة : فهو يقوم بتجديد نفسه بواسطة مصانع كيميائية حقيقية لصناعة مواد لا غنى عنها بالخلايا ، والنشاط العقلى والبدنى ، وانبجاس الدم من القلب الى العروق وملا يين الشعيرات وقيامه بوظائفه الرهيبة . يتم بتدبير من العزيز الحكيم الذى قال " وفى أنفسكم أفلا تبصرون " .

(١٠٢) أخرجه البخارى ـ الأدوية .

(١٠٣) " " أبو داود ـ الأدوية .

(١٠٤) سورة الملك / ٢ .

(١٠٥) البخارى ـ الطب .

(١٠٦) " " ـ الرقاق . والأحاديث عن الموت كثيرة جدا ، للبخارى فى المغازى

(١٠٧) الشيخ طنطاوى جوهر " تفسير الجواهر " . سورة الملك .

(١٠٨) نفس المصدر .

(١٠٩) ومن أكبر المشاكل التى تواجه العالم . مشكلة تزايد السكان ، ولزوم توفير الطعام ، والخوف من المستقبل ، ولم يدرك البشر أن الله خلقهم لعبادته ، وهو رازقهم ، وهو الذى شق فتحة أفواههم ـ " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . الآيات " الزاريات / ٥٦ ، ٥٩ . فجمال الكون وصلاحه فى الموت . السر الذى لا يعرفه الا المؤمنون .

(١١٠) د. أحمد ذكى " الخلية هى التى تصنع الحياة فى الانسان " العربى عدد ٨١ ، ١ ص ٥٠ ـ ١٩٧٣م ـ الكويت .

(١١١) وسر خلود الخلايا هو انقسامها . وفى رأيى أن الانسان ينقسم ويواصل بقاء حياته لكن بطريقة أخرى ، ليست كالبكتريا ، لأن الله كرم الانسان ولم يهبط به الى معيشة الجراثيم ـ فحمل سر احتفاظه بجنسه بصورة كريمة . فلم يعط ثماره الا بعد البلوغ كالشجرة . وهذه الطريقة أشرف من طريقة انقسام الخلايا ، والحياة ليست خالدة بل أعد الله حياة أخرى له ، ونحن نشكر للعلماء بحثهم لمعرفة أسرار الانسان ، والكون الذى يعيش فيه . والغريب أن الانسان يجرى وراء اطالة عمره مع أنه وقف عاجزا أمام الأمراض الفتاكة ، مثل السرطان ، والأزمات القلبية ، والذين يموتون بها سنويا يفوق من يموت بالأمراض الأخرى والمشاهدة تكفى من احصائيات الأطباء .

(١١٢) سورة الروم / ٥٤ .

(١١٣) " لغز أسرار الحياة " ص ٤٩ .

(١١٤) المصدر السابق ص ٥٩ .

(١١٥) د. أحمد ذكى " أجسام الناس كالمدن " العربى ، عدد ١٩٩ ، ص ٣٦ . ١٩٧٥م ـ الكويت .

(١١٦) لم أجده فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .

(١١٧) أخرجه النسائي ـ النكاح .

ولعلي أكون قريبا من معنى الحديث الذي رواه النسائي ، عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما رخص في ـ المهور والصداق ـ فقال " التمس ولو خاتما من حديد " وذلك لتمضي عجلة الكون ، وتستمر الحياة ، ولعل هذا يكفي ـ لقوم يفقهون من أولى الألباب . ـ

(١١٨) سورة القصص / ٧٢ .

(١١٩) د. أحمد ذكي " التناسل من مظاهر وحدة الخلية ـ وخلود الجنس مكان خلود الفرد " العربي ، عدد ٢٠٤ ، ص ٣٨ ـ ١٩٧٥م ـ الكويت .

(١٢٠) سورة الروم / ١٩ .

الباب الحادى عشر

الحديث .. والاكتشافات الكونية

××× الكون .. ..

××× النجوم .. ..

××× السماوات .. ..

××× الشمس .. ..

××× الأسلوب القرآنى .. فى التعبير عن الحقائق الكونية

××× الشمس . تثبت كروية الأرض .. ..

××× منها خلقناكم وفيها نعيدكم .. .. ..

××× الأرض .. وعلاقة الانسان بها .. .. .

××× ماتحت الثرى .. ..

××× الجبال .. وعلاقة الأرض بها .. ..

×××القمر .. وعلاقته بالأرض .. ..

××× الماء .. وعلاقته بالأرض .. ..

××× الماء .. وعلاقته بالرياح .. ..

* الكـــــــــون *

العاقل يفكر ، والمتأمل يتدبر .. فى أمر هذا الكون وأحواله . لعله يهتدى الى شئ . فما يزيده ذلك الا غموضا وحيرة ، ويتوه فى بحر لجى ، يغشاه فكـــر مضطرب . وأخيرا يعترف بقدرة الخالق المبدع .

ينظر الانسان الى الفضاء العلى بالشهب ، والنيازك ، وغيرها من الأجـــرام السماوية التى تهيم فى الفضاء ، سابحة حول الشمس ، وما فيها من سرعات رهيبـــة وما يصحبها من طاقات عظيمة الخطر .

ففى زمن البعثة المحمدية . امتلأت السماء بالشهب . لأسباب تتعلق بخلقهـــا كما يقرر العلم ـ ولا تعارض بين ما يحدث : وبين ما يقوله العلماء فى حدوث تلك ـ الظواهر الكونية .. فأحيانا تهوى بعض الشهب نحو الأرض مخترقة الغلاف الجوى لهـا وبعض الشهب حجرى التركيب ، وبعضها معدنى ـ فسرعتها الرهيبة خلال اختراقهـا الهواء تبلغ من ـ ٢٠ : ١٠٠ ميل ـ فى الثانية الواحدة . مع اختلاف حجمها الــذى يبلغ الجبال العظيمة .. فى الوقت الذى تكون فيه سرعة المقذوف النارى من بندقية مثلا حوالى نصف ميل فى الثانية ..

ومن لطف الله أن الهواء يحمى الأرض من هذه النيازك والشهب وكذا ســـرعة انحدارها . فتحتك بالهواء فتصبح فى درجة حرارة عالية ، وتتبخر كتلتها الى دخان أو تراب دقيق قبل أن تصل الى الأرض[١] .

والشهب صدرت من الشمس على صورة دقائق غازية ، ثم بردت وتجمدت فصارت حجارة ويأتى القرآن . قبل العلماء : موضحا ذلك فى عدة آيات ، يقول سبحانـــه :

(والنجم اذا هوى)[٢] .. وقال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)[٣] . وقال سبحانه (انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا)[٤] .

والكون المحيط بالأرض مشتمل على مجرات وكواكب كثيرة : فعلى سبيل المثال . لا الحصر ، منها :

"النجـــــوم"

يقول - صلى الله عليه وسلم - (النجوم آمنة للسماء ، فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد)[٥] .. وقال : (تعلموا علوم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) . والحديث عن !

النجوم . من حيث توزيعها ، وأسمائها وتقسيماتها ، واختلافها فى الضوء ، واللمعان ، وأبعادها وتعدادها ، وفوائدها ومواقعها .. حديث يحتاج الى كتب ...

يقول سبحانه (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[٦] . وقال : (هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر)[٧] . ولقد أقسم الله بها لأهميتها ، وعظم شأنها . موجها أنظار عباده لها ، فقال سبحانه :(فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)[٨] وقال (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب)[٩] ..

والانسان كلما عرف وسائل تمكنه من رصد مسافات أكبر ، كلما اتسع الكون أمامه وتعرف على نجوم أبعد . وتذهب بعض النظريات الرياضية الى أن الكون يتسع ويتمدد . وهذه ما تدعمه المشاهدة ، والأدلة . " فقد رصد علماء الفلك عددا وفيرا من وحدات الكون ، فوجدوها تتباعد عن مجرة الأرض بسرعات تتزايد باستمرار "[١٠] .. وهذا يتقارب مع قوله سبحانه (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)[١١] .

يقول العلماء : " ان كل مجرة تضم آلاف الملايين من النجوم التى يمكن اعتبارها من حيث الحجم على غرار الشمس . والكثير من تلك النجوم له مجموعات من الكواكب تتبعها .. ويقدر العلماء أن فى مجرتنا وحدها ، مالا يقل عن ـ ٢ مليون ـ كوكب شبيه بالأرض . فى ظروفه الطبيعية ، ومن حيث نشوء الحياة عليها وازدهارها بمرور الزمن ، وظهور شبيه للانسان فيها . كما يقدر طول قطر " المجرة الشمسية " حوالى ١٠٠ ألف سنة ضوئية . أما المجرات المجاورة ، فتقع على بعد يساوى ٢٥٠٠٠٠٠ سنة ضوئية . وهناك مجرات ، كشفتها أجهزة الفلك الاليكترونية تصعب رؤيتها ، وتقع على أبعاد تقدر بـ ـ ١٢ ألف مليون سنة ضوئية .

وكلما تقدم العلم فى اكتشافاته . ظهر الكثير من الآيات الكونية ، والأجرام السماوية الهائلة .. فلقد اكتشفوا أضخم مجرة فى الفضاء الكونى السحيق : حيث تبلغ كتلة مساحتها عشرة أضعاف كتلة المجرة الموجودة فى المجموعة الشمسية وأسموها " بمجرة درب التبانة " وأعلن المكتشفون: أن المجرة من النوع الحلزونى الشكل ، وهى تحتوى من المادة على مايعادل أكثر من ـ تريليونى ـ مرة من كتلة ـ الشمس ، وتبعد عن الأرض بمسافة ـ ٢٥٠ مليون سنة ضوئية ـ وتحتوى على سحابة من الغاز والأتربة الكونية ، تفترش مساحة تمتد الى ـ ٣٠٠ ألف سنة ضوئية ـ والمعروف علميا أن مجرة ـ درب التبانة ـ تحتوى على مائة بليون نجم ويبلغ نصف قطرها مائة ألف سنة ضوئية[12] . " انه كون عجيب ، وهذا هو أيضا سر من أسرار القسم بمواقع النجوم ، الذى لم يشهد الناس الا الآن ، يقول سبحانه (فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم) هذا هو الكون الفسيح بما فيه من مجرات وما خفى كان أعظم ـ كلها تسبح فى خضم الفضاء الكونى تدور فى فلكها الى ماشاء الله ـ انها السماء .

" السمـــاء "

استخدم القرآن الكريم لفظ ـ السماء ـ كثيرا وهى : كل ما ارتفع فوق الرؤس فيقول سبحانه (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق)[١٤] . والمقصود بالسماء هنا الغلاف الجوى المحيط بالأرض ، اذن فمعنى السماء : هذا الكون بأسره . المبتدىء بغلاف الأرض الذى تسبح فيه السحب وينزل منه المطر ، الى النجوم الضاربة فى أعماق الفضاء .

والله رفع السماء بعضها فوق بعض ، والسموات السبع تحديد للنوع الذى خلقه الله فوق سكان الأرض فقط : من شهب ونيازك وأقمار .. الخ . وهذه الكواكب تتعدد الى ماشاء الله .. أما اللون الأزرق الذى تتميز به قبة السماء أثناء النهار فهى فى الحقيقة لا وجود لها ، وليست الا احدى ظواهر الضوء بتأثير أشعة الشمس ، وهى احدى ألوان الطيف السبعة .[١٥]

والفضاء الكونى مظلم بطبعه ، وضوء النهار نتيجة تعرض غلاف الأرض لأشعة الشمس . وكان الاعتقاد السائد الى عهد قريب : أن للكواكب ارادة ذاتية ، وقادرة على نفع الانسان والتأثير على مجرى حياته .. وأدى ذلك الى الاهتمام برصدها ـ مما نشأ عن ذلك . خرافة التنجيم ، مما جعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبه أمته على هذا الخطر الفكرى والعقائدى ، فقال : (كذب من حدثك أن يعلم مافى غد فقد كذب المنجمون ولو صدقوا)[١٦] . أى لمجرد الصدفة . وانما أراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أمته .. أن يتعلموا علم النجوم لشىء آخر ، فقال (تعلموا علوم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر .

والعلم الحديث يقول : " ان السماء كانت قبل خلقها مثل الدخان العادى فى

أهم صفاته : مظلم ساخن منتشر ـ وهذا متفق مع القرآن ، بدليل قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان)[١٧] .

ثم ان الله خلق فى كل سماء ما فيها من أجرام . وأن المقصود بالسموات السبع : هى طبقات النجوم بعضها فوق بعض ، والتى تشبه الأرض فى كثير من الصفات ، يقول سبحانه (خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن)[١٨] . والعلم متفق فى ذلك .. وان تعيين العدد بالسبعة لا مفهوم له . أو هى الكواكب الشبيه بالأرض كما ذكر[١٩] ..

والفضاء الكونى الذى تجرى فيه النجوم . ليس فراغا تاما ، بل ينتشر فيه الغاز ـ والغاز ـ لفظ علمى حديث لكلمة ـ دخان ـ يقول سبحانه (ثم استوى الى السماء وهى دخان)[٢٠] ..

" الشمس ... آية من آيات الله "

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى ذر . حين غربت الشمس . تدرى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقول لها : ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى : (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) . وقال (الشمس والقمر مكوران يوم القيامة) وقال (ان الشمس والقمر من آيات الله ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتموهما فصلوا ـ وفى رواية . فاذكروا الله)[٢١] . وذلك عندما مات ابراهيم ابن الرسول ـ عليه السلام ـ كسفت الشمس ، فظن الناس أنها كسفت حزنا على موته ، فقام ـ الرسول عليه السلام ـ بتصحيح هذا المعتقد ، ومشيرا الى عظمة هذا الكوكب ، وأنه لا دخل للكواكب فى أمور الناس .

والشمس لأهميتها : أفردت لها سورة كاملة فى القرآن ، كأى شئ هام أقسم الله به فى مواضع أخرى ـ بالاضافة لذكرها . والقسم بها فى آيات كثيرة تربو عن عشرات المرات . وما ذلك الا لأهمية المقسم به ، وتوجيه النظر لدراسته والانتفاع بما فيه .

والشمس عرفها الانسان منذ القدم ، واعتبرها واسطة بينه وبين الله فعبدها والفراعنة أسموها الاله ـ آتون ـ[٣٢] واعتبروها مصدرا للحياة . وعندما تختفى تخرج الوحوش ، وتظلم الدنيا ، فيأوى الى الكهوف . وازدادت العلاقة بين الانسان ـ والشمس . فوضع تقويم الأيام والسنين واستخدم أشعتها فى جميع شئون حياته .. من تجفيف طعام ، وغيره .. حتى فى الحروب[٣٣].

يقول العلم الحديث : عن كرة النار والنور " ان الشمس ولدت منذ ـ ٥٠٠٠ ـ مليون سنة ، وهى السبب فى وجود الحياة على الأرض ـ وتصل درجة حرارة مركزها الى ـ ٢٠ مليون درجة ـ وهى مكونة من غازات ملتهبة ، ويزيد قطرها عن مليون وثلث مليون كيلو متر . وثقلها ثلاثمائة ألف ضعف الأرض . وفوق سطحها ترتفع ألسنة ـ النار الى ـ ١٩٠ألف ك٢٠٠م٠٠٠ وهى بذلك عبارة عن مفدعة فى مستنقع النظام الشمسى كما يقول الفلكيون "[٣٤] ولا تزيد عن نجم متوسط الحجم وسط بلايين النجوم (

وقالوا : " ان الشمس تفقد كل ساعة من وزنها ـ ٥ مليون طن ـ كنتيجة حتمية لاحتراقها ، لكن سرعان مايتجدد وزنها وحجمها "[٣٥].

والطاقة المتولدة من باطن الشمس تخرج الى السطح ، ثم تشع فى الفضاء ، ـ ولولا ذلك لارتفعت حرارتها الى درجة الانفجار . وأثناء خروج الأشعة من قلب الشمس تفقد حرارتها بتأثير ذرات غاز ـ النوتيليونية ـ الموجودة فيها ، اذ لو وصلت تلك الطاقة الى سطحها ، بحالتها الأصلية ، لتحولت الى أشعة موت فى كل ماحولها بما فيها الأرض . لكن حكمة الله عظيمة بعباده . اذ ان حرارة الشمس

تصل بقدر ثابت على الأرض • بما يسمح للحياة لكل شئ لا يحترق ولا يتجمد[٢٦] •

وتقدم العلم البشرى ، وهدى الله الانسان لمعرفة استغلال طاقة الشمس ، بدلا من البترول ـ المقتصر على بلاد معينة ، لكن الشمس تشرق على أرجاء الـدنيا وملك مباح للجميع •

والبترول سينتهى يوما ما[٢٧] • وشعر العلماء بتلك الحقيقة الرهيبة ـ انتهاء الطاقة ـ فبحثوا عن البديل ، واتجهوا للشمس ذلك المعبود القديم[٢٨] • الذى يـدور حول نفسه من الغرب الى الشرق مرة كل ٢٨ يوم ، ويسير فى الفضاء بسرعة مليون ميل فى اليوم[٢٩] • ويسقط من أشعتها على الأرض كل خمس عشرة دقيقة مايوازى ما يستهلكـه العالم من بترول وغيره لمدة سنة كاملة ، وكل متر مربع من سطح الأرض يغمره حوالى ألف واط من الطاقة الشمسية • وهى السبب فى سقوط المياة لتبعث الحياة على الأرض[٣٠]

" الأسلوب القرآنى •• فى التعبير عن الحقائق الكونيـة "

يقول سبحانه موجها نظر عباده للشمس : (والشمس تجرى لمستقر لها ذلـك تقدير العزيز العليم)[٣١] •

يقول المفسرون : أن ـ تجرى : فعل يتطابق فى حرفيته • على التعبير عن حـركة حقيقية ، والفعل لا يدل على الحركة الذاتية فقط للشمس ، ولكن يدل أيضا على عظم تلك الحركة •• لأن الجرى : يخالف السير والمشى • والقرآن قال : تجرى ، ولم يقل تمشى أو تسير • من الواضح أن ـ المستقر ـ أمر من أمور الغيب ، ودل التنكير فيه على عظم شأن المستقر الذى تنتهى اليه الشمس ، فى جريها الحقيقى •

والمفسرون المتقدمون : فسروا الجرى بمعنى : الشروق والغروب ، وترددهـا طول العام[٣٢] •

والقرآن أنبأ بهذه الحقائق قبل أن يولد ـ علم الفلك ـ وبهذا يحدث التطابق الصحيح بين ـ يقين العلم ، وكونيات القرآن ـ هذه المطابقة توضح مدى الاعجاز فى آياته [٣٣] ..

وقد لبث الناس حقبة من الزمن . يعتقدون بعدم حركة الأرض ، ولو أن القرآن صارحهم بحركتها . وقت نزوله . وهم يظنونها ساكنة : لكذبوه ، لأن حركتها غير محسوسة لديهم ، كحركة الشمس غربا وشرقا ، وحيل بينهم وبين هداية الله . لكنه أشار اشارات خفيفة ، وترك الباقى ليعرفه الناس بأنفسهم ، فقال : (والضحى والليل ـ والصبح اذا أسفر ـ وبالنهار اذا جلاها ـ وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) [٣٤] ..

هذه كلها اشارات تدل على حركة الأرض أمام الشمس .. [٣٥]

ومن أسرار بيان الاعجاز القرآنى ، أمر القسم بالصبح والنهار ، أنهما لم يوصفا باقبال ولا ادبار ، لأن ذلك لو كان لما جاء بمعنى جديد ، ولكنهما وصفا بالوصف الخاص بهما الناشئ عن سلوك ضوء الشمس فى الهواء المحيط بالأرض ، ولولا الغلاف الهوائى لما كان هناك : فجر ولا صبح ولا اسفار ، لأن ذلك ليس موجودا على القمر لضعف الهواء عليه .. والحال كذلك على الأرض . اذا ارتفع الانسان عن الغلاف الهوائى ـ كما أخبر بذلك رواد الفضاء . أن السماء مظلمة أثناء النهار [٣٦]

هذه حقيقة لم تكن معروفة من قبل . فقد دل عليها القرآن ، عندما شبه الكافر يقول سبحانه (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) [٣٧] . ويقول سبحانه (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها ـ فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) [٣٨] . فالضمير فى ليلها راجع الى السماء والله يخبر أنه أظلم ليل السماء ـ لا ليل الأرض ـ ولأن الضوء لا يرى بذاته ، ولكن بالانعكاس على المرئيات .

انه الاعجاز البياني في الدلالة على أمر يعجز عنه البشر[٣٩] . حيث لم يكن يخطر ببال أحد : أن علم الفلك الحديث ، بعد أن تهيأ له من آلات الرصد وأدواته ما أدى الى كشف السر العظيم ، في أن - كتلة من النار تعادل حجم الأرض - ٣٣٠ - ألف مرة - تقريبا تجرى في ملكوت الله بسرعة تزيد عن سرعة القمر الصناعي في دورته حول الأرض[٤٠] . فسبحان القائل (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) .

" الشمس .. تثبت كروية الأرض "

يقول الله تعالى (رب المشرق والمغرب)[٤١] .. ويقول (رب المشرقين ورب المغربين)[٤٢] .. ويقول (فلا أقسم برب المشارق والمغارب)[٤٣] ..

فسرها المفسرون : بجهة الشروق والغروب . وأما الآية الثانية : فهي تجمع بين عموم الجهة ، والمكان المحدود بينهما . وأما الآية الثالثة ، فهي أن لكل بلد مشرق ومغرب ، فهو رب المشارق والمغارب كلها .

لكن بعد التقدم العلمي ، فالتفسير يختلف .. فرب المشرق والمغرب : فيهما اقتران . فلا يوجد مشرق بدون مغرب . لماذا ؟ لأن كروية الأرض تحتم هذا . كيف ؟ لأن الوقت الذى تغرب فيه الشمس على جهة . في نفس اللحظة تشرق على جهة أخرى . وكان من المعتقد وقت نزول الآية .. أن الشرق والغرب جهتان مختلفتان ، لكن قول الله سبحانه " رب المشرق والمغرب " معناها : أن الشروق والغروب يتم في وقت واحد على الأرض ، ولا يتحقق هذا الا اذا كانت الأرض كروية[٤٤] ..

وكذا " رب المشرقين ورب المغربين " فالكرة الأرضية نصف مضيء بالشمس ونصف مظلم . فالمضيء له مشرق ومغرب ، فاذا استدارت الكرة الى النصف الآخر . انقلبت

أيضا الى مشرق ومغرب . اذن فالكرة لها مشرقان ومغربان . وأيضا " رب المشارق والمغارب " فبعد التقدم العلمى والفلكى . لا يوجد مشرق ومغرب واحد لأى دولة فى العالم ، وانما هى مشارق ومغارب ، وزاوية الغروب والشروق تتغير ، لأن الشمس لا تشرق ولا تغرب فى المكان الذى أشرقت فيه بالأمس . بدليل أن آذان المغرب يوميا يختلف فى الوقت ، ومن بلد الى بلد على طول مدار السنة ..[45] وهذا لا يحدث الا من حركة دوران الأرض . حول الشمس مرة كل عام وهذا مما يوضح كروية الأرض .

فلو كانت الأرض مسطحة لطلعت الشمس من مشرق ومغرب واحد ، لكن كونها كروية وكونها تدور حول الشمس هو الذى يجعل هناك مشارق ومغارب .

والتقدم العلمى : الذى غير مفاهيم الكون . لم يستطع أن يغير معنى آية من آيات الله ودلالتها[46] .

ويبين الله سبحانه على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أربع كلمات أنه خلق الأرض على هيئة كرة . أى أنها كانت كذلك ساعة الخلق ، فيقول سبحانه : (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار)[47] . والآية فى حدها تتكلم عن الكون ـ الشمس لا تدرك القمر ـ والعلم الحديث يقول : انهما متحركان فى خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا ، وهذه حقيقة علمية . أكتشفت فى السنوات ـ الأخيرة ، وذكرت فى القرآن عند نزوله .

والعرب كانوا يعتقدون أن الليل سابق النهار ، واليوم يبدأ بعد غروب الشمس فأراد الله تصحيح هذا المفهوم ، فقال : " ولا الليل سابق النهار " بمعنى : أن رمضان تثبت رؤيته بعد غروب الشمس ، وكذا باقى الشهور . فهناك عينان : الليل يسبق النهار أم انها لا يسبق الليل ، فقد تركها الله ولم يتعرض لها بالذكر . لأنها حقيقة علمية ـ فالليل والنهار موجودان فى وقت واحد على الكرة الأرضية . ولا يتحقق هذا الا اذا كانت الأرض كروية[48] .

والمقصود النهائى من الآية • تقرير حقيقة أخرى حول خلق الأرض ، فلو خلقها مسطحة : فاما أن تكون ـ الشمس ساعة الخلق فى مواجهة سطح الأرض • فيكون النهار وجد أولا ـ واما أن لا تكون : فيكون الليل وجد أولا • لكن الله يقول : أنهما خلقا معا ولم يسبق أحدهما الآخر ، فالله حدد الشكل لليل والنهار معا ساعة الخلق ـ ليخبر بأنه خلق الأرض على شكل الكرة •

والقرآن مس حقيقة علمية أخرى فى قوله تعالى (والأرض مددناها)[٤٩] • يقول المفسرون ـ أن : المد : أى البسط • لأنهم رأوا الأرض منبسطة والمعاهدة تؤيد ذلك • لكن عندما أكتشفت كروية الأرض • غضب علماء الدين ، واتهموا من يقول بكروية الأرض بالكفر ، لأنه يخالف رأيهم فى القرآن • لكن الله سبحانه : أعطى أكثر من دليل على كروية الأرض ، وكذا غيرها من الكواكب • فهو يقول سبحانه : " والأرض مددناها " ولم يقل : أرض مبسوطة • لكن الانسان يرى أمامه الأرض ـ مبسوطة • سواء كان فى باكستان أو فى أمريكا ، أو فى القطب الشمالى أو الجنوبى فهى مبسوطة أمام البشر جميعا فى كل مكان • وهذا لا يمكن أن يحدث الا اذا كانت الأرض كروية • بدليل : أنها لو كانت مربعة ، أو مسطحة ، أو مثلثة ، أو فى أى شكل لوصل الانسان فيها الى حافة • اذن فالشكل الوحيد الذى يجب أن يكون • هو الكرة ، ففى كلمتين " والأرض مددناها " أثبت الله كروية الأرض ، على لسان نبيه ـ عليه السلام • ـ فلا تصادم مع مفهوم العقل البشرى ، وقت نزول الآية ، ومفهوم ـ العلم الآن • ... انه الاعجاز[٥٠] ..

" الأرض .. منها خلقناكم وفيها نعيدكم "

يقول سبحانه : (الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى)[٥]

لقد ذكر الله لفظ الأرض كثيرا فى كتابه العزيز وغالبا مايكون اللفظ مقرونا بالسماء ، وقد جعلها الله مهدا للانسان ومهدا للرسالات والنبوات ..

وقال عنها الرسول - صلى الله عليه وسلم - (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده ، كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة فأتى رجلا من اليهود ، فقال : بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة) وقال (يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟)[٥٣]

ويقول العلم الحديث ، عن نشأة الأرض : " ان الأدوار التى مرت على الأرض فى تكوينها سبعة .

١ - انها انفصلت من الشمس وهى كرة نارية . فدارت حولها ، والنار متى تعرضت للجو أخذت تبرد شيئا فشيئا .

٢ - ثم صارت الأرض مغلفة بطبقة صوانية شديدة الصلابة . وقدروا عمر هذه القشرة - ثلاثمائة مليون سنة .

٣ - ظهرت بعض أنواع الطحالب والفطريات ، وبعض الحيوانات ، ومن الحيوانات ظهرت أنواع من الأسماك .

٤ - برزت الأشجار الخشبية ، والحيوانات صارت أحسن تركيبا وأكمل بنية ،

ووجدت الحيتان والتماسيح الكبيرة جدا ثم انقرضت .

٥ ـ اهتزت الأرض لتشقق قشرتها ، وخرجت من باطنها المواد المنصهرة ، ونتأت الصخور الجبال ، وبعدها تجددت أنواع من النباتات والحيوان .

٦ ـ حصل طوفان عام للأرض مع النار الخارجة منها ، فانقرض كل شئ ، وتكونت هناك طبقات يقال لها طبقات الطوفان . ثم اكتسى قطبي الأرض بالجليد . وكان ذلك فجأة .

٧ ـ العصر الحالي : وفيه استتبت السكينة على الأرض كما هي عليه الآن ، وخلق الله سبحانه لكل عصر . ماينا سبه من المخلوقات لكي تناسب الطبيعة التي يعيش فيها [٥٣] .

هذا موجز للفترات التي مرت على الأرض . وقال بها العلم الحديث . ولقد تعرض القرآن لهذه المراحل ، لكن من طرف بعيد ، يقول سبحانه (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) .

قال المفسرون المحدثون [٥٤] : انها تدل على العصر الحيواني ، لأن الأرض كانت قبله عبارة عن كرة نارية ، فهي دائما مشتعلة ، فاشراق الشمس عليها لا يستبين فيه ليل أو نهار ، ثم ابتدأت في البرودة وظهر عليها الليل والنهار . وتكونت التربة المتخلفة عن الاحتراق ، وأصبحت صالحة للزراعة ، يقول سبحانه (والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها) [٥٥] . وهذا هو الدور الثالث والرابع ، وأما قوله " والجبال أرساها " فلم يكن الا في العصر الخامس ـ عصر ظهور الجبال ـ وبهذا يتفق علم طبقات الأرض مع القرآن . وتركيب الجمل في القرآن لها معاني تشير الى علوم كبيرة .

قال الامام الشافعي : جعل أعضاء الوضوء مرتبة بترتيب ذكرها في القرآن . مستدلا بحديث الرسول ـ عليه السلام ـ (ابدأوا بما بدأ الله به) [٥٦] . واعتبر

الترتيب فرضا . وعلم طبقات الأرض مركب كما ذكرته الآية " وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم "

والقرآن ذكر الأرض دائما مفردة بعكس السموات ، ليتناسب هذا مع العقل البشرى ، والانسان لا يرى الا أرضا واحدة ، وحتى لا يقال ان القرآن يبعد عن الحقيقة ، لكن بعض المفسرين قالوا بالتعداد ، واستدلوا بقوله سبحانه (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن)[٥٧] . لكن هذا الدليل ليس حجة ، وليس فى جانبهم . بل هو حجة أيضا على أفراد الأرض ، فاللغة تقول : ان المثل معناه :: كل ما يشبه غيره فى صفة أو أكثر ، مثل : " محمد مثل الأسد " فلا يدل على أنه مفترس ويعيش فى الغابة . بل فيه صفة الشجاعة مثلا .

وعلى هذا فالله سبحانه خلق من جنس الأرض التى يسكنها الناس أراضين تشبه السموات السبع فى صفة أو أكثر ، والله ذكر العدد - سبعة - والراجح أن يكون هذا العدد . هو أحد أوجه المثلية فى التشابه ..[٥٨] يعنى أن الله خلق سبع سموات مشابهة للأرض ، ولا يعقل أن يحدد العدد بالسبعة . لأن عدد السموات أكثر من هذا بكثير

وعلى هذا فقوله سبحانه " خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن " أنه خلق سبع سموات غير أرضية . وخلق أرضين متعددة ، منها الأرض التى يعيش عليها الانسان ، تشبه السموات السبع فى الصفات .. أى أن الله خلق الأرض مثل السموات السبع المذكورة فى التركيب الكيميائى ، أو فى طريقة الخلق ، أو الانتشار فى الفضاء[٥٩] فالأرض مفردة كما ذكرت فى القرآن كله ، كما أن الله خلقها بعد السماء[٦٠] ..

ولقد هيأ الله للأرض كائنات أخرى محيطة بها . تتعاون معها فى صنع الحياة عليها . تحتاج لفكر دقيق ودراسة حتى تكتمل الحلقة ، مثل : الجبال - الرياح - الرعد - البرق - الأمطار - السحب . وما الى ذلك . ومن الجدير بالملاحظة ،

من القرآن والحديث " ليس مرجعا علميا مثل مايعتقد بعض الناس . وانما الواجب اتخاذ الحقائق العلمية للوصول اليه والتعرف على الكون الفسيح فيه ..

" الأرض .. وعلاقة الانسان بها "

حياة الانسان مرتبطة بالأرض منذ خلقه الله عليها . فعليها يحيا ، ويجلب رزقه ، واليها يعود فى النهاية .

وأشار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهمية ذلك فى أحاديث كثيرة . موجها نظر الانسان للأرض ، واستغلالها لها ، يقول ـ عليه السلام ـ (التمسوا الرزق فى خبايا الأرض) وقال (اذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها) [٦١] .

انه توجيه لمزيد من الخير . يستخرجه الانسان من الأرض ، المذللة له ، بدليل قوله سبحانه (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) [٦٢] .. والرزق مشتمل على كل ماخرج منها ، من نبات ومعادن وأحجار ، وما أكثر ماخفى فيها ..

قاعدة عامة وضعها ـ عليه السلام ـ " اذا قامت الساعة على أحدكم وبيده فسيلة ـ نخلة صغيرة ـ فليغرسها " ارشاد عظيم ينأى بالانسان عن التواكل ، وأن نهايته قريبة فيترك مابيده . لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لا تنزع من يوم القيامة ، وازرع مابيدك ولا تنساه ، ولشدة عنايته ـ عليه السلام ـ بالزرع يقول : (مامن مسلم يزرع زرعا فيأكل منه طير أو حيوان الا كتب الله له به حسنة) [٦٣]

والعجيب أن يقول هذا رسول بعث فى الصحراء ، وبواد غير ذى زرع .. [٦٤]

ولقد جاء ذكر النبات ، والشجر والزرع ، والحرث . عشرات المرات فى القرآن [٦٥]

والله سبحانه هو المتفضل على البشر بتلك النعم ، وأنهم لن يستطيعوا انباته

شجرة أو ورقة ، وما الانسان الاسببا ظاهريا ، يقول سبحانه (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون • لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون)[٦٦] •• ومعناه : انه لو أراد الله أن يجعل هذا الزرع متكسرا حتى تتعجبوا وتنكسر قلوبكم من سوء الحال ••[٦٧]

ولهذا استحب • أن يدعوا المسلم عند الزرع ، فيقول (اللهم أنت الزارع ، والمنبت والحافظ • اللهم ارزقنا ثمره وجنبنا ضرره ، واجعلنا لنعمتك من الشاكرين)[٦٨] •• والأرض تخرج من بطنها فوائد للانسان تفوق الحصر • أقلها أنها تحمله على ظهرها وتأويه • وهذه النعم كلها النابتة من الأرض ، يلفت الله نظر الانسان الى أنها تسبح بحمد الله ، وتسجد لعظمته • بخلاف الانسان الجاحد ، يقول سبحانه (والنجم والشجر يسجدان)[٦٩] •• ويعمم بقوله سبحانه (وان من شيء الا يسبح بحمده)[٧٠] ••

ومن الملاحظ أن الله سبحانه ، كلم موسى من قبل شجرة ، فقال : (فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين)[٧١] •• والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت بيعته الأولى تحت شجرة الرضوان ، وكذا في غزوة الحديبية ، يقول سبحانه (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم)[٧٢] ••

« ماتحت الثرى »

قدرة الله عظيمة • أعطت الانسان عقلا فريدا ، وأرشده لكشف ما في باطن الأرض التي خلقها الله من طبقات متداخلة •• تبدأ من مركزها التي يعلوه غلاف ثرى ، ثم الغلاف المائي ، ثم التربة • وسمك القشرة الأرضية الصخرية ـ ٣٢٠٠كم

فى المتوسط اذا قورنت بقدر الأرض الذى يبلغ ـ ١٣٠٧٠ كم ..[٧٣]

والتربة هى القشرة الخارجية[٧٤] للأرض مهد الزراعة وفيها حياة الكائنات ، والتى يجرى بداخلها ملايين التفاعلات التى تقوم بدور كبير فى صنع الحياة على الأرض . مثال ذلك : جذور النباتات تعيش بجانبها كائنات متنوعة ، من بكتريا وطحالب وغيرها ، ويقدر العلماء . أن وزن هذه الأحياء يمثل عشر وزن التربة ـ الزراعية ، فهى تربة حية ..[٧٤] ووصفها الله بالحياة بقوله (وينزل من السماء ماء فيحى به الأرض بعد موتها)[٧٥] ويقول سبحانه (وآية لهم الأرض الميتة أحيينا ها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون)[٧٦] ..

والحيوانات الموجودة بداخل التربة لها علاقة مع بعضها وتتغير حسب الظروف المحيطة بها ، وحسب نوع الكائن الحى نفسه ، فتارة تعيش فى وئام . متعاونة فى اعداد غذائها لبعضها ، بتحليل المواد السامة فى التربة ، والتى تحد من نمو النبات . وهناك من يتغذى بأكل بعضه بعضا . وهكذا .. فهناك ـ تحت الثرى ـ ثورة عارمة للكائنات الحية . تكمل دورة الحياة الطبيعية . وهناك العديد من حالات الميكروب : منها مايعيش على الهواء ، بينما الآخر يموت لو تعرض له . والبعض الآخر يقوم بتحليل التربة ليتغذى عليها الآخرون ، ومن كل هذا التعاون يستفيد النبات . الذى يحيا عليه الانسان .

انها أحياء .. تعيش على بعضها ، ولا أحد يشعر بها ـ وهناك ميكروب آخر يعيش على جذور النباتات . التى تحتاج للهواء . فيكون هذا الميكروب بمثابة رئة لهذا النبات : مثل البقوليات ، والبعض الآخر يقوم بافساد التربة ، وتكثر ـ الديدان التى تكون غذاء لنوع آخر من حشرات الأرض الزراعية .. اما بأكلها ، أو بافراز بعض السموم عليها . وعلى كلا الحالتين يستفيد النبات .[٧٧] انها حياة مرتبطة السلاسل ، متشابكة الحلقات . فسبحان المبدع القائل " انا كل شئ خلقناه بقدر"...

* الجبـــــال .. وعلاقتها بالأرض *

اتخذها الانسان قديما ، بيوتا وملجأ ، يحتمى بها من غوائل الطبيعة ، يقول سبحانه :(وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين[٧٨]) وقال سبحانه (وجعل لكم من الجبال أكنانا)[٧٩] ..

والجبال جزء لايتجزأ من القشرة الأرضية الصلبة .. جذورها تمتد فى باطن الأرض فاذا مااهتزت القشرة الأرضية فذلك تهتز الجبال ، يقول سبحانه (يوم ترجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيبا مهيلا)[٨٠] .. وفى صخور الجبال مختلف المعادن . من حديد وذهب ونحاس (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)[٨١] ..

ويشير الله سبحانه الى أن الجبال تتحرك ، وتدور حسب حركة الأرض . وهـــذه حقيقة كونية ، بدليل قوله سبحانه (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مــــر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ)[٨٢] . ويقول ـ عليه السلام ـ (اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا)[٨٣] .. وقال أيضا (ثم تنسف الجبال ، وتمد الأرض مد الأديم)[٨٤] كما تكلم ـ عليه السلام ـ عن ألوانها فقال (ومن جبل أسود الى جبل أحمر ...الخ الحديث)[٨٥] ..

والجبال جعلها الله أوتادا للأرض تثبتها وتمنعها من الحركة . حتى لا تميد بالانسان . والناظر اليها يعتقد عدم تحركها ـ لكن رحمة الله بالعقل البشـرى يريد أن يخبر أنها تتحرك من مكان الى آخر ..[٨٦] فشبه سيرها بمرور السحاب . لأن السحاب لا يملك أن يتحرك بنفسه ، بل بالرياح . فالسحاب بدون الريح يبقى فــى مكانه ، وكذا الجبال لا تملك ذاتية الحركة بنفسها . بل يحركها شئ آخــر ..[٨٧] مع أنها أوتاد الأرض ، فالجبال تتحرك بحركة الأرض التى تدور حول نفسها . وهنا

يقدم الله حقيقة علمية أخرى " ان الجسم يتحرك بحركة ما تحته . والأرض متحركة . اذن فالجبال متحركة " .

وبعض المفسرين يقول : " ان هذا الوصف ينطبق على يوم القيامة "[٨٨] .

لكن العلم الحديث أثبت الحركة مؤيدا القرآن فى ذلك . فهناك ولا شك تغيير مستمر على وجه الأرض ، فما رآه الأقدمون من آلاف السنين ، من وديان وجبال وبحار خلاف ما يراه الناس الآن ، وذلك بتأثير عوامل التعرية من براكين وزلازل ورياح ، وأمطار وسيول . فالشمس تطلع كل يوم على الأرض ، فتقابلها كل صباح بوجه جديد[٨٩] ..

والجبال بالنسبة للأرض عبارة عن وحدة ميزان متساوى الكفتان ، مادام الثقل متساويا ، فاذا تغير الثقل على احدى الكفتين ، اضطربت وتأثر الجزء المقابل حتما ويظل هذا الاضطراب قائما حتى يتساوى الثقل مرة أخرى ، ولعل هذا ينطبق مع ... قوله تعالى (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم)[٩٠] .. فالجبال بالنسبة للأرض مثل ذلك .[٩١] أى مثبتها

" القمر .. وعلاقته بالأرض "

تخيله الناس قديما : أنه نجم جميل مضىء لدرجة أن تغنى به الشعراء ووصف به المحبون محبيهم .

وأتى العصر الحديث فحطم العلماء أحلام المحبين والمعجبين بالقمر .. عندما اكتشفوه جبالا جردا ، قفراء ، لا تختلف عن الأرض فى شىء وداسوا عليه بأقدامهم

والمعتقد أن القمر نشأ كتوأم للأرض ، بالقرب منها ومن نفس مادة الكون العام .. والقمر يضىء ليلا لأن كثافته ثلثى كثافة الأرض ، وتتساقط عليه الشهب والنيازك باستمرار ، ثم وجود المادة الزجاجية على سطحه ، تجعل شدة اضاءته -

= ١ : ٤٥٠٠ من اضاءة الشمس ، مع أن شدة اضاءة الشمس فى الصيف العادى تعادل ١٠٫٠٠٠ قدم شمعة ، بالاضافة الى أنه بارد جدا ليلا — ١٨٠ درجة تحت الصفر — وليس فيه ماء ولا هواء .. وأصبح الناس يعرفون عن القمر أكثر مما يعرفون عن باطن الأرض وقاع المحيطات ..

والعلم الحديث يعتبر القمر كوكبا حقيقيا .. ثم أمسكته الأرض بجاذبيتها ليكون فى مجموعتها ، الا أنهم يطلقون عليه " العالم الميت "[٩٢] . وعلاقته بالأرض هامة جدا . فهو يقوم بعمل الضبط الدقيق جدا لسرعة دوران الأرض حول محورها بالقدر الذى يحفظ درجة الحرارة عليها ثابتة على مر الزمن[٩٣] .. وتوضيح ذلك :

" فلو كانت الأرض مثل قطعة لحم تدور أمام موقد ، فنضوج اللحم بدون أن يحترق يتوقف على سرعة الدوران ، وبالمثل لو دارت الأرض حول محورها أمام الشمس .. بمعدلات أكبر أو أصغر لاختل التوازن الحرارى ، وانعدمت الحياة عليها .

ومن لطف الله — أن جعل القمر يرتبط بالأرض . عن طريق الجاذبية ، وعندما ترتفع درجة الحرارة على الأرض ، يتسع مداره بسبب ابطائها ، ويتباعد فى الوقت الحاضر عن الأرض بمقدار — ٣٠ سم — كل ثلاثين سنة .. هكذا يقول العلماء ..[٩٤] وعندما يضعف جذب القمر للأرض . بسبب ابتعاده عنها . تعمل الشمس وسائر الكواكب على الاسراع من دوران الأرض . اذ يتغلب هذا الأثر على عملية الابطاء ، فتسرع فى الدوران حول محورها ، وتبدأ فى جذب القمر اليها من جديد ، ليجرى فى مسار أقرب . يوضح القرآن ذلك (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)[٩٥] .. وما اكتشفه العلم عن القمر — بعد حصولهم على عينات من تربته . إنه حدثت على سطحه تغيرات منذ — ٣٫٩ بليون سنة — وأن قشرته تكونت منذ — ٤٫٥ بليون سنة — وتربته فيها يورانيوم ، ورصاص وثوريوم ..[٩٦]

—

"المــاء .. وعــلاقته بالأرض"

يقول الله سبحانه : (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وانا على ذهاب به لقادرون)[٩٧] .

ولأهمية الماء وفضله ، يقول ـ عليه السلام ـ (ثلاث لا يمنعن : الماء ، والكلأ والنار)[٩٨] .. كما ـ نهى ـ أيضا : عن منع فضل الماء ليمنع به الكلأ ..[٩٩]

ولقد وضح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهمية الماء بالنسبة للبشر ، والحياة ، وحذر من الاسراف فيه واضاعته هباء فى أحاديث كثيرة[١٠٠] . ولأهميته ـ أيضا جعله الله كثيرا . فهو يغطى حوالى ٤/٥ الأرض . فمنذ نشأتها وجد فيها عنصر الماء ، وكان السبب فى جعلها صالحة للبقاء ، مستمرة متداولة . لما له من خصائص ينفرد بها : فيعمل على توزيع الحرارة والبرودة عليها .

وللماء درجات ثلاث : ١ ـ غازى : أى بخار ، ٢ ـ سائل ، ٣ ـ صلب هو الأجسام فى حالة السيولة أقل كثافة من حالة الصلابة ، لكن الماء لا يخضع لهذه القاعدة .. لأن حكمة الله من أجل حياة خلقه ، جعل كتل الثلج الموجودة فوق المحيطات ، ومناطق القطبين ، تطفو فوق سطح المحيط . ثم تتعرض لأشعة الشمس فتذوب تدريجيا .. أما اذا كان الثلج أثقل من الماء : فانه يغوص الى القاع المظلم . فلا تصل له أشعة الشمس وتظل درجة الحرارة عند الصفر فلا يذوب . وبمرور الوقت يتراكم ويزحف نحو خط ـ الاستواء ، ويتم تجمد بحار الأرض ومحيطاتها ، وعندها تموت الأحياء وينعدم البخار المسبب للأمطار . فتموت أيضا الأحياء على اليابسة .

لكن حكمة القادر . اقتضت أن يكون الجليد الصلب أخف من الماء فيذوب أولا بأول ..[١٠١] ويتكون الجزء الأكبر من أجسام الكائنات الحية . والتى تنمو فى الماء

وتحتاج لكميات وفيرة منه .. باختصار : الماء حياة الدنيا . يتجلى ذلك في قول الخالق العظيم : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وقوله سبحانه (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتذكرون) [١٠٢] .

" الماء .. وعلاقته بالريـــاح "

يقول سبحانه (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) [١٠٣] ..

للرياح أثرها وأهميتها ، وما تعود به من الفائدة على الأحياء في الأرض . وكما تحمل الخير ـ كذلك تحمل الشر ـ أجملها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كلمات ثم فطنها " العلم الحديث أخيرا .. فكان اذا عصفت الريح ، يقول ـ عليه السلام ـ (اللهم انى أسألك خيرها وخير ما فيها . وخير ما أرسلت به . وأعوذ بك من شرها ، وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) [١٠٤] . وقال (الريح من روح الله ، تأتى بالرحمة ، وتأتى بالعذاب ، فاذا رأيتموها فلا تسبوها ـ وسلوا الله خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها) [١٠٥] . فالرسول هو أول بشر له دراية بمعرفة الكون .

يقول العلماء : " ان الرياح هي السبب في تكوين المطر ، فينزل ماء عذبـــا يجود بالحياة . والقرآن أول كتاب يتحدث عن تلقيح الرياح للسحب ، لتجود بالمطر والدورة التي تتم بين الـماء والأرض وتدل على أن الماء العذب لا يختزنه أحـــد لا في السماء ولا في الأرض ، بدليل قوله سبحانه (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) [١٠٦] .

والرياح مرتبطة بالاشعاع الشمسي ، وبالتالي لها تأثيرها على الجو الأرضي

فتكون السحب الركامية التى تحدث عواصف ورعد وبرق ، وغالبا من تعرض له يصاب بالعمى . يصور ذلك كله قوله سبحانه (ألم تر ـ أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)[١٠٨] ..

ولقد قسم القرآن : الرياح ، تقسيما سار عليه علماء الرصد الجوى ، واستعانوا به فى الملاحة الجوية والبحرية . انه السمو العلمى الرائع الذى سما بالفكر الاسلامى . هذا التقسيم ، اشتملت عليه تلك الآيات :

١ ـ ريح ساكنة : " ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره " الشورى/٣٣

٢ ـ ريح طيبة : " وجرينه بهم بريح طيبة وفرحوا بها " يونس / ٢٢ .

٣ ـ " عاصف : " ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره " الأنبياء / ٨١ .

٤ ـ " قاصف : " فيرسل عليكم قاصفا من الريح " الاسراء / ٦٩ .

٥ ـ " صرصر : " فأهلكوا بريح صرصر عاتية " الحاقة / ٦ .

٦ ـ " عاتية : " " " " " " عاتية " " " " " "

٧ ـ " اعصار : " فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت " البقرة / ٢٦٦ .

ومن الجدير بالذكر أن القرآن ذكر هذه الرياح على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يعرفها العلم ومافيها من منافع وأضرار ...[١٠٩]

ولأهمية الماء وعلاقته بالحياة يقول سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك .)[١١٠] .. فالله سبحانه تكلم عن : الجماد ، والحيوان ، والنبات ، وعلاقتهم بالماء ، ثم يقول (انما يخشى الله من عباده العلماء) العلماء فيما يتعلق بما خلق الله . من حيوان ونبات وانسان ، كلها أنواع مختلفة ، وللماء علاقة بينه وبين ألوان هذه

الأحياء الموجودة في الطبيعة .

يقول علماء النباتات " ان النبات يتغذى بواسطة خاصة الأنابيب الشعرية ، ومن العجيب أن هذه الأنابيب تميز بين الأصناف المختلفة من السوائل . فكل خاصية تأخذ مايخصها من السائل وتميز بينه . فهناك عض يزرع الحنظل . بجانب القصب . فيخرج هذا حلو ، وذاك مر ، والكل أخذ عناصره من نفس التربة "[111] .. يقول سبحانه مبينا ذلك (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان . يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[112] ..

وعلى هذا فلفظة ـ علماء ـ انما أطلقت على الذين يلاحظون أن هذا من خلق الله ، فيتذكرون فيه ..

البـــاب الحـــادى عشر

الحـــديث .. والاكتشـافـات الكـــونيـة

المـــراجـــع .. والتعليقـات :-

(١) جفرى مارتن " انتصارات وعجائب علم الكيميا " " مقتبس من كتاب "
(٥) التفسير العلمى للآيات الكونية " حنفى أحمد ..
(٢) سورة النجم ١/ .
(٣) " " الملك/٥ .
(٤) " " الجن ٨/ .
(٥) أخرجه مسلم / فضائل الصحابة .
(٦) سورة النحل / ١٦ .
(٧) " " الأنعام / ٩٨ .
(٨) " " الواقعة / ٧٥ ، ٧٦ .
(٩) سورة الطارق / ٣ .
(١٠) عبد العليم خضر " من آيات الله فى الآفاق " جريدة الندوة السعودية عدد ٤٨٤٤ ، ص٦ - ٣/١٩٨٠م .
(١١) سورة الذاريات / ٤٧ .
وعلى الرغم من اتساع الكون . اتساعا لا يصدقه عقل . بل لا نهاية له ولا أول . وأحيانا يسرح الخيال ، وتتذكر النفس : فى أى الأشكال كانت بداية الكون ، وفى أى صورة ستكون النهاية . ؟ وما هو الشكل والهيئة قبل البداية وبعد النهاية ؟ . وبمعنى آخر هل الكون محدود ، ومسور بسور مثل البحار والمحيطات : يغشاها موج من فوقها موج من فوقها سحاب .. أم أنها الجنة والنار وعالم الذرة ؟ .
والعقل البشرى لا يستطيع ادراك ما وراء الكون ، ولا تصور قوله سبحانه (وانا لموسعون مؤكدا - بان واللام ، مما يدل على الاصرار والثقة .
(١٢) د. عبد العليم خضر " عوالم المجرات فى بحر الفضاء " ص٦ ، مارس ١٩٨٠م - السعودية .

(١٣) فريق من علماء الفلك ، فى معهد " كارينجى " جريدة الثورة السورية عدد ٥٠٢٠ ، ٦/٧/١٩٧٩م .. والعبرة ليست فى الاكتشافات . بل فى حجم تلك العبرة التى لايتصورها عقل ..

(١٤) سورة البقرة /١٩ .

(١٥) قديما تصور الناس السماء جسما صلبا . عرف ذلك : عن طريق كتبهم مخطوطا ووصفوها بأن لها أبواب تغلق وتفتح وكذا فسرها بعض المفسرين ، مثل الطبرى ، وابن كثير ، فى قوله تعالى (وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا) النبأ . وتفسير الآية موجود فى كتب - المفسرين وأنهم حملوا الباب على حقيقته - لكن الواقع ليس لفظ الباب على الحقيقة ، بل المقصود به معنى آخر ، يوضحه قوله تعالى " وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا " وهذا ايذانا بالبعث . وتصبح ألوان الطيف السبعة كلا على حدة ، وحينئذ تظهر السماء وكأنها أبواب ودروب ، وتسير الجبال كأنها السحب . وكما يقول .. الأستاذ جلال الدين نورى فى مقاله " نظرات فى الكون " . " ان المادة مهما صغر حجمها ففيها فراغ لا يرى بالعين المجردة . والأبواب المذكورة هى الفراغ الذى سيراه الناس بين الألوان والكواكب الأخرى . والعوالم الموجودة فوقنا والمعبر عنها بالسموات السبع - مطابقة تماما فى - مادتها : مادة الأرض بما فيها من حديد وزنك ونحاس وكالسيوم .. الخ . بدليل قوله سبحانه " ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت " ومن لطف الله سبحانه ، أنه جعل القريب دليلا على البعيد ، وجعل الكواكب دائرة ليسهل حسابها ، ومركبة تركيبا واحدا ليسهل فهمها - ولعل ظاهر الآية يعبر لهذا المعنى . والقرينة هنا : هى العلوم العصرية . التى جهلها المسلمون ، وسجل عليهم ذلك التقصير ، وعاشوا عالة على الأمم الأوروبية الذين اكتشفوا معجزات القرآن الكريم .

(١٦) أخرجه البخارى - التفسير .

(١٧) سورة السجدة / ١١ .

(١٨) " " فصلت / ١١

(١٩) حنفى أحمد " التفسير العلمى للآيات الكونية " ص١٢٨ ، ط ٢ .

(٢٠) فسرها - الراغب الأصفهانى : بالدخان المستصحب باللهب ، ولا تماسك لها

(٢١) الأحاديث الثلاثة ، أخرجها البخارى - بدء الخلق ، ج٤ .

(٢٢) ومعناها : الالتهاب الشديد ، ومنها أتون المعركة ، ونقشوا على جدران المعابد " أتون يارب الأرباب ، يامن تطلع فى الآفاق ، ويامن تغمر الأرض بالنور ، وضياؤك يمنحنا طول العمر .

(٢٣) حاتم نصر فريد " الشمس والطاقة " مجلة أكتوبر المصرية - عدد ٨٨ ، ص٤٣ ، ١٩٧٩م - .

(٢٤) عن جريدة - الأهرام المصرية - عدد ٣٢ / ٢/١٩٧٩م - القاهرة .

(٢٥) وحتى الآن لم يعرف مصدر تلك الزيادة . وإذا كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة الاحتراق . فكيف لم تفن مادتها بمضى العصور ؟ . إنها آية من آيات مبدع الكون .
(٢٦) د. أحمد ذكى " الشمس وكواكبها السيارة بين الحقيقة والخيال " العربى - عدد ٢٠٣ ، ص٦٤ ، ١٩٧٥م - الكويت .
(٢٧) فماذا يكون مصير العالم ، وكيف تسير آلاته ومصانعه ؟ . ولقد استخدم العرب سلاح البترول فى حرب ١٩٧٣م ، وتوقفت حياة معظم بلاد الغرب ، ولكن الله سبحانه وجه أنظار الناس للشمس لعلها تكون البديل عن البترول فيما بعد ..
(٢٨) وظهر الاهتمام البالغ بعد المؤتمر العالمى الذى عقد فى - الولايات المتحدة - ١٩٥٥م ، واستغلوا طاقة الشمس فى تدفئة البيوت ، وتسخين المياه والطهى ، كما ينتظر توليد الكهربا ، وتسيير السيارات الخ .. مع قلة التكلفة ، بجانب عدم تلوث الجو ، كما يحدث من الفحم والبترول كما يتوقع تشغيل الثلاجات والمكيفات صيفا وشتا ، وإنتاج غاز الهيدروجين
(٢٩) د. ابراهيم صقر - رئيس معمل البحوث للطاقة الشمسية - المركز القومى - مصر - ١٩٧٨م .
(٣٠) طه المشهدانى " الشمس مفاعل نووى " مجلة العلم - ص٣٥ ، ١٩٧٤م - - الجزائر .. وقد تفاجأ البشرية بابتكار غير متوقع يقلب الموازين مستقبلا لصالح الناس . ابتكار نظيف ورخيص فى متناول الجميع .
(٣١) سورة ياسين / ٣٨ . وتقدم ذكر الحديث .
(٣٢) وهذا حسب تأويلهم واجتهادهم ، ولأن أبحاث الفضا ، لم يكتب لها الظهور فى ذلك العصر ، ومنهم من قال : لا استقرار للشمس فى حركتها حتى يوم القيامة ولعل هذا التفسير يكون قريبا من الصواب . غير أنهم قصدوا به الحركة اليومية للشمس .
(٣٣) حنفى " التفسير العلمى للآيات الكونية " ص٢٩٩ .
٣٤) سورة الضحى / ٢ ، و سورة المدثر / ٣٤ ، وسورة الشمس / ٣ ، والنازعات / ٢٩ .
(٣٥) رجب الجبالى " القرآن والعلم " مجلة الدعوة السعودية ، عدد ٦٨٢ ، ص٣٩ - ١٣٩٩هـ .
(٣٦) د. عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ " " من أسرار العربية فى البيان القرآنى " ص٣٩ .
(٣٧) سورة النور / ٤٠ .
(٣٨) " " النازعات / ٢٩ .
(٣٩) " القرآن والعلم " .
(٤٠) ولقد فتن الناس بالقمر الصناعى - وأثنوا على صانعه . ونسوا ءالذى صنع بلايين البلايين من الأقمار ، من ملايين السنين ، وكذا نسوا ،

الموجد للمواد الخام . والعقل والعقل الذى وهبه الله للانسان . لم يوجده بنفسه . فالله الذى ألهمه صنع هذه الأعيا . " وعلم آدم - الأسماء كلها " وكذا دوران القمر الصناعى حول الأرض . فالجاذبية التى خلقها الله فيها هى التى تتحكم فى كيفية الدوران ، ومهما بلغ الانسان من رقى فلا يساوى ذرة فى جريان الشمس فى الفضاء . فسبحان الذى فطرها " ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب " ق / ٣٧ .

(٤١) سورة المزمل / ٩ .
(٤٢) " " الرحمن / ١٧ .
(٤٣) " " المعارج / ٤٠ .
(٤٤) د. أحمد ذكى " الكواكب فى مساراتها حول الشمس " العربى - عدد ٢٠٣ .
(٤٥) ونلاحظ هذا بوجه أكثر - فى رمضان -
(٤٦) الشيخ الشعراوى " معجزة القرآن " ص ٢٨ .
(٤٧) سورة يس / ٤٠ .
(٤٨) " معجزة القرآن .
(٤٩) سورة ق / ٧ .
(٥٠) " معجزة القرآن ، ص ٩١ .
(٥١) سورة طه / ٥٣ ، ٥٥ .
(٥٢) أخرجها البخارى - كتاب الرقاق . ج ٤ . وقال " ص " " زويت لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها " رواه ابن ماجه - الفتن .
(٥٣) الشيخ الطنطاوى جوهرى " تفسير الجواهر " فى تفسيره الآية - مع التصرف .
(٥٤) " تفسير الجواهر " " التفسير العلمى للآيات الكونية " عند ذكرهم للآية .
(٥٥) سورة النازعات / ٣١ .
(٥٦) بحثت عنه فى المعجم المفهرس فلم أجده .
(٥٧) سورة الطلاق / ١٢ .
(٥٨) د. أحمد ذكى " الأرض مركزا للكون " العربى - عدد ٢٠٣ - ص ٦٦ .
(٥٩) التفسير العلمى للآيات الكونية " ص ٣٧٢ .
(٦٠) ولعلى أكون قربت من الصواب .. لأن الله سبحانه يعطى عباده دلائل على قدرته ، ولا يستعمل ماتعيا به العقول - لأنه لا يستحى من الحق - فهل يستحى من أن يجمع الأرض اذا كانت متعددة ، كما جمع عدد السماء . والناس يعيشون على الأرض ولا يعرون عنها الا القليل ، فالله خلقنا منها وهيأ علينا كل وسائل المعيشة اللازمة للانسان " هو الذى جعل لكم - الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور " وهذه اشارة واضحة لعدم المعيشة على غيرها من الكواكب بالنسبة للانسان . واذا كان الانسان يحاول الانفصال عنها ، وجسمه مشتمل على كل العناصر

الموودة فيها . ولو رفعت عصا وتركته تجده يسقط على الأرض مرة أخرى بفعل الجاذبية . فلو كان من الممكن مغادرة الأرض ، والعيش على كوكب آخر .. والا لما قال الله سبحانه " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " . وفي اعتقادي أن محاولة الانسان هذه لن تدوم طويلا ولا يستطيع التناسل على غير الأرض . الا اذا عاش السمك خارج الماء بدليل الذين يصعدون لضواحي الأرض يتعرضون لمتاعب لا تطاق ، بالاضافة الى الجهود الجبارة من آلاف العلماء - زد على ذلك الملابس والأجهزة المعقدة مما يعقد الحياة - فالأرض بمثابة الجنين للانسان والله سبحانه لم يخبر لا من قريب ولا من بعيد على إن الانسان سيغادر الأرض . والآية التي احتج بها العلماء " يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا .. الآية " ليست دليلا على الصعود ، بدليل قوله تعالى بعدها مباشرة " يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران " والقمر أيضا يعد ضاحية من ضواحي الأرض فهو ليس غريبا . في الوقت الذى لا يستطيع أن يعيش الانسان على سطحه .

ومثال آخر : الانسان يركب السيارة أو الطائرة وبعد قليل يمل الركوب ويرغب في النزول للأرض . هذا شيء طبيعي . واهمون الذين يعتقدون - مغادرتها . لأنها خصصت لنوع الانسان .

والناس على الأرض مثل راكب سفينة فضاء ، سقفها هو الغلاف الهوائي - الممتد الى ارتفاع ١٠٠٠ كم فيحمي الأرض من الأشعة المحرقة التي - ترسلها الشمس وتقتل الخلايا الحية في لحظات . فلو لم يكن الهواء - لانعدمت الحياة على الأرض وكان الناس الى عهد قريب يظنون أن الهواء موجود في جميع الأجرام السماوية . فقديما فكر فرعون الصعود الى السماء ، فقال الله سبحانه ذاكرا قصته في القرآن " ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات والأرض " كما حاول - ذو القرنين " - في عهد الاغريق زيارة السماء ، داخل عربة تحملها النسور وبعد التقدم العلمي حاول الانسان بواسطة المناطيد - ثم بالطائرات ، ثم بالصواريخ ، وعرف أن الصعود الى طبقات الجو يصحبه حالات اختناق بعد - ١٢ كم تقريبا . ومن الحكمة أن جاذبية الأرض تمسك الهواء ، فلا يتبدد في الكون ولا يخرج عن قبضتها ، فلا حياة للانسان خارجها . وعليه أن يفيق من الحلم .

(٦١) أخرجه أحمد بن حنبل - ج٢ .

(٦٢) سورة الملك / ١٥ .

(٦٣) أخرجه البخاري - الحرث ، وابن حنبل - ج٤ .

(٦٤) فمانا كان يقول : لو بعث في أرض زراعية خصبة ، مليئة بالحدائق الغناء وفي اعتقادي أن تحديد الرسول " ص " وحرصه على زراعة الأرض ، ولا نتركها صحراء - انما هو حث على العمل ، وتشغيل الأيدي العاطلة للارتفاع - بمستوى المعيشة ويتمتعوا بنعم الله ، التي أخرجها لعباده .

(٦٥) فى سورة البقرة ، والنحل ، والرحمن ، والواقعة ، والمرسلات ، والنازعات .. الخ .
(٦٦) سورة الواقعة / ٦٣ .
(٦٧) د. أحمد الشرباصي ـ مجلة البلاغ الكويتية ، عدد ٤٥٢ ، ص٣٤ .
(٦٨) أخرجه البخارى ـ بدء الخلق .
(٦٩) سورة الرحمن / ٦ .
(٧٠) " " الاسراء / ٤٤ .
(٧١) " " القصص / ٣٠ .
(٧٢) " " الفتح / ١٨ .
(٧٣) ومن حكمة الله أنه جعل قاع المحيطات صخرية ، حتى لا تتسرب مياهها المالحة لتربة الأرض الصالحة للزراعة ، وجعلها الله مالحة لأن مياهها غير جارية ، ووقوف الماء يفسده ، ثم كانت القدرة الكبرى أن الماء المالح اذا تبخر أصبح عذبا ، وهذا ما نشاهده فى الأمطار . التى تنزل لتسقى الحرث ، والنسل .
(٧٤) د. محمد صابر " ماتحت الثرى " مجلة الوعى الاسلامى ـ عدد ١٣٥ ، ص ٨٥ ـ ١٩٧٦م ـ الكويت .
(٧٥) سورة الروم / ٢٤ .
(٧٦) " " يس / ٣٣ .
(٧٧) " ماتحت الثرى" .
(٧٨) سورة الحجر / ٨٣ .
(٧٩) " " النحل / ٨١ .
(٨٠) " " المزمل / ١٤ .
(٨١) " " فاطر / ٢٧ .
(٨٢) " " النمـل / ٨٨ .
(٨٣) أخرجه احمد بن حنبل ـ ج .
(٨٤) أخرجه ابن ماجه ـ الفتن ج
(٨٥) " " " " " " " ـ النكاح .
(٨٦) وعوامل التعرية تشير الى تحرك الجبال ، من انخفاض ، وارتفاع فـى أماكن أخرى .
(٨٧) د. أحمد ذكى " سرعة الجبال " العربى ـ عدد ١٩٨ ، ص٣٤ ـ ١٩٧٥م .
(٨٨) ابن كثير ـ فى تفسير الآية ، والفخر الرازى ـ ج٧ فى موضعه . لكـن يوم القيامة ليس فيه حسبان أو ظن ، بل فيه يقين وتأكيد .. ولعدم علم المفسرين بحركة الأرض . صرفوا المعنى الى يوم القيامة ، والخطاب فى الآية للانسان الآن .
(٨٩) جمال الفندى " الكون بين العلم والايمان " .
(٩٠) سورة النحـل / ١٥ .

(٩١) د٠ عبد الله المحمد " الفلك في القرآن " مجلة الدعوة ـ عدد ٦٧١ ، ص٤٣ ـ ١٣٩٨ هـ ـ السعودية ٠
(٩٢) م٠ سعد شعبان ـ لجنة فضا ٠ الطيران المصرى ـ مجلة العربى ـ عدد ١٩٩ ص ١٤٣ ـ ١٩٧٥م ـ الكويت ٠
(٩٣) " الفلك في القرآن " ـ ص ٤٣ ٠
(٩٤) د٠ فؤاد طيرة ، و ـ ج٠ واسر برج ـ مجلة العربى ـ عدد ٥/٥ ١٩٦ ، ص١٣٩ ـ ١٩٧٥م ٠
(٩٥) سورة يس / ٤٠ ٠
(٩٦) رحلات أبولو الأمريكية ، ومن الطريف أنهم بعد٠٠ أطلقوا بعض الأسما٠ الاسلامية ، التى نبغت في علم الفلك ، مثل : البيرونى ـ وأبو الوفا على بعض أماكن في القمر ، واقترح فاروق الباز : عالم مصرى يعمل في معامل التخطيط لبرامج الفضا٠ الأمريكية ٠ اقترح على جمعية العلوم الفلكية العالمية أن يطلقوا اسم " فجوة المسلمين " على الفجوة التى اكتشفها ٠
(٩٧) سورة المؤمنون / ١٨ ٠
(٩٨) أخرجه إبن ماجه ـ الرهون ٠
(٩٩) أخرجه إحمد بن حنبل ، والبخارى ـ المساقاة ٠
(١٠٠) من أرادها فليتطلبها في : البخارى باب الوضو٠ ، والبيوع والطهارة ، والمساقاة ، وكذا في كتب الستة ٠
(١٠١) م٠ حسن محمد عارف " الاعجاز العلمى " مجلة العلم ـ عدد ٣١ ، ص١٢ ـ ١٩٧٤م ـ تونس ٠
(١٠٢) سورة النحل / ١٠ ٠٠ ولقد تعرضت قبل ذلك لأهمية الما٠ في الاكتشافات الطبية ٠
(١٠٣) سورة الأعراف / ٥٧ ٠
(١٠٤) أخرجه مسلم ـ الأدعية ٠
(١٠٥) أبو داود ، وابن ماجه ـ الأدعيـــة ٠
(١٠٦) سورة الحجر / ٢٢ ٠
(١٠٧) " القرآن والعلم " ٠ ص ٣٠ ٠
(١٠٨) سورة النور / ٤٣ ٠
(١٠٩) " تفسير الجواهر " ٠٠ والسنة النبوية وضحت معانى الكثير من آيات الله في الكون ، ولكنها لم تشرحها شرحا كاملا ، حتى لا تكون ملزمة للمسلمين ، ولا يكلفهم ما لا يطيقون ، ولم تكن هناك ضرورة ٠ وقد كان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في عهد تأسيس لقواعد الشريعة ، أما الأمور العقلية فتركوها ليبحثها الانسان فيما بعد بنفسه ، وحيث أنها لا تمس قضية الايمان ٠ (١١٠) سورة فاطر / ٢٨ ٠
(١١١) جلال الدين نورى " نظرات في الكون ـ البلاغ ، عدد ٥٣٦ ، ص١٨ ، ١٩٨٠م
(١١٢) سورة الرعد / ٤ ٠

الباب الثانى عشر

الحديث .. يدعو للفكر والبحث العلمى

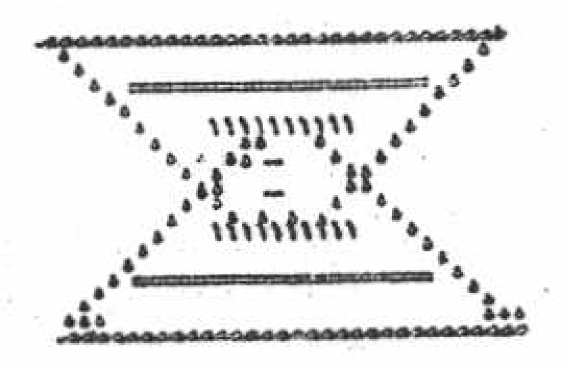
×=× الاسلام والتحدى العلمى .. ..

×=× الاسلام لاينكر العقل .. ..

×=× اهتمام الاسلام بالفكر الانسانى .. ..

×=× استخدام العقل .. لاعبادته .. ..

×=× الاسلام ربط بين العلم والفكر .. ..



« الاسلام والتحدى العلمى »

قال - صلى الله عليه وسلم (وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، انما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقه . فهذا بأفضل المنازل . - وعبد رزقه الله علما ، ولم يرزقه مالا فهو صادق النية . يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته ، فأجرهما سواء . - وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما . يخبط فى ماله بغير علم ، ولا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل .. - وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لى مالا . لعملت فيه بعمل فلان . فهو بنيته ، فوزرهما سواء .)[1]

بعض الناس يتهمون الاسلام بالتأخر والجهل ، واسندوا قولهم . بأن الاسلام يحارب العلم والعلماء . - الطبيعيين ، والصناعيين ، وما الى ذلك .. وأنه يقف ضد من يحاول البحث والمعرفة ، فى أى فرع من فروع الحياة .

ان من أراد الظهور على مسرح الحياة ، فأول شئ يفعله هو - مهاجمة الاسلام[2] - ويصفق له الجاهلون بالحقيقة ، ويشجعهم المضللون . والذى شهر قلة من كفار مكة ، ودخلوا التاريخ .. هو ما فعلوه ضد النبى - عليه السلام - وأصحابه ، انهم تطاولوا على الشواهق . وباعوا ضمائرهم وأفكارهم للشيطان ، جريا وراء حفنة من مال . وسواء كانوا من أعداء الاسلام ، أو المنتسبين اليه ، فلن يستطيعوا !! .

فالاسلام حقيقة : طود شامخ ، وبناء الهى راسخ ، يعصف بكل المهازيل . وكم تحطمت على صخرته رؤوس الشياطين ، ونفوس الضالين ..

كناطح صخرة يوما ليوهنها .. فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل ..

انهم تجاوزوا الحقيقة ٠ ولم يدر بأخلدهم ٠ أن الاسلام لم يحتفل بشئ ٠ قدر احتفاله - بالعلم - ولقد افتتح الله رسالات السماء جميعا ٠ بالاشراقات - العلمية الواعية ٠ وان من أكبر أنواع العلم والثقافة ٠٠ هى الدعوة الى الله وتوحيده وعدم الاشراك به ٠

وكانت رسالات كل الرسل تدور حول هذا المحور ٠ وتستوعب كل مجال يحمل العلم ويتضمنه ويدعوا اليه [٤] ٠٠

ولقد وجه الله الأذهان ٠ ونبه الى ضرورة التلازم بين الاسلام والعلم ٠ فعندما بدأت الرسالة المحمدية ٠ يقول جل الله شأنه (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ٠) [٥] ٠٠ كما كان يدعو - عليه السلام - أن يزيده الله علما (وقل رب زدنى علما) [٦] ٠ وقال - عليه السلام (خذوا من العلم قبل أن يرفع العلم ٠ وقبل أن يقبض العلم) [٧] ٠٠

ورفع الله من شأن العلماء ٠ وأعلا مقامهم الى القمة ٠ فى قوله سبحانه ٠٠ (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) [٨] ٠

والرسول - عليه السلام - جعل العلم طريق الوصول لله ٠ والطريق الموصل - للجنة ٠ فقال : (من سلك طريقا يطلب فيه علما ٠ سلك الله به طريقا الى الجنة) [٩] وقال (يبعث الله العباد يوم القيامة ٠ ثم يبعث العلماء ٠ ثم يقول : يامعشر العلماء ٠ انى لم أضع علمى فيكم ٠ الا لعلمى بكم ٠ ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم ٠ ٠ اذهبوا فقد غفرت لكم) [١٠] ٠٠

وحرص الاسلام على العلم ٠ لأنه هو الذى يبصر الناس بأمور دينهم ومعاشهم وعلاقاتهم ٠ وبذلك يقربهم من الله والايمان به ٠ ويرفع الغطاء عن حقيقة الألوهية ويوصل للايمان الصحيح ٠

والعلم نفسه هو الذى أوقف " أرسطو " الفيلسوف الكبير ٠ على عتبة التوحيد

حيث قال : " ان كل جزء من أجزاء الكون يتجه نحو غاية ، والغاية تتجه الى أخرى أعلا منها ، حتى يتم الوصول فى النهاية . الى نهاية مشرفة وحيدة ، هى نهاية النهايات ، وهى القوة الخارقة التى لا يقدر العقل البشرى على الاحاطة بها أو ادراكها ، وهى الفاعلة فى هذا الكون ، وليس من الممكن أن يحمل هذا على المصادفة البحتة [11] ".

وكذا العالم الألمانى الذى بدأ ملحدا ثم اهتدى بالعلم ، يقول : " اذا تأملنا هذا الكون وأسراره ، وعجائبه وغرائبه ونظامه ودقته ، وضخامته وروعته ، لا بد أن نفكر فى الله خالقه . ونتساءل .. من ذا الذى يتطلع الى السماء ، فى ليلة صيف صافية ، ويرى النجوم اللا نهائية . تتألق بعيدا . ثم لا يؤمن يقينا بأن هذا الكون كله لا يمكن أن يكون بغير خالق [12] ".

ثم ان القدرة التى شكلت الأجرام السماوية ، وحددت كثافتها وأقطارها ، ومداراتها بانتظام مستمر ، والى الأبد على نسق عجيب متقن ، لا يمكن الا أن يكون بيد خالق مبدع ، انه الله الأعظم خالق الكون [13] ..

هذه أقوال علماء ، بحثوا فى الكون وأسراره وعرفوه عن قرب بواسطة العلم . الذى هو من أساسيات الاسلام وقواعده ، ودعا له عن طريق آيات الله فى الكائنات وأحاديث الرسول - عليه السلام - ان الذى لا تجيش نفسه لهذا . ولا تتحرك له عاطفة هو حى كميت تماما بتمام . انه غثاء . لا يمكن تعرف حبيبه ، وظلام لا يصل الى فجره ومع هذا تتجلى الحكمة ، والجمال ..

ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون ، هو أقوى حافز على البحث العلمى [14] .. " ان وجود الخالق سبحانه تدل عليه تلك التنظيمات الرائعة الغير - متناهية التى تكون الحياة بدونها مستحيلة ، وان وجود الانسان على ظهر الأرض وما يدل على ذكائه . انما يدل عليه مدبر الكون ، وان تحطيم الذرة التى تعتبر

أصغر شيء في بناء الكون ، وهي في نظامها .. كنظام المجموعة الشمسية سواء بسواء ، وان المعارف التي كشفها العلم ، لتدل على وجود جبار قوى مدبر لظواهر الطبيعة .. هذا يقود الى وجود الخالق العظيم [١٥] تلك هي بعض مواقف العلم في كشف حقائق الايمان ، وفي الدلالة المنطقية ، على وجود الله ، وفي تقريب المسافة واختصار الطرق أمام كل شغوف متعطش لمعرفة الذات الالهية وتجليتها في قلوب المؤمنين .

واذا كان هذا هو دور العلم ومسئوليته الملقاة على عاتقه ، والتي يتعين عليه أن يقوم بها في الدلالة على الله من خلال المنطق السليم ، والبرهان المقنع .. أفلا يكون من الأجدر والأولى بالاسلام ، وهو الذي حبذ وأيد ذلك الأسلوب القوى الواضح الى الايمان بالله .

فالعلم للاسلام ، كالحياة للانسان ، ولن يجد الاسلام من يهتم به ، والاحاطة بما اشتمل عليه الا عند أصحاب العقول الناضجة ، والألباب الحصيفة ، ولن يعرف الله ويقدره ويخشاه الا العلماء " انما يخشى الله من عباده العلماء " كما ذكرت كلمة العلم - في القرآن ثمانون مرة - ولفظة العلماء والعلم ومشتقاتها مايزيد عن الألف .

فبقدر معرفة الانسان ، وشمول نظرته ، يكون رسوخ قدمه في الاسلام ، وهيهات أن يسبق في هذا الدين بليد الرأي ، أو سقيم الوجدان ، وكيف لذوى العقول الضحلة أن تدرك مقام الله ؟ وكيف لمن يعيش على هامش الحياة ، أن يعرف الحق عن رب الحياة ؟ .. ان طبيعة الاسلام تفرض على من يعتنقه ، أن تكون أمة متعلمة من كتاب حكيم ، ومن سنة واعية راشدة ، ان أمة تعى الاسلام وتشريعاته وآدابه ، وتعنى بالبحث الصادق والاجتهاد الصحيح ، هي الأمة التي تستحق الحياة . [١٦]

ومن هنا قدس الاسلام العلم ، واحتفلت آيات القرآن والأحاديث النبوية على

كل ما يدعو اليه " هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون "[17] وقال جل شأنه .. (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم)[18] .. وقوله (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق)[19] .. كما أشار الرسول - عليه السلام - وأشاد بالعلم وأهله - فقال : (فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى)[20] .. وقال : عليه السلام (من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام ، فبينه وبين الأنبياء فى الجنة ، درجة واحدة)[21] .. وقال - صلى الله عليه وسلم - (يبعث العالم والعابد .. فيقال للعابد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم اثبت حتى تشفع فى الناس)[22] .. ويقول - عليه السلام - (تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعرفه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة يقتدى بفعالهم ، وينتهى الى رأيهم . ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه . لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة . التفكير فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو امام العمل والعمل تابعه .. يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء)[23] .. ويقول (العلماء ورثة الأنبياء)[24] ..

هذا هو حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودعوته للبحث العلمى ، وهذى نظرة الاسلام له[25] .

والدين لا يضيق بوجهه عن المعارف ، والجهود الانسانية ، ويهد بفضله العقو

قبل الحديث .. وما حضارة العالم الآن ، الا من نتاج العقل الاسلامى العظيم[٣٦] ..

ولقد شهد الغرب بعظمة القرآن والحديث ، وما فيهما من توجيهات للمسلمين نحو العلوم " الطبيعية ، والرياضيات ..

ولقد قام بعض العلماء " : بدراسة الآيات القرآنية ، التى لها ارتباط بالعلوم الطبيعية ، والصحية ، والطبية . فوجدوها مطابقة مع المعرفة الحديثة . فأعلنوا اسلامهم .. لأنهم تيقنوا من أن محمدا أتى بالحق الصريح - والعلم بدون معلم من البشر[٣٧] " .

" ان تعاليم الاسلام أكثر انطباقا على نواميس الطبيعة ، والعقل الانسانى ولم يقف الاسلام يوما فى وجه التقدم العلمى . بل يقود الفكر الانسانى الى درجة الملائكة ، ويفضل العلم على جميع مشاهر الحياة[٣٨] .. "

الاسلام .. لاينكر العقل

الامور المرتبطة بالحياة . والتى لاتتعارض مع الدين : جعل الاسلام العقل فيها حكما .. - بل جعله حكما فى الدين أحيانا - ولقد نعى على المقلدين وعاب عليهم تقليدهم ، يقول - عليه السلام - (لايكن أحدكم امعة[٣٠]) .

ولقد فتح الاسلام المجال للعقل - فيما يخصه - على مصراعيه وليصح بنوره على الكون . ولقد حذر الله من التقليد ، فى قوله سبحانه :(ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون[٣١] .) ..

قال المفسرون :" ان الآية صريحة فى أن التقليد بغير عقل ولاهداية . هو شأن الكافر ، وأن المرء لايكون مؤمنا : الا اذا عقل دينه وتفحص معانيه فيكون ايمانه عن اقتناع .. فمن سلم بغير عقل ، وعمل بغير فقه ، فهو غير مؤمن . فليس القصد

من الايمان أن يسخر الانسان للخبر كما يسخر الحيوان .. فالله لم يرض لعباده هذا الاسلوب ، بل القصد منه أن يرتقى بعقله بالعلم [٣٢] .. وآيات القرآن صريحة تدعو الناس لمعرفة الكون المحيط بهم ، يقول سبحانه (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس .. الخ [٣٣] الآية وقوله سبحانه (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون [٣٤]) كل هذه الآيات موجهة الى قوى الانسان العاقلة .

وحذر الاسلام من الأخذ بما وجد عليه الآباء بدون نظر .. فكل من فكر ونظر لا بد وأن يهتدى للايمان بالله .. لأن الايمان احساس روحى .

وشئ هام يجب أن يلاحظ : أن العقل له حدود لايتعداها لمعارف أخرى وأسباب فى محاولة معرفة كنه الخالق . كما فعل الفلاسفة . فذهبت محاولاتهم أدراج الرياح فالعقل قاصر عن ادراك أشياء لا طاقة له بها . مثل الكهرباء ، وموجات الأثير التى تنقل الصوت والصورة . فعظمة الله فى الكون تشاهد يوميا . وتدل عليه سبحانه فليس من المعقول قياس الوجود بمقاييس نسبية محصورة فى حدود العلم البشرى - المحدود أيضا .

إن الاسلام وما أعطاه للعقل لم يقتصر على العلوم الدينية فحسب ، بل وجه أنظار المؤمنين وأفكارهم ، وأثار عقولهم الى العلوم الدنيوية أكثر ، فانطلقت الشعلة ، وأصبحت المساجد معاهد علمية ، وجلس علماء الفلك وغيرهم فى ساحة المساجد مستخدمين العقل فى كشف أسرار الكون . وخاصة التى وردت فى القرآن حاملة أسماء بعض سوره - من فيزياء وفلك ، مثل : " النور . الرعد . الدخان . النجم . القمر المعارج . التكوير . الانفطار . الزلزلة . البروج . .. الخ " وما ذلك الاحثا على استخدام العقل لمعرفة الكون .. [٣٥] مستفيدا منه كلما أتيحت له الفرصة . يعبد الله بالغوص وراء أسرار خلقه وصنعه . وما سخر للعقل من قوى جبارة أودعها هذا الوجود

وهو يعمل فى هذا كله دون تدخل السماء – فقد قال – صلى الله عليه وسلم – "..
(أنتم أعلم بشئون دنياكم)[٣٦].. فأمام الانسان أمور الدنيا (الحكمة ضالة المؤمن .. أنى وجدها فهو أحق الناس بها)[٣٧]..

ولقد كانت معجزة محمد – صلى الله عليه وسلم – " جذب النظر الى اعجاز الصنعة فى الكون الكبير بدلا من الاستغراب والتأثر بالمعجزات المتناثرة المعبأة فى نماذج مقصورة على بلد وزمن معين ".

والرسول – عليه السلام – نهى عن الاعتماد على الخوارق الحسية . وأمر بالاعتماد على الجهد والفكر والعمل " فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة " وقال – عليه السلام – (ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا – ويقول : – لن ينجى أحد منكم عمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدنى الله برحمته ، فسددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا)[٣٨] ..
ويقول سبحانه (ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض)[٣٩] ..

وحكمة الله اقتضت أن لا تكون الخوارق دعامة لنبوة محمد – عليه السلام – وبرهانا على صحة رسالته ، وصدق دعوته . التى جاءت بأسلوب جديد : هو لفت نظر الانسان للكون ، وما فيه من آيات باهرات[٤٠]..

وليس عجيبا أن يجعل الاسلام معرفة الكون مفتاحا لقضيته الكبرى عاقدا الصلة الوثيقة . بين الانسان والكون . ليزداد علما بما يحيط به (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا)[٤١].

ولقد طبق علماء الغرب دعوة الاسلام هذه فى النظر والتأمل فى الكون – فقالوا " لمعرفة حقيقة شئ يجب أن يباشر مدة طويلة . مباشرة جادة وأن يصمد أمام المرئيات الحسية أمدا طويلا . من أجل استخراج مكنوناتها "[٤٢] .

هذه عبارات لمفكرين غير مسلمين : كلها من صميم دعوة الاسلام – ولا عجب اذا

كان القرآن ينبه الأبصار والبصائر لمعرفة الكون والنفس • واذا كان التفسير - الفيسيولوجي - و - السيكيولوجي - والدراسات النفسية • الى آخر ما أتى به العلم الحديث من أبحاث كلها أتت متأخرة بعد رسالته - عليه السلام - التي وجهت الانسان الى " المنهج التجريبي " وأمور أخرى مستمدة من التجربة • ولا تحمل معنى القطع العلمي - بل كلها صحيحة - نخرت بها كتب الحديث - مثل : التحذير من العدوى • وملء المعدة بالطعام • وقضاء الحاجة في الطرقات • أو مجرى المياه • وأمور كثيرة لا يحصرها عد •• كلها صدرت بمقتضى طبيعة روحية • وبمقتضى تجاربه - عليه السلام - في الشئون الدنيوية • [٤٣] وكلها تدعو الى النظر واعمال الفكر • يقول عليه السلام (انما أنا بشر مثلكم • اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به • واذا أمرتكم بشيء من رأيي • فانما أنا بشر) [٤٤] • ويقول (اذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم) [٤٥] •

وكما ذكر أن الرسول لم يؤيد دعوته بالمعجزات • وانما بالقرآن • والدلائل الكونية • وذلك لترك المجال للعقل ليعقل ما حوله • أما لو كانت دعوته بالخوارق فلا حاجة للعقل اذن • وابطال عمله • يقول سبحانه (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير - لقوم يؤمنون) [٤٦] فالقرآن فيه الكفاية من المعجزات • حيث أعطى الانسان الحرية الكاملة في مباشرة عمله المشتمل على الضمير والعقيدة • وربط كل ذلك بالعبادة • [٤٧] يقول عليه السلام - (فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة بدون تدبر • وأقرب الناس الى درجة النبوة • أهل العلم والجهاد •• وفضل العالم على العابد •• كفضل القمر على سائر الكواكب •)

« اهتمــام الاســلام بالفكر الانسانى »

قال سبحانه : معلما رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وقل رب زدنى علما) فكان الرسول ـ عليه السلام ـ يقول بعد نزولها (اللهم علمنى ماينفعنى ، وانفعنى بما علمتنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال)[٤٩] . ويقول (لا يزال الرجل عالما ماطلب العلم . فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل)[٥٠] .

والنبى ـ عليه السلام ـ بعث لنشر العلم ، والفضل . فقد مر يوما بمجلسين فى مسجده ، أحدهما للذكر والعبادة . والآخر للعلم والافادة ، فقال : كلاهما خير . وأحدهما أفضل من صاحبه : أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه . فان شاء أعطاهم ، وان شاء منعهم ، أما هؤلاء : فيتعلمون الفقه والعلم ، ويعلمون الجاهل . فهم أفضل ، وانما بعثت معلما)[٥١] . وخرج يوما على قوم يجلسون فى المسجد فقال : تعلموا ماشئتم أن تعلموا ، فليس يؤجركم الله حتى تعلمون)[٥٢] .

والعلم فى الاسلام ليس مقصورا على الفقه ، والحديث .. الخ . بل يشمل جميع جوانب الحياة التى تخدم الانسان ، من : طب وزراعة وصناعة وهندسة .. الخ[٥٣] ..

قد تأخذ الانسان العصرى الدهشة ، عندما يجد أن هناك ارتباطا بين الاسلام ومنهجه . وبين الطريقة التجريبية الحديثة . « فمبدأ الاسلام فى البحث . متفرع عن الدين نفسه ، وهو مبدأ : التأمل والبحث والتجربة . فلقد أقنع الذين آمنوا به وبدعوته . بالحجة والبرهان ، وفكروا فيما أمامهم .. فلقد كان لكل قبيلة صنم كما كانوا يعبدون النار ، والشمس . فدعاهم الى التأمل ، ولا تأخذهم العزة ـ بالاثم (لم تعبدون من دون الله مالا ينفع ولا يضر ، ولا يملك أن يدفع عن نفسه

ولو ذبابة) نفس الطريقة المتبعة فى العلم الحديث " الملاحظة ، التجربة ، ، الترتيب ، ثم الاستنباط القائم على المقدمات اليقينية "[٥٤] .

فالاسلام دعاهم عن طريق التأمل : أن عبادة الأحجار والأشخاص والكواكب ، لا تليق بكرامة الانسان العاقل ، ويجب أن يرتقوا بأنفسهم ، ويحطموا تقاليدهم البالية ، ويعبدوا خالق الكون ومدبره ، الذى ميزهم عن سائر المخلوقات ، بالعقل والفكر .. تمييزا لفت نظر الباحثين والدارسين ، لأن التفكير الواعى يحى القلوب وينير العقول ، ويهدى النفوس الى الصواب[٥٥] .

والقرآن أشار الى معانى العقل المختلفة فى أكثر من - ٣٥٠ آية - مستخدما كل الألفاظ التى تدل عليه ، أو تتصل به .. من التفكير والقلب والفؤاد واللب والنظر والعلم ، والتذكر والرشد والحكمة والفقه والرأى .. الى غير ذلك من ، الألفاظ التى تدور حول العقل والفكر محيدة به ، لأنه القوة المهيأة لقبول العلم ، وعندما يشير القرآن للعقل ، أى يتكلم عنه ، لا يشير اشارات مختصرة ، أو عارضة ، بل تأتى فى مواضعها مؤكدة باللفظ والدلالة والمفهوم والمنطوق[٥٦] .

والعجيب أن القرآن هو الكتاب الذى ميز الله به الانسان بخاصية التكليف ، وهو الكتاب الذى امتلأ بخطاب العقل ووظائفه التى عرفها العقلاء ، وذلك قبل أن - يصبح " العقل " درسا وعلما يتقصاه الدارسون ..[٥٧]

والعقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له الخلق ، ويغوص فى بواطن الأمور ، ويميز بين الضلالة والهدى ، العقل بصيرة تنفذ وراء الأبصار ، والعقل ذكرى تنفذ من الماضى للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وهو من حجج التكليف " أفلا يعقلون .. أفلا يتفكرون .. أفلا يبصرون .. أفلا يتدبرون .. أليس منكم رجل رشيد .. أفلا تتذكرون .. " ان هذا العقل وأعماله حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر أنفسهم ، وكل مايتسع له الذهن الانسانى ..[٥٨]

وللعقل خصائص كثيرة ذكرها المختصون بدراسة الفكر منها :

- ان العقل ملكة الادراك التي يناط بها الفهم والتصور . وهو دائما يفكر فيما يحسه ويدركه ، ويقلب الأمر على جميع وجوهه ، ويستخرج منه أسراره . والرشد أعلى وظيفة للعقل تميزه بميزة الرشاد ..[٥٩]

ان فريضة التفكير في الاسلام . تشمل العقل الانساني ، بكل ما احتواه من وظائفه بجميع مدلولاتها ، يقول سبحانه (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .. الخ الآية)[٦٠] وقال (ان في خلق السموات والأرض لآيات لأولي الألباب)[٦١] وبهاتين الآيتين وما جرى مجراهما تقررت فريضة التفكير في الاسلام .

ولما كان التفكير في الاسلام له هذه العناية الفائقة ، أحيط بقواعد منهجية دقيقة تحفظ العقل من الزيغ ، وتجنبه الشطط في التفكير ، وتتيح له الانطلاق في صفاء وطهرا ليظل العقل عاقلا . وأهم ما في الاسلام من هذه القواعد يقول - عليه السلام - (عليكم بالصدق ، فانه مع البر ، وهما في الجنة)[٦٢] .

" استخدام العقل .. لا عبادته "

في بعض الأحيان يهاجم العقل ، ويندد به ، وأنه مفسد للقلب .. وان كان هذا يحدث في بعض الأزمنة نتيجة التيارات الالحادية . التي تخلط بين استخدام العقل وعبادته .

وذلك مثل الذين ينادون باخضاع الأشياء للحس فقط . ويرفضون ما هو غيبي . وذلك ما دعا بعض علماء المسلمين لأن يندد وا بالعقل الذي يتناقض مع الاذعان لله ..[٦٣] فالمؤمن لا يمكن أن يطلب الحجة ، والطالب للحجة العقلية لا يمكن أن يكون مؤمنا لكن في الجانب الآخر من يقول : " ان أهم ما قدمته الحضارة الاسلامية للفكر الغربي

هو المنهج التجريبي "[٦٤] .

ان الذين يهاجمون العقل يريدون ابقاء الناس في حالة اللاوعي ، وعدم استيقاظ الانسان كاملا . كما فعلت الكنيسة في العصور الوسطى ، وموقفها ضد المد الاسلامي الذي وصل أوروبا عبر الأندلس . ومنعت تداول أفكار الفيلسوف المسلم " ابن رشد ". واتهمته بالمروق والضلال .[٦٥] لكن الاسلام لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم ولا لوم على من يستخدم عقله لخير الانسانية .. وانما الملام على من أهمله وحجر عليه . ومن الجدير بالملاحظة .. أن محمدا عليه السلام ـ كان هو آخر الأنبياء .. لأن العقل البشري قد نضج . ولم يعد هناك مجال لنبوة جديدة ..[٦٦] حتى عندما تتعارض بعض المسائل الشرعية النقلية مع العقل . فاما أن يجمع بينهما ، وهذا محال . لأنه جمع بين النقيضين . واما أن يرفض . واما أن يقدم السمع ، وهو محال . ثم ان العقل أصل النقل . فلو قدم النقل عليه كان ذلك اهانة وضياعا ـ للعقل الذي هو أصل النقل ـ والطعن في الأصل طعن في الفرع ، ولهذا وجب تقديم العقل "[٦٧] .. وسار على هذا أغلب الأئمة واعتبروه قانونا كليا[٦٨]..



واذا كان العقل أصلا للنقل ، فالطعن فيه طعنا لكليهما ، والواقع يشير أنه لا يعرف الحق من الباطل الا بالعقل .[٦٩]

فالعقل وكيل الله عند الانسان ، فمنذ نزول القرآن وهو يسأل المسلمين في مواضع كثيرة " أفلا تعقلون " ولقد وقف مفكروا الاسلام مع العقل بجسارة وقوة ، وذهبوا الى قمة المعرفة في الاجتهاد ، ووضعوا القاعدة المشهورة " تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان " ومن مستلزمات الايمان وضع الحكم في موضعه الصحيح ، بحيث يصبح لا محل لتطبيقه اذا تغيرت ظروف الزمان والمكان ..[٧٠]



ولقد طبق هذه القاعدة ـ ابن الخطاب ـ في المؤلفة قلوبهم : وهم ضعاف ـ الايمان ، وكانوا يأخذون من بنود الزكاة حتى لا يرتدوا عن الاسلام ، وخوفا على

مصالح المسلمين ، والقيام بأعمالهم من جهة أخرى . وكان النبي - عليه السلام - يعطيهم مطبقا النص في قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين .. الى قوله .. والمؤلفة قلوبهم)[٧١] ..

وتولى أبو بكر الخلافة ، وجاءه المؤلفة قلوبهم يطالبون بحصتهم فكتب الى عمر بن الخطاب ، مستشيرا اياه في ذلك . فلما قرأ الرسالة ، مزقها ، وقال لهم " لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الاسلام وأغنانا عنكم " ..

وعمر رضي الله عنه استخدم عقله ، ولم تعد هناك مصلحة في تطبيق النص ، ومثل هذا المنطق العظيم ، فعله في مسألة السرقة - عام المجاعة - وأوقف عقوبة قطع يد السارق . رغم نص القرآن ، نظرا للظروف القاهرة التي طرأت على الموقف . ورأى من الظلم تطبيق الحد على الجياع . واجتهاده هذا قد أخذه عن الرسول - عليه السلام - في مواضع كثيرة ، مثل : ابقائه الأرض في أيدي أصحابها ، ومنعها على المجاهدين الفاتحين ، الذين طالبوا بتقسيمها كالغنائم .. والنماذج كثيرة ، تدل على أن المسلمين الأوائل استخدموا العقل ، ولم يترددوا في مناقشة الأحكام بحرية واسعة ، وصلت الى حد الاجتهاد في نصوص القرآن والسنة[٧٢] ..

والآن هل نرفض العقل .. الذي له دور كبير في الايمان بالله ؟ ..

" الاسلام ربط بين العلم والفكر "

لم يحاول محمد - عليه السلام - اقناع الناس بالاعتقاد في الله ، أن يخدعهم بأساطير تحيد عن المنطق العادي للطبيعة البشرية ، ولم يهددهم بما يسمى " بالمعجزات " ولم يرهبهم باسم الله مؤثرا به على عقولهم ، ولكن دعاهم - للتأمل في الكون .. ولم يكتف الاسلام بالتلقين ، والقاء الألفاظ على عواهنها

من غير تفهم وروية ، ونهى عن أخذ الأمور قضية مسلم بها . بل أراد من العلم ، ذلك النوع البرهاني ، الذي يرفع الجهل ويرتكز على الأدلة ، ويعتمد على ربط الأسباب بالمسببات..[٧٣]

ان الاسلام أطلق العقول من قيودها ، لتنهل من العلوم والمعارف ماهي مستعدة له بمقتضى فطرتها ، بل كلف الانسان ببذل طاقته لمعرفة الحقيقة بالبحث والتتبع وهو مأجور على ذلك : أصاب أو أخطأ ..[٧٤]

واذا قيل ان القوانين الحديثة ، كفلت للانسان حرية التعبير عن رأيه ، وحرية الاعتقاد . قولا وكتابة – في حدود القانون – فان الاسلام فاق ذلك . اذ جعل حرية الفكر حقا لكل مفكر . بل واجبا عليه ، ونعى على ضحايا الأوهام اهمال عقولهم " صم بكم عمى فهم لا يرجعون "[٧٥] وجردهم من مزايا الانسانية (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)[٧٦] . وقد ذهب بعض العلماء الى أن – ايمان المقلد غير صحيح كما ذكر آنفا ، وهذا حض على الاستقلال في الرأي وأن – الاسلام ربط بين العلم والفكر . ويوما أراد هارون الرشيد – أن يحمل الناس على مذهب ، الامام مالك – فنهاه مالك عن ذلك و وقال له " ان أصحاب الرسول تفرقوا في الأمصار ، ونشروا فيها ماسمعوه عن الرسول – عليه السلام – فدع الناس ومذهبهم[٧٧]

والاسلام اعتبر الجهر بكلمة الحق ، جهاد (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[٧٨] .. ويتحدث التاريخ ، أن عمر بن الخطاب : كان يخطب الناس ، وينهى عن المغالاة في المهور ، فاعترضته امرأة ، وقالت : أين أنت ياعمر : من قوله تعالى " وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا "[٧٩] وبسرعة رجع عمر الى حكم القرآن ، وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر – ولم يسمع أن أحدا من الحكام صادر هذه الحريات..[٨٠]

يجب فهم الاسلام على حقيقته لأن من جهل شيئا عاداه – والدلائل كثيرة تشير

أن الاسلام يحرك قوى الانسان ويدفعها الى العمل للسيطرة على معطيات الطبيعة

هذه دعوة محمد - عليه السلام - فلقد رفع شأن العلم الى أعظم الدرجات ، وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم[٨١] يقول عليه السلام (أطلبوا العلم ولو فى الصين)[٨٢] .. ويقول (يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء)[٨٣]

والذين لا يعتنقون الاسلام نظروا فى كلمات الرسول - عليه السلام - فأخذتهم الدهشة ، ولم يعهدوا هذا فى الديانات الأخرى والتى تقف ضد العلم ، وقالوا : " يعتقد الكثير أن المسلمين لا يستطيعون هضم آراء الغرب وأفكاره ، وينسون أن نبى الاسلام هو القائل : أن فضل العلم خير من فضل العبادة .. فأى رئيس دينى كبير له الجرأة أن يقول مثل هذا القول العظيم - هذا القول الذى يدعى الغرب أنه منهج حياتهم الفكرية ، وفى الماضى القريب كانوا يعتبرون العلم نوع من الخبل والجنون ، ورمز للعار "[٨٤] .

نعم لقد دعا - عليه السلام - للعلم والجهاد فى سبيله ، والأخذ بأسبابه .. ويدل على هذا أن المسلمين الأولين ، فى فترة وجيزة ، هضموا أعظم حضارات العالم وطلعوا على الدنيا بحضارة : اسلامية ، وكان لهم الفضل فى ابتكار أحدث الطرق العلمية ، المعتمدة على التجربة العملية ، والتى مازالت من أروع ما أنتجه الفكر الانسانى فى ميادين العلم[٨٥] .

الباب الثانى عشر

الحديث .. يدعو للفكر والبحث العلمى

المراجع .. والتعليقات :-

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ، والترمذى ـ المقدمة ـ الزهد .
(٢) مقال للكاتب الشيوعى ـ بابلو تيزوديا ـ نشرته مجلة " فانيجال تايمز " تصدر فى لندن ، عدد ١٩٧٩/٩/٧م .
هذا فى زعم الكاتب ، ومدى مبلغه من العلم عن الاسلام .. فامثاله من البصر ـ وكلامهم ليس حجة .
(٣) تماما كما يفعل محترفى السياسة وغيرهم من الأحزاب ، فاذا أراد أحدهم الظهور فانه يهاجم الملك أو السلطة الحاكمة .. والاسلام عظيم عامسخ والناس دائما تتحدث كل من يقول كلمة : عن هذا العظيم .
(٤) جريدة الندوة السعودية ـ عدد ٦٢٨٧ ـ ١٩٧٩/١١/١١م . السعودية . وغير دليل أحاديث الرسول حول العلم .
(٥) سورة العلق / ١ ، ٥ .
(٦) " " طه / ١١٤ .
(٧) أخرجه أحمد بن حنبل ـ ج٥ .
(٨) سورة آل عمران / ١٨ . البخارى : العلم
(٩) كان هذا الحديث . من ضمن الأسباب التى جعلتنى أتخلى عن عملى فى مصر وأتفرغ لطلب العلم ، مبتغيا به وجه الله . [illegible] .
(١٠) رواه الطبرانى ، مع اختلاف فى الالفاظ .
(١١) السيد عبد الحافظ عبد ربه ـ جريدة الندوة السعودية ـ عدد ٦٢٨٧ ، مرة : هذا الكلام لأرسطو وكان فى فترة ليست فيها رسل .
(١٢) هو الدكتور / ج.هـ. كرونين ـ المصدر السابق .
(١٣) بروفسور لابلاس . علم فلكى رياضى . المصدر السابق .
(١٤) ان دينى هو اعجابى بالكون وما فيه من جزئيات دقيقة . وأن عقولنا لا تستطيع ادراكها ، وايمانى عميق بوجود قدرة عاقلة وراء هذا الكون

المعجز للأفهام .. ان هنا يوضح معنى عبادة الله الخالق العظيم .

(١٥) العالم الأمريكى ـ كريس موريسون ، فى كتابه " الانسان لا يقوم وحده " ردا على الملحد ـ جوليان هيكسلى ، صاحب كتاب " الانسان يقوم وحده " .

(١٦) جريدة الندوة السعودية ـ عدد ٦٢٨٧ .

(١٧) سورة الزمر / ٩ .

(١٨) " " العنكبوت / ٤٩ .

(١٩) " " سبأ / ٦ .

(٢٠) أخرجه الترمذى ـ العلم .

(٢١) " " أبو داود ـ المقدمة .

(٢٢) " " ابن ماجه ـ الزهد .

(٢٣) رواه ابن عبد البر .

(٢٤) أخرجه البخارى ـ العلم

(٢٥) الأستاذ /عبد الحكيم النجار " التفكير العلمى " ـ مجلة منبر الشلام عدد ١١ ، ص٢٨ ـ ١٩٧١م ـ القاهرة .

(٢٦) ومن هنا نرى الحديث الشريف يدعو أمة الاسلام أمة الاسلام الى العلم . مشيدا بفضله ومنزلة العلماء عند الله . لأنهم هم الذين يستطيعون ، سبر أغوار الكون ، وكشف مكنونه ، مقرين بعظمة الخالق وبديع صنعه ، وان الغاية من الأحاديث التى تكلمت عن الأهلة ، والشمس ، والليل والنهار ، وعن الأرض وما خلق فيها ، وعن السماء والأفلاك ، والبحار والفلك التى تجرى فيها بأمره ، وعن الأنعام التى نركبها ، وكل ما يحويه الكون من علم وفن .. يتحدث عن هذا كله ويدعو المسلم للتدبر والبحث . هنا هو " محمد " ص " وهنا هو منهج الاسلام . وما بالك .. بانسان كانت حياته مرتبطة بالكون وخالق الكون .

(٢٧) د. فريشيه ، عن كتاب " مفتريات على الاسلام " ط١ ، ص٣٠٠ .

(٢٨) ليوبولد فايس ـ اعتنق الاسلام ، واسمه الآن : محمد أسد ، وله مؤلفات اسلامية كثيرة .

(٢٩) ابن حزم " الاحكام فى أصول الأحكام " ج١ ، ص٨٩ ـ تحقيق : د. عبد الحليم عويس ـ مجلة المسلم المعاصر ، عدد ١٧ ـ ١٩٧٩م .١ الكويت .

(٣٠) أخرجه الترمذى ـ البر .

(٣١) سورة البقرة / ١٧١ .

(٣٢) من تفسير الشيخ محمد عبده ـ عن المسلم المعاصر ، المصدر السابق .

(٣٣) سورة البقرة / ١٦٤ .

(٣٤) " " يس / ٣٣ .

(٣٥) يوسف مروه " العلوم الطبيعية فى القرآن " ط١ ، ص٢٩ ، ٣٢ ـ دار العلم ـ ١٩٧٠م ـ لبنان .

(٣٦) أخرجه مسلم ـ الفضائل .

(٣٧) أخرجه ابن ماجه ـ الزهد ، والترمذي ـ العلم .
(٣٨) أخرجها البخاري ـ باب الرقاق .
(٣٩) سورة محمد / ٤ .
(٤٠) " ركائز الايمان " .
(٤١) سورة المدثر / ٣١ .
(٤٢) الكاتبة الفرنسية : سيمون دي بوفوار " قوة الأشياء " ، وفرنسيس بونج " تمجيد الأشياء " .
(٤٣) كل هذا موجود في " الصحاح الستة " .
(٤٤) أخرجه مسلم ـ الفضائل .
(٤٥) " " " " " " " " "
(٤٦) سورة الأعراف / ١٨٨ .
(٤٧) الشيخ حسن جوزو ، يوغسلافيا " انتها ، عهد الخوارق " مجلة البلاغ ـ عدد ٥٢٧ ، ص ٢٩ ، ١٩٨٠م ـ الكويت .
(٤٨) أخرجه أبو داود ، والترمذي ـ العلم .
(٤٩) " " الترمذي / الدعوات .
(٥٠) " " الدارمي / المقدمة .
(٥١) " " ابن ماجه ـ المقدمة .
(٥٢) " " ابن حنبل ـ ٦/٥ .
(٥٣) د. عبد العال سالم " بين العقل والوحي " ص٢٨ ، دار الفكر ـ ١٩٧٤م الكويت .
(٥٤) الأستاذ / سعيد الشرباصي " المنهج الفكري " مجلة التضامن الاسلامي عدد ١٢ ، ص٥٤ ، ١٩٧٩م . السعودية .
(٥٥) محمد الهادي زيان " الاسلام والعلم " عدد ١٩ ، ص١١ ـ مجلة شهرية تصدر في تونس ـ ١٩٧٢م .
(٥٦) أحمد السايح " الاسلام والفكر " ـ مجلة هدى الاسلام ـ عدد ٥ ، ص٣٢ ـ ١٩٧٨م ـ الأردن .
(٥٧) الاسلام والفكر " ـ المصدر السابق .
(٥٨) عباس العقاد " الانسان والقرآن " ط١ ، ص٨٩ ـ مصر .
(٥٩) العقاد " التفكير فريضة اسلامية " .
(٦٠) سورة البقرة / ١٦٤ .
(٦١) " " آل عمران / ١٩٠ .
(٦٢) أخرجه مسلم والبخاري ـ الأدب المفرد .
(٦٣) أبو الأعلى المودودي " نحن والحضارة الغربية " وهذا قيل من المودودي بحسن نية . لا يقصد به انكار العقل كلية ، بل هو للتحذير ، وعدم الجري وراء الغرب . وكذا أهل السنة وغيرهم
(٦٤) المستشرقة الألمانية ـ زجريد هونكه " شمس العرب تسطع على الغرب "

(٦٥) فهمى هويدى " العقل فى قفص الاتهام " مجلة العربى ـ عدد ٢٢٥ ، ص٣٢ ١٩٧٧م الكويت ..
(٦٦) شاعر باكستان : علامة اقبال " تجديد الفكر الدينى " باكستان /١٩٤٥م
(٦٧) شيخ الاسلام/ ابن تيمية " رد تعارض العقل والنقل " تحقيق :د. محمد خليل هراس ، فى كتابه (شرح العقيدة) ص٤٥ .
(٦٨) مثل : الفخر الرازى وأتباعه . ومن قبل : كان الامام الغزالى ، والقاضى أبوبكر ابن العربى ..
(٦٩) " الاحكام فى أصول الأحكام " .
(٧٠) د. محمد المبارك " نظام الاسلام " ص٨٠ ـ دار الفكر ، ١٩٧٢م ـ لبنان
(٧١) سورة التوبة / ٦٠ .
(٧٢) " العقل فى قفص الاتهام " ص٢٩ .
(٧٣) الشيخ سليمان التهامى " الحريات فى الاسلام " الوعى الاسلامى ـ عدد ١٦٧ ، ص٣٣ ـ ١٩٧٨م الكويت ..
(٧٤) عباس العقاد " الاسلام فى التاريخ الحديث " ص٤٦ ، عن مجلة العربى ١٩٧٤م الكويت ..
(٧٥) سورة البقرة /١٨ .
(٧٦) " " الأعراف/١٧٩ ..
(٧٧) د. لوقا جليرى ، أستاذة الدراسات الشرقية ، ميلانو : " تفسير الاسلام " ترجمة : أحمد عز العرب ـ ١٩٧٢م ـ تونس .
(٧٨) أخرجه أبو داود / الملاحم ..
(٧٩) سورة النساء / ٣٠ .
(٨٠) وما حدث فى عهد المأمون ، وموقفه من العلماء . فى محنة " خلق القرآن فهذا غريب ، وموقف خاص لا يقاس عليه .
(٨١) اتيان دينا " أشعة خاصة بنور الاسلام " ص١٥ ، ترجمة : راشد رستم ، طبع فى ~~تونس~~ تونس ـ ١٩٧٢م .
(٨٢) ذكره ابن ماجه ، فى المقدمة . لكن بمعنى آخر ، وهو " قوله ـ عليه السلام ـ " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " والمعنى أن الانسان عليه أن يطلب العلم فى أى مكان مادام فريضة واجبة عليه .
(٨٣) أخرجه الدارمى ـ المقدمة .
(٨٤) كازانونا ، أحد أساتذة : دى فرانس ، باريس . عن مجلة ـ العلم ـ ص١٧ ، تونس ـ ١٩٧٢م .
(٨٥) المصدر السابق .

الباب الثالث عشر

لماذا تقدم الغرب .. وتأخر المسلمون

- السلف .. والخلف .. ..
- العقول المهاجرة .. ..
- الشباب والجندية المعاصرة .. ..
- الحقيقة المرة .. ..
- عصر الاحالة .. ..

« السلف .. والخلف »

السلف من المسلمين فهموا دينهم « حياة وحضارة .. وفهمها « الخلف .. « مطبوعا مجلدا » هينا ليس فيه ارهاق . ووقف الخلف ....

وسار غير المسلمين على هدى مشاعل « السلف » فكانت نهضتهم وثراؤهم .. نتيجة للانقلاب الصناعى ، مع تطبيق قوانين الاسلام « فوصلوا الى القمة ..

والخلف .... مازالوا فى نوم عميق .. معتمدين على تاريخ السلف .. وأطل على التاريخ عمالقة . تفاعلوا مع الواقع ، وخاضوا التجربة منهم : دانتى . وشكسبير ثم فولتير . وروسو . وجوته . ثم جاليليو . ثم نيوتن . واديسون .. وهكذا تتابع الموكب على الطائفة الجديدة من الغرب[1] ..

ونعس المسلمون ... واستعمر المسلمون ...... وأفاق المسلمون .. وفتحـــوا أعينهم فخلطوا بين مصدر النور ، وبين النور نفسه .. وحسبوا أن اللعب بالمصباح سيجعله ينير . وحسبوا أن معرفتهم لبعض آيات القرآن ، التى لم تتأثر بهـــا نفوسهم ، ولم يطبقوها مع واقعهم .. وأن وريقات من كتب الحديث ، والتفسير ستوقف لوحدها زحف المستعمر .

وتقفوا مدهوشين أمام الفكر الغربى . يواجهون حضارة قادمة .. وسط صرخات الجياع ، والجهل والأمية . ثم ينتظرون المعجزة .. « معجزة القرآن : كتاب الله ثم سنة نبيهم .. التى أتتهم من السماء » ، فلم يفعلوا بها شيئا فى الأرض . ثم نصوص انتزعوها من الشروح والمتون . من غير نظر ..

وأصدا « حضارة عظيمة : يوم كانت . ويوم كانوا يؤمنون !!.

ويمضوا لما رأوا الدين الذى يلوحون به . يرجع ضاربا صدورهم « وتحسسوا

وكتاب الله المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " .. كيف لا يصرع ـ ماركس ـ أمام ـ ابن خلدون ـ ولا يسقط ـ فرويد ـ أمام ـ الغزالى ؟[٢] .. ونسى المسلمون أنهم هم الذين لم يحاولوا أن يفكروا ويواصلوا الجهاد ، وبذل الجهود الفكرية والعلمية .

السلف الصالح . عرف واجبه وفهم دينه ، واستخدم عقله وفهم أن " لا اله الا الله " بدون دراسة وفكر واعى . ليست جواز المرور للجنة . وأن تكرار الشعار الدينى آلاف المرات ، لن يمهد للدين ، أو للمؤمنين بالدين . حتى تتأكد حقيقة الايمان فى الفكر والعمل ، يقول ـ عليه السلام ـ (من قال لا اله الا الله .. بحقها .. دخل الجنة)[٣] ..

" العقــول المهاجـرة "

أزمة الضمير وغيابه : من الأسباب الهامة فى تأخر المسلمين . والتى جعلت أصحاب المواهب يتركون أوطانهم . فكلما وجدت موهبة من المواهب . وئدت فى مهدها حقدا ، وغلا وحسدا .. من المدعين بأنهم علماء ، ومن الرؤساء أولا . ثم المنازعات الحزبية ، والاتهامات الظالمة .

لذلك : كم هاجرت أدمغة فذة . لو ظلت فى أوطانها وأتيحت لها الظروف ، لكان الوضع الآن مختلفا كثيرا جدا . وأصبحت موضة التقليد . هى الطابع المميز للشعوب الاسلامية . مع التزييف والنفاق . .. وقد اندست ووجدت هذه المصائب ـ بسبب فقدان الايمان ، وفقدان الأخلاق . فالكتاب والأدباء لا يؤمنون بشيء . اللهم الا بالمغانم ، والجرى وراء رفاهية العيش ، ووقوفهم ضد المواهب الناشئة .. لتخلوا لهم الساحة .. فالقيم تباع . والضمير يداس ، وهم يصفقون ولا يرجى[٥]

من ورائهم خير ، ثم باعوا الأخلاق والايمان ، وكانت أولى ضحاياهم . ثم محنة أخرى هي : محنة الانتاج ، لكن أصحابه غشاشون مزيفون . وهذه أسباب كافية ، لتأخير المسلمين ، بل لتأخير أى أمة فى العالم .

والمسلمون ابتدأوا يعتمدون على الغير ، حتى فى صناعة رغيف الخبز ، أو حنفية المياه[٦] . وخاصة فى الدول الغنية ماليا . مما أصاب أبناءها بالكسل[٧] ..

نشرت الحكومة الانجليزية احصاء رسميا « أن عدد السياح الذين زاروا لندن فى صيف ١٩٧٦م حوالى ثمانية مليون سائح . أعلى نسبة كانت من العرب ، ومقدار ما أنفقه السياح . مائتا مليون جنيه استرلينى . هذا فى لندن ـ خلاف باريس وسويسرا .. الخ .. وليس المقصود الاسراف ، وليالى ألف ليلة ، والجوارى والراقصات .. الخ ليس الأمر هكذا .. كما يظن البعض أنه اسراف . لأن الذين أنفقوا مئات الملايين من الجنيهات ، انما أنفقوا فاضلا زائدا من أموالهم ، ولم يعودوا الى أوطانهم يستجدون الناس ، بل عادوا الى قصورهم وأرباحهم . فى انتظار صيف آخر[٨] ..

ان مستقبلهم ليس فيه يوم واحد أسود : حتى يحفر له القرش الأبيض ـ ثم انهم تصدقوا وأخرجوا الزكاة ، ولم يوجد فى بلادهم فقير ، فقد أعطوا كل ذى حق حقه .. وهذه الأموال فائضة . فماذا يفعلون بها ، وما فائدة تجميدها ؟ إذن يجب أن تصرف كما يشاءون .. والا فليعذرهم اللائمون الى طريقة الصرف ..

وفى زمن العباسيين أنفق على الجوارى والراقصات ، والمداحين والشعراء ، من الذهب والجواهر ما يفوق هذا !! . ومع كل ذلك ما زال العالم الاسلامى : يأكل ويشرب ، ويفرخ مثنى وثلاث ورباع[٩] ..

" الشبـــاب .. والجندية المعاصرة "

الشباب عماد الأمة ودرعها الواقى .. يقول ـ عليه السلام ـ (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ، منهم : شاب نشأ فى طاعة الله ـ وقال : (الشباب أقرب الى الاسلام من الشيوخ)[١٠]

وجيش الأمة .. هو الشباب ، وليس العجزة والشيوخ (الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) وقال الله سبحانه فى عباده الأقوياء ـ والقوة لا تكون الا فى الشباب ـ (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ..)[١١]

والشباب سهل الانقياد ، سريع التأثر والتأقلم بمن حوله ، لنقاء قلوبهم وسريرتهم ، فيجب أن يوجهوا الوجهة السليمة .

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

فاذا كانت التربية سليمة نشأ الشاب راضيا عن والديه . والا كان نقمة عليهم والحكمة تقول : " لاعب ابنك سبعا ، وأدبه سبعا ، ورافقه سبعا ، ثم أطلق له الحبل على الغارب "[١٢] . والشاب دائما يقلد والديه .

ولقد ركز الاستعمار الغربى على فك الروابط الأسرية . باسم الحرية الشخصية وساعدته الأيدى الخفية .. من ماسونية ، وصهيونية . وركزوا أكثر على العسكريين وتربيتهم تربية فاسدة ـ فالكليات العسكرية الاسلامية ـ مازالت تدرس تاريخ ـ القادة المستعمرين لبلاد الاسلام ، والطالب بعد التخرج يعرف عن قادة الغرب ، أكثر الفجرة مما يعرف عن الرسول ـ عليه السلام ـ وصحابته ، ومن التابعين من

يعرف اسم « خالد بن الوليد » وأكثرهم لايعرفون عن الفتوحات الاسلامية شيئا ‥ [١٣]

ان الفكر الاسلامي غائب ، والتنكر للدين يعتبر تقدما في الوسط العسكري والمتمسك بدينه يعد رجعيا ومتخلفا ‥ والجندية والعسكرية ، والدين : لايجتمعان ‥ وعلى الجندي ترك دينه في البيت !! [١٤]

فوداعا لأمة نزعت الأخلاق من نفوس شبابها .

والمتتبع للنظام العسكري يرى العجب . فلو صرح الطالب برغبته في زيارة — والديه ، فمصيره الحبس — والتكدير — وحرم من الأجازات لمدة طويلة . ومن هنا يبدأ الكذب والافأين يقضى أجازته ‥ والعسكري الفاسق في نظر رؤسائه هو الممتاز . ولا بأس من معاقرته الخمر ، وزيارة أماكن اللهو والفاجرات . وهذه رغبة القادة الكبار حماة الأمة .

« ان المتمسك بدينه في الجيش ، مكروه منبوذ ، يجعلونه أضحوكة ، ويكلفونه أشق الأعمال عقابا له على صلاته وصيامه ، ويعتبر ثقيل الظل غير مريح — يطلق عليه لفظ « شيخ » أما الفاسقون لاعبي الكرة والشطرنج ، وصاحبي الألفاظ النابية : فهم النخبة الممتازة » هذه هي الجندية ، في البلاد الاسلامية .

انها نظم فرضها الاستعمار على المسلمين ، ليظلوا في مركب التخلف ‥ [١٥]

ثم في رمضان شهر العبادة والصوم ‥ تنقلب أجهزة الاعلام رأسا على عقب — لتدمير كل القيم والأخلاق — بحجة تسلية الصائمين ‥ بأهبط مستوى فني ‥ ويستمر التلفزيون والراديو ٢٤ ساعة يوميا لا يتركون فرصة للصائم أن يذكر الله فيهما .

من واجب المسؤلين ابعاد كل أسباب الانحراف عن الشباب حتى لا يصيبهم تأخر أكثر مما هم فيه ‥ والطريق الذي يسيرون فيه ملئ بالأغلاط والأخطار وذلك — لعدم التخطيط الجيد للثقافة العامة والخاصة . لأن الثقافة هي التي تمنع عصبية الأمة وتغذي عقولهم ، وانحراف الثقافة : جعل المسلمين ينامون هذه القرون —

الطويلة ومازالت تعرض عرضا ناقصا ، ثم عزل الشباب روحيا عن منبع ثقافته الصحيحة ...[17]

« الحقيقـــة المـــرة »

فى العصور الأخيرة عجز المسلمون عن معرفة شئون حياتهم .. ولعدم خبرتهم بعلوم الأرض - أو العلوم المتطورة والكائنات ... الخ .. والوزر يقع على مفسرى القرآن وشراح الحديث .. ولو أن المسلمين استجابوا لتفهم الكون لاستمر تقدمهم فى علوم الكيمياء ، والطبيعة والنبات ، ولكانوا أسبق الأمم . لكنهم مازالوا يجادلون فى صفات الله ، وكم عدد ركعات الصلاة ولماذا الطلاق وما الى ذلك .. ويظنون أن ترديد أسماء الله الحسنى .. هى كافية فى تعظيمه سبحانه ثم اعتزال الدنيـــا ..

من المتيقن فى اجلال الله سبحانه وعظمته ، العلم بالفلك ، والطبيعة ، والأجنة ... الخ .. ان ذلك أفيد ألف مرة من قراءة الأوراد ، وقضايا الفلسفة

ولقد قرأ المسلمون قوله - صلى الله عليه وسلم - (اليد العليا خير من اليد السفلى .. وابدأ بمن تعول ..)[18] آلاف المرات ـــ لكن مازال كثير من المتصوفين وعددا من مفسرى النصوص .. يصيحوا - أن الفقير الصابر .. خير من الغنى الشاكر ... والاستغناء عن الدنيا والزهد فى متاعها هذا هو الخير[19] .. اذا فما معنى قوله - عليه السلام - اليد العليا خير من اليد السفلى ... ان الغنى الشاكر أفضل ألف مـرة من الفقير الصابر ..

ان الاسلام يحتقر الدنيا القذرة . دنيا الملذات الدنيئة . دنيا الخيانة والباطل - أما دنيا الشرف فهى ركن فى الدين وفى الخير والفضل .. ان من يقبوله

بتقشف الحياة . وأن المال مفسدة .. ان هذه الأفكار ، حفرة وقع فيها المسلمون ولم يعلموا أن القعود عن الدنيا جريمة ، والقعود عن طلب الرزق من أسوأ صفات المؤمن الذى منحه الله حرية الارادة ، وصنع مستقبله عند الله ، وأن القدر خلاف مايتخيلون ..[٢٠]

ولقد تكرر فى القرآن سبع مرات : ان المخالفين لأوامر الله يطلبون يوم القيامة عمراثانيا . ليتداركوا مافاتهم . لأنهم كانوا يقولون بأن الانسان ـ مسير ، لا مخير ـ يقول سبحانه (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت . كلا)[٢١] .. وكذا فى سورة المنافقون / ١٠ ، الأنعام / ٢٧ والسجدة / ١٢ ، وفاطر / ٣٧ ، والزمر / ٥٦ ، .... هذه الآيات تفيد أن الخاطئين قصروا وكانوا قادرين على الطاعة ، والا لما قالوا " رب ارجعون " ..

ان الاسلام لا يتجاوب مع الكسالى ، ولا مع الذين ينامون ، ويعتبروا أن الدنيا حظوظ ، والسعى لا فائدة فيه . ونسوا قوله ـ عليه السلام ـ (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)[٢٢] .. وكم من عابد أحمق ، فعل بالاسلام كما فعلت الدبة بصاحبها . وفى الحديث (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[٢٣]

ان التسيب الفكرى وحالة الجهل التى تعيشها بعض الأقطار الاسلامية ، وصدى تقديسهم الأعمى لأشياء أو شكت أن تتحول الى عبادة . فى ظل أوضاع ومخطط شيطانى تتعرض لها دعوة الاسلام للتشكيك ، فمثلا : " احتفل أخيرا فى ـ كشمير ـ بنقل شعرة الرسول ـ عليه السلام ـ فى صندوقها الكبير ، من مبناه القديم الى مسجد اقبال الجديد ، فى ضواحى ـ سرينا غار ـ وقد شهد الموكب آلاف المسلمون ، وسجدت له أعداد كبيرة "[٢٤] .. ان هذا السلوك يحدث : والابادات الجماعية التى يتعرض لها المسلمون فى كل العالم . ـ أتباع الرسول ـ عليه السلام ـ يسجدون لشعرة . الله أعلم من أين مصدرها .. وأهل العلم والدين يباركون هذا العمل ، ويشاركون الناس

فرحتهم بالثمرة - فالى متى سيظل المسلمون على هذا الحال متمسكين بالقبور ؟ .

ان هذا ليس من الدين ، بل يزيد فى تأخر المسلمين ، والرسول برئ من كل

هذا .. بدليل أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يوافق على كتابة حديثه ، فى أثناء

حياته ، خوفا من التقديس وادخاله فى القرآن . وقد لعن من يفعل ذلك ، واحتج على

الذين يزخرفون الأماكن بالنقوش والصور ، فيقول - عليه السلام - (لعن الله

المتخذين من قبور أنبيائهم مساجد)[٢٥].. فهذا دليل على حرمة الذين يتخذون

القبور مساجد ويقدسونها بالزيارة والتبرك . وقال : (لا تطرونى كما أطرت -

النصارى المسيح ابن مريم)[٢٦].. فكيف يسمح للمسلمين بتقديس شئ من دون الله

وهل هذا لا يعد منتهى التأخير ؟ وعدم فهم الدين ؟ ..

ثم الذين اصطدموا بالنصوص بحجة حماية أحكام الاسلام حينما قدموه للناس

فى قوالب صخرية مقدسة ، وخلطوا بين القرآن والسنة ، وأقوال الفقهاء ، وعرف

الناس عصرا : كانت تؤدى فيه الصلاة الواحدة فى مسجد الأزهر وراء أربعة أئمة

مختلفين . كأنهم أتباع أربع ديانات ، وكلها محاولات تعطل فيها عقل المسلمين ،

وعقدت أفكارهم وشلت حركتهم ، والرسول - عليه السلام - يقول ، ناهيا عن أمثال

هذه الأفعال (عليكم من الأعمال ما تطيقون . فان الله لا يمل حتى تملوا)[٢٧] ..

والملاحظ تاريخيا أن بلاد الاسلام ، وصلت الى أقصى درجات التوسع ، ثم أخذت

فى التقلص مرة أخرى . مما كان له الأثر الخطير فى الفكر الاسلامى . ونبه أعين

الأعداء للهجوم عليهم واستعمار بلادهم ، وفقدوا حريتهم . وبالتالى فقدوا الفكر

وتوالت الهجمات على بلاد الاسلام - بحكم موقعها الجغرافى - فكلما نهضت من مصيبة

أتت أخرى .. وبلا شك أن الفكر لا ينمو الا فى ظل الأمن . ثم ان العناصر الأجنبية

التى أدخلها الخلفاء فى الجسم الاسلامى . أخذت تفتك به ، وتبدد شمله ..[٢٨]

وفهم الاسلام على غير حقيقته ، وشوه بالبدع والفتاوى المكذوبة ، وما زالت

حتى الآن .

وجاء العثمانيون .. وكان المسلمون فى حالة اعياء تام ، فلم يجدوا مقاومة علاوة على أنهم جاءوا باسم الاسلام . ولم تكن لديهم حضارة ، ولا دين خاص ، ثم لغتهم التركية .. " وفاقد الشئ لا يعطيه " وتركوا العرب وشأنهم . الا أنهم أثقلوهم بالضرائب ، وأصبحت البلاد فى حالة يرثى لها .. والتركى الذى يعرف القراءة وقتها : يعتبر عالما . وكانوا يسخرون مما يقول : بكروية الأرض ، ونسوا حضارة الاسلام العظيمة ..[٢٩] وأن كل من يدرس العلوم الحديثة التى أتت من بلاد الكفار ، يعتبر كافرا ، لأنها من صنع الكفار .. وهكذا فهم الاسلام !!.

ومن قبل ذلك كانت الدولة العباسية التى هزت العالم زمنا .. أصبح حكامها لا هم لهم الا الدسائس والوشايات . فكم من برئ قتل ، وكم من وال قتل أخاه ؟. وتفشى الجهل ، وزيف التاريخ ، وقتل العلماء ، وانتشرت المذاهب والفرق ، وزور الحديث ، والفقه والتفسير ، وشوشت عقول المسلمين ، وظل هذا السوس ينخر فى عظامهم حتى اليوم !![٣٠] .. وانحصر الاسلام : على المساجد وكتب الفقه ، وعلماء الشريعة وهو وابتعد عن حياة الناس العملية .[٣١]

" عصـــر الاحـــالة "

المستقبل غير معروف ، فهو بيد الله .. لكن التخطيط له ، والاستعداد لكل ماتطلبه الحياة .. فهذا شئ واجب حث عليه الاسلام وأمر به ، يقول - عليه السلام : عندما سأله رجل (أأعقلها وأتوكل .. أم أتركها وأتوكل ؟ : فقال عليه السلام : اعقلها وتوكل).. ويقول الشاعر : وعلى أن أسعى وليس على ادراك النجاح .. والحكمة تقول : " زرعوا فأكلنا ، ونزرع ليأكلوا ..

لكن المسلمين هذه الأيام يفعلون عكس هذا . وتركوا الاجتهاد ، واعمال العقل واجاباتهم لم تتغير ، ودائما مرتبطة بالماضى ، يقولون " لنر مايقوله السلف " ولو سئل عالم عن رأيه فى كذا ... فيقول " أنا من رأى شيخى فلان رحمه اللـــه " وهكذا .. وكأن عقولهم ربطت بعالم الأموات ، وسقط عنهم التكليف ، وأصبحـــوا مقلدين ...

لقد عرف الفكر الاسلامى ، فى مرحلة الانحصار والجزر ـ باحالة كل مشـاكله واجاباته على أقوال السلف ـ وما الحل اذا لم توجد الاجابة فى كتب الأقدمين ؟ .

وصار هذا الشئ من أهم مشكلات المسلمين . يحيلون كل شئ .. فهناك احالة سياسية : حلها بأيدى الغرب ، وهناك احالة " اقتصادية " فالانتاج للكفار ، والاستهلاك للمسلمين . فماذا يحدث لو منع الكفار عن المسلمين الانتـاج ؟ . ان الاحالات كثيرة .. وأصبحت العقول تعمل فى اتجاه واحد ـ حتى أسماء الآلات المستوردة لم يحاول " مجمع اللغة العربية " تعريبها ، وكذا المصطلحات الطبية .. حتى صار نصف اللغة العربية . أسماء ومصطلحات غربية .." [٣٣]

ان الفقهاء والعلماء : وقفوا ضد من يغلق باب الاجتهاد ، واستعمال الفكر ـ فلقد عارضوا الخليفة " المستعصم " عندما طلب من الفقهاء ، أن يقتصروا علـــى تدريس أقوال الأئمة الأربعة ، وغلق باب الاجتهاد فى الفكر الاسلامى ـ وفعلا فــى القرن " السابع الهجرى " أغلق باب الاجتهاد ، وبدأ العقل الاسلامى أجازته الطويلة .. لولا ومضات كانت تأتى فتمزق الظلام ، اذن لأصبح الحال أشد سوءً .." [٣٤]

والأئمة أنفسهم لم يطلبوا من أحد أن يتبعهم أو يقلدهم .. فهذا الامـــام الشافعى يقول : " اذا صح خبر يخالف مذهبى فاتبعوه ، واعلموا أنه مذهبى " ويقول لتلاميذه " اذا ذكرت لكم مالم تقبله عقولكم ، فلا تقبلوه . فان العقل مضطـــر الى قبول الحق " .. [٣٥]

والامام الشوكانى، يقول : " فى القرن الثالث الهجرى ، وكان أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد ـ لم يكن فى عصرهم مذهب معين يتدارسونه ، وان حدوث التمذهب انما حدث بعد انقراضهم ، وان الأئمة كانوا على طبيعتهم لا يقلدون .
ويقول الشوكانى : " ان التقليد بدعة محدثة " لأن الصحابة لم يكن فى زمانهم مذهب معين ، وكان مرجعهم الكتاب والسنة ، وابن القيم يقول " فى التقليد ابطال منفعة العقل " ومن هنا فان الاقتصار على المذاهب يقصر همة الناس عن الاطلاع فى الكتاب والسنة . والتقليد لغير الرسول ـ عليه السلام ـ وأصبح قول الأئمة كأنه الأصل . وصار المسلمون قريبى الشبه بقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم)[٣٦] .. وهناك كتب لعلماء مجتهدين حافلة بآراء فى منتهى الشجاعة ..[٣٧] .

والاسلام هو الدين الوحيد . الذى يثيب المرء على خطئه .. فانه اذا اجتهد وأخطأ فله أجر فيوضح ذلك قوله عليه السلام ـ (اذا اجتهد وأصاب فله أجران ، واذا أخطأ فله أجر)[٣٨] ..

وأغلب سور القرآن تثبت هذه الدعوة ، محاولة هز النفوس الكسلانة ، والعقول الجامدة .. وليس معنى هذا فتح الباب لكل الناس حتى يجتهدوا . لكن هناك روابط يجب أن تحكم العملية كلها ، ولا يجب التأويل حسب الرغبات والأهواء ..[٣٩] فكتب الفقه والأصول . ترسم الطريق ، وتحدد من هو المجتهد ، وأين يكون الاجتهاد ؟ . وتوفر حالة النص ، والفرق بين كلام الله وكلام البشر[٤٠] .. على المسلمين .. أن يستضيئوا بالماضى ، ليروا المستقبل .

البـــاب الثـالث عشـر

لمــاذا تقـدم الغــرب .. وتأخـر المسلمون

المـــراجــع .. والتعليقات : ـ

(١) محمد المبارك " سيرة الاسلام " مجلة البلاغ ـ عدد ٥٢٢ ، ص ٤٣ ـ ١٩٧٩م
(٢) المصدر السابق .
(٣) أخرجه البخاري ـ الايمان .
(٤) محمد عبد الله السمان " الاجتهاد " مجلة العربي ـ عدد ٢٢٨ ، ص٥٦ ـ ١٩٧٧م ـ الكويت .
(٥) محمد محمد حسين " حصوننا مهددة من داخلها " مطبعة المنار ـ الكويت .
(٦) د. عمارة نجيب ـ مجلة البلاغ الكويتية ـ عدد ٥٣٠ ، ص٤٣ ـ ١٩٨٠م .
(٧) هنا يذكر بما حدث في أسبانيا ، كانت أول دولة في أوروبا تدخل عصر النهضة . وكان من الطبيعي أن تشهد التقدم الصناعي ، ولكن وقعت مصادفة تعيسة . اعتبرت وقتها حظا سعيدا ـ فقد أكتشف الذهب فيها ، وأصبحت وقتها أغنى دولة في العالم .. نتيجة للذهب المتدفق الذي قتل الرغبة في العمل والاختراع . لأن أسبانيا كانت تستطيع أن تشترى انتاج العالم بالذهب ، وفي النهاية نفذ الذهب ، وبقيت أسبانيا متخلفة تحكى ذكريات زمن غابر .
نفس الشئ الذي أصاد على دول النفط .. فالنفط قوة للمسلمين . لكن بشرط أن يتدفق في شرايين الأمة ليجدد حيوتها . والنفط عرض المسلمين للأطماع الغربية وكلما زاد دفعنا من دمنا أكثر ـ المال نعمة ، في الوقت نفسه نقمة .
(٨) أميمة زين العابدين ـ مجلة الفكر الاسلامي ـ عدد ٣٢ ، ص١١٤ ـ ١٩٧٧م ايران .
(٩) محمد الهادى زيان " مكانة العلم في الاسلام " مجلة العلم ـ عدد ٣١ ـ ص ٢٦ ـ ١٩٧٤م ـ تونس .
وأنا لا ألوم على الاسراف ، ولكن ماهو السبب فيه ؟ يجب أن ينظر الوضع

من زاوية أخرى . هو كيف استطاع عصب لندن أن يجذب هؤلاء السياح ، ويأخذ من جيوبهم عن رضا خاطر . هذه الملايين ، ويجذب الناس الى بلادهم - في الحقيقة أنهم أغنى من هؤلاء السياح . لأن السائح عادة لا يذهب لبلد فقير ، كي يضع فيه أمواله . بل العكس - ومع ذلك نراهم لا يعرفون فماذا يصنعون بفاضل أموالهم ؟ والجواب هو : أن لهم سبيلاً آخر يتفقه فيه .. انه الانتاج . انتاج الكماليات ، ثم لهم سياحات أخرى : أعف من سياحات الراقصات ، انها سياحة في أعماق الذرة ، وأغوار النجوم ، وقيعان المحيطات . وهذا طريق مقطوع على سياحنا الكرام . فماذا يحدث لو فعلوا مثلهم ؟ ولعلهم يتعظوا بالحديث الذي رواه الترمذي ، عن الرسول - عليه السلام - " يسأل المرء عن عبابه فيما أفناه ، وعن ماله فيما أنفقه ، وعن عمره فيمن أضاعه " .

(١٠) أخرجه ابن حنبل / ج٥ .

(١١) سورة النساء / ٩٥ .

(١٢) كيف نعالج جيلنا من الانحلال " مجلة العباد - عدد ١٣٢ ، ص٦ .. نشرة شهرية تصدرها جماعة عباد الرحمن - بيروت - ١٩٧٩م .

(١٣) عباس العقاد " عبقرية محمد " .

"ومن المخجل أنك تسأل الضابط المسلم ، عن كيفية الصلاة والزكاة ، والصوم ، وما اسم القائد الاسلامي الذي فتح مدينة كذا .. فلا يعرف شيئا - لكن لو سألته عن المغني الفلاني ، والراقصة الفلانية ، وعن الأفلام والممثلين والممثلات والفاسقين والفاسقات .. وجدت الاجابة صحيحة .

(١٤) " الجندية في الاسلام " مجلة البلاغ - بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٠م - الكويت .

~~(هذا)~~ ولقد نسوا صلاة الخوف ، وكيف كان المسلمون يؤدونها أثناء الحروب كانوا عبادا بالليل ، وفرسانا بالنهار . وبهذا خضعت لهم الرقاب .

(١٥) عبد القادر هيبة " الاسلام والحركات الهدامة " مجلة الجامعة الاسلامية - عدد ٣ ، ص١٩٠ - ١٩٧٥م - المدينة المنورة .

فلا عجب أن ينتصر مليونان من حثالة العالم على مائة وعشرون مليونا من المسلمين العرب ، وستمائة مليون مسلم في كل العالم . ومن قال ان العرب انتصرت في حرب ١٩٧٣م فهو واهم . لأن المتعارف عليه في العرف العسكري . أن الانتصار هو : إملاء ارادة المنتصر ، على ارادة المهزوم - فهل أملينا ارادتنا على أعدائنا ؟ نقول لا ، والا لما - طلبنا التصالح معهم ، ومع هذا يهربون من هذا الصلح . انها صفحة - سوداء في تاريخ الأمة العربية الاسلامية - والواقع خير شاهد . - النصر سهل ميسور لمن عمل له .. لكن جبنا أمام الأعداء ، وخفنا الموت ، ونسينا الاستشهاد ، ولحظة يعيشها الانسان كريما خير من الوسنة تحت سيطرة العدو . انها حياة تعيسة .. ماذا يحدث لو مات



من المسلمين عشرات الملايين • ويكونوامن السابقين للجنة - ان عشرة مليون لو ساروا بغير سلاح وبنية صادقة ، وتأكد اليهود من هذه النية فلن يبقى لهم أثر فى أرض الاسلام - انهم جبنا • ، بدليل قوله تعالى " لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من ورا • جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى " الحشر / ١٤ •لقد نسى المسلمون " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة "• خاف الزعما • على الكرسى أن يطير من تحتهم ورضوا الذل وحياته ، وماذا يدور فى عقل الجندى • عندما يرى رئيسه هكذا •

(١٦) عمر التلمسانى - مجلة الدعوة المصرية - الاخوان المسلمين ، عدد ٦ ١٩٧٦م - القاهرة •

(١٧) محمد قطب " خطوط عريضة فى مفهوم التعليم الاسلامى " كلمة ألقاها فى المؤتمر العالمى الثانى للتعليم الاسلامى - ١٥ مارس- ١٩٨٠م ، ص ١٠ - وزارة التعليم الباكستانية •

(١٨) أخرجه النسائى ، وأبو داود - الزكاة •

(١٩) سيد قطب " المستقبل لهذا الدين " ص ٨٥ •

(٢٠) الشيخ الغزالى " ركائز الايمان " ص ١٩٧ •

(٢١) سورة المؤمنون / ٩٩•

(٢٢) قيل انه ليس بحديث ، بل هو من المأثورات عن عمرو بن العاص - كتاب البخلاء - للجاحظ •

(٢٣) أخرجه الترمذى - العلم •

(٢٤) مجلة البلاغ الكويتية - عدد بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢م - تحت عنوان " عشرة الرسول " •

(٢٥) أخرجه البخارى - المغازى •

(٢٦) " " " " " " " " - أنبيا • •

(٢٧) " " " " " " " " - الصوم •

(٢٨) " شخصية الأمة العربية فى عصر انقلاب المفاهيم " مجلة المجتمع - عدد ٤١٦ ، ص ٤٠ - ١٩٧٨م - الكويت •ومن أراد فلينظر " تاريخ العالم العربى فى العصر الحديث " د• عبد الجليل شلبى •

(٢٩) محمد الفاضل بن عاشور " الحركة الفكرية فى تونس " ، وتاريخ الجبرتى

(٣٠) د• أحمد كمال أبو المجد " الجمود فى الفكر الاسلامى المعاصر " مجلة العربى - عدد ٢٣٢ ، ص١٤ - ١٩٧٧م - الكويت •

(٣١) فهمى هويدى " أسباب التخلف " المصدر السابق ، ص ٣١ •

(٣٢) أخرجه الترمذى - القيامة •

(٣٣) وليس من رغبتى ترك الماضى ، والتخلى عن التراث ، وإهمال الفقه ، والسنة والقرآن ، والمراجع الشرعية التى لو اجتمع أهل الدنيا قاطبة لما أتوا بقليل منها ، ولست أقصد مخالفة شرعنا والمنهج الالهى ،

واتباع أفكار جديدة . كما يتبادر للذهن .. لكن ما أدعو اليه هو عدم المحاكاة والتقليد لأن هذا من عوارض تأخر المسلمين ، نريد أن يستعمل الفكر . كي نصل ولو الى قريب من الركب . ولا ننكر أن هؤلاء الأئمة كانوا أئمة عصرهم فقط ، ولا نريد أن نحملهم فوق طاقتهم ، ليصبحوا أئمة عصرنا أيضا ، فأبو داود. يروى عن الامام ابن حنبل قوله " لا تقلدنى ، ولا مالكا ، ولا الشافعى ، وخذ من حيث أخذوا " وهذا فى كتبهم ومن أراده فليرجع له ، وكذا فى كتاب ـ أبى بكر الجصاص ـ .

(٣٤) فهمى هويدى " اننا نمشى عكس الطريق " مجلة العربى ـ عدد ٢٢٤ ، ص ٢١ عدد ١٩٧٧م ـ الكويت .

(٣٥) الامام الشافعى " الرسالة " .

(٣٦) سورة التوبة / ٣١ .

(٣٧) مثل الامام السيوطى ، قد أكد هذه القضية ، فى كتاب له بعنوان .. " الرد على من أخلد الى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض " وللامام الشوكانى كتاب " القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد " وكذا كتب كثيرة : لابن القيم الجوزى ، وابن حزم ، وابن تيمية .

(٣٨) أخرجه البخارى ـ العلم .

(٣٩) د. محمد سلام مدكور " مناهج الصحابة فى الاجتهاد " ص ٢٠ ـ ١٩٧٥م ـ الكويت .

(٤٠) ان هذا الأمر محتاج الى شهداء ، لأنهم سيقفون ضد الحكومات ، وضد العقول الجامدة .. وان ابن دقيق العيد " يحرم التقليد على علماء المسلمين .

الباب الرابع عشر

الاسلام أسبق حضارة

×× استغلال الغرب للعلوم الاسلامية .. ..

" استغلال الغرب للعلوم الاسلامية "

الاسلام ملأ الدنيا بحضارته ، التى تقتصر على النظريات فى جميع المجالات . .. الى جانب العلوم النابعة من طبيعتهم الدينية .. وسجل لهم التاريخ هذا السبق مع أن العرب - قبل - مهد الاسلام .. - كانوا بدائيين فى جاهليتهم .... لكن بالرغم من هذا . أصبح مدى التقدم الثقافى والعلمى الذى أحرزوه خلال مائتى سنة بعد وفاة الرسول - عليه السلام - . أمر يدعو الى الذهول حقا .. لأن رغبتهم العميقة فى فهم العالم . كما خلقه الله ، وأن العالم المادى لا يقل شأنا عن العالم الروحى : هذه الحقيقة نابعة من عقل المسلم وايمانه ، بأن كل شئ فى الوجود صادر عن الله - ابتداء من لدغة البعوضة ، الى الطاعون الذى يقضى على بلاد كاملة . وهذا يكشف عن قدرة الله ، ومدى اهتمام المسلمين ذلك الاهتمام - الجدير بالتأمل - من أن الدين الاسلامى : لم يول ظهره للعلم ، بل الواقع . أن الدين باعث على العلم[١] ..

والظاهرة الهامة أن المكتشفات العلمية - من رياضية وغيرها - كانت وثيقة الصلة بالدين أيضا . فمثلا : من المهم جدا أن يعرف المسلم موضع " الكعبة " وجهة شروق الشمس وغروبها ، وطلوع القمر ، مما اضطر العرب الى انشاء علم - الرياضة فالاسلام كعقيدة اشتمل على نهضة علمية ، لكل جوانب الحياة الانسانية .. فعندما استوجب البحث فى ميادين الشريعة ، وعلوم الدين واللغة ، والمنطق .. دفعت علماء الاسلام الى البحث عن منهج يقلل من وقوع الخطأ ، فقادهم ذلك الى ارساء قواعد " البحث العلمى المبنى على التجربة " وذلك كله رغبة فى فهم دينهم ، ثم طبقوه فى حياتهم العملية ، ثم انتقل هذا العلم الى أوروبا ، مؤسسا

حضارتها [٢] .

ثم علم - الكيميا " الذى اكتشفه المسلمون أيضا . ومن أهم أدوات العصر الحديث هذا العلم ، وقد تعلمت أوروبا هذا العلم من " روجربيكون " الذى كان له صلة بعرب الأندلس ، وذلك بعد خمسمائة عام من اعلان جابر بن حيان " له . وماهذا الا قبسا من نور المسلمين فى الشرق [٣] ..

" ان تفوق العرب الواضح على الاغريق فى هذا الميدان ، يرجع الى استخدامهم - للتجارب العلمية فى كشف الغموض ، والمظاهر المبهمة فى الطبيعة ، فى حين اعتمد الاغريق على التأملات البحتة " [٤] ..

ومن العسير تقصى جميع العلوم الاسلامية ، التى كانت سببا فى اثراء " نهضة الغرب كله . ففى - العلوم الرياضية - التى هى من العلوم التجريبية - بلغوا - فيها تقدما عظيما ، ووضعوا المؤلفات الكثيرة ، وترجم الغرب معظمها - بطرق غير مشروعة - فكتب " علم المثلثات " استغله - ريجيو مونتانوس - ونسبه لنفسه ، واكتشف السرقة - كاجورى . وسيديو - وسارتون - بعد بحثهم وتقصيهم ، فوجدوها من صنع العرب أنفسهم [٥] .. ولولا المسلمون العرب لما كان لعلم المثلثات قيمة . فقد ساعد على البحوث الطبية ، والصناعية ، والهندسية - وكذا علوم " الجبر والحساب " التى ألفها - الخوارزمى - واستخدمها الغرب فى جامعاتهم حتى - القرن السادس عشر - وظل " الخوارزمى - ثقة أوروبا حتى عصر النهضة ، وكثير من النظريات التى أشرقت على العالم [٦] .. والعلوم " الطبية " التى شغلت علماء " المسلمين أكثر من غيرها ، بجانب الكيميا " - فمنذ القرن الأول ودراسة الطب فى المقدمة . مما أضاف الكثير للحضارة الانسانية ، والسبب : الأحاديث النبوية . التى اشتملت على أعظم البحوث الطبية ، وأصبحت منهجا علميا للمسلمين [٧] .. هذه البحوث كانت علمية [٨] بالمعنى الدقيق ، نتيجة لايمانهم كمسلمين . مما قادهم هذا الايمان الى أعظم الاكتشافات

ومن أشهر الأطباء " الرازى " الذى ألف العديد من الكتب الطبية ، وطبعت كثيرا باللغة اللاتينية ، واعتمدت عليها أوروبا زمنا طويلا ، منها كتاب ـ الحاوى ـ فى عشرين مجلدا . ويبحث فى كل فروع الطب .. ويعد مرجعا هاما فى بلاد أوروبا ..[٩]

وابن سينا ـ نقلت كتبه الى أكثر لغات العالم ، وظلت مرجعا هاما للطب ، لمدة ٦٠٠ سنة ـ فى جامعات فرنسا وايطاليا وغيرها ..[١٠]

هذه المراجع الطبية من حسن الحظ لم تتعرض للتخريب . كما حدث للكتب الأخرى فأصبحت دليلا على عظمة الاسلام . وقد اشتملت على أمراض العيون ، والبطن ، ثم الأمراض العقلية والعصبية ، وباقى الفروع ، وكيفية علاجها . وكذا علم الجراحة والصيدليات ، والأدوية ..[١١]

والمسلمون أيضا هم المؤسسون " للعلوم الطبيعية " وفى مقدمتهم ـ ابن الهيثم ـ وهو من أئمة علماء " الضوء " ، وزادت مؤلفاته فى الطبيعة على ٢٤ كتابا[١٢] .. ولقد سيطرت نظرياته فى علم " الفيزياء " ، والبصريات على العلوم الأوروبية حتى اليوم كما بحثوا فى النباتات والأعشاب الطبية ، وعلى أكتافهم ارتفع نجم أوروبا[١٣] ...

والجهود الرائعة التى قام بها المسلمون فى " الكيمياء " وتجهيز المواد ـ صناعيا ، واظهار مافيها من غموض ، كالكحول ، والتقطير . وعلى الرغم من ضياع كتب العرب المهمة فى علم الفيزياء " . ولم يبق الا أسماؤها . لكن القليل الموجود بالغ الأهمية ، ونقل الى اللغات الأخرى ـ كما اخترعوا عددا من الصناعات ، مثل : البارود ، والورق من القطن والكتان ، وزعيم هذا العلم " جابر بن حيان "[١٤] ..

أما فى علوم " الميكانيكا " فيكفى الساعة المائية ـ التى أرسلها " هارون الرشيد " الى شارلمان ، ثم الهدايا التى قدمت لملك الصين . فهى تغنى عن كتب المؤرخين . وما فيها من عجائب زخرت بها قصور الخلفاء " ببغداد . وهكذا ظلت الحضارة الاسلامية يسطع ضوءها . فى الوقت الذى كانت أوروبا تسبح فى الظلام .

تحت سيطرة الكنيسة .. وحضارة المسلمين تعبر عن نفسها فى أوروبا من القرن التاسع حتى الخامس عشر .. والتى شملت جميع الفروع ، مؤكدة العقل الاسلامى الفذ ..... وأنهم كانوا أساتذة . وكانوا سببا فى نهضة أوروبا .. [١٥]

ان المسلمين طرحوا ما كانت تمتلىء به نفوسهم ، بالأمس البعيد ، ليملأوا ـ الدنيا حبا للمجد ، فى أروع صوره . ثم هم الأن يتقاربون من بعضهم تحت رايـــة الاسلام ، الذى أظلهم فاذا هم أمة تسير فى التاريخ بخطوط من نور .

وفى العصر الحديث .. المشهد كالآتى : " القاعة مزدحمة بالطلاب من كـل ـ الجنسيات ـ فى احدى كليات لندن الطبية ـ يقف الأستاذ المحاضر فخورا باكتشافه الحديث " فى علم الأجنة " واكتشافه ـ ان الجنين يبدأ صلبا ثم يتكون اللحم حول هذا الجسم الصلب تدريجيا . وان العلماء " قبله كانوا يقولون ـ ان الجنين يبدأ مع جسما رخوا ثم تنبت له العظام ـ ومن بين الطلبة . يقف طالب باكستانى يحفظ القرآن ويرد على الأستاذ بأن اكتشافه هذا ليس حديثا ، وليس هو أول المكتشفين ، بـل الاسلام أخبر عن هذا منذ ـ ١٤٠٠ سنة ـ والقرآن يقول : (فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما) [١٦] .. ولم يصدق الأستاذ : أن القرآن أشار الى ما يسميـه ـ اكتشافا جديدا . ولم يصدق أنه متخلف ـ ١٤٠٠ سنة ـ عن حضارة الاسلام ، ويذهب للمركز الاسلامى فى لندن . ليناقش العلماء " ، وفى نهاية الجلسة يعلن اسلامه عن اقتناع .. [١٧]

وعالمة فرنسية متخصصة فى أمراض ـ النساء " ـ قالت فى مؤتمر طبى عقد بتونس حول أمراض النساء " ـ وقالت : " ان العلاقة بين الزوجين خطيرة اذا تمت أثناء " ـ الدورة الشهرية ـ ، وان المرأة قد تحمل نوعا من الميكروب . يمكن أن يتسلل الى الرجل ويسبب بعض الأمراض البولية ، والكلى ، وكذا الأمراض الجلدية .

وكانت سعيدة بهذا الاكتشاف . ولم تدر أن الاسلام سبقها بدليل قوله سبحانه :

(يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)[١٨] .. وعندما سمعت ذلك دفعها حب التأكد والبحث لأن تسأل . فسافرت الى السعودية ، والتقت بالعلماء ، واقتنعت ، فآمنت بالله رب العالمين ، وبمحمد سيد المرسلين ..

والأدلة كثيرة تثبت أن المسلمين . هم أسبق حضارة ممن يدعونها الآن .. ويسندون لأنفسهم سر الاكتشافات . فمثلا : " علم الخرائط وما يتبعه من أجهزة هو الذى ساعد ـ كولمبس ـ على اكتشاف أمريكا ، واستعان بكتب ـ وبمرشدين عرب حيث عثر عليهم يسكنون بجزيرة " بخنا ـ البرازيل " وأهدوه كثيرا من السمك ، مستعملين الزوارق ، وأطعام كولمبس ـ مصنوعات زجاجية "[١٩][٢٠]

ثم ان الحضارات السابقة لحضارة العرب ، لم تكن تستطع اكتشاف أمريكا . لأن الابحار الى جهات بعيدة يتطلب آلة لمعرفة قياس ـ خطوط الطول والعرض ـ وهذه أول من اكتشفها العرب المسلمين ، فكيف عرفها كولمبس ؟ . ولم يوجد أى جنس من الشعوب فى أمريكا قبل اكتشافها سوى الهنود ..[٢١]

والخرائط قديما لم يوجد منها سوى الاخمسة ، وأقدمها خريطة مصرية رسمت على ورق البردى ، محفوظة فى (توران ، من ١٣٠٠ . ق.م) ورسم عليها النيل ، وأوروبا تعترف بذلك . وهو أن أول من وضع ـ علم الخرائط البحرية ـ هم المسلمون وقد أصدرت دائرة المعارف العالمية للعلوم ، مخطوطا فى عشرة أجزاء ، وبعدة لغات .. أن المسلمين وحدهم من بين أمم البحر الأبيض ، طوروا الخرائط ..[٢٢] البحرية والأرضية .. والملاحظ أن الخرائط الباقية لم توجد عليها أمريكا . والدليل الثانى أنه لا بد أن يعتمد علم الخرائط على بعض الأسس ، مثل : الرياضة الفلكية ، ـ والجغرافيا وغيرها من استعمال البوصلة لمعرفة الاتجاه ، وآلة السدس ، لخط العرض ، والكورنومتر ، وجهاز قياس السرعة لمعرفة الرياح . هذا كله لم يعرفه

غير المسلمين . وبهذا يكون من المستحيل على غيرهم الابحار لمسافات طويلة ، وهذا بشهادة الجميع . ان أول من استعمل خطوط العرض ، هو العالم الجغرافي - المسلم " الادريسي " [٣٣] ..

ومن هنا يتأكد أن المسلمين هم الأسبق من الغرب . ومن الأدلة التي تكشف أن المسلمين سبقوا كولمبس في اكتشاف أمريكا ، بحوالي مائتي سنة سنة ، وهذا مما تؤكده الوثائق التاريخية ، في إن المسلمين الأفارقة برئاسة " منسى بن موسى " أحد سلاطين مملكة مالي . روى لبعض المخلصين أن السلطان " محمد بن قو " السابق له " كان يظن -أن البحر لا آخر له ، لذلك رغب في كشف ما يجول في نفسه ، فجهز مئات السفن وزودها المؤن والرجال وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهاية بحر الظلمات - المحيط الأطلنطي - وبعد زمن طويل رجعت سفينة واحدة ،فسأل الملك رئيسها عن أمرهم ، فقال : سارت السفينة زمنا طويلا حتى عرض لها في البحر واد له جرية عظيمة ، فبلعت كل المراكب . وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقه الملك .. وقام بنفسه - محمد بن قو - وجهز ألفي سفينة للرجال والمؤن ، واستخلفني على الملك ، وكان آخر عهدي به [٣٤] .. وهذه القصة ان صحت ، ولا يوجد من كذبها ، فيكون المسلمون قد حاولوا اكتشاف القارة الأمريكية ، وذهبوا في سبيل ذلك شهدا [٣٥] .

والغرب اعترف بأن المسلمين جاءوا الى أمريكا قبل كولمبس - وأثار هذا الموضوع أساتذة التاريخ ، ونشرت مجلة أسبوعية - تصدر في شيكاغو - ملخصا لكتاب ، بعنوان " لقد جاءوا الى أمريكا قبل كولمبس " [٣٦] ..والكتاب مدعما بالوثائق التاريخية . وقد ذكر فيه " أن المسلمين سبقوا الأوربيين الى التفكير في كشف أمريكا . وكان تخيلهم لها بطريقة منطقية عقلية - أنه لا بد على الجانب الآخر - أرضا مكشوفة عامرة ، كما في هذا الجانب - [٣٧] ..

وعلماء الغرب تناولوا هذا الموضوع " فقد عثر أحد السائحين على قبيلة فى مجاهل البرازيل ، لها عادات غريبة وأطوار لم يرها ولسان مختلف ، وأنهم يصومون شهر كل عام ، ويؤدون صلوات خاصة ، يتوضون قبلها بغسل أيديهم .. الخ ، وسألهم السائح عن أصلهم ، فلم يعرفوا ، الا أن آباءهم وأجدادهم يعيشون هنا منذ زمن .."[28]

وعلى هذا يكون المسلمون هم السابقون للاكتشافات ، وأن حضارة أوروبا قامت على أكتافهم ..

الباب الرابع عشر

الاسلام أسبق حضارة

المراجع .. والتعليقات :-

(١) لاندو روم " الاسلام والعرب " ، ص٢٤٦ ، ترجمة : منير بعلبكي ، دار العلم للملايين - ١٩٦٢م بيروت .
(٢) محمد العريان " الحضارة الاسلامية " مجلة الفيصل - عدد ٣٠ ، ص١٠٥ - ١٩٧٩م السعودية ..
(٣) ديورانت " قصة الحضارة " ترجمة : لجنة التأليف والنشر ، ج٣ - مجلد٤ ص١٩٦ ، ط٣ - ١٩٦٤م - القاهرة .
(٤) هل . ى . و " الحضارة العربية " ص١١١ . مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٥٦م
(٥) قدرى طوقان " تراث العرب العلمى " ط٣ - ص١٩ - دار القلم ، ١٩٦٣م - القاهرة .
(٦) بارتولد . ف . " تاريخ الحضارة الاسلامية " ط٣ - ص٨٩ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م .
(٧) بامات حيدر " مجالى الاسلام " ص١٤٥ ترجمة : دار أحيا " الكتب العربية - ١٩٥٦م - مصر .
(٨) " الاسلام والعرب " .
(٩) جوستاف لوبون " حضارة العرب " ص٤٨٩ - ط٤ - مترجم ، عيسى البابى الحلبى ، ط٤ ، ١٩٦٤م - .
(١٠) المصدر السابق . ص٤٩٠ .
(١١) ريسلر جاك : الحضارة العربية " ترجمة منتصر عبد الحليم - ص١٩٨ - دار المعارف بمصر ، ط٥ ، ١٩٦٣م .
(١٢) منتصر عبد الحليم " تاريخ العلم ودور علما " العرب " ط٥ ، ص٢٤٩ - دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣م .
(١٣) هونكه " أثر الحضارة العربية على أوروبا " . مترجم - المكتب التجارى للطباعة والنشر ، ط١ - ص٢٢٩ ، ٣٣٣ - ١٩٦٤م - القاهرة .

(١٤) الحضارة العربية " ص١٨٥ ، و " حضارة العرب " ص٤٧٥ و ٤٣٣ .
(١٥) سيديو . ل . " تاريخ العرب العام " مترجم .. عيسى البابى الحلبى ، ط٢ ، ص٣٣٥ – ١٩٦٩م – مصر .
(١٦) سورة المؤمنون / ١٢ .
(١٧) الخبر نشرته جريدة " الجمهورية المصرية " فى عددها الصادر بتاريخ = ١٩٧٧/٤/١م – القاهرة .
(١٨) سورة البقرة / ٢٢٢ .
(١٩) بيرى الرايس – تركى ، من القرن الحادى عشر . يعمل فى الأسطول – العثمانى – فى كتابه " البحرية العثمانية " / ١٥٢٨م – متحف – استانبول – تركيا .
(٢٠) المصدر السابق . ص٧ .
(٢١) توفيق بلقاسم الساكر – مجلة العلم – عدد ٣١ ، ص٨ – ١٩٧٤م – تونس .
(٢٢) المصدر السابق .
(٢٣) " " " " " " " " ص١٠ ، وأشرت له فى – أثر الحديث على الفكر الاسلامى
(٢٤) بحث للأمير – شكيب أرسلان – منذ ٥٠ سنة . معلقا على القصة ، فى كتاب " مسالك الأبصار " أوردها فى كتابه " حاضر العالم الاسلامى " سنة ١٩٣٠م – .
(٢٥) " حاضر العالم الاسلامى "
(٢٦) الأستاذ الأمريكى . فان سير تيما ، أستاذ الدراسات الأفريقية فى جامعة " روتجر الأمريكية " .
(٢٧) أحمد ذكى باشا – بحث نشرته مجلة " المجمع العلمى العربى " تصور فى دمشق ، عن كتاب " مسالك الأبصار " لأبى الثنا " الأصفهانى – القرن السابع الهجرى – ونظريته المتعلقة التى أشرت لها ، فيكون " للأصفهانى فضل السبق فى الاكتشاف قبل – كولمبس – بقرن ونصف .
(٢٨) نشرت هذا الخبر الصحف المصرية ، نقلا عن الصحف الأمريكية ، وعلق عليه الأستاذ / أحمد ذكى باشا ، فى محاضرة له فى " جمعية الهداية الاسلامية القاهرة سنة – ١٩٣٠م ، وحضرها شيخ الجامع الأزهر / محمد خضر التونسى

الباب الخامس عشر

مقارنة بين حضارة الاسلام •• وغيرها من الحضارات ••

××× موازنة •• •• •• •• •• •• •• ••

××× حضارة الغرب تدمر نفسها •• •• ••

" موازنـــــــــة "

أقام ـ عليه السلام ـ دين الحق ، ووضع أساس حضارة كفيلة باسعاد العالم ولقد قامت هذه الحضارة الاسلامية على أساس من قواعد العلم ، وهدى العقل وذلك لأن الاسلام يربط بين التفكير المنطقى ، والشعور الذاتى . وبين قواعد العقل و وهدى العلم ..

وحضارة الاسلام تختلف من هذه الناحية عن الحضارة - الغربية المتحكمة اليوم فى العالم ، كما تختلف عنها فى تصوير الحياة .. فكل من الحضارتين نقيض الأخرى .

يرجع هذا الاختلاف الى أسباب تاريخية معروفة ، منها : سيطرة الكنيسة ، ـ فقد أدى النزاع فى الغرب بين السلطتين . الدين والدولة ـ الى الفصل بينهما والى اقامة سلطان الدولة على انكار سلطة الدين .

وكان لهذا التنازع أثره على التفكير الغربى ، وفى مقدمة تلك النتائج : هى التفرقة بين الشعور الانسانى ، والعقل الانسانى ، وبين المنطق والعلم الواقعى ....

وكان الانتصار للتفكير المادى فجعل النظام الاقتصادى أساسا للحضارة الغربية نشأ من ذلك أن قامت فى الغرب عدة مذاهب منها .. جعل النظام خاضعا ومعتمدا على الاقتصاد . وأن المذاهب الأخرى تعدو لا قيمة لها مبتعدين عن القيم الخلقية ..

أما المسألة الروحية فهى فى نظرهم مسألة فردية [١] .. ـ وأن حضارة تجعل أساسها " الاقتصاد ولا تقيم للعقيدة وزنا فى الحياة العامة تقتصر عن أن تمهد للانسانية سبيل سعادتها المنشودة ، بل ان هذا يجر على الانسانية المحن ويمنع السلام بين الأمم . واذا كانت الصلة بين الناس : أساسها " رغيف العيش "

تتنازع عليه معتمدين على القوة الحيوانية . لهذا سيظل كل شخص يتحين الفرصة ليحصل على الرغيف من صاحبه ، وينظر له على أنه خصم . لا ـ على أنه أخ . وتنتفي المحبة والايثار[٢] ..

أما الحضارة الاسلامية ، فهي : تقوم على أساس روحي يدعو الانسان الى حسن صلته بالوجود ، وعلى أساس هذه المبادئ ينظم الانسان حياته الاقتصادية ، مرتكزة على الاخوة والمحبة والبر والتقوى ، يقول ـ عليه السلام ـ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)[٣] .. فلا يجوز أن يضحى بخلق في سبيل المادة .. والأحاديث على هذا كثيرة . مشتملة على النظام الكفيل بسعادة الانسانية .

ويحير التاريخ أن النظام الاسلامي خالي من النزاع بين ـ الدين والدولة ـ فليس لأحد ولو كان خليفة المسلمين ـ أن يفرض أمرا غير ما فرضه الله في كتابه بل المسلمون أمام الله سواسية ، لا تفاضل الا بالتقوى ، ولا طاعة للخليفة في معصية . يقول عمر بن الخطاب ، في يوم كان يخطب بعد أن تولى الخلافة ، فقال : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم .. فان رأيتم في اعوجاجا فقوموني .. فقام رجل وقال : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال : الحمد الله الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر بسيفه)[٤] ..

الحضارة الاسلامية من المستحيل أن تكون هي القلوب الغليظة ، والأيادي ـ النجسة ، والضمائر الخربة ، يستحيل أن تكون الدماء المسفوكة ، والأموال ـ المنهوبة ، والانسانية المعذبة ..

بل الحضارة : رقي وأحاسيس وضياء وسعادة ، فلقد عرفت الحضارة الاسلامية بأنها مظاهر الرقي والتقدم والتطور ـ اجتماعيا ، ونفسيا ، وزراعيا ، وصناعيا .

ان الحضارة الحقيقية : هي التي تهدف الى اسعاد الانسان ، واستقراره ، وأمنه ..

وحضارة الاسلام بمثابة اشعاع انتشر فى جميع الدنيا . ان حضارة الاسلام - تحررت من الظلم والأثرة ، وتآخت بالحب والايثار ، وتراحمت بالعطف ، والحنان وسعدت بالأمن والسلام[5] . يقول عليه السلام - (الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء .)[6]

والاسلام ينظر الى حضارة المادة ، نظرة انتفاع بقوى الطبيعة المودعة فى هذا الكون ، واستخدامها لمقاصد صحيحة ، من غير غلو ولا فساد . لأنها من نعم الله التى خلقها للانسان (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا)[7] .

هذا هو شعار حضارة الاسلام ، شكر وتقدير - نفع وليس ضرر (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)[8] ..

والغرب أنشأ حضارته من الماديات واستخدمها فى غير ما خلقت له ، فأصبحت دمارا واستعبادا للانسان ، وجرد من كل قيمه .. فالمصنوعات المادية لا ذنب لها . لأنها خاضعة لارادة الانسان ، وهو الذى يجعلها خيرا أو شرا ، فمثلا : الطائرات منها الحربى والمدنى ، والتلفزيون والسينما ، فلو استخدمت فى الثقافة الهادفة ونشر العلم والتعلم كانت خيرا ، وتعاليم الاسلام هى التى تحدد للفرد . كيف يستخدم العلوم الطبيعية ويشكر نعمة الله عليها[9] .

يقول - عليه السلام - (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحتره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه[10]) ....

وحضارة الغرب تعرض صاحبها لمشاكل عديدة ، أهمها : أنها تجعله آلة ، وليس انسانا ، وتبعده عن الدين وتعيشه ممزقا قلقا فى عصر المراهنات الصناعية ، وأمراضه النفسية ، وازديادت نسبة الانتحار . وما الى ذلك[11]...

ولقد اتسعت رقعة البلاد الاسلامية ، بعد الفتوحات فى عهد " الوليد بن عبد الملك " وخر لله ساجدا ، شاكرا نعمة الله ، واستدعى رجال الادارة والمال والعلم ، من أهل الدولة . والنظر فيما ينبغى أن يعمل لتثبيت أقدام المسلمين ، واقامة العدل والنظام ، وتيسير أسباب الرخاء لأهلها ، وتحقيق الأمن لهم [١٢] ..

" الحضارة الغربية تدمر نفسها "

رغم التقدم العلمى الذى وصل اليه الغرب ، الا أن الغرب لا يحس فى ظل هذا بالسعادة ولا بالأمن . " ولقد انتشرت عصابات القتل والخطف والتخريب ، وازداد عدد المجرمين ، وأقيمت نوادى العراة ، وأبيح فى غير استحياء " الشذوذ الجنسى بين الرجال أنفسهم " اللواطة " لهذا فان الغربى يحاول الهروب من معتقداته الدينية ، والاقتصادية معا .. انها حضارة آيلة للافلاس والسقوط [١٣] ..

فهذه الشيوعية : التى يعتبرونها أوج الحضارة فى الشرق ، قد أعلنت فشلها ، وبات الناس يئنون جوعا وتوجعا ، وفقدوا كل كرامة وكل الروابط الأسرية . وكلما أتيح لأى شخص منهم الهروب .. هرب لا يلوى على شئ [١٤] ..... من هذا النظام الجهنمى

أما المسلمون : فلم يحدث يوما أن هجروا بلادهم . فرارا من الاسلام أو من تطبيق الشريعة الاسلامية ، ولكن الذى يحدث هو العكس . وهو أن بعض المسلمين ، هجر البلاد فرارا بالاسلام [١٥] . ومن أعواد المشانق . لا لشئ .. الا لأنهم أرادوا ، تطبيق الشريعة الاسلامية [١٦] - حقا لقد تقدم العلم وتقدم الفن والفكر ، وتزايد المال وتبرجت الدنيا وأخذت الأرض زخرفها وتزينت . ونعم الناس . لكن هل جلب لهم هذا السعادة ، وهل أمنت لهم الحياة ؟ . هل اطمأنت الجنوب فى المضاجع ، وهل جفت الجفون من المدامع ؟ . هل استراح الناس من الجرائم ، واتقوا شر

المجرمين ؟ . وهل الفقراء أصبحوا أغنياء . وهل الملايين أشبعت بطون الجائعين ؟ لا شئ من هذا كله أيها الناس . فما هى هذه الحضارة ؟ . وما فضلها اذن على غيرها من الحضارات ؟ [١٧] ..

واليوم يعترف الغرب بفساد حضارته ، وأن عوامل انهيارها أصبحت واضحة ... وحضارة الاسلام : هى البديل الطبيعى القائم على شريعة الله ، وهو الوارث الحقيقى للحضارات البشرية لأنه مشتمل على كل ماجاءت به [١٨] ..

وبرنارد شو : أصدق رأيا فى قوله " ان الغرب لن يجد أمامه خلال مائة سنة مفرا من اعتناق الدين الاسلامى ، ان لم يعتنقه دينا فسيعتنقه نظاما للحياة ، ومنهجا للمجتمع [١٩] " ..

والواقع أن الغرب لا يستطيع . حتى لو اقتبس من الاسلام هاتين الخاصيتين .. أن ينقذ نفسه .. فان الأمر أصبح فى مرحلة اللاعودة ، والخطر الآن لا يدفعه أى شئ ما . لأن الحضارة الغربية حجبت الاسلام عن أجزاء كثيرة من العالم ، ومنها أوروبا . فسدت الأبواب بدراسات مسمومة ، ولون أسود [٢٠] ..

ولقد تنحى الدين عن أوروبا بعد هزة عنيفة ، أصابته منذ العصور الوسطى ، وكان سببها " رجال الدين " فقد وصل بهم الأمر الى محاربة الناس فى عقولهم ، وسلبوهم أرزاقهم . فاشتعلت الأنفس بالحقد ، وكانت النتيجة السوداء ـ كانت ـ الثورة الكبرى ، وشعارها الذى يقول : " اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس " وما ذلك الا دليلا على سخط الناس على رجال الدين ـ ولم يحدث هذا أبدا فى الدين ـ الاسلامى !! .

والبشرية جربت عشرات المناهج ، والملل وانتقلت أخيرا الى أوروبا ـ البوذية البهائية . ـ فلم تفد شيئا فى الأنفس الممزقة أمام المادية ، والتفرقة ـ العنصرية . بالاضافة الى الفكر اليهودى الذى يحاول تحريف المفاهيم ، مضللا العالم

" ان فكرة الأمة عند الاسلام تقوم على أساس من الروابط الروحية ، وتريد من زعيمها أن يتبع ماشرع الله - يتضح ذلك فى خطاب عمر بن الخطاب ، لأحد جنوده .

" آمرك ومن معك من الأجناد . بتقوى الله ، فانها أفضل العدة على العدو وأقوى مكيدة فى الحروب ، وآمركم أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألوه العون على عدوكم "[٢١] ..

هذه هى حضارة الاسلام . أما الحضارة الأوروبية ، فهى شبيهة بحضارة الرومان القديمة .. كانت عظيمة - لكن دب فيها الفساد من حب الملذات والأنانية ، وعدم الدين ، والانحلال الخلقى ، وصار الزنا شيئا عاديا . وأخيرا انهارت الامبراطورية .

وهى طبق الأصل من حياة أوروبا الآن ، وحدث عنها ولا حرج ..[٢٢] ادمان على الخمور من مختلف الأعمار ، وبين شباب الجامعات ، واعتبروا هذا مفخرة العصر . وبالفعل تقدم بعض أعضاء حزب - المحافظين - فى انجلترا الى مجلس العموم البريطانى فى ١٩٦٥/١١م بمشروع يتضمن الاباحة ، ونشرت جريدة - الشعب الأردنية - فى عددها ١٩٧٧/٣م " أن وفدا يبلغ تعداده عشرين شخصا يمثلون منظمات اللواطة ، والسحاق فى الولايات المتحدة - وطالبوا بحرية العمل فى المؤسسات العسكرية ، والسماح بمزيد من اللواطة ، ويجب أن تحميهم الحكومة ، وتعفيهم من الضرائب .. هذه المنظمات تبلغ - عشرون مليونا من الجنسين . يمارسون عملية اللواطة والسحاق .. بالاضافة الى التجارب الجنسية قبل الزواج ، وأصبح ذلك عرفا فى كل البلاد المتقدمة صناعيا[٢٣]

ان شباب أوروبا تائه ، وقد اختلطت عليه الأمور ، وأصبح ضحية تلك الفلسفات الضالة ......

الباب الخامس عشر

مقارنة بين حضارة الاسلام .. وغيرها من الحضارات

المراجع .. والتعليقات :-

(١) محمد السيد الوكيل " هذا الدين بين جهل الأبناء وكيد الأعداء " - ١٩٧١م - المدينة المنورة ، ص٩٢ .

(٢) خير مصداق لهذا .. هو مايحدث فى العالم اليوم . فالتنافس والتطاحن هما المظهر الأول للنظام الاقتصادى ، فالعامل ينافس العامل ، ورب المال ينافس رب المال الآخر ، وبهذا تنشب الحروب وينعدم الأمن والسلام .

(٣) أخرجه البخارى - الايمان .

(٤) عباس العقاد " عبقرية عمر " .

(٥) أنور الجندى " حضارة الاسلام " جريدة الندوة السعودية بتاريخ - رجب ١٣٩٩هـ ، ص٤ .

(٦) الترمذى - البر -

(٧) سورة البقرة / ٢٩ .

(٨) " " الزخرف / ١٣ .

(٩) عبد المغنى سعيد " التغير الاجتماعى " مكتبة الانجلو المصرية / ١٩٦٢م - مسجل بدار الكتب المصرية تحت رقم / ٥٠٩٩/٨ ، ١٩٧٩م .

(١٠) أخرجه مسلم - البر -

(١١) جوستاف لوبون " حضارة العرب " - طبع فى مصر - ١٩٦٤م ، ص٤٨٩ .

(١٢) د. عماد الدين خليل - جامعة الموصل " التاريخ الاسلامى " ص٢٧ ، - ١٩٧٥م - بغداد .

(١٣) مجلة البلاغ الكويتية - عدد ٤٦٥ - ١٩٧٨م . وأنور الجندى " حضارة الاسلام " .

(١٤) جوليان هكسلى " الدين بلا وحى " مطبعة هاربر ، نيويورك - ١٩٥٧م ص٨ .

(١٥) كما حدث للاخوان المسلمين ، فى مصر وسوريا ، والسودان ـ عذبوا كثيرا لأنهم وقفوا ضد المنكر والبغى والظلم .

(١٦) د. أحمد أبو المجد " التجديد فى الاسلام " مطبعة المنار ـ ١٩٧٧م الكويت ، ص ١٨ .

(١٧) الشهيد حسن البنا : الاخوان المسلمون " تحت راية القرآن " مجلة المجتمع الكويتية ، عدد ٤٠٤ ، ١٩٧٨م ـ ص ٢٧ .

(١٨) أرنولد توينبى ـ تعليق أنور الجندى .. مجلة التضامن الاسلامى ـ عدد ٩ ـ ١٩٧٩م ـ مكة المكرمة ـ ص ٣٩ .

(١٩) المصدر السابق .

(٢٠) عبد الفتاح مقلد الغنيمى " الحضارة الاسلامية " مجلة الفيصل ـ عدد ١٦ ـ ١٩٧٨م ـ السعودية ، ص ٦٧ .

(٢١) " مجلة التضامن الاسلامى " عدد ٩ .

(٢٢) جيفرى غورر " تحقيق حول عادات الشعب الانجليزى " طبعة لندن ـ ١٩٥٥م ـ الباب السابع .

(٢٣) د. عبد الله الدقاع ـ المجلة العربية ـ عدد ٩ ، ١٩٧٩م ـ السعودية ، ص ١٠٦ ..

وفى اعتقادى أن اليهود هم السبب فى هذا الفساد بين المجتمعات ـ لينشروا الداء الذى يهدد كيان المجتمع فى زهرة رجاله من الشباب ، وبذلك يتداعى بنيان الدولة ، وتكون النهاية .. وبهذا يبعدون الناس عن العقيدة . لأنها اذا ذهبت ذهب معها كل شئ .. هذا مخططهم من أجل أن يسودوا العالم . والله يعلم مافى نفوسهم ، ولقد ذمهم فى القرآن كثيرا ، وسلط عليهم " القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، والجراد والقمل ، وشردهم فى التيه وضربت عليهم الذلة والمسكنة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ..

الخـــــــاتمة

النتـــائج التى توصلت اليها :ـ

xxx الاسلام لايتعارض مع العقل والعلم .. ..

xxx الاسلام صالح لكل زمان ومكان .. ..

xxx الحديث يدعو العلماء للتطبيق العملى .. ..

xxx لايجـوز مقاطعة الفكـر النافـع .. ..

xxx وظيفة حكام المسلمين وشعـوبهـم .. ..

xxx ماقبل النهاية :ـ

* الرسول .. أولى بالمؤمنين من أنفسهم .. ..

xxx نهـــايـة المطــــــــــاف

* الاسلام لايتعارض مع العقل والعلم *

من سمات الاسلام العظيمة ، أنه يدعو الأمة التى تعتنقه الى العلم - والتعلم لترفع نسبة المثقفين وتنعدم نسبة الجاهلين .

والدين الاسلامى ليس طقوسا أو مراسيم تنتقل بالوراثة ، أو يقوم بعملية الايحاء والايهام ، مثل : التنويم المغناطيسى - يخدر عقول الناس ويسلبهم - ارادتهم . كلا : انها حقائق تستخرج من كتاب حكيم ، ومن سنة واعية . تلك الحقائق تحتاج لذكاء وفهم عميق ، وأدب عالى حتى تستنبط من مصدريها .

ومنهج الاسلام يخلق فى أمته جوا من الشعور : بأن عليها واجب . كما لهـا حقوق .. وجوا من الآداب الاجتماعية الدقيقة المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجوا من البحث الصحيح ، والاجتهاد المخلص ، ليتسنى للاسلام أن يلائم كل ما يجد حوله من أحداث فى جميع القضايا والشئون .. هذه بعض الأسس من طبيعة الاسلام .

وايمان المسلم القائم على التفكير والتدبر فى الكون ، والذى حث اللـه عليه فى كتابه الكريم فى مواضع كثيرة ، فهو تربو عن الألف . ان هذا التفكير هو الذى فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة ، ويسر للدنيا هذه الكشوف الجليلة بمكنون الوجود ، وأخضع للناس الطبيعة ليستفيدوا منها الى أقصى درجات الاستفادة لأنها ذللت لخدمة الانسان . والاسلام أوصى باتباع الحق ، وأن الانسان محاسب على كل هفوة ، وبهذا الأسلوب ينشأ المجتمع الاسلامى الفاضل بعيدا عن الأوهام ملازما للحقيقة .

ان العلم للاسلام ، كالحياة للانسان . ومكانه ذوى الألباب ، يقول سبحانه :

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب)[1]
وفى الجانب الآخر ، يشير الى أصحاب جهنم ، وأنهم يعذبون حظهم . (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)[2] . .

ان الله شرف الحياة بالاسلام ، وأتى بعد ما بلغت رشدها ، ولذلك أتى ملائما لكل العصور . حتى الصلاة : عمل عقلى . تحتاج الى تدبر معانيها . والحق يقال أن بقدر ذكاء الانسان ونمو عقله ، بقدر رسوخ قدمه فى الاسلام . يؤيد ذلك أول آية نزلت (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم)[3] . أول دعاء يهيب بالانسان ليتعلم ويقرأ ، ويعلن الحرب على الجهلاء

ومن الصفات الواجبة للرسل : الذكاء والفطانة ، وقوة الحجة وحضور البديهة ليستطيعوا حمل الرسالة وتبليغها للناس . والعقول السقيمة لا يرجى من ورائها نفعا ولا تعرف الحق لرب الحق ، من هنا - عظم الله العلماء ، وآثرهم بكرامته وجعلهم الرسول - عليه السلام - من ورثته . ولعل السر أن عبادة الجهال - كعبادتهم - لا تفيد .. يتعصبون فى أوقات لا تحتاج للتعصب ، فى رعونة تنفر من الاسلام . بخلاف أولى العلم .. يقول - عليه السلام - (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)[4] . . فعلوم الحياة لا تقل شأنا عن علوم الدين . بل تقدم معرفتها على العلوم الشرعية . والناس قد يقرأون قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)[5] . فيفهمون أنها متاع فقط ((. لكن الحقيقة أنهما امتداد للجهاد ، وتكثيرهما عدة للنصر ..

والعلم ليس له وطن خاص ، وليس مقتصرا على فرع معين ، ولا أشخاص بعينهم ، والمسلم مكلف بارتياد المواطن البعيدة ، لطلب العلم من أى بلد ومن أى يد ، يقول - عليه السلام - (لن يشبع مؤمن من خير يسمعه ، حتى يكون منتهاه الجنة)[6] وقال (الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق الناس بها)[7] .

ان العلم من صميم تعاليم الاسلام ، ولا يتعارض مع العقل أبدا ، بدليل ما سبق . فلا بقاء لجوهر الاسلام بدون العقل . قال - صلى الله عليه وسلم - .. (العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس)[8] . .

والأحكام الشرعية حسمها الاسلام منذ البداية ، وحددها الله للبشر ، ليقوموا بعبادته تحت كلمة - افعل ولا تفعل - فلا تبديل ولا تغيير في الصلاة والزكاة والصوم والزواج والطلاق والبيوع والحدود ..الخ . مما لا يمكن أن يكون فيه اجتهاد ولا - مناقشة فيه . أما الأمور الدنيوية الأخرى ، والتي لم تكن معروفة لدى العقل وقت الاخبار عنها ، مثل : كروية الأرض ، والسحب والشمس والطيران . حقائق أشار لها القرآن ، وكذا الغلاف الجوى المحيط بالأرض ، وعلم الأجنة والطب . ..الخ[9] .. والآيات التي تتناول الكون وحقائقه : أشار لها الرسول - عليه السلام - باختصار شديد ، وترك للانسان أن يأخذ قدر ما يتسع له عقله في كل زمان .

وبهذا حرص الاسلام أن يفتح المجال للعقل ، ولم يقيده بحدود في الأمـــور الدنيوية ، أما ما لا دخل للعقل فيه فقد وضحه وانتهى .. يتمثل ذلك فيما قالــه عبد الله بن يحى : " حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة . قام حين صلى صلاة الظهر ، فقال : ان الرسول عليه السلام - قال : ان أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ، وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملـة ، كلها في النار الا واحدة ، هي الجماعة ، وانه سيخرج في أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله .."[10] ثـم قال معاوية : والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم - عليه السلام لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به " ..

والحديث مفهوم الدلالة . بالاضافة الى أن البلاد الاسلامية . كانت مستعمرة وما زالت .. والغرب ينفث سمومه فيها - ورضى المستعمر عن بعض الجماعات الاسلامية

التي وافقته في ميوله ضد الاسلام ، وما على العبد الا أن يحسن طلته بربه ، كما تفعل ـ الصوفية ، والشاذلية ، والجيلانية ـ وغيرها من الفرق . وهذه الفرق لا عمل لها . غير تشييع الجنائز ، وتكفين الموتى ، وتعمير المساجد على حساب غيرها ، وانصرفوا عن العمل الحقيقي للاسلام . بل كان الاستعمار يساعدهم ، لينشروا ثقافاتهم الفاشلة . ويبعد الناس عن الحياة العملية . وأن الدين لا علاقة له بالسياسة والاقتصاد وغيرها ، ويجب أن يظل محصورا في المعابد لا يتخطاها الى حياة الناس وواقعهم [١١] .. [١٢]

والعبادات والفضائل التي قررها الدين لا تقف حائلا ولا مانعا من ازدهار ـ الحياة وتقدمها ، ويقظة القلب لا تتم مع الفكر الكسلان ، وسيادة العقل لا تتم ـ بخسارة الايمان . والسنوات الأخيرة شهدت تقدما عقليا . نقل العالم من حال الى حال .. وان من يقف ضد التقدم البناء . يسيء للدين ولنفسه ، لأنه يبخس العقل قيمته .. ان الدين لا يريد خراب الدنيا وشل حركتها وتقدمها . فالعلم في خدمة الدين .. لكن يجب أن يتمشى مع وحي الله ، حتى لا يضل الطريق .

ويخطيء المتدينون عندما ظنوا أن زكاة الروح لا تتم الا بتدمير الجسد . وأن الآخرة لا تكون الا بضياع الدنيا . ان كل تدين يجافي العلم ويخاصم الفكر ، هو تدين فقد صلاحيته للبقاء .. [١٣]

ان التدين الحقيقي : هو ايمان بالله العظيم ، وشعور بأن الله سخر الكون لمنفعة الانسان . فيجب السيطرة على عناصره واستغلاله . ولا يكون ذلك الا بالعقل الذكي ، في جسد قوي ، ليس جسدا مهزولا من طول الجوع والسهر . قادر على تحمل الوجبات متمتع بالحياة (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) [١٤] . ويقول ـ عليه السلام ـ (المؤمن القوي خير وأحب الى

الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير)[15] . ويقول (ان الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل)[16] .

فالحظ لا يصنع شئ ، والقدر لا يدبر لك ما قصرت فيه . والناس الذين يجعلون من الله ستارا ، ويلقون عليه التبعة ((. ان ذلك ماهو الا تفريطهم المعيب . وهذا ماكرهه الاسلام ..[17] وعظمة الايمان انما تتألق وسط دنيا يملكها مجتمع مؤمن متفقه فى آيات الله .. ومن آن لآخر تظهر فى الأفق بعض الأبواق تنادى - بفصل الدين عن الحياة ، وأن الدين يقف حجر عثرة فى سبيل التقدم . واستشهدوا بأوروبا .. وأنها تقدمت ونعمت بالحياة - عندما نفضت يدها من الدين - وهـــذه قضية لها خطرها ، وفيها من التضليل والزيف المقصود مالا يخفى على كل ذى بصيرة

وليس هناك وجه مقارنة .. بين تقدم أوروبا ، وبين بعدها عن الدين ، ومـا ذنب الدين فى ذلك ؟ . ولو سأل بعض عن هذا : فانه يسارع بقوله : فلان يقول فـى كتابه - كذا . وكأن هذا الكتاب منزل . والقارئ يستقر فى نفسه على أنها حقيقة ولا يكلف نفسه عناء البحث وهذا ماجعل الناس تتلقفها الأعاصير . .

وهل حقيقة أن أوروبا نفضت يدها من الدين ؟ وهل رفضها الدين سببا فى تقدمها وهل الشرق متأخر لتمسكه بالدين ؟ أم أن المسلمين تخلوا عن أمر دينهم وأهملـوا تعاليمه ، وبذلك خسروا كل شئ ؟[18] ..

ان من فهم الدين يجده لا يتعارض مع أسباب التقدم لأنه لا يتخذ الأشياء غاية بل وسيلة ... موصلة لحقيقة ... والانسان فى حد ذاته غاية ، والأديان كلها تجعل الانسان غاية فى ذاته . فى الوقت نفسه لم تطلب من الانسان أن يهمل الوسائل ، باعتبارها مرآة وجوده . وهذا هو الفرق بين موقف الأديان من معنى التحضر . .

فتقدم الانسان فى ذاته شئ وتقدم الأشياء المحيطة به شئ آخر . والدين - يهتم بالغاية ولا يهمل الوسيلة - ....

وأوروبا تقدمت لأنها أخذت بالأسباب .. وهذا قانون الهى عام ينطبق على كل الناس ـ مسلم وكافر ـ ..[١٩]

والناظر للحقيقة تجاه الدين ، يجد مايدعو للدهشة ، فموقف أوروبا يختلف عما يقال عنها فى منطقة الشرق والعالم الاسلامى ـ وانما المقصود تضليل المسلمين وابعادهم عن دينهم ـ فأوروبا تخطط لحماية دينها ، فبريطانيا متقدمة بلاشك ، وعلى المستوى الحكومى أكثر شعوب أوروبا حفاظا على دينها ومعتقداتها ، ..

ولقد وضعت بلجيكا فى برنامجها الرسمى ـ الديانة المسيحية ـ .. وايطاليا بعد ماكانت فاشية ، عادت للدين الكاثوليكى ، وجميع دول الغرب تعلن أنها مسيحية والأدلة على هذا كثيرة منها : " مؤتمر المستشرقين ١٩٣١/م ـ هولندا " " وتاريخ ألمانيا ١٩٣٢/م كتب الأديان " .. تاريخ الاستعمار الفرنسى فى أفريقيا من ١٩٣١/م حتى اليوم .. كل هذا يثبت أن أوروبا لم تتخل عن دينها ، ومع ذلك متقدمة حضاريا[٢٠]

ان الدين لا يتعارض مع العلم والعقل أبدا بدليل ماسبق ، ثم ان الذى روج فصل الدين عن الدولة ، هو الاستعمار مع بعض العناصر الفاسدة من المسلمين ، الذين غذوا هذه الأكذوبة ، ليتخلصوا من شئ اسمه الاسلام ، ..

لكن الدين فطرة فى النفوس ، فلم يلبس الا أن يعود سريعا ، ولم يؤثر عليه أى عامل خارجى مما يشهد له الحاضر الآن ، " ان المسلم لا يستطيع أن يؤدى دوره اذا كان فى عزلة عن الدين ، وانشغاله بجزئيات مقطوعة الصلة بواقع الناس .. بعيدة عن قيم الاسلام العليا ..[٢١] "

« الاسلام صالح لكل زمان ومكان »

الاسلام نافذة مفتوحة على كل شئ في الوجود . ان الاسلام ليس تعاليم جامدة كما يدعي البعض .. بل هو صالح لكل زمان ومكان ، ولو كان خلاف ذلك لا قتصر على زمن الصحابة ثم فقد تأثيره ، وانتهت دعوة القرآن واعجازه ، لكن الواقع يكذب ذلك . فما زالت تعاليمه تعطى فكرا متجددا .

ثم يجب أن يعلم الناس : أن الدين ليس قاموسا فيه كل ما يطلب .. وانما المقصود من صلاحيته ، هو عدم تعارضه مع العقل وأن أحكامه فيها من المرونة ما يجعلها صالحة للبقاء في مختلف الأزمنة ، وهذا لا يعني التسيب والتفكك . ثم أنه لا يملك صورة واحدة لا يتعداها . لا : بل كلما تقدم العقل ، وجد ضالته فيه . .. والدين ثابت لا يتغير ، لكن الحياة تتطور فلكيا وجيولوجيا وسياسيا ـ انها في حركة مستمرة . ولا بد للدين من مسايرة هذه الحياة ..[٢٢]

والمحزن هذه الأيام أن بعض الناس اتجهوا الى عبادة الحضارة ، وهذا ارتكاس بسبب الفوضى في الناس . لكن كل مؤمن بالله يحيا على ظهر الأرض مرتبط شعوره بالله والشريعة توجيه الهي يطالب المسلم بالتزامه ، وهناك فرق بين المطالبة بأدب ما ، على أنه خلق ، وبين التكليف على أنه دين كسائر العبادات المفروضة والذين قرأوا فلسفة الأخلاق ، ومناهج الفلاسفة ، وما فيها من مثل عليا ، وفكر عميق وتوجيه للخير . لكن الاسلام وما أتى به من خلق رائع ، ونقل العالم من الغي الى الرشاد وما فيه من كنوز تفوق آلاف المرات ما ورثه الناس من فلسفات وما كابده أصحابها من عناء وتصور منقوص .

أما الأدب المحمدي ، فقد تحققت فيه كل صفات الكمال التي تتلاءم مع البشرية

جميعا على اختلاف العصور والأزمنة .

والدين الاسلامي صلاحيته لا تنحصر في جزء أو ركن من أركانه دون الآخر ، بل كل ركن مكمل للآخر ، وكل عمل له ثوابه الخاص . روحيا وماديا . ..

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . قولا وعملا ..

والزكاة تبعث الحنان والرأفة بين شتى الطبقات ، وارتقاء بالمجتمع .

والصوم : بالاضافة الى أنه صحي ومهم للجسم ، فهو حرمان للنفس من نزواتها - المنكرة والسيطرة عليها ... وكذا الحج :

الحج :.... انها عبادات مختلفة في مظهرها الا أنها تلتقي عند الغاية منها ، والتي رسمها الرسول - عليه السلام - بقوله : " انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " كلها طرق ومنابع تصون الحياة ، وتغرس الفضائل في النفس .

ان أناسا سألوا الرسول - عليه السلام - فقالوا (من أحب عباد الله الى الله تعالى ؟ قال : أحسنهم خلقا)[٢٣] ... ان الاسلام في اصلاحه العام على تهذيب النفس الانسانية قبل كل شيء وعلاجها ابتغاء اصلاحها لما فيها من جانب يميل للخير ويبعد عن الشر . والاسلام يحترم الفطرة الخالصة ويحذر الأهواء الجامحة ، وجعل الصدق من أهم الدعائم التي تعتمد عليها الحياة ، وحرم الكذب في كل شئون الحياة ، حتى ولو كان على سبيل المزاح ، يقول - عليه السلام - (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له)[٢٤] .. وقال (لا يؤمن العبد الايمان كله ، حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وان كان صادقا)[٢٥] .. ويقول - عليه السلام - (عليكم بالصدق ، فانه يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فانه يهدي الى الفجور . والفجور يهدي الى النار .. الخ . الحديث)[٢٦] ..

والأمانة : ليس المقصود منها حفظ الودائع وردها فقط . بل هي واسعة الدلالة

فى كل مايلتزم به المرء من شئون الحياة ... يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ..)[٢٧]

والوفاء بالعهد بشتى معانيه .. والاخلاص ، من البواعث التى تدفع الانسان الى السلوك الأمثل ، ويرفع منزلة العمل الى درجة العبادة ...

وحسن الحديث من الايمان .. يقول سبحانه : (وقولوا للناس حسنا)[٢٨] .. وسلامة الصدر من الأحقاد ، والحلم والصفح ، والجود والكرم ، والصبر ، والنظافة والتجمل ، والصحة ، والحياء ، والاخاء ، والاتحاد ، والعزة ، والرحمة ، والعلم والعقل وما الى ذلك .. كل هذه الصفات والخصال ، جعلت الدين الاسلامى صالحا متمشيا مع كل زمان ومكان ...[٢٩] وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (مامات رسول الله ، وطائرا يقلب جناحيه فى الهواء ، الا وذكر لنا فيه علما ..)[٣٠] .. وقال العباس : حتى ترك لنا السبيل نهجا ...)

---

* الحديث يدعو العلماء للتطبيق العملى *

** بين أمور العقيدة الثابتة .. وأمور الدنيا المتجددة ..

على علماء الاسلام دور كبير ـ اذا رغبوا فى وضع منهج للاسلام يتمشى مع روح العصر ، ويبتعدوا عما هم فيه من عزلة وجمود ، ولا وأن لا يشتغلوا بجزئيات من الدين ، ويتركوا الباقى . مثلهم كمثل من قرأ (لا تقربوا الصلاة) فالدين كلى وليس جزئى . والانشغال بجزئيات مقطوعة لا ترتبط بواقع الناس ، بعيدة عن قيم الاسلام العليا وجوهر رسالته .

وأحيانا ينادى بعض العلماء ، بنظرة لواقع الحياة ـ والزمن المتغير بتغير

مطالب الناس .. وأن أقوال السلف : فيها مايجب مناقشته .. يظهر فريق آخر من العلماء يعارض هذا ، محذرا من التجديد ، وأن هذا هو تهذيب حقيقة الاسلام فى العلوم الحديثة – وهذا يتناقض مع مبادئ الاسلام ويضيع الاجتهاد ، ويجمد العقل وهذا هو الخطأ الأكبر ، الذى يجب أن يلاحظه علماء الاسلام أيضا .. ان المعركة تحتاج الى شجاعة وتفهم حقيقة الاسلام .. هذا ليس خروجا على الاسلام .. وليس – تحريفا لأحكامه ومبادئه .. الأيام تمضى ، والخوف ليس فيه نتيجة – والله جعل العقل لينظر الفرق ، بين التجديد وبين التغيير ..[31]

ان الدين ما أتى الا رحمة للناس فى معيشتهم ، والتى تتأثر بعوارض الزمن والمكان .. والتجديد للأوامر .. وليس للدين نفسه ..[32] ولعل الحديث الشريف يشير لهذا ، فيقول – عليه السلام – (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)[33] .. وأفعال النبى وأقواله يجب أن يحدد منها مايعد – تشريعا – وما لا يعد . والرسول – عليه السلام – بشر يوحى اليه ، وبحكم تلك البشرية صدرت منه أقوال وأفعال ليس المقصود منها التشريع وتقرير الأحكام . التى تلزم الناس باتباعها[34] . وانما كان الفعل للتشريع فانه يصرح به وقد لا يصرح به : فيستعين العلماء بالقياس – ومن أدق أبواب الاجتهاد ، باب " تغير الأحكام بتغير الزمان " وهذا أمر شاق . لكن لو وجد نص قرآنى ، أو حديث : لا يحتمل التأويل وهناك قرينة فى سبب ورود النص . فهنا ينفتح باب الاجتهاد . والآن الناس استقر الايمان فى نفوسهم ، وزالت مخاوف الشرك ، ولم يعد للاحتياط فى بعض النصوص ضرورة وهنا يجب التطبيق العملى لعلماء الاسلام . والأمثلة كثيرة ، مثل : التصوير ، والصور – وهذا فيما ورد عن النبى – عليه السلام – والحالة التى دخل فيها على عائشة " رض " – فوجد بعض الصور ، فقال : ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون)[35] وأحاديث كثيرة وردت فى النهى عن ذلك ، وهذا النهى كان الرسول –

عليه السلام - فيه على حق .. لأن المسلمين وقتها كانوا قريبي عهد بالتماثيل - والأحجار ، وتقديسها . والخشية من انتشار هذه العادة - دخول الصور البيوت - وأن تكون بمثابة ذكرى تنقلهم الى أيام الجاهلية[٣٦] .

واليوم وقد أصبحت الصور لازمة لكل انسان : في الطب والزراعة والهندسة ، والمدارس والتدريس . والانسان دائم التنقل بين البلدان لحاجته .. وفي تنقله هذا محتاج لاثبات شخصيته ، من وثائق سفر وأمور أخرى .

" وان محاولة الفقهاء ، فرض آراء غير مدروسة . قد تأتي بنتائج عكسية لدى الجيل الجديد ، والعلم والتعلم اليوم لم يعد قاصرا على فئة معينة ، لهذا يجب أن ما يقرأ في الكتب من أفكار ، يوجد في واقع الحياة !! . والا عشنا في حالة تناقض بين ما نعيشه وبين ما نتعلمه .. فمثلا : لعب الكرة ، والرسم ، والتصوير ، والجلوس على المقاعد ، ليس مخالفا للشرع كما يقول بعض الفقهاء بالتحريم . وأن هذا مشابها للغرب حين يجلسون على الكراسي ، مستندين لقوله عليه السلام - (من تشبه بقوم فهو منهم وقوله : خالفوا المشركين وفروا اللحى ، وحفوا الشوارب)[٣٧] ..

وقد سبق أن بعض الفقهاء سفهوا رأي من قال بكروية الأرض ودورانها ، وينظرون للعلم الحديث بارتياب . وعلى كل حال هذه أفكار لا تأثير لها الآن على المجتمع الاسلامي . فالاقتناع بالدليل خير من رأي لا يستند على منطق أو برهان[٣٨] ..

وعلى هذا فالتصوير ، واطلاق اللحى - في نص الحديث - فانها صفة تدل على أنه تشريع زمني ، روعي فيه مخالفة المشركين في زيهم .. والآن . وأزياء الناس ، وحاجاتهم ومصالحهم لا استقرار لها ولا تقف عند حد ..[٣٩] ومن هذا القبيل " الرمل في الحج " وهو الاسراع في المشي عند الطواف . فقد قال عمر فيه " مالنا وللرمل كنا نتراءى أمام المشركين لنريهم قوتنا ، وقد أهلكهم الله " .. وبهذا فان عمر يلفت الأنظار ... الا أنه عاد فقال " ولكنه أمر فعله الرسول - عليه السلام -

ورمل " وما فعله عمر فانه أصل يرتبط فى أمر العبادات . بمتابعة الرسول فيها . لقوله عليه السلام ـ (خذوا عنى مناسككم . وعزالدين بن عبد السلام ، يقول :" كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل "[٤٠] .. وهذه الأيام . الصور ملأت الدنيا كلها ، والحاجة ماسة لها ، فما رأى الشريعة الاسلامية فى تصوير الأجسام ، والحديث يقول (ان الذين يصنعون هذه الصور ، يعذبون يوم القيامة . يقال لهم أحيوا ما خلقتم)[٤١] .. والحديث جاء فى أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ اما للهو أو للتبرك وهذا مايحرمه الدين . لكن فى هذا العصر محيت هذه الفكرة من الأذهان ، وأصبح ـ المقصود من التصوير الفائدة : كتصوير النبات والزهور فى المصنوعات . كما يلاحظ هذا فى حواشى الكتب والمصحف ، وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء ، والفائدة من الصور محققة ولا نزاع فيها[٤٢] .. وعلى هذا فتعميم التحريم ليس هو المراد ، فى كل زمن متى أمن جانب الفاحشة .. ومن المستحيل الآن أن يتجه أى شخص لعبادة الحجر وقد يكون التصوير سببا فى حفظ حقوق شرعية ، كما يلاحظ الآن فى شأن الغرقى ، ـ والموتى المجهولين ، والتى تعرض فى الجرائد صورهم للاستخبار عن ذويهم ـ فتقوم أحكام المواريث ، وأحكام الزوجية .. ونحو ذلك ـ والتصوير مهم أيضا فى تحذير ـ الأمة من اللصوص والمحتالين . بالاضافة الى التصوير الطبى ، وعلاج المرض بالأشعة وكتب التاريخ ، وتصوير الكون والمسائل العلمية ..[٤٣]

فاذا كان هذا هو أساس التصوير فلا حرمة شرعا ، وان كان لمجرد الزينة واللهو المباح ، كانت مباحة ، والا فلا .. ويستدل على هذا بقوله سبحانه (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين)[٤٤] .. وقال (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها) وقال (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)[٤٥] .. ، ولما رأى النبى ـ عليه السلام ـ رجل أشعث الرأس ، فقال (أما وجد هذا مايسكن به شعره ؟ . ورأى آخر عليه ثياب وسخة ، فقال : " أما كان هذا يجد مايغسل به ثوبه ؟)[٤٦] . فالاسلام جميل يحب الوجه

الحسن والموت الحسن والعمر الحسن ، وكل ماهو حسن فى الحياة .

واذا كانت السينما والمسرح ، والرسوم ذات موضوع هادف ، بعيدة عن المجون والفسق والعرى ، ومنع الاختلاط بين الجنسين فلا حرمة . لأن هذا من فطرة الانسان ، والاسلام دين الفطرة ، ومما يبر لها فى حدود العقل ، والحياء ، الذى هو شعبة من الايمان ... وليس الأمر مقصورا على التصوير فقط ، بل أمور الدنيا كثيرة ، وكل يوم هو فى شأن . وقد قال ابن القيم : " كل مسألة خرجت من العدل الى الظلم ومن القسط الى الجور ، ومن الرحمة الى ضدها فليست من الشريعة وان أدخلت فيها التأويل ".[٤٧]

ويجب أن يعلم علماء الاسلام أن الأيام نداولها بين الناس . فمن كان يظن بالأمس أن بريطانيا العظمى - انكمشت الآن وأصبحت تعانى من الأزمات الاقتصادية . واذا كان الغرب تقدم على المسلمين فهذا ليس قاعدة ، و... لانهزامهم نفسيا موهمهم أعظم دين . هو السبب فى تقدم الغرب ...

ان المجتمعات تتحرر وتتطور ، والتأخر ليس وقفا على الماضى ، ومن الخطأ القاتل للمسلمين أن يجروا وراء الغرب فى كل شئ ، والتاريخ يثبت أن - الاستمرار فى القوة أو الضعف ، مخالف للقوانين الطبيعية " وتلك الأيام نداولها بين الناس . فالواجب على المسلمين أن يقوموا بما عليهم ويبتعدوا عما هم فيه من عزلة وجمود ، وانشغال بجزئيات مقطوعة من الدين .

والاجتهاد فى الدين : من واجب العلماء ، وعليهم طلب ما يسهل أمر المسلمين - حسب الدنيا المتجددة - يقول سبحانه " فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول " .[٤٨] والآية تشير الى وجوب الاجتهاد على من هم أهل لذلك ، لأن معنى الرد لله والرسول : الكتاب والسنة . كما يقول ابن كثير ..

ولقد اجتهد الصحابة فى عهد الرسول - عليه السلام - وبأمر منه عندما قال

لجماعة : (لاتصلوا العصر الا فى بنى قريظة)[٤٩] .. وهذا نص ، وان لم يكن للتصريح فمنهم من صلى قبل أن يصل وحمل المعنى على السرعة .. ومنهم من لم يصل والتزم بالأمر .. وأقرهم الرسول على فعلهم . وكذا حدث فى عهد الخلفاء فى أمور استحدثت ولم يرد فيها نص . ومن الملاحظ أن النصوص متناهية : أما الحوادث فغير متناهية " والمتناهى لا يحتوى على غير المتناهى . اذن لا بد من الاجتهاد والقياس" ولا بد من معرفة حكم الله فى المتجدد . لحاجة الناس اليه ..[٥٠]

وربما المراد من قوله -صلى الله عليه وسلم - (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) وهم الذين قال فيهم الامام -على رضى " (لن تخلوا الأرض من قائم لله بحجته) ويقول - عليه السلام - (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)[٥١] ..

وما دامت الحجة ظاهرة : دام التكليف . واذا زال التكليف بطلت الشريعة . . وعلى هذا : فباب الاجتهاد مفتوح فى كل زمان ومكان ..[٥٢] وكما يقول - عليه السلام - " العلماء ورثة الأنبياء " لأنهم مبلغوا الشريعة من بعدهم ، وهم أمناء الله على خلقه فلا يوقعوهم فى الضيق والحرج ، يقول سبحانه : (ماجعل عليكم فى الدين من حرج)[٥٣] .. وقوله - عليه السلام - (الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة)[٥٤]

وأبرز أهداف الدين الاسلامى ، تحقيق العبودية لله وحده - وأن القرآن هو الدستور الأول : اشتمل على أمور لا صلة لها بالدين أيضا ، فمرة يتحدث عن الجنين وأطواره فى بطن أمه ، ومرة يتحدث عن الكواكب وجريانها ، وطورا عن النبات - والحيوان ، والفضاء وكل ذلك بايجاز دقيق . مخاطبا بذلك كل المستويات . ولم يقف أيضا فى وجه العلم . بالاضافة الى أنه كتاب " هداية وشريعة " ..

وليس بجر القرآن للعلم يفهم القرآن - لكن العكس هو الصحيح - لأن الذين فسروا القرآن بالعلم . الذى هو نتاج العقل البشرى .. مخطئون ولا يفيدوا الاسلام

فى شئ اذ ربما تفسد النظرية .. لاحتمالها الصواب والخطأ ..[55]

« لايجوز مقاطعة الفكر النافع »

.. شخصية المسلم ..

ان المسلم له طابع خاص يتميز به ، فهو لا يقلد غيره ، لأنه يعتنق دين كامل ، وشريعة وافية ، فليس بحاجة الى جديد دخيل .... !!

وكذا الأمة الاسلامية ، غنية عن كل فكر مستورد ، ففى شريعتها الغراء ـ الكفاية أيضا ، قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)[56] .. وتفسير الآية معناه : ان الله أنعم على الأمة الاسلامية حيث أكمل لها دينها ، فلا تحتاج الى دين غيره ، ولا الى نبى جديد ، فهو خاتم الأنبياء ، وبعثه للجن والانس . وعندما نزلت هذه الآية بكى عمر ـ رضى ـ فقال له النبى : مايبكيك ؟ قال : أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا ، فأما اذا كمل ، فانه لم يكمل شئ الا نقص فقال له النبى عليه السلام ـ : صدقت !!)[57] .. ويشهد لهذا المعنى حديث (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء)[58] .. والغرباء : المتمسكون بدينهم ، وسط جموع البشر ، المخدوعون والمقلدون للأفكار الجديدة ـ كالملحدين . ان المتمسك بدينه وسط هذا الجو الخانق ، غرباء .. وان كانوا من أهل الوطن ، لعدة الفتن فى كل الدنيا ..[59]

والدين الاسلامى بفضل ـ الكتاب والسنة ـ وافيا وليس فى حاجة الى تطور ـ وتجديد . الذى جر الدمار على شباب الاسلام ، وخلطوا بين النافع والضار فى العبادات والمعاملات ، والعلوم والثقافات ، يؤيد ذلك قوله ـ عليه السلام ـ (لتتبعن سنن

من قبلكم ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم)[٦٠] . ولقد نهى الرسول - عليه السلام - عن ذلك ، فقال : (من تشبه بقوم فهو منهم) . وقال (ليس منا من تشبه بغيرنا)[٦١] .. وأمر بمخالفة غير المسلمين فى الشكل والمظهر وما الى ذلك ، لأن للمسلم شخصيته المستقلة ، فكان الآذان بدل الناقوس ، وهكذا نادى الاسلام أبناءه أن يصونوا روح البيئة فلا يقلدوا ماهب ودب ، فيقول - عليه السلام - (لا يكن أحدكم أمعة . يقول : اذا أحسن الناس أحسنت ، واذا أساؤا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم . اذا أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساؤا ، أن تتجنبوا اساءتهم)[٦٢]

لكن ليس معنى هذا قفل الأعين ، وتكتيف الأيدى ، حيال الفكر النافع الهادف - ولو كان من اليهودى عدو الاسلام - يجب الأخذ منه : وما يتناسب مع الاسلام ، ولا يفعلوا مثل ماحدث فى عهد - كان الفكر الاسلامى فى أجازة طويلة ، وأعلن الحرب ضد كل فكر غربى ، وقال وقتها المفتى العثمانى : " كل سلطان يدخل نظام الافرنج ، وعاداتهم ، ويجبر الرعية على اتباعها ، لا يكون صالحا للملك .."[٦٣] اذن فما الواجب على المسلمين ازاء الفكر الغربى ، والنبى الكريم عليه السلام - يقول - (الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق الناس بها)[٦٤] ..

ونظرة لصفحات التاريخ ، فى العصر الاسلامى الأول ، وما كان يفعله الرسول عليه السلام - حول الأمور الدنيوية كلها ، فلم يترك شيئا يوصله للنجاح ، وسببا من الأسباب الا وأخذ به ، واستشار من معه ، ومع كل ذلك لم يستقل برأيه . يرى ذلك واضحا فى غزوة بدر الكبرى . ثم أخذ بعض فنون الحرب من الحضارات الأخرى : فأخذ برأى سلمان الفارسى ، فخندق حول المدينة .. وعندما اتسع الفتح الاسلامى فى عهد عمر " رض " ، والمجتمع الاسلامى على ثقة كبيرة بنفسه ، أبقى على كل النظم فى البلاد المفتوحة ، بل نقل البعض منها الى الجزيرة العربية ، وكذا فى العصر العباسى .. يشهد بذلك التاريخ ..[٦٥]

وفى الفترة الأخيرة وجد من يعارض .. بقولهم " ان العلم " كلمة لا تنصرف الا الى معنى واحد ، هو العلم الموروث عن النبى - عليه الصلاة والسلام - وما عدا ذلك فهو خارج عن مجال العلم ، واعتبروا المنطق نوع من الضلال ، وفرقوا بين علوم العرب وعلوم الأوائل ، التى كانت تشمل علوم الطبيعة والرياضة ، والفلك .... الخ

فلقد هاجم " الغزالى " أدلة الفلاسفة ونظرياتهم واعتبرها باطلة بدون - استثناء " ، وذلك فى كتابه " تهافت الفلاسفة " ..

لكن هذا الجدل لم يفعل شيئا ، وظل العقل العربى على حصانته ، وظل المفكر المسلم ثابت الأقدام لم يهتز فى أعماقه شئ[٦٦] .. وفلاسفة الاسلام الأوائل خاضوا - غمار الأفكار الأجنبية - من يونانية ، وهندية ، وفارسية ، وعرضوا لكل مشكلة من مشاكل العقل والايمان ، وتكلموا عن وجود الله ، والعالم والنفس ، وكذا من - أتى بعدهم : لم يعانوا عقدة النقص ، فأخذوا ماصفا من الفكر الأجنبى ، وتركوا ما كدر ولم يتفق وروح الاسلام ، وتفاعل المسلمون بالحضارات مع ثقة كاملة مدركين معنى " أن الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو أحق الناس بها " وأنهم مدعوون للسعى وراء العلم " من المهد الى اللحد " ..

كان هذا حال المسلمين قبل أن يغلبوا على أمرهم .. وابتدأ الانهيار المحزن يظهر فى القرن " الثامن عشر والتاسع عشر " ولم يأخذوا بأسباب التقدم ، كما فعل الصحابة والتابعين ومن بعدهم[٦٧] .. ثم فى العصر الحديث حاول السلطان " سليم الثانى " أن يعيد تنظيم جيشه ، ويدخل فيه من الأسلحة الحديثة ، فتصدى له دعاة رفض - الأفكار المستوردة - وأصدر المفتى العثمانى " عطا " الله " فتوى : " بأن كل سلطان يدخل نظام الافرنج وعاداتهم ، ويجبر الرعية على العمل بها ... لا يكون صالحا للحكم " واعتبر أن ثياب الجندى الحديثة ، تعد فى حكم المتشبه بالنصارى ، كما أن استعمال البنادق ذات الحراب من أسلحة الكفار ، وهذا إثم عظيم .. وبالفعل عزل -

السلطان سليم – ومن بعده " السلطان عبد الحميد " بسبب تلك المحاولة [٦٨] ، سنة ١٨٠٧م.

وكان التوجه للغرب من العلامات المميزة فى الآونة الأخيرة ، للخروج من المأزق ، فتركيا قامت ببناء الجيش ، وأحضرت له ضباط من فرنسا ، وكذا محمد على فى مصر – ١٨٠٥م – وكذا فى تونس ، وايران ، وفتحت الكليات وتبودلت البعثات – والثقافات ، بين العرب وأوروبا ، وكانت هذه التجربة هى القنطرة التى عبر فوقها الفكر الغربى الى العالم الاسلامى ، وكان فى حالة افلاس حضارى .. وبدأ المسلمون أمام هذا الزحف وكأنهم فى سجن . يخشون أن يمدوا أصبعا الى أى شئ ، فينطلق منه شيطان محبوس . وكان المسلمون وقتها يسألون رجال الدين عن تلك الحضارة ، هل يجوز استعمال – عود الكبريت ؟. واعمال المصباح فى انارة المساجد ، وهل يجوز وضع التليفون فى الأماكن الدينية ؟. وهل ، ، وهل .... الخ . من استخدام الجغرافيا والمطابع ، والزى ، . . . [٦٩]

وعلى هذا اختلفت آراء الفقهاء والمفكرين .. منهم الرافض نهائيا ، كما حدث فى تركيا ، ومنهم من وافق نهائيا وقالوا لا بد على المسلمين من قبول هذه الحضارة حتى لا تحتقرهم الدول .. [٧٠] وبعد قليل وقعت تركيا فى أحضان الغرب بعد الغاء الخلافة الاسلامية ، سنة ١٩٢٤م – ... [٧١] وكان هناك فريق ينادى : " على المسلمين أن يستفيدوا من الحضارة الغربية ، لكن دون الاستسلام لها .. [٧٢]

الحقيقة مطروحة أمام أولى النهى . وفيه فرق بين مايتفق ، ومالا يتفق " ولقد استنارت أوروبا بعلوم المسلمين أولا " ولم تعرف المدنية الا بعد أن مرت على لسان أتباع محمد .. [٧٣] ان الفكر الاسلامى ليس حكرا على أحد ، فكل شخص يأخذ ماينفعه .. يأخذ الحبة ، ولا يقع فى الفخ ، وأن تغيير الملابس ليس معناه تغيير الجلود ، والعقول .... المهم أن نأخذ . ولا نفقد أعز ما نملك »» .

ان الذين انتفعوا بقانون – أرشميدس – لم يكونوا يونانيين ، ومن عرفوا – –

قانون - الجاذبية - ليسوا انجليز . ومن اقتبسوا نظريات - جابر بن حيان - فى الكيميا " ، والجبر .... الخ . لم يصيروا مسلمين .. هذا كله صدق ، فهل اقتنع المسلمون بذلك الاقتباس من غيرهم فى مجال العلوم البحتة ؟.

وعلى الأمة الاسلامية . أن تفتح نوافذ المعرفة وأن تتعرف على ما لدى الغير : فان كان صالحا انتفعوا به ، دون أن ينال ذلك من دينهم شيئا ، وان كان زيفا عرفوا حقيقته ، فزاد تمسكهم بدينهم " ..[٧٤]

هذه الآراء ظلت منهج الأمة الاسلامية حتى اليوم - تختفى حينا عندما تنتاب الأمة الاسلامية هزات حربية ، أو اقتصادية ، وتعود للظهور عندما تكون الحياة هادئة ، فيتجهوا الى الابتكار والتجديد ، ليملأوا به حياتهم .

" ان غير المسلمين يعرفون عن التراث الاسلامى وفكره أكثر مما يعرف المسلمون أنفسهم ، وانتهزوا فترات الضعف التى أصيبت بها الأمة الاسلامية ، ووضعوا أيديهم على كل ما أنتجته العقلية الاسلامية أيام نضجها .. واستفادوا من الفكر الاسلامى ولم يفعلوا كما فعل التتار فى الأمة الاسلامية ، وألقوا بكل أفكارهم فى النهر، والغرب لم يفعل ، لعزمه الاستفادة بشتى أنواعها ، ونقلها الى بلاده ، وعرف سر تفوق المسلمين ، فعمل جاهدا لابعادهم عن مصدر النور .

والغرب يهدف للاجهاز على المسلمين بشتى الوسائل - فكريا وعقائديا ، وفى فترة وجيزة من الزمن استطاع أن يكون له أنصار داخل البلاد - مستغلا موقف بعض علماء المسلمين ضد التعرف على فكر الغرب ، وأن معرفته كفر ، والاقتراب منه ردة - كما مر ذكره .. فى الوقت الذى تعلن فيه جامعة " السربون " بفرنسا - عن قيام أقسام اللغة العربية ، والتعرف على لهجاتها ، وتقرر هذه الأقسام . أن لها الحق فى منح درجة " الماجستير " ، والدكتوراه " فى تراث العرب ، وفى عقيدة الاسلام والمسلمون من الجانب الآخر لا يريدون التعرف على العلوم الصناعية والعلمية

ليتهضوا بأنفسهم . ويردوا على أهل الباطل بالحجة والعقل . ومن لم يجادل أهل الباطل حتى يقمع باطلهم لم يكن أوفى للاسلام حقه ..فيقمع باطلهم بالعقل ويبين أن فكره هو الصحيح بالعقل أيضا ..[٧٥] .

ان الأمة التي يعم فيها النفاق ، وضعف الاعتقاد ويموت فيها الاحساس بالواجب ولا تفرق بين الفكر الصحيح من الخطأ : تستحق أن تصل الى سيء الأحوال[٧٦]..

.. وظيفة حكام المسلمين.. وشعوبهم ..

من الناس من يتكلم عن الاسلام منفصلا عن المسلم نفسه ، بل وعن عامة الناس ، مما جعل استكشاف رؤية الاسلام للانسان غير واضحة . بغض النظر عن هويته . ويحكي التاريخ أن المسلمين انشغلوا بأنفسهم زمنا طويلا ، لأن المحن التي ألمت بهم سواء كانت ـ مدا أو جزرا ـ على مر العصور . أفرزت وضعا مؤلما على أغلب مفكريهم ، ونتيجة لهذا فقد ظل المجتمع الاسلامي يعاني . فكان لزاما على بعض المسلمين أن يقوموا بواجبهم حيث فهموا .

ان الدين هو الغاية القصوى للانسان ، ويجب أن لا يكون الدين باللسان من غير أن يمر على العقل فلا يصل الى مقصده . وأصبح وجه الاسلام مظلما بعد ما كان مشرقا وضاء ..[٧٧] هؤلاء قاموا بالتصدي لجيوش الظلام ، مستجيبين لقول الرسول ـ عليه السلام ـ (من رأى منكم منكرا ، فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه . وهذا أضعف الايمان)[٧٨] .. والاسلام حريص على تأكيد حرية الاعتقاد ، والفكر للانسان باعتباره معمر الكون ، ومتحمل للأمانة التي هي تبعة التكليف وحريتها الاختيارية فيما يدين . لا تعسف ولا اكراه (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[٧٩].. وحساب الجميع عند الله ..

والشريعة الاسلامية ليست موضوعة حيثما اتفق . لمجرد ادخال الناس تحت سلطة الدين ، بل وضعت لتحقيق مقاصد الشرع في تحقيق مصالح الناس دنيا وأخرى .. فلا انفصال بين الدين والدنيا .

وقد آن الأوان لأن يحمل المسلمون رسالتهم الى العالم ، وهم يحملون معهم أدوات الحضارة الحديثة . من علم وتكنولوجيا ، ولا ينجرفوا في التيار ، ولا يخضعوا للحضارة . بل هي التي تخضع لهم ، وأن العلم ليس قصرا على فئة دون أخرى ..[80]

والمسلمون لن يتقدموا ماداموا أمما متفرقة ولم يحاولوا فهم الطبيعة والكون ومعرفة قوانينها . وكثير منهم مازال يجهل الكون وأسراره .

وشيء هام جدا يقع على كاهل الحكام والمسئولين ، والمفكرين : هو توجيه الأمة جمعاء لأن يمدوا الأبصار نحو المستقبل ، ولا يعيشوا على ذكريات الماضي ، بل — يأخذونه معبرا للحاضر ..

والمحزن أن المسلمين مازالوا يبحثون في الماضي ، والمتتبع لقوائم الكتب والمجلات . يجد أن أكثر المؤلفين يبيعون الماضي للقراء . لكن بشكل جديد ..

والذين يتكلمون عن المستقبل يعتبرهم الناس من المنجمين . لأن المستقبل بيد الله . فالكتب القديمة يعاد طبعها ، أو تلخيصها . ابتداء من سير الرسول — عليه السلام — والتفاسير ، والتاريخ والأحاديث ، وهكذا ... وفي الجامعات نفس الظاهرة فرسائل " الماجستير والدكتوراه " يغوص أكثرها في الماضي ..[81] والمقصود ليس — مقاطعة الماضي — لأنه لو خلع من الذكر فسيظل في القلب — ولأنه التراث العظيم ولا بد من الاعتزاز به والمحافظة على بقائه . ومصير المنفصلين عنه الضياع . لكن الواجب هو أن لا يتحول الماضي الى حجر عثرة نحو التقدم ، وتغمض الأعين عن الحاضر والمستقبل .. والماضي فيه الغث التافه ، والدخيل الضار ، فلا يلتفت اليه — وفيه العظيم والثمين . وهو كثير ، فيجب الابقاء عليه .

ويجب على المسلمين أن لاينغلوا أنفسهم بالماضي الذى لافائدة منه ..

فبينما يديرون ظهورهم للمستقبل .. يمضى العالم فى اتجاه مخالف تماما ، يتناقشون فيه حول المستقبل . وصار علما يدرس فى الجامعات ، وتعقد المؤتمرات فيما سيكون ـ سنة ٢٠٠٠ ـ كلام عن المستقبل لا يتوقف . فماذا فعل المسلمون ؟ . ان من يتكلم عن المستقبل ، يرتكب جرما ـ لأنه بيد الله . ونسوا قوله ـ عليه السلام ـ (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)[٨٢].

ان كل دراسات الغرب ـ منصبة على المستقبل من اقتصاد ، وسياسة ، وعلوم ومعيشة . وقد يتصور بعض الناس أن الكلام عن المستقبل خيال فكرى . وهذا ليس صحيح لأن العالم يتغير ويتطور . والسقوط والضياع مصير الذين يعجزون عن العمل للمستقبل .

فالأطباء يشكون من أن الكتب الطبية تصبح متخلفة ساعة صدورها ، لأن خلال الوقت الذى تستغرقه فى التأليف والطباعة والتوزيع : تتغير كثير من الآراء ، والحقائق العلمية .

يجب أن يعلم المسلمون أن العالم يتطور أضعافا مضاعفة . فقد كان فى الماضى يتنقل على الجمل ، ثم العربة ثم القاطرة ثم الطائرة ، وهو الآن يدور حول ـ الكواكب الأخرى . ثم الله أعلم بما يخبئه المستقبل .

والشرق الآن ما زال يستعمل المواصلات البدائية ، فى العواصم الكبيرة ، والمشاهدة تكفى على ذلك ـ ومن المستحيل أن يرى ذلك فى بلاد الغرب عامة .

والمسلمون ليسوا فقراء . فلديهم أعظم اقتصاد فى العالم ـ مادى وبشرى ـ والعالم كله يتصارع للحصول عليها . وتمد العالم كله بالحياة ، لكن التأخر فى الفكر والابتعاد عن الدين . هذا هو الفقر ..

يجب التفكير فى المستقبل ، فالبترول سيأتى يوما وينتهى ، والصحارى تزحف على العمران بترابها ، والعمران يأكل الأرض الخضراء ، والتعليم ما زال بدائيا ..

...... و....و.... فالمستقبل محتاج لشجاعة ، ولا يأتى التقدم صدفة ، وقانون الله فى الكون سيظل ساريا ، يجب أن يقترن العلم بالعمل ، وفيما روى عن الصحابة ، قيل: " كنا نتعلم العشر آيات بالعشر آيات ، وكنا لا نتجاوزهن حتى نحفظهن ، ونعمل بما فيهن ، فكنا نتعلم العلم والعمل جميعا "[٨٣] ..

فالمسلمون فى حاجة الى بناء جديد ، فى كل شئ . فى حاجة للعلم الذى هو الباب ، لسبر أغوار الحياة . فى حاجة للتنظيم والتخطيط ، الذى هو أساس المستقبل يقول سبحانه (١ .. على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ مشيرا للتخطيط للمستقبل : .. (تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ، ثم يأت من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأت من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)[٨٤] ..

وعلى المسلمين أن يحكموا هذه الادارة بدون عنف أو ارهاب ، والمشاكل لا تحل بقطعها ، بل بالنظر فى العقدة نفسها ...

ان القيم العقلية والروحية والاجتماعية . متى تحررت من أسر الجمود التى فرضته العشر القرون الماضية ، كفيلة بخلق مجتمع جديد ، ليس فى عالمنا الاسلامى فحسب . بل فى العالم كله : الفرد يعمل للمجموع ، والمجموع يعمل للفرد ولغيره فالدين الاسلامى دين اجتماعى ....

يجب أن تتعهد الحكومات بتنمية دوافع المسلم ، وتتعهده بالرعاية والتهذيب وينيروا المجاهل بنور العلم والايمان .. والواجب على علماء الاسلام ، أن ينظروا فى الكتب التى ألفها الغرباء عن الاسلام ، فمثلا " جولد زيهر " يكتب عن القرآن ، والحديث النبوى ، ويختم عمله بتأليف كتابه " تاريخ مذاهب التفسير الاسلامى " ، وأبناء الاسلام يتخذون كتابه مرجعا عند كتابتهم عن التفسير ، وهذا ليس عجيبا . فالمستشرق " ا . ى . فينسينك " يكتب " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى "

وتسارع كثير من الجامعات الاسلامية لتسويقه وطبعه . يعجبون الغريب ويتركون - كتب التراث التى تعتبر فهرسا كاملا - لحديث الرسول - عليه السلام - مثل " الجامع الكبير - للامام السيوطى " بدون تحقيق أو طباعة .

والمستشرق " فون جرونوبيم " وهو يهودى الأصل ألمانى ، وعدو خطير للاسلام . يكتب كتابين " اسلام العصور الوسطى " ، " محاولات فى شرح الاسلام المعاصر " فهل تحرك أحد من المسلمين ، أو حكامهم . من أجل تاريخهم ودينهم ؟ ألم يكن الأجدر بالعلماء ، وحكام المسلمين أن يتعاونوا ويقاوموا ولو بكلمة . هذا الكفر المنتشر ؟ ان الأعداء ينفقون الأموال الطائلة . تقدر بملايين الدولارات من أجل نشر كتاب كله صحيح ، ماعدا بضع سطور مدسوسة مغرضة ، موزعة على الكتاب تهدف لغرض ما .. فى نفوسهم ، لا يدركها الا المتعمق جدا [٨٥] ..

من الواجب أيضا أن ننبه أبناءنا بتلك النماذج ، من كتب الغرب المعاصرين وغيرهم مثل : " الفرد جيوم " الانجليزى المعاصر ، وانه لمن المؤسف أن يتخرج على يديه جيل من شباب الاسلام ، ترسلهم أوطانهم - على صورة بعثات رسمية - لدراسة اللغات الشرقية . ثم يعودون لبلادهم بالأفكار الهدامة ، ليحتلوا ، أو كانوا يحتلون مناصب خطيرة توجيهية فى بلاد المسلمين . و " بارون كرادى فوا " الفرنسى المتعصب . يكتب عن - الغزالى ، وابن رشد ، ويساهم فى تحرير دائرة المعارف الاسلامية ، والكاتب " جب " يكتب كتابه " طريق الاسلام " و " الاتجاهات الحديثة فى الاسلام " كل هذه المؤلفات طعن فى الاسلام ونبيه ، وتشويه مبادئه . وعلى الباحث أن يقرأ هذه الكتب

ثم ان هذه الكتب لو كانت تكتب لأبناء جلدتهم ، ما كان هناك بأس . لكن المصيبة انها تصدر لأبناء الاسلام .. فهذا هو الخطر . !!

وروسيا الشيوعية الالحادية . والتى أبادت المسلمين على أرضها ، وحرمت على الباقى أن يؤدوا مبادئ الاسلام ، وقذفت بالآلاف منهم فى مناجم الفحم . روسيا

هذه تقيم مؤتمرا اسلاميا باسم ـ مؤتمر باكو الاسلامى ـ وكان رئيسه " راديك " ـ اليهودى الصهيونى . والمجلات والجرائد تشهد بذلك ، ووصفته جرائدهم ، بأن هذا ـ المؤتمر ـ قرآن جديد ـ للمسلمين ، وحصل فى المؤتمر من المهازل . مايكفى لاثارة غضب أقل المسلمين .

ان الدين الاسلامى الحنيف بين القضبان ، وفى بلاده الأراضى المقدسة مغتصبة ، وأهلها مشردون . نبحت أطفا لهم ، وبقرت بطون نسائهم ، وقتلت شيوخهم ، وليست مجزرة " دير ياسين " خافية على أحد . ومائة مليون مسلم ، تحت سيطرة مليونى ـ يهودى . يصولون ويجولون ولا أحد يمنعهم .. ومخططهم . من النيل للفرات . ..

ألم يحن الوقت لأن نصلح ما بيننا وبين الله : ليس بالخطب الجوفاء ، لكن ، بصدق العزيمة وتصفية النفوس ، قبل كل شئ من أغلال الأحقاد والأهواء الفردية ..

من الغريب أنه لم يسمع أن يهوديا شرع السلاح فى وجه يهودى آخر !! . وكم ، من الدماء المسلمة سالت على الأراضى المسلمة بأيدى مسلمة ؟ . والأمثلة : ليبيا ـ لبنان ـ اليمن ـ مصر ـ سوريا . وأشياء لا ترضى الكفرة أنفسهم .. لأنه لا ارادة ـ لحكام المسلمين . فالغرب هو المحرك لهم ، وهم تبع : أما الى شرق ، أو غرب ، قال عثمان " رضى " " ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " . ان اليهود حفروا على جدران الكنيست ـ من النيل الى الفرات ـ هذا تخطيطهم ...

والتاريخ يروى منذ القدم . إن مأربهم أرض فلسطين أولا . ثم بعد ذلك من النيل الى الفرات ، الى المدينة وخيبر . .. الخ . وقد كان لهم ما أرادوا فى فلسطين .

ولقد تصدى لهم السلطان " عبد الحميد " آخر سلاطين الدولة العثمانية .

وقال " اذا كنا نريد أن يظل العنصر المسلم متفوقا ، فيجب أن نصرف النظر عن فكرة توطين اليهود المهاجرين فى فلسطين ، والا فان اليهود لو استوطنوا أرضا تملكوا ـ كافة قدراتها ، خلال وقت قصير ، وبذلك نكون قد حكمنا على اخوة لنا فى الدين ـ

بالموت المحتم .. [٨٦] " ولقد كان قوله هذا سنة ١٩٠٩م ، لقد كانت نظرته حكيمة تدل على مدى تصوره للموقف . وهرتزل - رئيس اليهود ، كان يقول : " ستحل مشكلة - اليهودية ، يوم يستطيع اليهودي قيادة محراثه بيده " فهو بهذا يريد تأمين أرض لأخوانه اليهود ، وفهم السلطان عبد الحميد مقصده الخبيث . وبهذا حاول محاربة فكرة - الوطن اليهودي في فلسطين - بكل قوة .

ولقد أغروه بالمال ، والنصب . في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية أحوج ما تكون . ولكنه رفض أن يبيع فلسطين .

ومن هنا تكتلت الصهيونية ، والماسونية ضد السلطان عبد الحميد وأبعدوه عن العرش ... [٨٧]

ان مذكرات السلطان عبد الحميد - أعطت قبسا من الضوء ، على الواقع المؤلم الذي يعيشه العالم الاسلامي الآن ..

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى   بصبح وما الاصباح منك بأمثل

ما قبل النهاية

.. الرسول .. أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..

x*x*x*x*x*x*

نهج عظيم .. حتى لا تتعرض أمة الاسلام لهزات الزمن ونكبات الحياة .. فوضع عليه السلام - منهج الحياة لأمته :-

المجال التعليمي :

يقول - عليه السلام - " حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى " [٨٨] .. نذكر الكتابة بالاضافة الى فائدتها الأصلية وهى تقييد العلوم والمعارف ، وتدوين ما يحتاج الى تدوينه ، والانسان المسلم يجب أن يعرف ، أن الرمى هو القتال برا ، والسباحة ، هى القتال بحرا ..

المجال الطبي :

يقول - عليه السلام - " اذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، واذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها " [٨٩] .. حسم الأمر فى كلمتين - لا تدخلوا ، ولا تخرجوا - فيصبح من الممكن العلاج ، والقضاء على المرض فى مهده .

كما نهى عن الشرب من مكان عام - كالمطاعم العامة - ، وحذر من ترك الأوانى مكشوفة .. الخ . كما أشار لعلاج القلب ، لتعلم آلات العمل وعمارة الكون . ..

مجال التربية العقلية :

أول آية نزلت فى القرآن تشير لهذا " اقرأ باسم ربك الذى خلق " والحجة

والقراءة : تعنى طلب العلم ، المؤدى الى طلب المعرفة العقلية ، يقول عليه السلام ـ (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) [٩٠] وكانت من عادته أن يكرر قوله للافهام والتعليم .. وليس فى القرآن والسنة ، تحديد للمجال الفكرى والعلمى ، فكل ماجاءت به الآيات ، والأحاديث : تشمل الرجال والنساء على السواء ..

المجال الحربى :

أفردت كتب كثيرة ، لعبقريته صلى الله عليه وسلم ـ الحربية ، منهـا كتب السيرة بشتى أنواعها ، وعباس العقاد فى العبقريات ، ومئات المستشرقين وغيرهم كتبوا عن ذلك .

المجـــال الاجتماعى :

يأمر ـ عليه السلام ـ أن تكون العلاقة أخوية بين الأفراد ، لتبادل ـ المنافع ، والعمل للصالح العام ، واحترام القانون ، وحريات الآخرين ، يقـــول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى) ويقول ـ المرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ويقول المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ـ وكما أوصى بالتعاون والاتحاد ، فيقول ـ بعثت للناس كافة ، ... وكل من تكلم العربية فهو عربى .

والأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، فيقول (خيركم خيركم لأهله) وبهـــذا ينشأ المجتمع المثالى ، على الأرض تحت الشمس .

ان القيم الروحية والتربوية ، فى أحاديث الرسول ـ عليه السلام ـ تشكل جانبا تطبيقيا للحياة ، له أثره العظيم فى بناء المجتمع الاسلامى العظيم ، تحت ـ لا اله الا الله ـ ..

.. نهـــايـة المطـاف ...

وبعــد ....

نتيجـة لما سبق ... يجب الاستفادة من الكون الذى وهبه الله للانسـان ... فى مضمار العلوم والأبحاث العلميـة .... والجهـد الانسانى الذى كـرمه الله ... يجب استخدام هذا كله ـ بفهم وذكاء ـ فى خدمة الأهداف الانسـانيـة التى رسمها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذى دعانا .. بخير أمـة أخرجت للنـاس ...

ان المسلمين ، لو ساروا على هدى المصطفى !! . لغيروا وجه الأرض ، وأخذوا بيد الانسانية ، من طريق الهلاك الى طريق السعادة الخالدة ..

ان هذه الأمة التى حملت آخر رسالة وحافظت على رسالتها .. يجب أن تفعـل شيئا تهتز له الجبال وتزول به أوكار الفساد !!.

ان العالم الاسلامى أصبح خرابا بقسوة المادة .. فيا أيها الرجل الذى بنيت الحرم . قم وابن هذا العالم .. فهل لهذا العمل من رجال يقومون به ؟ ان هذا ـ العمل لا ينجح فيه الا شعب ملة ابراهيم حنيفا ..

ان رسالة السماء تهتف بهؤلاء الذين عليهم حق الدفاع والمسئولية " وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم . وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكـم ـ ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ....

.. ان طربت .
فكتـــاب اللـه كـــوثر

.. أو عشقت .
فجـــلال اللـه جـــو هـــر

.. أو اتجهت .
فحديث الرسـول مـــزهـــر

..أو ركعت ...أو سجدت . .... فلأني قد سمعت ... اللـــه أكـــبر

.. قد سئمت عالم التيه المبعثر ..

.. وعلمـــت .. أنـــني كنت مغـــرور ..

.. فمحـــوت .. ولمســـت .. كنه ربـــي .. في ســـنا الزهر المعطر ..

.. أنا عـــدت لسمـــا بيتي المنور ..

.. ووجـــدت .. كل شيء قد تغـــير ..

.. فطربـــت . وسجـــدت . حيث أنـــي .

قـــد سمعـــت .. اللـــه أكـــبر ..

وبسم الله بدأنا ...

وبحمـــد اللـــه نختتم ..

عبد الله سلامة نصـــر

جامعة بشـــاور

باكستان

الخـــــاتمـــــة

المـــــراجع .. والتعليقـــات :

(١) سورة ابراهيم / ٥٢ .
(٢) " " الملك / ١٠ .
(٣) " " العلق / ١ ، ٢ .
(٤) أخرجه الترمذى ـ البر .
(٥) سورة الكهف / ٤٦ .
(٦) اخرجه الترمذى .
(٧) " " ـ . العلم .
(٨) ~~ابوطبد~~ أخرجه ابن ماجه .
(٩) عبد الكريم داود الملوادى " الاسلام عقيدة وشريعة " مجلة العربى ـ عدد ٢٣٠ ، ص١٧٨ ـ ١٩٧٨م . الكويت .
(١٠) أخرجه أبو داود ـ السنن .
(١١) الشيخ الشعراوى " معجزة القرآن " ص٢٤ ـ ١٩٧٩م ـ القاهرة .
(١٢) سعد جمعة ـ رئيس وزراء الأردن سابقا .. جريدة عكاظ " السعودية ـ عدد ١٢ / ١٣٩٩/٦ هـ .
(١٣) م . م. صديقى " الأسس الاسلامية للعلم ـ مجلة المسلم المعاصر ـ عدد ١٢ ص ١٢ ـ ١٩٧٩م ، بيروت ـ الكويت .
(١٤) سورة الأعراف / ٣٢ .
(١٥) أخرجه مسلم .
(١٦) " " أبو داود .
(١٧) الشيخ الغزالى " خلق المسلم " ص ١٢٠ .
(١٨) عمر بن عبد العزيز العثمان " واجب الاعلام فى الدول الاسلامية " مجلة الدعوة السعودية ـ عدد ٦٥٨ ، ص ٨ ـ رجب ١٣٩٨ هـ .
(١٩) د. جمال الدين عطية " ارادة التغيير " مجلة المسلم المعاصر ـ عدد ٢٠ ، ص٥ ـ ١٩٧٩م ـ الكويت .
(٢٠) أحمد جمال " مفتريات على الاسلام " ص ١٤ .
(٢١) شهاب الدين الندوى ، الهند " الاسلام والعلم الحديث " مجلة البلاغ ـ عدد ٤٣٦ ، ص ٣٦ ـ ١٩٧٨م ـ الكويت .
(٢٢) د. محمد عمارة " الانسانية فى فكر الاسلام " العربى ـ عدد ٢٢٠ ، ص٥٢

(٢٣) رواه الطبرانى .
(٢٤) " " الترمذى .
(٢٥) " " أحمد بن حنبل .
(٢٦) " " البخارى .
(٢٧) " " أحمد بن حنبل .
(٢٨) سورة البقرة / ٨٣ .
(٢٩) والبحث فيه أقسام كثيرة توضح أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وكلها ذكرت فى الخاتمة ، منها الدين لا يتعارض مع العقل ، والحديث يدعـوا العلماء للتطبيق العملى . فكل هذه الموضوعات تشكل حلقة واحدة .
(٣٠) عن البزار .. والطبرانى .
(٣١) أشرت لهذا فى باب " لماذا تأخر المسلمون " .
(٣٢) د. أحمد كمال أبو المجد " التجديد فى الاسلام " مجلة العربى – عدد ٢٢٥ ص ١٥ – ١٩٧٧م –
(٣٣) أخرجه أبو داود فى سننه ، والبخارى ومسلم .
(٣٤) فقد كان – ص – " يقوم آناء الليل وأطراف النهار . فهل تبعه المسلمون فى هذا ؟. ومع ذلك لم يلزم صحابته ، ونهاهم حتى لا يشق عليهم ، وحـتى لا يكون الأمر تشريعا ، وحديث الجماعة الذين سألوا عن عبادته مشهـور .. وكان رده عليهم : انما أنا أمرؤ أنام وأصحو ، وأفطر ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى .
(٣٥) أخرجه البخارى – التصوير .
(٣٦) سعيد الغامدى " تكاسل الفقهاء " جريدة المدينة السعودية – عدد ٤٧٨٢ ، ص ٦ – ١٩٧٩م – السعودية .
(٣٧) أخرجه البخارى – اللباس –
(٣٨) واليوم من منا يعتقد أن التصوير حرام . الا التصوير الفاحش المثير لـ للغرائز ، المفسد للشباب ، وغيرهم ، وهذا مالا يختلف عليه أحد ، و .. وأحيانا نرى الصور فى كتب الأطفال . مفصولة الرأس عن الجسد ، اشارة لفقدان الروح . والسؤال ماذا يقول الطفل عن هذه الصورة . لو سأل عن هذا القطع؟ وانى أتساءل .. أين الروح الموجودة فى صورة على ورق؟ والانسان فـى الواقع لم يخلق هذه الصورة ، بل هى انعكاس لخيال الانسان على الورق المصنوع من نترات الفضة ، الذى يعكس ظل الأشياء المعكوسة عليه بواسطة الضوء . فما هذا الفكر المقلوب ؟.
(٣٩) الشيخ عبد الوهاب خلاف " مصادر التشريع الاسلامى " بحث له فى مجلة القانون والاقتصاد – مايو ١٩٤٥م – القاهرة .
(٤٠) وأخذتنى الدهشة ، ونحن فى القرن العشرين أن بعض الدارسين تقدم برسالة دكتوراه فى " تحريم التصوير " ، والأغرب ألا يوجد فى جيب صاحب الرسالة جواز سفر ، وصورة تحقيق شخصية .. .. اولا أدرى ما هو المشهور فى الاباحة ؟

(٤١) أخرجه البخارى ـ التصوير .
(٤٢) الشيخان / محمد عبده ، وعبد العزيز جاويش " تحقيق نشرته مجلة الهداية وضع عبد القادر أحمد ـ الموصل ـ العراق ـ ١٩٧٤م .
(٤٣) المصدر السابق .
(٤٤) سورة الحجر / ١٦ .
(٤٥) " " الأعراف / ٣١ . الأعراف / ٣١ .
(٤٦) أخرجه أبو داود ـ الايمان .
(٤٧) الشهرستانى " الملل والنحل " ج ١ ـ ص ٢٠٠ .
(٤٨) سورة النساء / ٥٩ .
(٤٩) أخرجه البخارى ـ الخوف .
(٥٠) الامام الشوكانى " ارشاد الفحول " ص ٢٥٣ ، وابن القيم " أعلام الموقعين ج ١ ، ص ٨٢ .
(٥١) أخرجه البخارى ـ الاعتصام .
(٥٢) د. محمد سلام مدكور " الاجتهاد فى الدين " مجلة العربى ـ عدد ١٨٧ ، ص ٣٣ ـ ١٩٧٤م ـ الكويت ، و الشوكانى عن الزركشى فى كتابه " البحر "
(٥٣) سورة الحج / ٧٨ .
(٥٤) ابن ماجه ـ مناسك .
(٥٥) محمد صلاح الدين الصتاوى " هذا هو الاسلام " مجلة البلاغ ـ عدد ٣٨٨ ، ص ٢٩ ـ ١٩٧٧م ـ الكويت .

وفى هذه الأيام يظهر طريق جديد فى تفسير القرآن ـ بجره للعلم الحديث . وبعض العلماء ، يحترس ويبتعد عن الطريق .. لكن أئمة المفسرين اتبعوا قواعد وضوابط فى تفسير القرآن : ١ ـ دلالة اللغة العربية وقواعدها ٢ ـ قواعد تفسير النصوص المتفق عليها . ٣ ـ ألا يتعارض التفسير مع آية أخرى فى المعنى المضمون . ٤ ـ ألا يتعارض مع الحديث النبوى الصحيح هذا ما قاله أبو جرير الطبرى ، فى تفسيره " فالحمل ثقيل على كاهل ـ العلماء " حول تطبيق هذه الشروط . ويقول د. سعيد البوطى : " ان بعض ـ العلماء يتجهوا للتأويل ، فى الوقت ان الآية لا تحتاج للتأويل . فمثلا قوله سبحانه " لتركبن طبق عن طبق " فسرها النسفى بمعنى : لتركبن حالا بعد حال . والآية لا تحتمل تأويلا فهى صريحة بمعنى أن الله خلقنا على درجات ، فى السكن والترحال ، فمنهم الراكب والماشى والطائر ، وكذا من فى البحر . وهذا كله والله أعلم " لتركبن طبقا عن طبق . وكثير من المفسرين قريب من هذا المعنى : لتركبن حالا بعد حال ـ مثل ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٤٨٩ . ومنهم من قرأها بفتح التاء والباء ، والمقصود به ليلة الاسراء ، وهذه قول : ابن مسعود ، وأبو داود الطيالسى ، أى " لتركبن سماء بعد سماء " . فهل هذا يتفق مع الصورة الواقعة الآن ؟ ونفس المفسرين قالوا " لتركبن أمرا بعد أمر . وقيل منزلا بعد منزل ، وهذا قول أبو

اسحاق عن ابن عباس كما ورد فى تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٤٩ ، فالآية صادقة له بمفهومها . ولقد تحرج السلف عن التفسير بالرأى ، وضلت بعض الفرق لحمل الألفاظ على المعنى من غير الرجوع الى السنة ، كالمعتزلة والشيعة . كما نرى ذلك واضحا فى تفسير - الفخر الرازى - ومن أجل التفسير بالرأى تعرض العلماء للقتل وتفرق المسلمون واشتعلت الفتنة وكانت محنة اسلامية كبرى .. وعلى هذا فليس من الجائز تفسير القرآن ، حسب الرغبة والهوى ، ونجرى وراء . دارون ، وفرويد ، باسم التفسير العصرى ، ونتبع عقيدة الغرب .

(٥٦) سورة المائدة / ٦ .

(٥٧) ابن كثير - فى تفسير الآية .

(٥٨) أخرجه مسلم - الايمان ، والترمذى .

(٥٩) د . أحمد عمر هاشم " طوبى للغرباء " " عدد ٦٢٩٠ ، ص ٤ جريدة الندوة - السعودية .

(٦٠) أخرجه البخارى ، ومسلم .

(٦١) " " الترمذى .

(٦٢) " " " " - البر .

(٦٣) محمد حرب عبد الحميد " مذكرات السلطان عبد الحميد " ص ١١ جامعة عين شمس - القاهرة - ١٩٧٨م .

(٦٤) أخرجه الترمذى - العلم .

(٦٥) عمر فروخ " تاريخ الأدب العربى " ج ١ ، ط ٢ - دار القلم - ١٩٦٩م - بيروت .

(٦٦) د . ذكى نجيب محمود " صراع ثقافى قديم " - تجديد الفكر العربى .

(٦٧) الترمذى - العلم .

(٦٨) أبو الحسن الندوى " الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الاسلامية "

(٦٩) " تجديد الفكر العربى "

(٧٠) منهم .. سر سيد أحمد خان . مؤسس جامعة " عليكره " وهو من علماء المسلمين البارزين فى الهند .

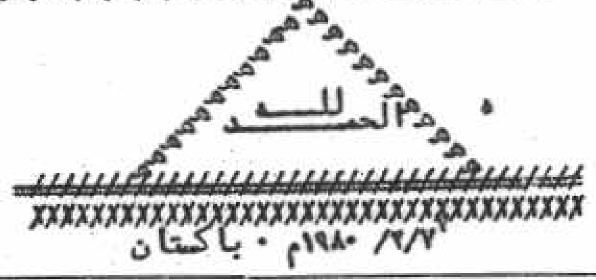
(٧١) نتيجة لتحجر عقول علماء المسلمين ، والتزمت الذى لا مبرر له ، مما ساعد على انفجار البركان .

(٧٢) منهم جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده فى مصر ، ومحمد اقبال شاعر باكستان ، وقد قال فى ذلك : هاأنذا كسرت طلسم العصر ، وأبطلت مكره ، التقطت الحبة ، وفلة وأفلت من شبكة الصياد . ويشهد الله انى كنت فى ذلك مقلدا للنبى ابراهيم ، فقد خضت النار مطمئنا ، وخرجت محتفظا .. بهويتى .

(٧٣) جوستاف لوبون " حضارة الاسلام "

(٧٤) ابن رشد " تهافت التهافت " .

(٧٥) شيخ الاسلام ابن تيمية ..
(٧٦) أبو الاعلى المودودى " نحن والحضارة الغربية " مجلة البلاغ الكويتية عدد ٤٠٤ ، ص ٢٦ ـ ١٩٧٨م .
(٧٧) سعيد الغامدى " الاسلام بين تكالب الأعداء وتقاعس الفقهاء " من منشورات الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ـ ١٣٩١هـ السعودية ..
(٧٨) أخرجه مسلم ـ الايمان ..
(٧٩) سورة يونس/ ٩٩ .
(٨٠) الامام الشاطبى " الموافقات ، المقدمة " تعليق . الشيخ عبد الله دراز مجلة الأزهر ١٩٥٦م القاهرة .
(٨١) عمر التلمسانى " مسئولية رئيس الدولة " مجلة الدعوة المصرية ـ الاخوان المسلمون ـ عدد ١١ ، ص ٣ ـ ١٩٧٧م القاهرة .
والاستاذ فهمى هويدى " هل نقاطع الماضى " العربى ـ عدد ٢٣٣ ، ص ٣١ ـ ١٩٧٧م الكويت ..
(٨٢) من المأثورات ، عن عمرو بن العاص ـ كتاب البخلاء . للجاحظ .
(٨٣) أحمد بن حنبل ج٥ .
(٨٤) يوسف/ ٤٩ . والمتتبع لشرح الآية يرى فيها جوانب كثيرة للتخطيط للمستقبل : من اقتصاد فى حفظ المادة وطريقة التخزين ، والعمل المتواصل
(٨٥) المرجو نظر كتاب " حصوننا مهددة من داخلها " للأستاذ محمد محمد حسين أستاذ التاريخ . بجامعة الاسكندرية ، مطبعة المنار الكويت ..
(٨٦) د. محمد خلف الله " هرتزل والسلطان عبد الحميد " العربى ـ عدد ٢٣٣ ص ٣٤ ـ ١٩٧٧م الكويت .
(٨٧) مذكرات السلطان عبد الحميد " ص ١١ .
(٨٨) البخارى ـ المغازى .
(٨٩) " " ـ القدر .
(٩٠) ابن ماجة ـ المقدمة ..



٢/٧/ ١٩٨٠م . باكستان

الحـــديث النبوى والعلم المعـاصـر

المـــــراجـع العـامة والمصادر
لهـــذا
الكتـــــــاب

" المراجع والمصادر "

كتب تفسير وما شابهها

مسلسل	الكتاب	المؤلف	دار النشر
١	الأحكام	ابن حزم	ج ٣
٢	أحكام القرآن	ابن العربي	..
٣	ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم	أبو السعود	دار العصر للطباعة والنشر - بيروت
٤	ارشاد الفحول	الامام الشوكاني	....
٥	أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين الشنقيطي	مطبعة المدني ، مصر - ١٩٧٣م - ط ١
٦	ألباب التأويل في معاني التنزيل	علاء الدين البغدادي « الخازن »	
٧	التسهيل لعلوم التنزيل	ابن جزى	- دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٧٣م - ط ٢
٨	تفسير القرآن العظيم	الحافظ بن كثير	مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر
٩	التفسير العلمي للآيات الكونية	- حنفي أحمد	- دار المعارف ، مصر
١٠	التفسير الكبير	فخر الدين الرازي	- مصر
١١	تفسير جزء عم	الامام محمد عبده	- مطابع الشعب - القاهرة - ط ٦
١٢	تفسير الجواهر	- الشيخ الجوهري	القاهرة
١٣	تفسير المنار	- محمد رشيد رضا	- مكتبة القاهرة - مصر - ١٩٥٩م - ط ٤
١٤	الجامع لأحكام القرآن	- القرطبي	- دار الكتب المصرية ط ٢

مسلسل المــراجع

١٥ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن ـ ابن جرير الطبرى • دار المعرفة للطباعة / ١٩٧٢م ـ ط ٢

١٦ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور • جلال الدين السيوطى ـ مؤسسة الخانجى القاهرة

١٧ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى • • الألوسى ـ المطبعة المنيرية ـ مصر • ط ٢

١٨ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ نظام الدين النيسابورى •• مطبوع مع تفسير ابن جرير الطبرى

١٩ ـ فتح القدير فى علم التفسير ـ الشوكانى ـ مطبعة الحلبى وأولاده • مصر

٢٠ ـ الفتوحات الالهية على الجلالين ـ سليمان الجمل ـ " " " " "

٢١ ـ فى ظلال القرآن ـ الشهيد سيد قطب ـ "مطبعة " " " " " ط ٢

٢٢ ـ الكشــاف ـ الزمخشــرى

٢٣ ـ بدع التفاسير فى الماضى والحاضر ـ د• رمزى نعناعة ـ مؤسسة الأنوار ـ الرياض ـ السعودية ـ ١٩٧١م ط١

٢٤ ـ تفسير ابن كثير "ج ١ ، ٢ ، ٣ ـ ابن كثير ـ دار الأندلس ـ بيروت ١٩٦٦ ط ١

٢٥ ـ مقدمة فى أصول التفسير ـ أحمد بن تيمية ـ المكتبة العلمية ـ لاهور

٢٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى ـ مطابع الشعب • القاهرة

(A) Early development of Muslim Jurisprudence by
Dr. Ahmad Hasan Sunnah.

(B) Islamic Legal Philosophy A study of al-shatibi,
al-Mawafaqat by Khalid Masud.

(C) How Greek Science passed to the Arabs?

by
Dr Lacy O'Leary,- D.D.

Author of Arabic Thought and its place in History

Third impression.

مسلسل

المـــراجع

كتب حـــديث .. وما عابهها

٢٧

٣٧ ـ أسماء الرجال ...

٣٨ ـ أعلام الموقعين ـ ابن القيم ـ ج ٢ ..

٢٩ ـ الأنوار الكاشفة فى الرد على أبو رية ـ عبد الرحمن بن يحى ـ الاخـوان المسلمين ـ مصــر

٣٠ ـ تحفة الأحوذى على جامع الترمذى ـ المبار كافورى ـ مطبعة الحلبى . مصر ١٩٥٤م ..

٣١ ـ الترغيب والترهيب ـ المنذرى ـ مطبعة الحلبى . مصر ـ ١٩٥٤م ـ ط ٢ .

٣٢ ـ تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك ـ السيوطى ـ مطبعة الحلبى ـ مصر .

٣٣ ـ الجامع الكبير ـ أبى عيسى الترمذى . ..

٣٤ ـ جامع الأصول ـ ابن الأثير الجزرى . تحقيق عبد القادر الأرنؤطى . مطبعة الملاح ـ ١٩٦٩م ـ ط ١ مصــر ..

٣٥ ـ الحديث والمحدثون ـ د. أبو زهــرة .

٣٦ ـ الدراسات فى الأحاديث النبوية ـ مصطفى الأعظمى ـ باكستان .. مترجم

٣٧ ـ دفاع عن أبى هريرة ـ د. عجاج الخطيب .. ط ٥

٣٨ ـ دفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ أحمد بن تيمية ـ مكة المكرمة للطباعة

٣٩ ـ رياض الصالحين ـ الامام النووى ..

٤٠ ـ سبل السلام الى بلوغ المرام ـ الصنعانى ـ مطبعة الحلبى ـ مصر ـ ط ٤ .

٤١ ـ السندى على سنن ابن ماجه ـ الامام أبى الحسن السندى ـ المطبعة التازيـة مصر ـ ط ١ .

٤٢ ـ سنن أبى داود ـ أبو داود ـ مطبعة الحلبى ـ مصــر ـ ط ١

٤٣ ـ " " الدارمى ـ عبد الله الدارمى ، تحقيق : عبدالله هاشم يمانى ـ شـركة الطباعة الفنية المتحدة بيروت

٤٤ ـ السنة قبل التدوين ـ د. عجاج الخطيب ـ الاخوان المسلمين ـ مصــر .

٤٥ ـ السنة ومكانتها فى التشريع ـ د. مصطفى السباعى ـ دار العروبة . القاهرة ١٩٦١م

مسلسل

المـــراجـــع

تابع كتب الحديث وما عابهها .

٤٦ ـ السيوطي على سنن النسائي مع حاشية السندي ـ جلال الدين السيوطي ـ المطبعة المصرية ـ الأزهر . مصر

٤٧ ـ الجامع الصحيح ـ الامام مسلم ـ المطبعة المصرية ..

٤٨ ـ شرح الموطأ ـ الزرقاني ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ مصر ـ ١٩٣٦م .

٤٩ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ـ الامام النووي . المطبعة المصرية ـ مصر

٥٠ ـ شرح المواهب اللدنية ـ الزرقاني ..

٥١ ـ شرح التقريب ـ الامام النووي ..

٥٢ ـ عمدة القاري شرح البخاري ـ بدر الدين العيني ـ المطبعة المنيرية ـ مصر

٥٣ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ـ طبعة الحلبي ـ مصر ـ ط ١٩٦٨م ـ ط ٢

٥٤ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد الشيباني ـ الساعاتي ـ مطبعة الفتح الرباني ـ مصر ـ ط ١

٥٥ ـ كنز العمال ـ الشيخ علاء الدين بن علي بن حسام ـ مصر .

٥٦ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ محمد فؤاد عبد الباقي . . مطبعة الحلبي ـ مصر ط ١ ..

٥٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ محمد بن محمد بن سليمان ـ مطبعة المدينة المنورة ـ السعودية ـ ١٩٦٧م . ط ٢

٥٨ ـ مجمع الوسائل في شرح الشمائل ـ علي القاري ـ دار المعرفة للطباعة ـ بيروت ط ٢ .

٥٩ ـ مسند الامام أحمد ـ أحمد بن حنبل ـ المكتب الاسلامي ـ دار صادر ـ السعودية ١٩٦٩م ـ ط ١

٦٠ ـ مستدرك الحاكم على الصحيحين ـ الحاكم ـ مطبعة النصر الحديثة . الرياض

٦١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ ا . ى . ونسنك وفؤاد عبد الباقي مطبعة بيريل . ليدن ـ لندن .

٦٢ ـ مقدمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني . مطبعة الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٥٩م

مسلسل

المراجع والمصادر
تابع كتب الحديث وما أشبهها

٦٣ ـ المنهل في الحديث ـ د. عبد العال أحمد ، ود. موسى لاشين ـ القاهرة ١٩٩٢

٦٤ ـ مقدمة علوم الحديث ـ الحافظ أبو عمرو بن الصلاح ـ الهند .

٦٥ ـ صحيح البخاري ـ البخاري ـ مصطفى صبيح وأولاده ـ مصر .

٦٦ ـ متن البخاري بحاشية السندي ـ الأجزاء الأربعة ـ مطبعة الحلبي ـ مصر .

٦٧ ـ ندوة المحاضرات ـ الشيخ محمد عز الخطيب ـ مؤسسة مكة للطباعة . السعودية / ١٩٧٢م

٦٨ ـ ندوة المجالس ومنتخب النفائس ـ الشيخ عبد الرحمن الصافوري الشافعي "

٦٩ ـ نظرات في الحديث النبوي ـ د. محمد عبد الرؤوف ـ الكويت ـ ١٩٧٤م ..

٧٠ ـ النهضة الفكرية في العصر العباسي ـ سليم طه التكريتي ـ الكويت ـ ١٩٧٦م

٧١ ـ حجة الله البالغة ـ شاه ولي الله الدهلوي ـ المكتبة السلفية ـ باكستان ١٩٧٥م .

٧٢ ـ الطبقات ـ ابن سعد ..

٧٣ ـ الملل والنحل ـ الشهرستاني ..

٧٤ ـ المنية والأمل ـ ابن المرتضى ...

" كتب سيرة وتاريخ . وغيرها "

٧٥ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ مكتبة الجمهورية ـ مصر ١٩٦٩م ـ ط ١ .

٧٦ ـ سيرة ابن هشام ـ ابن هشام ـ تعليق د. محمد الهراس ـ مكتبة الجمهورية مصر

٧٧ ـ السيرة النبوية ـ العلامة أبو الحسن علي الندوي الهندي ـ المكتبة العلمية لاهور ـ باكستان ط ١

٧٨ ـ الصديق أبو بكر ـ د. محمد حسين هيكل ـ مطبعة الحلبي . مصر ـ ١٩٣٠م .

٧٩ ـ عقيدة المؤمن ـ أبو بكر الجزائري ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر ـ ٧٢ ١٩

٨٠ ـ العقيدة والشريعة في الاسلام ـ فولد زيهر ـ مترجم ـ بيروت ..

٨١ ـ القضاء والقدر ـ الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ مطبعة دار الشرق ـ القاهرة ١٩٧٥م ـ ط ٢

٨٢ ـ القول الجلى فى حكم من توسل بغير النبى ـ محمد بن أحمد بن محمد خضـر
تعليق : الشيخ اسماعيل الأنصارى • توزيع ادارة البحوث العلمية •السعودية
٨٣ ـ محمد المثل الكامل ـ محمد أحمد جاد المولى ـ مطبعة الاستقامة ـ مصـر
١٩٥١م ـ ط ٤ •
٨٤ ـ مختصر سيرة الرسول ـ عبدالله محمد بن عبد الوهاب • مطابع الحكومة ـ مكة
المكرمة ١٣٤٤هـ ••
٨٥ ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ـ دار الكتب المصرية ـ طبعة دار المعارف
مصر ـ ١٩٦٨م ـ ط ٢
٨٦ ـ عبقرية محمد ـ عباس محمود العقاد ـ دار الهلال ـ القاهـرة ••
٨٧ ـ مقدمة ابن خلدون ـ ابن خلدون •••
٨٨ ـ الأبطال وعبادة البطولة .. توماس كارلايل • ترجمة : صفاء خلوصى ـ الكويت
٨٩ ـ جمهرة رسائل العرب ـ د• أحمد ذكى ـ الكويت •
٩٠ ـ صبح الأعشى ـ القلقشندى ـ •••

كتب اجتماعية •• دينية وثقافية وعلمية

٩١ ـ الاتصال الكونى ـ كاريل سيجان ـ ترجمة : محمد الحديدى ـ السعودية ـ١٩٧٨م
٩٢ ـ آراء تقدمية فى الفكر الاسلامى ـ فتحى عثمان • الكويت ••
٩٣ ـ الاسلام والنفس الانسانية ـ د• محمد مصطفى الزحيلى • جدة ـ السعودية ١٩٧٨م
٩٤ ـ الأسرار وسر الأسرار ـ أبو بكر الرازى ••
٩٥ ـ الاسلام والأوضاع الاقتصادية ـ الشيخ محمد الغزالى ـ القاهرة ـ ١٩٥٢م ط ٢
٩٦ ـ الاسلام والعرب ـ لاند روم • ترجمة منير البعلبكى • دار العلم للملايين •
بيروت ـ ١٩٦٣م ••
٩٧ ـ الاسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين ـ يوسف القرضاوى ـ مكتبة ـ
المنار ـ الكويت ••
٩٨ ـ الاسلام عقيدة وشريعة ـ الشيخ محمود شلتوت ـ القاهرة ••
٩٩ ـ الاسلام وتقنين الأحكام ـ عبدالرحمن عبدالعزيز القاسم ـ السعودية ـ القاهرة
١٩٦٦م

مسلسل

المراجع العامة

كتب ثقافية .. اجتماعية ، ودينية ، وعلمية

١٠٠ ـ أسباب سعادة المسلمين وشقائهم ـ محمد زكريا يحي الكاندهلي ، ترجمة : سعيد الأعظمي الندوى : الهند .

١٠١ ـ الاسلام والعرب " لاند ردم " ترجمة : منير البعلبكي . دار العلم للملايين بيروت / ١٩٦٢م . ط ١

١٠٢ ـ الاسلام ومشكلات الحضارة ـ سيد قطب ـ بيروت ..

١٠٣ ـ الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ـ عبد القادر عودة ـ دار القرآن للطبع والنشر ـ الكويت . سوريا

١٠٤ ـ الاسلام في عصر العلم ـ الغمراوى ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٧٣م ـ ط ١ .

١٠٥ ـ الاسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان ـ ١٩٧٠م ـ ط ١ .

١٠٦ ـ الاسلام والطب الحديث ـ سعيد رضا عبيدات ـ المكتبة العلمية ـ لاهور .

١٠٧ ـ أشعة خاصة بنور الاسلام ـ اتيان دينيه . مترجم ـ تونس ..

١٠٨ ـ أصوات لا تسمع ـ ب . رياتستف ـ ترجمة : سيد رمضان ـ الكويت ١٩٧٢م .

١٠٩ ـ أعيان الشيعة ـ السيد حسن الأمين ـ بيروت ـ ١٩٦٠م ـ ط ٤ ـ ج ٧ .

١١٠ ـ الأغانى ـ أبى الفرج الأصفهانى ـ ..

١١١ ـ الأم ـ الامام الشافعى ـ ج ٧ .

١١٢ ـ تاريخ الأديان ـ أرنست رينان .. .

١١٣ ـ تاريخ التشريع الاسلامى ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف ـ دار القلم للطباعة ، والنشر ـ الكويت ـ ١٩٧١م ـ ط ٩ .

١١٤ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية ـ الشيخ محمد أبو زهرة ـ القاهرة ـ ج ٢ .

١١٥ ـ تاريخ الفكر العربى ـ د. عمر فروخ ـ لبنان ـ ١٩٦٢م ـ ط ٤ .

١١٦ ـ تاريخ الفلسفة فى الاسلام ـ دى بوير ـ ألمانيا ، ترجمة : د. عبد الهادى أبو ريده ـ السعودية ـ ١٩٦٣م ..

١١٧ ـ تاريخ أخلاق أوروبا ـ ليكى ـ مصر ..

١١٨ ـ تاريخ التراث العربى ـ فؤاد سزكين ـ القاهرة ـ ١٩٧٦م ـ ج ١ ..

مسلسل

المراجع العامة

تابع ما قبله

١١٩ ـ تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ـ منتصر عبد الحليم ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٣م ـ ط ٥ ..

١٢٠ ـ تاريخ الأدب العربي ـ محمد حسن الزيات ـ القاهرة ط ٢٤ .

١٢١ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ـ بارتولد ساف ـ ترجمة : حمزة طاهر . دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٦م ـ ط ٢ ..

١٢٢ ـ التربية الاسلامية " محاضرة برابطة العالم الاسلامي " مكة المكرمة ٥/٢/١٩٧٢

١٢٣ ـ الترجمة وأثرها في الفكر الاسلامي ـ د. رضا محمد سعود ـ السعودية ـ ١٩٧٨م

١٢٤ ـ تراث الاسلام ـ ماكس ماير هوف ـ جامعة أكسفورد ـ لندن ـ ١٩٤٣م .

١٢٥ ـ تراث العرب العلمي ـ طوقان قدري حافظ ـ ترجمة : الطويل توفيق ، دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦٣م ..

١٢٦ ـ تجديد الفكر الديني ـ الشاعر محمد اقبال ـ باكستان ..

١٢٧ ـ تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين الذهبي ـ ج ١ ..

١٢٨ ـ التفكير فريضة اسلامية ـ عباس محمود العقاد ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ـ مصر ـ ١٩٦٤م ـ ط ١ .

١٢٩ ـ أثر الحضارة العربية في أوروبا ـ هونكه سغريد ـ ترجة فاروق وكمال دسوقي مصر ـ ١٩٦٤م ـ ط ١ . المكتب التجاري للطباعة والتوزيع .

١٣٠ ـ الجهاد في سبيل الله ـ حسن البنا ـ مصر ..

١٣١ ـ الحيوان في الفقه الاسلامي ـ د. أحمد الكبيسي ، جامعة بغداد ـ العراق ، ١٩٧٧م

١٣٢ ـ حول نظرية التغيير الاجتماعي ـ أفيرت . ا . هاجن ـ ترجمة عبد المغني سعيد مكتبة الانجلو المصرية للنشر ، ١٩٧٩م .

١٣٣ ـ حضارة العرب ـ لوبون جوستاف ـ ترجمة : عادل زعيتر ـ طبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٩٦٤م ـ مصر ـ ط ٤ ..

١٣٤ ـ الحضارة العربية ـ ريسلر جاك ـ ترجمة غنيم عبدون ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة .. دار القلم بالقاهرة ـ ١٩٦٣م ط ٢

١٣٥ ـ حكم الاسلام ـ الشيخ عبد العزيز باز ـ رئيس ادارة البحوث العلمية ، مكة للطباعة

مسلسل

تــابع ما قبله

---

١٣٦ ـ حصوننا مهددة من داخلها ـ محمد محمد حسين ـ مكتبة المنار الاسلامية الكويت
١٣٧ ـ حقوق الانسان الثقافية فى الاسلام ـ ندوة فى الفاتيكان ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ٢٤/١٠/١٩٧٤م .
١٣٨ ـ حكم الاسلام فى النظر ـ محمد أديب كامل ـ سوريا ـ حماة ..
١٣٩ ـ حكم من استعان بغير الله أو صدق الكهنة ـ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ توزيع ادارة البحوث العلمية ـ السعودية ـ
١٤٠ ـ حياة الروح فى ضوء العلم ـ أدموند ـ وسيفوت ـ ترجمة : اسماعيل مظهر ـ مصر
١٤١ ـ خلق المسلم ـ الشيخ محمد الغزالى ـ دار الكتب الحديثة ـ مصر ط ٤ ..
١٤٢ ـ خلاصة تاريخ التشريع الاسلامى ـ عبد الوهاب خلاف ـ دار القلم ـ الكويت ـ ١٩٧١م ـ ط ٩ ..
١٤٢م ـ خصائص الطبيعة فى القرآن) سيد عبدالودود مترجم ـ بيروت ـ
١٤٣ ـ جامع بيان العلم ـ ابن عبد البر ـ مصر ـ ط ٢ ج ١ ..
١٤٤ ـ دمروا الاسلام وأبيدوا أهله ـ جلال العالم ـ طرابلس ـ لبنان ـ ١٩٧٥م ـ ط ٢
١٤٥ ـ الدين ـ الشيخ محمد عبد الله دراز ـ مطبعة الحلبى ـ مصر ـ ١٩٥٤م ..
١٤٦ ـ الدين بلا وحى ـ جليان هيكسلى ـ مطبعة هاربر ـ نيويورك ١٩٥٢م ..
١٤٧ ـ الدين للواقع ـ محمد فتحى عثمان ـ الدار الكويتية ـ للطباعة ـ ..
١٤٨ ـ الرسالة ـ الامام الشافعى ـ القاهرة ..
١٤٩ ـ رسالة قانون التأويل ـ الامام الغزالى ـ ..
١٥٠ ـ ركائز الايمان ـ الشيخ محمد الغزالى ـ مكتبة الأمل ـ الكويت ..
١٥١ ـ السياسة الشرعية ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٩٤٠م
١٥٢ ـ الانسان ذلك المجهول ـ اليكيس كاريل ـ مترجم عن ركائز الايمان ..
١٥٣ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ـ هونكة سغريد ـ ترجمة فاروق بيضون ـ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع ـ مصر ـ ١٩٦٤م ط ١
١٥٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية ـ ابن أبى العز الحنفى ـ المكتبة السلفية ـ لاهور .
١٥٥ ـ صدمة المستقبل ـ ألفين توفلر ـ أمريكا ـ ترجمة محمود السمرة ـ ١٩٧٠م ط ٢٠
ط ٢٠

مسلسل

المراجع ـ تابع ما قبله

١٥٦ ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والغربية ـ السيد أبو الحسن على الندوى ـ طبعة الكويت ..

١٥٧ ـ الطاقة الذرية لاحتياجات البحرية ـ دافيد روبن ـ ترجمة : ميخيل تكلا ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٣م

١٥٨ ـ العدالة الاجتماعية فى الاسلام ـ سيد قطب ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م ـ ط ٨ .

١٥٩ ـ العرب والعلم ـ دار النهضة الحديثة ـ مصر ـ ١٩٦٣م ـ ط ٢ ..

١٦٠ ـ على بن أبى طالب ـ لجنة التأليف ، طباعة دار التوحيد ـ الكويت ـ ١٩٧٨م

١٦١ ـ العلوم الطبيعية فى القرآن ـ يوسف مروى . دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٠م ط ١) . ط ١ ، ج ٢ ..

١٦٢ ـ فجر الاسلام ـ أحمد أمين ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٥م ..

١٦٣ ـ الفصول فى الأصول ـ أبو بكر الجصاص ـ م ٣٢٠ هـ ..

١٦٤ ـ فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ـ لويس غردية ـ ترجمة : د . صبحى الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٩م ط ١ ج ٢

١٦٥ ـ الفكر الاسلامى والتطور ـ محمد فتحى عثمان ـ الكويت ..

١٦٦ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن ـ الامام ابن تيمية ، تعليق محمود فايد ، توزيع ادارة البحوث الاسلامية العلمية ـ السعودية ..

١٦٧ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ مكتبة الخياط ـ لبنان ..

١٦٨ ـ قصة الحضارة ـ ديورانت ، و . ل ، ترجمة : محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة ـ ٩٦٤م ـ القاهرة ـ ط ٢ ...

١٦٩ ـ قصة الايمان ـ الجسر ـ المكتبة الاسلامية ـ بيروت ـ ١٩٦٩م ـ ط ٣ ..

١٧٠ ـ قوة الأشياء ـ سيمون دى بوفوار ـ بيروت ..

١٧١ ـ القول السديد فى مقاصد التوحيد ـ عبد الرحمن بن سعدى ـ مؤسسة النور ـ للطباعة والنشر ـ السعودية ـ ١٩٦٤م ط ٤

١٧٢ ـ كتاب التوحيد ـ الامام محمد بن عبد الوهاب ـ مطبعة دار الأصفهانى ، جدة ـ ١٩٣٠م ـ ...

١٧٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن ـ أبو اسحاق الثعلبى النيسابورى ، مخطوط مكتبة الأزهر ..

مسلسل

المـراجع .. تابع ماقبله

١٧٤ ـ الكون بين العلم والايمان ـ محمد جمال الدين الفندى ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ مصر ..

١٧٥ ـ لماذا الاسلام ـ أحمد حسين المحامى ـ مصـر ..

١٧٦ ـ الله يتجلى فى عصر العلم ـ مقالات لمجموعة من علماء أمريكا فى جميع المجالات ـ تحرير جون كلوفر ـ ترجمة : الدمرداش عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م ..

١٧٧ ـ محمد والاسلام ـ توماس كارليل ـ أدنبرة ـ مايو ١٩٤٠م ..

١٧٨ ـ المدخل الى تاريخ العلوم ـ جورج سارتون ـ ..

١٧٩ ـ مبادئ الاسلام ـ باماتحيدر ـ ترجمة : عادل زعيتر ـ دار احياء الكتب العربية القاهرة ـ ١٩٥٦م ..

١٨٠ ـ مابعد الأرض ـ رالف بلوم ـ مصـر ..

١٨١ ـ مذكرات السلطان عبد الحميد ـ محمد حرب عبد الحميد ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ ١٩٧٨م ..

١٨٢ ـ مرآة الجنان ـ اليافعى ـ ..

١٨٣ ـ المستقبل لهذا الدين ـ سيد قطب ـ دار القرآن للطبع والنشر ـ سوريا ـ لبنان ، الكويت ، ١٩٧٨م ..

١٨٤ ـ مصادر التشريع الاسلامى ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف ـ مصر ـ ١٩٥٤م ..

١٨٥ ـ " " " ـ شاخت ، ترجمة أحمد جمال ، بيروت ـ الكويت .

١٨٦ ـ مصطلح الحديث ـ د. عبد العال أحمد ـ مصر ـ ١٩٦٤ م ـ ..

١٨٧ ـ صنع الله ـ د. عبد الرزاق نوفل ـ مصـر ..

١٨٨ ـ معجزة القرآن ـ الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ سلسلة كتاب اليوم ـ مؤسسة الأخبار ـ القاهرة ـ ١٩٧٩م ـ عدد ١٥٤ ـ ..

١٨٩ ـ مفتريات على الاسلام ـ أحمد محمد جمال ـ بيروت ..

١٩٠ ـ مقدمة أصول التفسير ـ شيخ الاسلام ابن تيمية ـ ج ١ ..

١٩١ ـ المقومات الانسانية فى القرآن ـ د. أحمد ابراهيم مهنا ـ القاهـرة .

مسلسل المراجع .. تابع ماقبله

١٩٢ ـ ميزان الجواهر فى عجائب الكون الباهر ـ الشيخ طنطاوى الجوهرى ـ المطبعة المتوسطة ـ مصر ـ ١٣١٨هـ ..

١٩٣ ـ مكانة السنة من القرآن ـ محمد رجاء حنفى ـ الأردن ـ ١٩٧٨م ـ ج ٣٢ ..

١٩٤ ـ الملل والنحل ـ أبى حسن الكرخى ، والشهرستانى ـ ..

١٩٥ ـ مناهج الاجتهاد فى الاسلام ـ د. محمد سلام مدكور ـ طبعة الكويت ـ ١٩٧٤م ج٢

١٩٦ ـ مناهج علماء المسلمين فى البحث العلمى ـ ترجمة حسنى محمد بدوى ـ السعودية ـ ١٩٦٣م ..

١٩٧ ـ المنهج التجريبى لدى علماء العرب فى العصر الاسلامى ـ د. عبد الحليم منتصر ـ بيروت ـ ١٩٧٥م ..

١٩٨ ـ منهاج السنة ـ ابن تيمية ـ ج ٣ ..

١٩٩ ـ نحن والحضارة الغربية ـ أبو الأعلى المودودى ـ باكستان ..

٢٠٠ ـ نظام العالم والأمم ـ طنطاوى الجوهرى ـ مصر ..

٢٠١ ـ نظام الاسلام ـ محمد المبارك ـ بيروت ـ القاهرة ..

٢٠٢ ـ نشوء الكون ـ جورج جاموف ـ روسيا ... مترجم ...

٢٠٣ ـ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ـ محمد بن أبى بكر بن الجوزى ٧٥١هـ ، مؤسسة مكة للطباعة ...

٢٠٤ ـ هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه ـ محمد السيد الوكيل ـ طبع فى السعودية ، وبيروت ـ ١٩٧١م ـ ط ١ ..

٢٠٥ ـ هذا ديننا ـ الشيخ محمد الغزالى ـ مصر ـ ١٩٦٢م ..

٢٠٦ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ ...

٢٠٧ ـ القرآن والتوراة والعلم ـ موريس بوكاى ـ ترجم الى الانجليزية ـ جمعية المسلمين ـ كراتشى ـ باكستان ـ ١٩٧٩م ..

٢٠٨ ـ من أسرار العربية فى البيان القرآنى ـ د. عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » طبعة بيروت ـ ١٩٧٢م ..

٢٠٩ ـ فى العقيدة الاسلامية ـ الامام محمد بن عبد الوهاب ـ طبع فى جدة ـ السعودية ـ ١٩٧٠م ..

مسلسل

المراجع

٢١٠ ـ الأحكام ـ ابن حزم ـ تونس ..

٢١١ ـ مصير الانسان ـ لبير لوكنت دى نوى ـ فرنسا ـ ١٩٤٧م ..

٢١٢ ـ المجتمع الانسانى ـ محمد أبو زهرة ـ بيروت ....

٢١٣ ـ ألمانيا الحديثة ـ د. ابراهيم الشريعى ـ بيروت ..

٢١٤ ـ التربية ماذا تكون ـ هاربرت ـ ألمانيا ..

٢١٥ ـ آكام اللؤلؤ والمرجان ـ الشبلى الحنفى ـ مطبعة محمد صبيح وأولاده ـ مصر ١٩٥٦م ..

مراجع عامة ومصادر

الصحف والمجلات

	أعداد
٢١٦ ـ مجلة البلاغ ـ مجلة أسبوعية تصدر فى الكويت	١٣ عدد
٢١٧ ـ جريدة الجمهورية المصرية ـ تصدر فى القاهرة	٢ "
٢١٨ ـ جريدة الأخبار " " " "	٤ "
٢١٩ ـ " " الأهرام " " " "	٧ "
٢١٠ ـ جريدة الشعب " " " "	١ "
٢١١ ـ " " الندوة السعودية ، تصدر فى السعودية	١٠ "
٢١٢ ـ " " الوحدة " تصدر فى أبو ظبى	٢ "
٢١٣ ـ " " المدينة " السعودية تصدر فى السعودية	٥ "
٢١٤ ـ " " عكاظ " تصدر فى السعودية	٣ "
٢١٥ ـ " " النهار " تصدر فى لبنان	١ "
٢١٦ ـ " " الثورة " تصدر فى سوريا	٢ "
٢١٧ ـ مجلة " المجمع العلمى " تصدر فى دمشق	٢ "
٢١٨ ـ المجلة العربية تصدر فى السعودية	٣ "
٢١٩ ـ مجلة منار الاسلام ـ تصدر فى أبو ظبى	٢ "
٢٢٠ ـ " المفكر العربى ـ تصدر فى بيروت	١ "

تابع .. الصحف والمجلات

مسلسل		أعداد
٢٢١	مجلة " الدوحة " شهرية تصدر في دولة قطر	٧ عدد
٢٢٢	" " الدعوة " أسبوعية . جماعة الاخوان المسلمين . مصر	٥ عدد
٢٢٣	" " " الدعوة " " " " تصدر في السعودية	١٥ "
٢٢٤	" " المستقبل " " " " " " فرنسا	٦ " "
٢٢٥	" " المسلم المعاصر " فصلية " " " " في بيروت	٧ " "
٢٢٦	" " التضامن الاسلامي " شهرية تصدر في السعودية	٥ " "
٢٢٧	" " اليمامة " أسبوعية تصدر في السعودية	١٢ " "
٢٢٨	" " الفيصل " شهرية ــ تصدر في السعودية	١٨ " "
٢٢٩	" " اقرأ " أسبوعية تصدر في السعودية	٦ " "
٢٣٠	" " الفكر الاسلامي " شهرية ــ تصدر في ايران	٢ " "
٢٣١	" " العلم " شهرية ــ تصدر في تونس	٤ " "
٢٣٢	" " نشرة شهرية " " تصدر في بيروت	٨ " "
٢٣٣	مجلة هدى الاسلام " شهرية تصدر في الأردن	٣ " "
٢٣٤	" " الأزهر " شهرية تصدر في القاهرة	٢ " "
٢٣٥	" " منبر الاسلام " شهرية تصدر في القاهرة	١ " "
٢٣٦	" " أكتوبر " أسبوعية تصدر في مصر	٢ " "
٢٣٧	" " العربي " شهرية تصدر في الكويت	٣٤ " "
٢٣٨	" " المجتمع " أسبوعية تصدر في الكويت	٨ " "
٢٣٩	" " الوعي الاسلامي " شهرية تصدر في الكويت	٩ " "
٢٤٠	" " العقيدة " أسبوعية " تصدر في مكة المكرمة	٧ " "
٢٤١	" " المنهل " شهرية تصدر في السعودية	٣ " "
٢٤٢	" " الدعوة الى الله " موسمية ــ الجماعة الاسلامية ــ باكستان	١ " "

(تمت)

بحمد الله

(ف ١٠ ص . خليل)

(٨)

Mujibur Rahman
Professor
Department of Islamiyat
University of Peshawar.

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة شئون الأزهر
مكتب الوزير

الملاحظات الهامة في الرسالة --

مسلسل	رقم الصفحة	الملاحظة
١	٦	المقارنات الموجودة بين الحديث والإكتشافات العلمية يجب أن تكون الحكيم - وذلك في السطر ١٦ - ٢٠
٢	١٣	قوله: وتشير الأديان إلى إسعاد الخ، أقول: الأفضل الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي بقي إلى اليوم، ولم يصبه التحريف.
٣	١٧	قوله: ومن نظر إلى الكتب الدينية الخ أقول: فقوله غير تام لأن من الكتب الدينية مثل كتب الحديث الصحيحة، والفقه، من الأفضل أنه تقول بعض الكتب.
٤	١٨	القصص المذكورة، لا تناسب الرسالة العلمية.
٥	١٩	من السطر الرابع حتى العاشر يحذف، يجب لكنه ثم الخمس الأسطر الأخيرة أيضا
٦	٢١	قوله: ولا يزال الدين شغالا على مر الزمان الخ، قلت: الفقرة خطيرة، لأن الإسلام صالح لكل زمان، من غير تفاعل، وقوله: وأما الوهابية من عقلين وريادين الخ أقول: كيف يتصور الاحتفال وإذا أنه الدين، من غير احتفال العقل
٧	٢٦	وقوله على الصلاة والسلام "أوتيت جوامع الكلم" لم تخرج تخريجا كاملا، وكذا قول عمر لم تخرج الخطبة، ولا حديث القرآن.
٨	٢٧	الإتيان بالحديث في رسالة علمية، شيء غير مناسب. وقوله: واحتمل المفعل ومقاصد الشريعة الخ، أقول: يحذف..
٩	٢٩	قوله: لأن السنة تشريع وليست تشريعا الخ قلت: الكلام خطير يجب حذفه من الرسالة، ثم حذفه المؤلف -
١٠	٢١	قوله: الموسوعة الحلوية، قلت: الكلام غير بليغ -
١١	٣٢	قوله(ص) لا يبالي الصدى، قلت: التخريج غير موجود، وما درجة الحديث.

مسلسل صفحة الملاحظة "٢"

١١ – ٣٩ – قوله: القرآن هو المصدر الوحيد للإسلام. قلت: بعد هذا أنه نفيت السنة.

١٢ – ٣٩ – قوله: لو كانت كل آيات القرآن محكمة الخ. قلت: وهذا يعني أن المحكم لا مجال للاجتهاد فيه، ومقابل المتشابه الذي فتح باب الاجتهاد لأجله
– وهذا أمر صحيح، فقد يكون الاجتهاد وحده يدل على الدليل – أخرجه علماء الأصول.

١٣ – ٤٢ – لماذا لم يجر القول: إنه حجر؟)

١٤ – ٤٥ – قوله: إن البخاري ألغى الأحاديث لما رآه الله من سبعمائة ألف حديث الخ. قلت: هذا الكلام غير سليم، حيث أنه قسم درجات الحديث مثل الأصح والصحيح إلى آخر درجات الحديث. فالبخاري ذكر في جامعه الأصح.

١٥ – ٥١ – قلت: الرسول لم يسمح بالتدوين بل سمح بالكتابة، وهناك فرق لمن تدبر جيدًا

١٦ – ٥٤ – قلت: كان يجب في العنوان [محاولات التدوين] أفضل من العنوان الحالي

١٧ – ٦٥ – قوله: عندما يجدون ستون نوعًا من الحديث الخ. قلت: الكلام في هذا غير علمي، ويخرج من الرسالة، إذ كثرة أنواع الحديث لا يدل على عدم صحته.

١٨ – ٩٥ – قوله: إن السنة تستقل في تشريع بعض الأحكام. لن سلمت عن القرآن، قلت: أنت قلت سابقًا أن السنة لا تأتي بأحكام في القرآن، فكيف يفهم هذا؟

١٩ – ٩٦ – قوله: القرآن ليس فيه تفصيلات ترغيب وترهيب الخ. قلت: الكلام على الحلال والأحكام.

٢٠ – ٩٩ – قوله: وكذلك اشتهر الصحابة بتفسير القرآن. قلت: وهل هم فسروا القرآن بالرأي

٢١ – ١٠٠ – قوله: النسخ والمتشابه في القرآن. قلت: هذا العنوان. قلت: هذا العنوان يحتاج النظر إلى ما يتناسب مع الموضوع.

٢٢ – ١٠٨ – قلت: يبعد العنوان الى الحديث وارد في العنوان السابق

٢٣ – ١١٠ – " " " " " " " " عنوانه لغز نسائه الجنة

٢٤ – ١١٣ – قوله: تحولت الأمور لنسبية الخ. قلت: الأفضل استطالت الأمور على الحالة

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة شئون الأزهر
مكتب الوزير

الملاحظات اللازمة للرسالة

سطر - صفحة - الملاحظة

- ~~واعطيت الشكل~~ الأمور الثابتة، واعطيت الاشكال الأمور الدينية -

٢٥ - ١١٤ - قوله: انتقال الى [illegible] ثم [illegible] -

- ١٢٠ - قوله: ابو حنيفة نادى بنقل المدينة، قلت: [illegible] ابو حنيفة [illegible] [illegible] يعقل الكوفة والبصرة [illegible] [illegible] [illegible] الدنيا [illegible] -

٢٦ - ١٢٣ - قلت: شخصيات لم تذكر في العنوان، فدخولها يتعلق بالبحث حيث كان من يذكر [illegible] [illegible] معاصرة [illegible] [illegible] الحديث.

- ١٢٩ - قوله: [illegible] المتوفى الى [illegible] الحديث النبوي [ ]

٢٨ - ١٥٦ - قوله: وظهور الاسلام [illegible] [illegible] قلت: الاصح انتشار الاسلام في الاقطار بهذه ~~[illegible]~~ القوة لم يكن [illegible] الخ

٢٩ - ١٥٠ - قوله: وتدخل [illegible] [illegible] الخ قلت: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العلماء في جميع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التاريخ يشهد بذلك

٣٠ - ١٦٥ - [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قلت: [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] الى [illegible]

الملاحظات [illegible] [illegible]

Dr. Qazi Mujib-ur-Rahman
Professor
Department of Islamiyat
University of Peshawar.

٤

تابع —

<u>الملاحظة العامة عن الرسالة</u>

إن الأحاديث معظمها تخرج من كتب ثانوية — وكان الأفضل تخريجها من كتب الأصول في علم الحديث.

وأما باقي الرسالة فالملاحظات الموجودة لا تهم فيها حتى آخرها، فهي ملاحظات شكلية لا تمس ~~[illegible]~~ جوهر الرسالة.

والطالب قد وعد بإصلاحها وذلك أثناء مناقشته وعند طبع الكتاب سيصلح كل الأخطاء — إن شاء الله.

تحريرا في ٣٠/١/١٩٨١م

الأساتذة الممتحنون والمناقشون

د. مجيب الرحمن

د. عبد القادر السليمان

د. سعيد الله قاضي

Dr. Qazi Mujibur Rahman
Professor
Department of ...
University of Peshawar.



Al-Hadith-al-Nabawi and Modern Sciences

Thesis presented for Degree of Ph.D. (Islamiyat)
University of Peshawar

By

Abdullah Salama Nasr

under Supervision of

Dr. Saeedullah Qazi

1980